

مخرج البلاغة

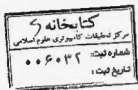
لاہور آنی بجٹ پر

مجلس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



تأليف
محمداً بن الفضل بن محمد بن هبة

مراجعة: محمد بن محمد بن محمد بن محمد

الجزء الثالث

دار الفکر للطباعة والنشر

میس البابی الجلیلی ویشکاة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٩٨٥ هـ - ١٩٦٢ م



مركز توثيق ودراسات

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

قم - إيران ١٤٠٤ هـ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد المدلل الكريم .

واعلم أن الذي ذكره المرتضى رحمه الله تعالى ، وأورده على قاضي القضاة ^(١) جليلاً لازم ؛ متى ادعى قاضي القضاة أن العدالة إذا ثبتت ظناً أو قطعاً لم يميز المدّول عنها والتبرؤ إلا بما يوجب القطع ، ويُعلم به علماً يقينياً زوالها ؛ فأمّا إذا ادعى أن للعلوم لا يزول إلا بما يوجب العلم ، فلا يردّ عليه ما ذكره المرتضى رحمه الله تعالى .

وله أن يقول : قد ثبتت بالإجماع إمامة حنّان ، والإجماع دليل قطعي عند أصحابنا ، وكلّ مَنْ ثبتت إمامته ثبتت عدالته بالطريق التي بها ثبتت إمامته ، لأنه لا يميز أن تكون إمامته معلومة وشرائطها مظنونة ؛ لأنّ الوقوف على المظنون مظنون ، فتكون إمامته مظنونة ، وقد فرضناها معلومة ، وهذا خلف ومحال . وإذا كانت عدالته معلومة لم يميز القول بانتفاء وزوالها إلا بأمر معلوم .

والأخبار التي رويت في أحداثه أخباراً آحاد لا تنهك العلم ، فلا يميز المدّول عن المعلوم بها ، فهذا الكلام إذا رتب هذا الترتيب اندفع به ما اعترض به المرتضى رحمه الله تعالى .

• • •

[بقیة رد المرتضى على ما أورده القاضى عبد الجبار

من الدفاع عن عثمان] (١)

فأما كلامُ المرتضى رحمه الله تعالى عَلَى الفعل الثانى من كلام قاضى القضاة ، وهو الفصلُ المحكى عن شيخنا أبى على رحمه الله تعالى ، فنحن نورده . قال رحمه الله تعالى (٢) :

أما قوله : لو كان ماذُكِر من الأحداث قَادِحاً لوجب من الوقت الذى ظهرت الأحداث فيه أن يطلبوا رجلاً ينصبونه فى الإمامة ، لأنَّ ظهورَ الحدث كونه ، فلما رأيناهم طلبوا إماماً بعد قتله دلَّ على بطلان ما أضافوه إليه من الأحداث . فليس بشئ معتد ؛ لأنَّ تلك الأحداث وإن كانت مزيفةً عندم لإمامه ، وفاسخةً لها ، ومقتضية لأنَّ يقدوا لغيره الإمامة ، (٣) إلا أنهم لم يكونوا قادرين على أن ينفقوا على نصب غيره ، (٤) مع تشبُّهه بالأمر ؛ خوفاً من الفتنة والتنازع والتجاذب ، وأرادوا أن يجمع قسَّه ، حتى تزول الشبهة ، وينشط مَنْ يصلح للأمر لقبول التقدير والتكفل بالأمر . وليس يجرى ذلك مجرى موته ؛ لأنَّ موته يَحْسِمُ الطمع فى استمرار ولايته ، ولا تبقى شبهة فى خلوص الزمان من إمام . وليس كذلك حَدَثُهُ الذى يَسُوغُ فيه التأويل عَلَى بُدْءِهِ ، وتبقى معه الشبهة فى استمرار أمره . وليس نقول (٥) : إنهم لم يتمكنوا من ذلك كما سأل قسَّه ، بل الوجه فى عدولهم ماذكرناه من إرادتهم حَسَمَ (٦) المواد وإزالة الشبهة وقطع أسباب الفتنة .

(١) تابع لما ورد فى الجزء الثانى من ٣٢٨ وما بعدها .

(٢) الشافى ٢٦٦ وما بعدها ؛ وعبارته فى أول هذا الفصل : « فأما بعد الأحداث التى قلت عليه ، فنحن نكلمكم عليها وعلى ما أورده من المناظر فيها بمشقة الله تعالى عند ذكره فقله ؛ فأما ما حكاه من أبى على من قوله : لو كان ماذكره من الأحداث عدلاً وانظر من ٣٦٢ من الجزء الثانى .

(٣ - ٢) كذا فى أ ، ج ، و ب والشافى : « فإنهم لم يقدموا على نصب غيره »

(٤) الشافى : « ليس عدول » (٥) أ : « لجم » ، وكذلك فى الشافى .

قال : فأما قوله : إنه معلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع في الأيام التي حُصِر فيها وقُتِل ؛ بل كانت تقعُ حالاً بعد حال ، فلو كانت توجبُ الخلع والبراءة ، لما تأخر من المسلمين الإنكارُ عليه ، ولكان للقيومون من الصحابة بالمدينة أولى بذلك من الواردين من البلاد ؛ فلا شك أن الأحداث لم تحصل في وقت واحد ؛ إلا أنه غيرُ مشكّر أن يكون نكيرُهم إنما تأخر لأنهم تأوّنوا ماورد عليهم من أقواله على أجل الوجوه ؛ حتى زاد الأمرُ وتفاقم ، وبُعد التأويل ، وتذرّ التخريج ، ولم يبق لظن الجليل طريق ، فحينئذ أنكروا ، وهذا مستمرٌ على ماقدّمنا ذكره ، من أن المدلة والطريقة الجليّة يُأوّل لها في الفعل والأفعال القليلة ، بحسب ماقدّم من حسن الظن به ، ثم يشي الأمر [بعد ذلك]^(١) إلى بُعد التأويل ، والعمل على الظاهر القبيح .

قال : على أن الوجه الصحيح في هذا الباب أن أهل الحق كانوا معتدين بخلفه من أول حدّث ، بل معتدين أن إمامته لم تثبت وقتاً من الأوقات ، وإنما منهم من إظهار مافي نفوسهم ماقدّمناه من أسباب الخوف والتقيّة ؛ لأن الاعتذار بالوجع^(٢) كان عامّاً ، فضا تبيّن أمره حالاً بعد حال ، وأعرضت الوجوه عنه ، وقلّ المأذُر له ، قويت الكلمة في خَلفه . وهذا إنما كان في آخر الأمر دون أوّل ، فليس يقتضى الإمساك عنه إلى الوقت الذي وقع الكلام فيه نسبة الخطأ إلى الجميع ؛ على ماظنه .

قال : فأما دفعه بأن تكون الأئمة أجمعت على خلفه بخروجه^(٣) نفسه وخروج من كان في حيزه عن القوم ، فليس بشيء . لأنه إذا ثبت أن من عداه وعدّ أعبيدموالره حيط من فُتّار أهله وفُتّاقهم ، كروان ومن جرى مجراه ، كانوا مجمعين على خلفه ، فلا شبهة

(١) من كتابه الثاني .

(٢) كذا في ج ، وفي حاشيتها : « هي أكثر الناس يتنكرون بالخوف » ، وفي ا ، ب : « لأن الإعتذار بالرجل » ، وفي الثاني : « لأن الاعتذار بالرجل » .

(٣) ب : « بإخراجه » .

في أن الحق في غير حيزه ، لأنه لا يجوز أن يكون هو للصيب ، وجميع الأمة مبطل ؛
وإنما يدعى أنه على الحق لمن ينزع في إجماع من عداه ، فأما مع التسليم لذلك ، فليس
يحق شبهة ، وما نجد مخالفين يستبشرون في باب الإجماع بإجماع الشذاذ والنفر القليل الخارجين
من الإجماع ، ألا ترى أنهم لا يقولون ^(١) بخلاف سعد ^(٢) وأهله وولده في بيعة أبي بكر
لقتلهم وكثرة من يلزاهم ؛ وذلك لا يستدعون بخلاف من امتنع من بيعة أمير المؤمنين عليه
السلام ، ويعملونه شاذاً ؛ لا تأثير بخلافه ^(٣) ، فكيف فارقوا هذه الطريقة في خلق عيان !
وهل هذا إلا تقلب وتكون !

• • •

قلت : أما إذا احتج أصحابنا على إمامة أبي بكر بالإجماع ، فاعترض حجتهم بخلاف
سعد وولده وأهله اعتراض جيد ، وليس يقول أصحابنا في جوابه : هؤلاء شذاذ فلا يحمل
بخلافهم ؛ وإنما الاعتبار بالكثرة التي يلزاهم وكيف يقولون هذا ، وحجتهم بالإجماع
ولا إجماع ؛ ولكنهم يُجيبون عن ذلك بأن سعداً عامته في خلافة عمر ، فلم يبق من يخالف
في خلافة عمر ، فانقد الإجماع عليها ، وبايع ولد سعد وأهله من قبل ؛ وإذا صحت خلافة
عمر صحت خلافة أبي بكر ؛ لأنها فرع عليها ؛ ومحال أن يصح الفرع ، ويكون الأصل
فاسداً ؛ فهكذا يجب أصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد إذا احتجوا بالإجماع ؛ فأما إذا
احتجوا بالاختيار فلا يتوجه نحوه الاعتراض بخلاف سعد وأهله وولده ؛ لأنه ليس
من شرط ثبوت الإمامة بالاختيار إجماع الأمة على الاختيار ؛ وإنما يكفي فيه بيعة خمسة
من أهل الحل والعقد على الترتيب الذي يرتب أصحابنا دلالة عليه ؛ وهذا الطريق ثبت
عند إمامة علي عليه السلام ، ولم يحمل بخلاف معاوية وأهل الشام فيها .

• • •

(١) يقال : لم يحمل بالأمر ؛ إذا لم يبال به .

(٢) هو سعد بن عباد الأنصاري ، وانظر حديث السيفة في تاريخ الطبري (حوادث السنة الحادية عشرة) .

(٣) ١ ، ج : ١ ، لا تأثير له .

قال رحمه الله تعالى : فأما قوله : إن الصعابة كانت بين فريقين : من نصره^(١) كزيد بن ثابت وابن عمر وعلان وعلان ، والباقيون عمتصون انتظاراً لزوال المارض ولأنه ماضيق عليهم الأمر في الدفع عنه ، فعجيب ، لأن الظاهر أن أنصاره هم الذين كانوا معه في الدار ، يقاتلون عنه^(٢) ، ويدفعون المهاجرين عليه .

فأما من كان في منزله ما أخفى عنه خيلاً ، فلا يمد ناصراً ، وكيف يجوز من أراد نصرته ، وكان معتقداً لنصرايه ، وخطأً للطالبيين له بالخلع ، أن يتوقف عن النصرة طلباً لزوال المارض ! وهل تراذلت نصرة آل أبي لهب المارض ، ويمد زواله لا حاجة إليها ! وليس يحتاج في نصرته إلى أن يضيّق هو عليهم الأمر فيها ، بل من كان معتقداً لها لا يحتاج حمله إلى إذنه فيها ، ولا يحتمل تنبيه عنها ، لأن التكرار مما قد تقدم أمر الله تعالى بالنهي عنه ، فليس يحتاج في إنكاره إلى أمر غيره .



قال : فأما زيد بن ثابت ، فقد روى بيته إلى هنان ، وما بنى ذلك ولإزائه جميع المهاجرين والأنصار ! وليته إليه سبب معروف ، فإن الواقدي روى في " كتاب الدار " أن مروان بن الحكم لما حصر هنان الحضر الأخير أتى زيد بن ثابت فاستصحبه إلى عائشة ليكلمها في هذا الأمر ، فضيأ إليها وهي عازمة على الحج ، فكلما هاق أن تقيم وتذنب عنه ، فأقبلت على زيد بن ثابت ، فقالت : وما منكم بآب ثابت ولك الأشراف قد قطعتمكم^(٣) هنان ، ولك كذا وكذا ، وأعطاك هنان من بيت المال عشرة آلاف دينار ! قال زيد : فلم أرجع عليها حرفاً واحداً ، وأشارت إلى مروان بالقيام ، فقام مروان وهو يقول :

(١) الثاني : « من نصره » .

(٢) ب : « يقاتلون غيره » .

(٣) الثالث : « قد قطعها » .

حَرَقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلا دَ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْذَمًا^(١)

فَإِذَا تَهَ عَائِثَةٌ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْعَبَةِ : بَابُ الْحِسْمِ ، أَعْلَى - تُمَثَّلُ الْأَشْعَارُ إِقْدَ وَاللَّهُ صَمْتُ مَاقَلَتْ ، أُرَانِي فِي شَكٍّ مِنْ صَاحِبِكَ الْوَاقِدِيُّ نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ الْآنَ فِي غِرَارَةٍ مِنْ غِرَارِي كَخَيْطٍ عَلَيْهِ ، فَأَلْقِيهِ فِي الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ : نَفَرْنَا مِنْ عِنْدِهَا^(٢) عَلَى الْيَأْسِ مِنْهَا^(٣) .

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَهُوَ بِدَمْعِهِمْ إِلَى نُصْرَةِ عُمَانَ . فَوَقَفَ عَلَيْهِ جَبَلَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَبَّةَ اللَّزَنِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا يَمْنُكَ بِزَيْدٍ أَنْ تَذُبَّ عَنْهُ ؟ أَعْطَاكَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ وَحَدَائِقٍ مِنْ نَخْلٍ لَمْ تَرِثْ مِنْ أَبِيكَ مِثْلَ حَذِيقَةٍ مِنْهَا .

فَأَمَّا ابْنُ عَمْرٍو فَإِنَّ الْوَاقِدِيَّ رَوَى أَيْضًا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ مَا كَانَ فِينَا إِلَّا خَائِلٌ أَوْ قَاتِلٌ . وَالْأَمْرُ عَلَى هَذَا أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَخْفَى .
فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ إِتِاقِزِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَإِنَّمَا أَخَذَهُمَا - إِنَّ كَانَ أَخَذَهُمَا - لِيَمْنَا مِنْ انْتِهَاكَ حَرِيمِهِ وَتَمَدُّدِ قَهْلِهِ ، وَمَنْعِ خُرْبِهِ^(٤) وَنَسَاتِهِ مِنَ الْعُلَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَمْ يُفْزَحْهُمَا لِيَمْنَا مِنْ مَطَالِبَتِهِ بِالْخُلْعِ ، وَكَيْفَ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعْرُوحٌ بِأَنَّهُ يَسْتَحَقُّ بِأَخْذَاتِهِ الْخُلْعَ ، وَالْقَوْمُ الَّذِينَ سَمَوْا فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ كَانُوا يَنْدُونُ وَيَرْوَحُونَ ، وَمَعْلُومٌ مِنْهُ ضَرُورَةُ أَنَّهُ كَانَ مُسَاعِدًا عَلَى خُلْعِهِ وَقَبْضِ أَمْرِهِ ، لَا سِتْرًا فِي الْلُرَةِ الْآخِرَةِ .
فَأَمَّا ادِّعَاؤُهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَنْ قَتَلْتَهُ ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَا فِي هَذَا مِنَ الرُّوَايَاتِ لِلْخُلَفَاءِ الَّتِي

(١) الإجماع : الإلزام ؟ والبيت الرابع بن زياد ؟ من أبيات في الحاشية ٢ - ٤٨٤ - ٤٨٧ ، يشرح الرزوقي . وفي القطر الأول من البيت زحف بالحرم ؟ وهو جائز في أول التقارب والطويل ، ورواية السان : « وحرى » ؟ بلا حرم - ونفس هو ابن زياد النميري .
(٢ - ٣) (٢ - ٣) الثاني : « على الناس » .
(٤) ب : « حريمه » ، وما أبيته من : « وكتاب العاق » .

هي أظهر من هذه الرواية ، وإن صحت فيجوز أن تكون محمولة على لَمَنْ مَن قتلته متعمدا قتلته ، قاصدا إليه ، فإن ذلك لم يكن لم .

فأما ادّعاؤه أن طلحة رجع لما ناشده عثان يوم الدار ، فظاهر البطلان وغير معروف في الرواية ، والظاهر للمعروف أنه لم يكن على عثان أشد من طلحة ، ولا أغلط منه .

قال : ولو حكينا من كلامه فيه ما قد روي لأفينا قطعة كثيرة من هذا الكتاب ، وقد روي أن عثان كان يقول يوم الدار : اللهم اكفني طلحة ، ويكرر ذلك ، علما بأنه أشد القوم عليه . وروي أن طلحة كان عليه يوم الدار ذرع وهو يراى الناس ، ولم ينزع عن القتال حتى قتل الرجل^(١) .

فأما ادّعاؤه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « ستكون فتنة ، وإن عثان وأصحابه يومئذ على الهدى » ، فهو يعلم أن هذه الرواية الشاذة لا تكون في مقابلة للمعوم ضرورة من إجماع الأمة على تحليه ونزله ، وكلام وجوه المهاجرين والأنصار فيه ، وبإزاء هذه الرواية ما يعلل الطروس عن النبي صلى الله عليه وآله وغيره ، مما يضمن ما تضمنته . ولو كانت هذه الرواية معروفة لكان عثان أولى الناس بالاحتجاج بها يوم الدار ، وقد احتج عليهم بكل فتة وسمين موقبل ذلك لما حوسم وطولب بأن يخلع نفسه بولا حجة بها عنه بعض أصحابه وأنصاره ، وفي علنا بأن شيئا من ذلك لم يكن ، دالة على أنها مصنوعة موضوعة .

فأما ما رواه عن عائشة من قولها : « قتل والله مظلوما » فأقوال عائشة في معرفة ومعلومة ، وإخراجها قيص رسول الله صلى الله عليه وآله وهي تقول : « هذا قيصه لم يبل » ، وقد أبلى عثان سنته ، إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة .

(١) ب : الرجل ، وما أتته من ا ج ، وكتاب الشاف .

فأما مدسها له وثناؤها عليه ؛ فإنما كانا عقيب عنها بانتقال الأمر إلى من انتقل إليه ، والسبب فيه معروف ، وقد وقعت عليه ، وقوبل بين كلامها فيه مقدما ومتأخرا .
فأما قوله : لا يمتنع أن يتعلق بأخبار الأحادي ذلك لأنها في مقابلة ما يدعونه مما طريقه أيضا الأحاد ، فواضح البطلان ، لأن إطباق الصعابة وأهل المدينة - إلا من كان في الحار منه على خلافه ، فإنهم كانوا بين مجاهد ومقاتل مبارز ، وبين متقاعد خادل - معلوم ضرورة لكل من سمع الأخبار ، وكيف يدعى أنها من جهة الأحاد حتى يمارض بأخبار شاذة نادرة ! وهل هذا إلا مكابرة ظاهرة !

فأما قوله : إنا لا نعدل من ولايته بأمر محتملة ، فقد مضى الكلام في هذا المعنى ، وقتلنا إن المحتمل هو مالا ظاهره ، ويتجاذبه أمور محتملة ، فأما ماله ظاهر فلا يستوي محتملا وإن سماه بهذه التسمية ، قد بينا أنه مما يشكك من أجله من الولاية ، وفصلنا ذلك تفصيلا ينشأ .

وأما قوله : إن الإمام أن يجتهد برأيه في الأمور الموثقة به ، ويكون معصيا وإن أفضت إلى عاقبة مذمومة ، فأول ما فيه أنه ليس للإمام ولا غيره أن يجتهد في الأحكام ، ولا يجوز أن يصل فيها إلا على النص ، ثم إذا سلنا الاجتهاد ، فلا شك أن هاهنا أمورا لا يسوغ فيها الاجتهاد ، حتى يكون من حترأعته بأنه اجتهد فيها غير مصوب ^(١) ، وتفصيل هذه الجملة يبين عند الكلام على ما ناطقاه من الأعداد عن إحداثه ^(٢) على جهة التفصيل .



قلت : الكلام في هذا الموضع على سبيل الاستقصاء إما يكون في الكتب الكلامية للبسطة في مسألة الإمامة ، وليس هذا موضع ذلك ، ولكن يكفي قاصي القضاة أن يقول :

(١) كذا في الأصول ، وفي كتاب الشافعي : « غير مصدق » .

(٢) الشافعي : « في أحاديثه » .

قد ثبت بالإجماع صحبة إمامة عثمان ؛ فلا يجوز الرجوع عن هذا الإجماع إلا بإجماع معلوم على خلمه وإباحة قتله ، ولم يُجمع للمسلمون على ذلك ، لأنه قد كان بالمدينة مَنْ يُنكر ذلك وإن قُتِلوا ، وقد كان أهل الأمصار يُنكرون ذلك ، كالشام والتمرة والحجاز واليمن ومكة وخراسان ، وكثير من أهل الكوفة ، وهؤلاء مسلمون ، فيجب أن تُستبرأ أهوالهم في الإجماع ، فإذا لم يدخلوا فيمن أختب عليه لم ينعقد الإجماع على خلمه ولا على إباحة دمه ، فوجب البقاء على ما اقتضاه الإجماع الأول .

• • •

[ذكر المطاعن التي طعن بها على عثمان والرد عليها]

فأما الكلام في المطاعن المصطنعة التي طعن بها فيه ، فنحن نذكرها ، وعكس ما ذكره قاضي القضاة وما اعترض به المرتضى رحمه الله تعالى ^(١) .

الطعن الأول :

قال قاضي القضاة في " للمنى " : فبما طعن به عليه قوالم : إنه ولي أمور المسلمين من لا يصلح لذلك ولا يؤتمن عليه ، ومن ظهر منه العشق والفساد ، ومن لا علم عنده ، مراعاة منه لحمة القرابة ، وعدولاً عن مراعاة حرمة الدين والنظر للمسلمين ؛ حتى ظهر ذلك منه وتسكرت ؛ وقد كان عمر حذره من ذلك ؛ حيث وصفه بأنه كليلٌ نأفاره ، وقال له : إذا وليت هذا الأمر فلا تسلط بي أئى مُعطى على رقاب الناس . فوقع منه ما حذره إياه ، وعوتب في ذلك فلم ينفع العتب ، وذلك نحو استدلاله الوليد بن عتبة ^(٢) ، وتقليده إياه ،

(١) نقله المرتضى في الشاش ٢٦٧ وما بعدها .

(٢) هو الوليد بن عتبة بن أبي سبط أمو عثمان أمه ، وأبها أروى بنت كريب بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس . ولده عثمان السكوني بعد مرارته بن أبي وقاص ؛ ثم عزله عنها بعد أن ثبت عليه شربه الخمر ؛ في جهر مشهور . الإسماعيلية ٣ : ١٠٦ .

حتى ظهر منه شرب الخمر ؛ واستعماله سيد بن العاص^(١) حتى ظهرت منه الأمور التي عندها أخرجه أهل الكوفة ، وتوليته عبد الله بن أبي سريح^(٢) ، وعبد الله بن عامر بن كرز^(٣) ؛ حتى روى عنه في أمر ابن أبي سريح أنه لما نظّم منه أهل مصر وصرفه عنهم بمحمد بن أبي بكر ، كاتبه بأن يستمر على ولايته ، فأبطن خلاف ما أظهر ، فقل من غرضه خلاف الدين . ويقال : إنه كاتبه بقتل محمد بن أبي بكر وغيره ممن يرد عليه ، وظفر بذلك الكتاب ، ولذلك علم التظلم من مد ، وكثر الجمع ، وكان سبب الحصار والقتل ؛ حتى كان من أمر مزوان ونسلطه عليه وعلى أموره ما قتل نبيه ؛ وذلك ظاهر لا يمكن دفعه .

قال رحمه الله تعالى : وجوابنا من ذلك أن قول : أما ما ذكر من توليته من لا يجوز أن يستعمل ، فقد علمنا أنه لا يمكن أن يدعى أنه ليس استعملهم عليهم من أحوالهم خلاف السر والصلاح ؛ لأن الذي ثبت بينهم من الأمور القبيحة حدث من مد ، ولا يمتنع كونهم في الأول مستورين في الحقيقة أو مستورين عنه ؛ وإنما كان يجب تحفظه لو استعملهم ؛ وهم في الحال لا يصلحون لذلك .

فإن قيل ، قلنا علم بحالهم كان يجب أن يزلهم !

قيل : كذلك قل ؛ لأنه إنما استعمل الوليد بن عقبة قبل ظهور شرب الخمر عنه

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي . ولده عن الكوفة بعد الوليد ابن عتبة ؛ ثم حكمه أهل الكوفة ؛ ليجر وعطلة به ، وكتبوا إلى عتبة : لا حاجة لنا في ولدك ولا صبيدك . فضله . الاستيعاب لابن عبد البر ٦٢١ .

(٢) هو عبيدة بن سعد بن أبي سريح بن الحارث بن حبيب القرشي العامري ، أخو عتبة من الرضاة ؛ كان على الصعيد في زمن عمر ، ثم ضم إليه عتبة مصر كلها ؛ واتضح للربقية ، الإصابة ٤ : ٣٠٩ .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي اليشبي ، ابن خالد بن عوف . مرل عتبة أبو موسى الأشعري من الصرة وعتبة بن أبي العاص من طرس ؛ وجمع ذلك كله لعبد الله بن عامر . الاستيعاب لابن عبد البر ٩٢١ .

فما شهد عليه بذلك جلده الحدّ وصرّفه . وقد روى مثله عن عمر ، فإنه وثى قدامة بن مظلوم بعض أعماله ، فشهدوا عليه شرب الخمر ، أشخصه وجلده الحدّ ؛ فإذا عدّ ذلك في فضائل عمر لم يميز أن يعدّ ما ذكره في الوليد من معائب عيان . ويقال : إنه لما أشخصه أقام عليه الحدّ بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد اعتذر من عزله سعد بن أبي وقاص بالوليد ؛ بأنّ سدا شكاه أهل الكوفة ، فأذاه اجتباؤه إلى عزله بالوليد .

فأما سعيد بن العاص فإنه عزله عن الكوفة ووثى مكاهه أبا موسى ، وكذلك عبدالله بن أبي سرح عزله ووثى مكاهه محمد بن أبي بكر ، ولم يظهر له من مروان^(١) ما يوجب أن يصرّفه . كما كان مستعملا فيه ، ولو كان ذلك حثنا لوجب مثله في كل من وثى ، وقد علمنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وثى بالوليد من عتقه ، لحدث منه ما حدث . وحدث من بعض أمراء أمير المؤمنين عليه السلام الحبيّاة ، كالقنقاع بن شور ، لأنه ولّاه على ميسان فأخذ مالها وخلق بمعاوية ، وكذلك فعل الأشعث بن قيس بمال أذربيجان . ووثى أبا موسى الحكم ، فكان منه ما كان ، ولا يجب أن يُصاب أحد بفعل غيره ؛ وإذا لم يلحقه عيب في ابتداء ولاجه فقد زال العيب فيها بعده .

وقولهم : إنه قسم أكثر الولايات في أقاربه ، ووراث من طريقة الاحتياط للمسلمين ، وقد كان عمر حذرهم من ذلك ، فليس بعيب ؛ لأنّ تولية الأقارب كتولية الأباعد ؛ أي بحسن إذا كانوا على صفات مخصوصة . ولو قيل إنّ تقدّمهم أولى لم يستمع ، إذا كان للوئى لهم أشدّ تمسكا من عزلهم ، والاستبدال بهم ، وقد وثى أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله بن العباس البصرة ، وعبيد الله بن العباس اليمن ، وقسم بن العباس مكة ؛ حتى قال مالك الأشتر عند ذلك :

(١) كذا في ج ، ولى ب ، والحق : في باب مروان .

عَلَىٰ مَاذَا تَحْتَلُّ الشَّيْخُ أَسْ ! فَمَا يُرَوِّى ؛ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِمِيبٍ إِذَا أَدَّى مَا وَجِبَ عَلَيْهِ فِي اجْتِهَادِهِ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّهُ كَتَبَ إِلَىٰ ابْنِ أَبِي سَرْحٍ حَيْثُ وَثَىٰ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِأَنَّهُ يَقْتُلُهُ وَيَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ، فَقَدْ أَسْكَرَ ذَلِكَ أَشَدَّ لِنِكَارِ ، حَتَّىٰ حَلَفَ عَلَيْهِ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي ظَهَرَ لَيْسَ كِتَابُهُ وَلَا الْغِلَامُ غِلَامُهُ وَلَا الرَّاحَةُ رَاحَتُهُ ؛ وَكَانَ فِي بَعْثَةِ مَنْ خَاطَبَهُ فِي ذَلِكَ أُمُورُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقِيلَ عَنْهُ . وَذَلِكَ بَيْنَ ؛ لِأَنَّ قَوْلَ كُلِّ أَحَدٍ مَقْبُولٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْكِتَابَ يَحْمُوزُ فِيهِ النَّزْوَرُ ، فَهُوَ عَمْرُوهُ الْخَبِيرُ الَّذِي يَحْمُوزُ فِيهِ السَّكَذِبُ .

فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ مَرْوَانَ هُوَ الَّذِي رَوَّى الْكِتَابَ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَكْتُبُ عَنْهُ ، فَهَلَّا أَقَامَ فِيهِ الْحَدَّ ؟

قِيلَ : لَيْسَ يَجِبُ بِهَذَا الْقَدْرُ أَنْ يُقَطَعَ عَلَىٰ أَنَّ مَرْوَانَ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ وَإِنْ خَلَبَ ذَلِكَ فِي الْعَلَنِ ، فَلَا يَحْمُوزُ أَنْ يَحْكُمَ بِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ بِسُوءِ مَوْتِهِ تَسْلِيمَ مَرْوَانَ إِلَيْهِمْ ؛ وَذَلِكَ ظَلَمٌ ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَىٰ الْإِمَامِ أَنْ يُقِيمَ الْحَدَّ عَلَىٰ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ أَوْ التَّأْدِيبَ ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ تَسْلِيْمُهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ ؛ فَقَدْ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُثَبِّتُوا عَنْدهُ مَا يَوْجِبُ فِي مَرْوَانَ الْحَدَّ وَالتَّأْدِيبَ لِقَوْلِهِ بِهِ ؛ وَكَانَ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ وَالْحَالُ هُنَا يَسْتَحِقُّ التَّمْثِيلَ . وَقَدْ ذَكَرَ الْقَتْلَ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْقَتْلِ لَا يُوجِبُ قَتْلًا وَلَا دِيْنًا وَلَا حَدًّا ، فَلَوْ ثَبِتَ فِي مَرْوَانَ مَا ذَكَرُوهُ لَمْ يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ وَإِنْ اسْتَحَقَّ التَّمْثِيلَ ، لَكُنْهُ عَدْلٌ عَنْ تَمْثِيلِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ ؛ وَقَدْ يَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ عَمَانٌ ظَنُّ أَنَّ هَذَا الْقَتْلَ قَتْلُ بَعْضٍ مِنْ يَمَادَىٰ مَرْوَانَ تَنْبِيْهَا لِأَمْرِهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَحْمُوزُ ، كَمَا يَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ ضَلَعِهِ ؛ وَلَا يَسْلَمُ كَيْفَ كَانَ اجْتِهَادُهُ وَظَنُّهُ أَوْ يَمْدُ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِّثَ مِنْ أَجْلِ مَا تَقَوُّوا عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ يُوجِبُ شَتْلَ عَمَانٍ وَقَتْلَهُ ؛ فَلَيْسَ إِلَّا هَذَا ؛ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَوْ ثَبِتَ مَا كَانَ يُوجِبُ الْقَتْلَ ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْقَتْلِ لَا يَوْجِبُ الْقَتْلَ ؛ سِوَا قَبْلِ وَقَوْعِ الْقَتْلِ لِلْأَمْرِ بِهِ ؛ فَتَقُولُ ^(١) لَمْ : لَوْ ثَبِتَ ذَلِكَ عَلَىٰ عَمَانٍ أَكَانَ يَجِبُ قَتْلُهُ أَفَلَا يَكْتُمُهُمْ إِذْ عَادَ

ذلك ، لأنه بخلاف الدين ؛ ولا بد أن يقولوا : إن قتله ظلم ، وكذلك حبّه في العار ، ومنعه من الماء ، فقد كان يجب أن يدفع القوم عن كل ذلك ، وأن يقال : إن من لم يدفعهم وينكر عليهم يكون مخطئاً .

وفي القول بأن الصحابة احتسروا على ذلك كلهم تحطئة لجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وذلك غير جائز ، وقد علم أيما أن المستحق للقتل وانطلق لا يعمل أن يمنع الطعام والشراب ، وعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يمنع أهل الشام من الماء في صفين ؛ وقد تمكن من منعهم ؛ وكل ذلك يدل على كونه عياناً مظلوماً ، وأن ذلك من صنيع الجبال ، وأن أعيان الصحابة كانوا كارهين لذلك . وأيضاً فإن قتله لو وجب لم يميز أن يتولاه العوام من الناس ؛ ولا شبهة أن الذين أقدموا على قتله كانوا هذه الفئة ؛ وإذا صح أن قتله لم يكن لهم ، فمنهم والتكبير عليهم واجب .

وأيضاً فقد علم أنه لم يكن من عيان ما يستحق به القتل ؛ من كفر بعد إيمان ، أو زناً بعد إحسان ، أو قتل نفس بغير حق ؛ وأنه لو كان منه ما يوجب القتل لكان الواجب أن يتولاه الإمام ؛ فقتله على كل حال منكراً ، وإنكاراً للسكر واجب .

وليس لأحد أن يقول : إنه أباح قتل نفسه ، من حيث امتنع من دفع الظلم عنهم ، لأنه لم يتمتع من ذلك ؛ بل أنصفهم ، ونظر في حالهم ، ولأنه لو لم يفعل ذلك لم يعمل لهم قتله ، لأنه إنما يعمل قتل الظالم إذا كان على وجه الدفع ؛ ولروى أنهم أحرقوا بابيه ، وهجموا عليه في منزله ، وبصجوه بالسيف والشاقص^(١) ، وضربوا يده زوجته لما وقعت عليه ، وانشبوا متاع داره ؛ ومثل هذه الفتنة لا تحمل في الكافر والمرتد ، فكيف يُظن أن الصحابة لم يكرهوا ذلك ، ولم يمدّوه ظلماً ؛ حتى يقال إنه مستحق من حيث لم يدفع القوم عنه ؛ وقد تظاهر الغلب بما جرى من تجسّد القوم عليه ، وتوسط أمير المؤمنين عليه السلام لأمرهم ، وأنه

بدل لهم ما أرادوه ، وأعتبهم^(١) وأشهد على فيه بذلك ؛ وإن الكتاب للوجود بعد ذلك للتضمن لقتل القوم ، ووقف عليه - ومن أوقفه عليه أمير المؤمنين عليه السلام^(٢) - لخلف أنه ما كتبه ، ولا أمر به ؛ فقال له : فمن تهم ؟ قال : ما أتهم أحدا ، وإن للناس حليلاً .

والرواية ظاهرة أيضا بقوله : إن كنت أخطأت أو تخطأت فإني تائب ومستغفر ؛ فكيف يحوز والحال هذه أن تهتك فيه حرمة الإسلام وحرمة الله الحرام ، ولا شبهة في أن القتل على وجه العيلة لا يحمل فيمن يستحق القتل ، فكيف فيمن لا يستحقه ؛ ولولا أنه كان يمنع من محاربة القوم ظناً منه أن ذلك يؤدي إلى القتل الذريع لكثرت أنصاره .

وقد جاء في الرواية أن الأنصار بدأت مموته ونصرته ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قد بحث إليه ابنه الحسن عليه السلام فقال له : قل لأبيك فلنأتى ؛ فأراد أمير المؤمنين عليه السلام المصير إليه ، فمعه من ذلك محمد ابنه ، وإسماعيل بالنساء عليه ، حتى جاء الصريح^(٣) بقتل عيان ، فمد يده إلى القبلة ، وقال : اللهم إني أرى إليك من دم هبان . فإن قالوا : إنهم اعتقدوا أنه من المفسدين في الأرض ، وأنه داخل تحت آية الحارين .

قيل : فقد كان يجب أن يقول الإمام هذا القتل ، لأن ذلك يجري مجرى الحد ، وكيف يؤدي ذلك ، والمشهور عنه أنه كان يمنع من مقاتلتهم ، حتى روي أنه قال لمبيدته ومواليه ، وقد هموا بالقتال : من أعمد سيفه فهو حر ؛ ولقد كان مؤثراً لتكثير ذلك الأمر بما لا يؤدي إلى إراقة الدماء والفتنة ، ولذلك لم يستعين بأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وإن كان لما اشهد الأمر ، أعانه من أعان ، لأن عند ذلك يجب النصرة والموت ، فحيث

(١) أعتبهم : أرساهم .

(٢) عبارة الثاني : « وذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام واقعه على الكتاب » .

(٣) الصريح : المقتب .

كانت الحلال متأسكة ، وكان ينهى عن إنجاده وإعاقته بالحرب امتنعوا وثوقوا ، وحيث اشتد الأمر أعانه ونصره من أدركه ، دون من لم ينسب ذلك في ظنه .

• • •

اعترض للرفضي رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال ^(١) : أما قوله : لم يكن حالنا بحال النسفة الذين ولّاهم قبل الولاية ؛ فلا نمويل عليه ؛ لأنه لم يول هؤلاء التفرألا وحالهم مشهورة في الخلاعة والمجانة والتجبر والتعنت ؛ ولم يختلف اثنان في أن الوليد بن عتبة لم يتأنف التظاهر بشرب الخمر والاستخفاف بالدين على استقبال ولايته الكوفة ؛ بل هذه كانت سنته والمادة للرفقة منه ؛ وكيف يحسن على حنان - وهو قريبه وصيقه وأخوه لأخته - من حاله مالا يخفى على الأجانب الأبعاد ؛ ولما قال له سعد بن أبي وقاص - في رواية الواقدي ، وقد دخل الكوفة - : يا أبا وهب ^(٢) ، أمير أم زائر ؟ قال : بل أمير ، فقال سعد : ما أدري أتحقت بمدك أم كنت ^(٣) بمدى ؟ قال : ما تحقت بمدى ولا كنت بمدك ، ولكن القوم ملوكوا ^(٤) فاستأثروا ، فقال سعد : ما أراك إلا صادقا .

وفي رواية أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي أن الوليد لما دخل الكوفة مرّ على مجلس عمرو بن زُرارة النخعي ، فوقف ، فقال عمرو : يا مشر بن أسد ، بشيا استقبلنا بها أخوك ابن عَفَّان ؛ أَمِنْ عدله أن ينزع عنا ابن أبي وقاص ، الممين التين السهل القريب ، ويصحب بدله أخاه الوليد ، الأحق لنا من العاجر قديما وحديثا ؛ واستعظم الناس مقدمه ، وهزل سعد به ، فوقفوا ؛ أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمد صلى الله عليه ؛ وهذا تحقيق ما ذكرناه من أن حاله كانت مشهورة قبل الولاية ، لا ريب فيها عند أحد ، فكيف

(١) الثالث من ٢٦٩

(٢) أبو وهب كنية الوليد بن عتبة .

(٣) من الكيس ، وهو خلاف الحق .

(٤) كذا في ج والظاهر ، وفي ب : ولوا .

يقال : إنه كان مستوراً حتى ظهر منه ما ظهر ! وفي الوليد نزل قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ ^(١) ، فانظر ما هنا أمير المؤمنين عليه السلام ، والقاسي الوليد ، على ما ذكره أهل التأويل . وفي نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمُ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ فَمُضِعُّوهُمَا عَلَىٰ مَا قَسَمْتُمْ نَادِرِينَ ﴾ ^(٢) ، والسبب في ذلك أنه كذب على بنی المصطلق عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، وادعى أنهم منعموه الصدقة . ولو قصصنا مخازية المتقدمة مساوية لطال بها للشرح . وأما شربه الخمر بالكوفة وسكره ، حتى دخل عليه [من دخل] ^(٣) وأخذ خاتمه من إصبه ، وهو لا يعلم ، فظاهر ، وقد سارت به الركب . وكذلك كلامه في الصلاة ، والفتنة إلى من يقتدى به فيها وهو سكران ، وقوله لم : أأزیدکم ؟ فقالوا : لا ، قد قضينا صلواتنا ، حتى قال الخطيئة في ذلك

شَهِدَ الْخَطِيئَةَ يَوْمَ بَقِيَ رَجُلُهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْمَذْذِرِ ^(٤)

(١) سورة السجدة ١٨ . (٢) سورة المجرات ٦ .

(٣) نسخة من كتاب الثاقب .

(٤) كذلك وردت الرواية في الأصول والتأويل ؛ وروى صاحب الأمان : ١٧٦ (ساسي) بسنده عن مصعب الزبيري ، قال : قال الوليد بن عقبة يوماً حلف : اللهم لهم شهدوا على برور ، فلا ترضهم من أمير ، ولا ترض عنهم أميراً ؟ فقال الخطيئة يكذب عنه :

شَهِدَ الْخَطِيئَةَ يَوْمَ بَقِيَ رَجُلُهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْمَذْذِرِ
خَلَعُوا عَنَّاكَ إِذْ جَرَبْتَ وَلَوْ تَرَكُوا عَنَّاكَ لَمْ تَزَلْ مُجْرِي
وَرَأَوْا شَمَاتِلَ مَا جَدَّ أَيْبُ يُعْطَى عَلَى الْمِسْوِرِ وَالْمُسْرِ
قَتَرْتِمْ مَكْذُوبًا عَلَيْكَ وَلَمْ تَبْرَحْ إِلَى طَمْعٍ وَلَا فَتْرٍ

قال رجل من بني هلال يرد على الخطيئة :

مَدَى وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ أَلَزَيْدَكُمْ - نَيْلًا - وَمَا يَذْرَى
لِيَزِيدَكُمْ خَيْرًا وَلَوْ قَبُوا قَرَنْتَ بَيْنَ الشَّقْعِ وَالْوَرْرِ =

نَادَى وَقَدْ قَدَّتْ صَلَاتُهُمْ أَزِيدَكُمْ - تَبْلًا - وما يدرى
 ليزيدهم غَيْرًا وَلَوْ قِيلُوا منه قَسَادُهُمْ عَلَى عَشْرِ
 فَأَبُوا أَبَا وَهَبٍ وَلَوْ فَعُوا لَقُرْتُ بَيْنَ الشُّفْعِ وَالْوَسْرِ
 حَبَسُوا عِيَالَكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ خَلُّوا حِينَاكَ لَمْ تَرَكَ مَحْرِي
 وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

تَكَلَّمْتَ فِي الصَّلَاةِ وَزَادَ فِيهَا عِلَالِيَّةً وَجَاهَرَهُ بِالنَّفَاقِ^(١)
 وَمَجَّحَ الظَّرْفَ فِي سَنَنِ اللَّصْلِ وَنَادَى وَالْجَمْعُ إِلَى الْفِرَاقِ
 أَزِيدُكُمْ عَلَى أَنْ تَحْمَدُونِ فَا لَكُمْ وَمَالِي مِنْ خَلَاقِ

وأما قوله : إنه جَلَّهَ الحدَّ وعزَّه ، فهذا أى شيء كان ذلك ، ولم يعمد إلا بعد
 أن دافع ومانع ، واحتج عنه وناضل^(٢) ولو لم يجهزهم أمير المؤمنين عليه السلام على رآيه
 لما عزَّه ، ولا أمكن من جَنْدِهِ . وقد روى الواقدي أَنَّ عُمَانَ لما جاءه الشهود يشهدون
 على الوليد بشرب الخمر أو عَذَمَ وَهَدَمَ .

قال الواقدي : ويقال إنه صرَبَ بعضَ الشهود أيضاً أسواطاً ، فَأَتَوْا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَشَكُّوا إِلَيْهِ ، فَأَتَى عُمَانَ ، فَقَالَ : عَطَلْتُ الْخُدُودَ ، وَضَرَبْتُ قَوْمًا شَهِدُوا
 عَلَى أَخِيكَ ، فَغَلَبْتَ الْحُكْمَ ، وَقَدْ قَالَ لَكَ عَمْرٌ : لَا تَحْمِلْ بَنِي أُمِيَّةَ وَآلَ أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى
 رِقَابِ النَّاسِ ! قَالَ : فَمَا تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ نَعْرِضَهُ وَلَا تَوَلَّيْهِ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ،
 وَأَنْ تَسْأَلَ عَنِ الشُّهُودِ ؟ فَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ ظِلَّةٍ وَلَا عِدَاوَةٍ ، أَقْبَتَ عَلَى صَاحِبِكَ الْخُدَّ .
 وَتَكَلَّمْتَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ طَلْعَةً وَالرُّبُوبَ عَانِشَةً ، وَقَالُوا أَقُولَا شَدِيدَةً ، وَأَحْذَثَهُ الْأَلْسُنُ مِنْ
 كُلِّ جَانِبٍ ، لَخِيئَتُ عَزَّكَ ، وَمَكُنَّ مِنْ إِقَامَةِ الْخُدِّ عَلَيْهِ .

= فَأَبُوا أَبَا وَهَبٍ وَلَوْ فَعَلُوا وَصَلَتْ صَلَاتُهُمْ إِلَى الْعَشْرِ

وقد روى^(١) الراقدى أن الشهود لما شهدوا عليه في وجهه ، وأرادوا أن يحدها إليه جبة خز ، وأدخله بيتا ، فجعل إذا ثبت إليه رجلا من قريش ليضربه ، قال له الوليد : أنشدك الله أن تقطع رجلي وتغضب أمير المؤمنين ! فمنا رأى على عليه السلام ذلك ، أخذ السوط ودخل عليه ، فجلبده به . فأى عذر لبيان في عزله وجلبده مد هذه المهانة الطويلة ، والمدافعة الشديدة !

وقصة الوليد - مع الساحر الذي كان يلعب بين يديه ، ويفتر الناس بمكر موخديته ، وأن جندب بن عبد الله الأزدي امتعض من ذلك ودخل عليه فقتله ، وقال له : احب نفسك إن كنت صادقا ، وأن الوليد أراد أن يقتل جندبا بالساحر ، حتى أنكر الأزدي ذلك عليه ، فحبسه وطال حبسه حتى هرب من السجن - مرفوعة مشهورة .

فإن قيل : فقد وثق رسول الله صلى الله عليه وآله الوليد بن عتبة هذا صدقة بنى المصطلق ، وولاه امر صدقة تغلب ، فكيف تدعون أن حاله في أنه لا يصلح للولاية ظاهرة !

قلنا : لا جرم ، إنه حر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكذب على القوم حتى نزلت فيه الآية التي قدمنا ذكرها ، فمعه . وليس خطب ولاية الصدقة مثل خطب ولاية الكوفة ، فأما امر فإنه لما بلغه قوله :

إذا ما شدت الرأس من يمشو فوبك منى تغلب ابنة وائل^(٢)
عزله .

وأما عزل أمير المؤمنين عليه السلام بعض أمرائه لما ظهر من الحدث كالتقصاع ابن شور وغيره ، ولذلك عزل عمر قدامة بن مظعون لما شهد عليه بشرب الخمر ، وجلبده له ! فإنه لا يشبه ما تقدم ! لأن كل واحد من ذكرناه لم يول إلا من هو حسن الظاهر عنده وعند الناس ، غير معروف باللقب ولا مشهور بالقصا . ثم لما ظهر منه ما ظهر

(١) كما في أ ، ج ، و ب والقال : « وروى » .

(٢) القاسم : ٣٦٠ وروايت : « صبيك » ، والشود : المهانة .

لم يحام عنه ولا كذب الشهود عليه وكأبرم ، بل عزله مختاراً غير مضطراً ، وكلّ هذا لم يمر في أمراء عثان ، وقد يتأكد كيف كان عزّل الوليد وإقامة الحدة عليه .

فأتا أبو موسى فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يولّه الحُكْمَ مختاراً ، لكنه قُلب على رأيه وقُهر على أمره ، ولا رأى لمتهور .

فأتا قوله : إن ولاية الأقراب كولاية الأعمام ؛ " بل الأقراب أول " ؛ من حيث كان النكح من عزلم أشد . وذكر تولية أمير المؤمنين عليه السلام " أولاد العباس رحمه الله تعالى " وغيرهم - فليس بشيء ؛ لأنّ عثان لم يَنْقَمْ عليه تولية الأقراب من حيث كانوا أقراباً ، بل من حيث كانوا أهل بيت الظنّة والتهمة ، ولهذا حذره عمرُ وأشرّ بأنه يحيلهم على رقاب الناس . وأمير المؤمنين عليه السلام لم يولّ من أقرابه شيئاً ولا غلبنا ؛ ونحن أحسن من ابن العباس يعض الرية لم يحمله ولا احده ، وكتبه بما هو شائع ظاهر ؛ ولو لم يجب على عثان أن يسدّل عن ولاية أقرابه إلا من حيث جعل عمر ذلك سبباً علوه عن النصّ عليه ، وشرط عليه يوم الشورى ألا يحمل أقرابه على رقاب الناس ، ولا يؤزّم لسان القرابة بما لا يؤثّر به غيرهم - لكان صارفاً قوياً ، فضلاً عن أن يضف إلى ذلك ما انضاف من خصالم التهمة وطرائق التهينة .

فأما سعيد بن أبي العاص ؛ فإنه قال في الكوفة : إنّما السواد بستان قريش ، تأخذ منه ماشاءت وتترك حتى قالوا له : اتّجمل ما أفاء الله علينا بستانك وقومك ! وناهوه ، وأنصى الأمر إلى تسييره من سائر عن الكوفة ؛ والقصة مشهورة ، ثم انتهى الأمر إلى منع أهل الكوفة سميئاً من دخولها ، وتكلّموا فيه وفي عثان كلاماً ظاهراً ، حتى

(١ - ١) كذا في الأصول . وفي النسخ : « بل الأبعد أول أن يقدم الأقراب عليهم » .

(٢ - ٢) الثاني : « عبد الله ومبيد الله وثنا على العباس وغيرهم » .

كافوا يخلعون عثان ؛ فاضطرب حينئذ إلى إجابتهم إلى ولاية أبي موسى ، فلم يصرف سعيداً مختاراً ، بل ماصرفه بجلّة ؛ وإنما صرفه أهل الكوفة عنهم ^(١)

فأما قوله : إنه أنكر الكتاب لثقتن لقتل محمد بن أبي بكر وأصحابه ، وحلف على أن الكتاب ليس بكتابه ، ولا الفلام غلامه ، ولا الرحلة راحلته ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قيل عنده ؛ فأول ما فيه أنه حكى القصة بخلاف ما جرت عليه ؛ لأن جميع من يروى هذه القصة ذكر أنه اعترف بالخاتم واللام والرحلة ، وإنما أنكر أن يكون أمر بالكتابة ؛ لأنه روى أن القوم لما ظفروا بالكتاب قديموا المدينة فجمعوا أمير المؤمنين عليه السلام وطلحة والزبير وسعدا وجماعة الأصحاب ، ثم فكوا الكتاب بمحض منهم ، وأخبروه بقصة الفلام ، فدخلوا على عثان والكتاب مع أمير المؤمنين ، فقال له : أهذا الفلام غلامك ؟ قال : نعم ، قال : والمير سورك ؟ قال : نعم ، قال : فأنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله أنه ما كتب الكتاب ، ولا أمر به ؛ فقال له : فانلثم خاتمك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف يخرج علامك على سورك مكتسداً عليه خاتمك ، ولا تعلم به !

وفي رواية أخرى أنه لما واقفه عليه ، قال عثان : أما الخط فخط كانني ، وأما الخاتم فعلى ^(٢) خاتمي ، قال : فن تنهم ؟ قال : أتتهك وأتتهم كانني ؛ فخرج أمير المؤمنين عليه السلام ممضياً ، وهو يقول : بل بأسرك ، ولريم ديرة ، وسعد عن نوط أسره ، حتى جرى عليه ما جرى .

وأعجب الأمور قوله لأمر المؤمنين عليه السلام : «إني أتتهك» وتظاهر بذلك وتلقاه إياه في وجهه بهذا القول ؛ مع بعده من التهمة والعلّة في كلّ شيء ، وفي أسره خاصة ؛ فإن القوم في الدفعة الأولى أرادوا أن يسجلوا له ما أخبروه ؛ حتى قام أمير المؤمنين عليه السلام بأمره وتوسطه وأصلحه ، وأشار عليه بأن يقرّ بهم ويصحبهم ؛ حتى انصرفوا عنه ، وهذا

(١) ساقطة من أ ، ج ، وهي في ب والثنا

(٢) ١ : « فهو » .

فعل النصيح للشفق الحديب للتحنن ، ولو كان عليه السلام - وحوشى من ذلك - متبها عليه لما كان لتهمة عليه مجال في أمر الكتاب خاصة : لأن الكتاب بخط عدوه مروان^(١) ؛ وفي يد غلام عثمان ، ومحول على بغيره ، ومحتوم بخطه ، فأى ظن تعلق بأمر المؤمنين عليه السلام في هذا المكان ، لولا الدواة وقلة الشكر للنمة !

ولقد قال له المصريون لما جحد أن يكون الكتاب كتابه شيئا لا زيادة عليه في باب الحجة : لأنهم قالوا له : إذا كنت ما كتبت ولا أمرت به ، فأنت ضعيف ؛ من حيث تم عليك أن يكتب كتابك مما تحبته بخطك ، ويُنفذه بيد غلامك وعلى بغيرك بغير أمرك ؛ ومن تم عليه ذلك لا يصلح أن يكون واليا على أمور المسلمين . فاختلج عن الخلافة على كل حال .

قال : ولقد كان يحب على صاحب "المنقح" أن يصحى من قوله : إن أمير المؤمنين عليه السلام قيل عذره ؛ وكيف قبل عذر من يتهمة ويستعفه ؛ وهو له ناصح ! وما قاله أمير المؤمنين عليه السلام صد سماح هذا القول منه . مروف .

وقوله : إن الكتاب يجوز فيه التزوير ، ليس بشيء ، لأنه لا يجوز التزوير في الكتاب والعلام والبيمر ؛ وهذه الأمور إذا انصاف نصحها إلى نصر ، بعد فيها التزوير ؛ وقد كان يحب على كل حال أن يبحث من القصة وعن رور الكتاب ، وأخذ الرسول ، ولا ينهم من ذلك ؛ حتى يعرف من أين دُهي ؛ وكيف تمت الحيلة عليه ، فيعترف من مثله ، ولا يُغضى عن ذلك إغضاء سائر له ، خائف من بحثه وكشفه .

فأما قوله : إنه وإن غلب على الظن أن مروان كتب الكتاب ، فإن الحكم بالظن لا يجوز ، وتسليمه إلى القوم على ما سأله إياه ظلم ، لأن الحد والأدب إذا وجب عليه ، فالإمام يقيه دونهم ؛ فمثلنا لا يعدى ، لأننا لا نعمل إلا على قوله في أنه لم يعلم أن

(١) الشال : بخط عدو الله وعمو رسوله وعمو أمير المؤمنين .

مروان هو الذي كتب الكتاب ، وإنما غضب على ظنه ؛ أما كان يستحق مروان بهذا الظن بعض التصفية والجزر والتهديد ! أو ما كان يجب مع وقوع التهمة عليه ، وقوة الأمارات في أنه جالب الفتنة وسبب الفرقة أن يُبَيِّده عنه ، ويطرده من داره ويسلبه ما كان يفضّه به من إكرامه ! وما في هذه الأمور أظهر من أن يتّبه له .

فأما قوله : إن الأمر بالقتل لا يوجب قوداً ولا ديةً ، سيّما قبل وقوع القتل المأمور به ، فهب أن ذلك على ما قال ، أما أوجب^(١) الله تعالى على الأمر بقتل المسلمين تأديباً ولا تمزيقاً ولا طرداً ولا إبعاداً !

وقوله : لم يثبت ذلك ، قد مضى ما فيه ، وبين أنه لم يستعمل فيه ما يجب استعماله من البحث والكشف ، وشهيد اللّهم وطرده وإبعاده والتبرؤ من التهمة بما يُتبرأ به من مثلها .

فأما قوله : إن قتله ظلم وكذلك حبس في الدار ، ومنعه من الماء ، وأنه لو استعق القتل أو اخلط لا يحمل أن يمتنع الطعام والشراب ، وقوله : إن من لم يدفع عن ذلك من الصّحابة يجب أن يكون مخطئاً ، وقوله : إن قتله لو وجب لم يجر أن يحوّله العوام من الناس ، فباطل ، لأن الذين قتلوه غير منكر أن يكونوا تمتدوا قتله ، وإنما طالبوه بأن يمتنع نفسه لما ظهر لهم من إحدائه ، وينزل عن^(٢) الأمر باعتزالا يسكنون معه من إقامة غيره ، فليج وصم على الامتناع ، وأقام على أمر واحد ؛ قصد القوم بحضره أن يُلْحِثُوهُ إلى خلق نفسه ، فاعتصم بداره ، واجتمع إليه نفر من أؤبلش بنى أمية ، يدفنون عنه ، ويرمون من دنا إلى الدار ، فانسى الأمر إلى القتال جديراً ؛ ثم إلى القتل ؛ ولم يكن القتال ولا القتل مقصودين في الأصل ، وإنما أنفى الأمر إليهما على ترتيب ، وجرى ذلك مجرى

(١) القتال : » يوجب »

(٢) ج والفتل : » ينزل الأمر » .

ظالم غلب إنسانا على رَحْله أو متاعه ، فالواجب على الملوب أن يُمانه ويدافعه ليخلص ماله من يده ، ولا يقصد إلى إتلافه ولا قتله ، فإن أفضى الأمر إلى ذلك بلا قصد كان مذنوبا ، وإِذَا خاف القومُ - في الثاني به ، والصبر عليه ، إلى أن يخلع نفسه - من كُفْيهِ التي طارت في الآفاق ، يستصر عليهم ويستقدم الجيوش إليهم ، ولم يأمنوا أن يردَّ بعض مَنْ يدفع عنه فيؤذى ذلك إلى العتة الكبرى والبلية المظلمة .

وأما منع اللاء والطعام فما قيل ذلك إلا نصيبنا عليه ؛ ليخرج ويخرج إلى الخلع الواجب عليه . وقد يستعمل في الشريعة مثل ذلك فيمن لجأ إلى الحرم من ذوى الجنائيات ، وتذكر إقامة الحد عليه لسكان الحرم . على أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أسكن منع اللاء والطعام ، وأخذ مَنْ مَكَّنَ مَنْ تَحَلَّ ذلك ، لأنه قد كان في الدار من الحرم والنسوان والصبيان مَنْ لا يحلُّ مشه من الطعام والشراب . ولو كان حكم المطالبة بالخلع والتجسس عليه والتضاغرفيه حكم منع الطعام والشراب في التقيح والنكر ، لأنكره أمير المؤمنين عليه السلام ، ومنع منه كما منع من غيره ، فقد روى عنه عليه السلام أنه لما بلغه أن القوم قد منموا الدار من اللاء ، قال : لا أرى ذلك ، إن في الدار صبيانا وعيالا ، لا أرى أن يقتل هؤلاء عطشا بجرم عنان . فصرح بالمنع الذي ذكرناه ، ومعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام ما أنكر المطالبة بالخلع ، بل كان مساعدا على ذلك ومشاورا فيه .

فأما قوله : إن قتل الظالم إِمَّا يَحِلُّ على سبيل الدفع ؛ فقد يتناهى لا يتكر أن يكون قتله وقع على ذلك ^(١) الوجه ، لأنه في نمسكه بالولاية عليهم وهو لا يستحقها ، في حكم الظالم لهم ، فقد افتهت واجبة .

وأما قصة الكتاب الموجود ؛ فلم يحكيها على الوجه ؛ وقد شرحنا نحن الرواية الواردة بها .

وأما قوله : إنه قال : إن كنت أخطأت أو تصدت ؛ فإني تائب مستغفر ؛ فقد أجابه القوم عن هذا ، وقالوا : هكذا قلت في المرة الأولى ؛ وخطبت على المنبر بالتوبة والاستغفار ؛ ثم وجدنا كتابك بما يقتضى الإصرار على أقبح ما عتبنا منه ^(١) ؛ فكيف تنق بوجتك واستغفارك ؟

فأما قوله : إن القتل على وجه النيلة لا يحمل فيمن يستحق القتل ، فكيف فيمن لا يستحقه ؟ فقد بينا أنه لم يكن على سبيل النيلة ؛ وأنه لا يمنع أن يكون إنما وقع على سبيل للدافعة .

فأما ادعائه أنه منع من نصرته ، وأقسم على عيبه بذلك القتال ؛ فقد كان ذلك لمعزى في ابتداء الأمر ظناً منه أن الأمر يتصلح ؛ وللقوم يرجعون عما هموا به ؛ فلما اشتد الأمر ، ووقع اليأس من الرجوع والتزوع ، لم يمنع أحداً من نصرته والحاربة عنه ، وكيف يمنع من ذلك ، وقد بث إلى أمير المؤمنين عليه السلام يستنصره ويستصرخه ؛ والذي يدل على أنه لم يمنع في الاجتماع من محاربتهم إلا الوجه الذى ذكرناه دون غيره ، أنه لا خلاف بين أهل الرواية في أن كتبه تفرقت في الآفاق يستنصر ويستدعى الجيوش ؛ فكيف يرغب عن نصره الحاضر من يستدعى نصره العائب ؟

فأما قوله : إن أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يأتيه ، حتى منعه ابنه محمد ، فقولنا بيد ما جاءت به الرواية جداً ، لأنه لا إشكال في أن أمير المؤمنين عليه السلام لما واجهه هناك بأنه يهيم ويستغنى ، انصرف منعاً حامداً ، على أنه لا يأتيه أبداً ، فإثلا فيه ما يستحقه من الأقوال .

فأما قوله في جواب سؤال مَنْ قال إنهم اعتقدوا فيه أنه من الفسدين في الأرض؛ وإن آية الحاربة تتناولها، وأنه قد كان يجب أن يتولى الإمام ذلك القتل بنفسه؛ لأن ذلك يجري مجرى الحد؛ فطريف؛ لأن الإمام يتولى ما يجري هذا الجرى إذا كان منصوباً ثابتاً، ولم يكن على مذهب القوم هناك إمام يجوز أن يتولى ما يجري مجرى الحدود؛ ومق لم يكن إمام يقوم بالدفع عن الدين والذنب عن الأمة؛ جاز أن تتولى الأمة ذلك بنفسها.

قال: وما رأيتُ أعجبَ من ادعاء العقيد أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله كانوا كارهين لما جرى على عثمان، وأنهم كانوا يعضدونه منكراً وظلماً، وهذا يجري عند من تأمله مجرى دفع الضرورات قبل النظر في الأخبار، وسماع ما ورد من شرح هذه القصة؛ لأنه معلوم أن ما يكرهه جميع الصحابة أو أكثرهم في دار عزيم، ومحيث ينفذ أمرهم ونهيهم لا يجوز أن يتم. ومعلوم أن أهل مصر لا يجوز أن يقدموا المدينة فيطلبوا جميع المسلمين على آرائهم، ويقبلوا بإمامهم ما يكرهونه بجرأى منهم ومسح، وهذا معلوم بطلانه بالبداعة والضرورات قبل تصفح الأخبار وتأملها. وقد روى الواقدي عن ابن أبي الزناد، عن أبي جعفر القاري مولى بني مخزوم، قال: كان المصريون الذين حصرنا عثمان ستامة، عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكفانة بن بشر الكندي، وعمر بن الحقيق الخزازي. والذين قدموا المدينة من الكوفة مائتين، عليهم مالك الأشتر النخعي. والذين قدموا من البصرة مائة رجل، رئيسهم حكيم بن جبلة العبدي، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين خذلوهم لا يرون أن الأمر يبلغ به القتل، ولمسرى لو قام بعضهم غنا للتراب في وجوه أولئك لا نصر فوا، وهذه الرواية تضمنت من عدد القوم الواقديين في هذا الباب أكثر مما تضمنته غيرها.

وروى شعبة بن الحجاج عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن صوف، قال: قلت:

كيف لم يمنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان ؟ قال : إنما قتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله .

وروى عن أبي سعيد الخدري ، أنه سُئِلَ عن مقتل عثمان : هل شهده أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : نعم ، شهده ثمانمائة .

وكيف يقال : إن القوم كانوا كارهين ، وهؤلاء للصريون كانوا يندون إلى كل واحد منهم ، ويروحون ويشاورونه فيها يصتمونه ؟ وهذا عبد الرحمن بن حوف وهو قائد الأمر لعثمان ، وجالبه إليه ، ومُصِيرُهُ في بده ، يقول — على ما رواه الواقدي ، وقد ذكره عثمان في مرضه الذي مات فيه — : حاجلوه قبل أن يتأذى في مُنْلكه ؛ فبلغ ذلك عثمان فَبَشَّ إلى بئر كان عبد الرحمن يَشْقِي منها نَفسه ، فلع منها ، ووصى عبد الرحمن ألا يصلِّي عليه عثمان ؛ فصلَّى عليه الزبير — أو سعد بن أبي وقاص — وقد كان خالف لما تناهت أحداثُ عثمان ألا يكلمه أبدا .

وروى الواقدي ، قال : لما تَوَقَّى أبو ذرٍّ غارَ بَدَّةٍ^(١) تَدَا كَرَّ أميرُ المؤمنين عليه السلام وعبد الرحمن فضلَ عثمان ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام له : هذا عملك ؛ فقال عبد الرحمن : فإذا شئت نغذ سيفك وأخذُ سيفي ، إنه خالف ما أعطاني .

فأما محمد بن مسلمة ؛ فإنه أرسلَ إليه عثمانُ يقول له عند قدوم الصريين في الدفعة الثانية : ارددْ حقِّي ، فقال : لا والله لا أكذبُ اللهَ في سنة مرتين ؛ وإنما عني بذلك أنه كان أحدَ من كَلَّمَ للصريين في الدفعة الأولى ، وضمن لهم عن عثمان الرضا .

وفي رواية الواقدي أن محمد بن مسلمة ، كان يموت وعثمان محصور ، فيقال له : عثمان مقتول ، فيقول : هو قتلَ نفسه .

(١) الرُبْدَة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال ؛ قرية من دانت عرف ؛ على طريق الحجاز ؛ بها قبر أبي هريرة السلمي — واسمه جدت بن جادة ، وقد كان خرج إليها معاصبا لعتيق بن عثمان رضي الله عنه ؛ فأقام بها لما كان من سنة ٣٢ هـ ، يالوت .

فأما كلامُ أمير المؤمنين عليه السلام ، وطمحة الزبير وعائشة ، وجميع الصحابة واحدا واحدا ؛ فلو تعاملينا ذكره لظال به الشرح ؛ ومن أراد أن يقف على أقوالهم مفصلة ، وما صرحوا به من ختمه والإجلاب عليه ؛ فعليه بكتاب الواقدى^(١) ، فقد ذكر هو وغيره من ذلك مالا زيادة عليه .

• • •

الطعن الثاني :

كونه ردَّ الحكم بن أبي العاص^(٢) إلى المدينة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله طرده ، وامتنع أبو بكر من رده ، فصار بذلك مخالفاً لسنة ولسيرة من تقدمه ، مدعيًا على رسول الله صلى الله عليه وآله عليه ، علماً بدعواه من غير بينة .

قال القاضي القضاة رحمه الله : **وجوابنا عن ذلك أن الروي في الأخبار أنما عوتف في ذلك ذكر أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ؛ وإعالم بقبل أبو بكر وهر قوله لأنه شاهد واحد ، وكذلك روى عنها ، فكأنها جعلت ذلك بمنزلة الخفوق التي تختص ، ولم يقبل فيه خبر الواحد ، وأجراه تجري الشهادة ، فصار الأمر إليه حكم بطله ، لأن الحكم أن يحكم بطله في هذا الباب وفي غيره عند شيخنا ، ولا بفصلان بين حد وحق ، ولا بين أن يكون المسلم قبل الولاية أو حال التولية ، ويقولان : إنه أقوى من البينة والإقرار .**

وقال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : **إنه لا وجه يقطع به على كذب روايته في إذن**

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى ؛ قال ابن أبي عمير أنه خلف بيد وغانه سبائة قطر كذا ؛ قال قطر منها حل رحلي ؛ وكان له علامان مملوكان يكتشان الليل والنهار ؛ وقبل ذلك بيع له كتب بألى دينار . ثم أورد أسماء كذا ؛ منها كتاب التاريخ لسكبر . توفي سنة ٢٠٢ . الفهرست ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي ، عم عثمان بن عفان ؛ وانظر ترجمته وأخباره في أسد العامة ٣ : ٣٤ .

النبي صلى الله عليه وسلم في رده ، ولا بد من تجويز كونه صادقا ؛ وفي تجويز ذلك كونه معذورا .

فإن قيل : الحاكم إنما يحكم بعله مع زوال التهمة ، وقد كانت التهمة في رد الحكم قوية لقرايته !

قيل : الواجب على غيره ألا يتهمه ؛ إذا كان لعله وجه يصح عليه ؛ لأنه قد نصب منصبا يقتضى زوال التهمة عنه ، وتخل أفضاله على الصحة ، ومتى طرقتا عليه التهمة أدى إلى بطلان كثير من الأحكام . وقد قال الشيخ أبو الحسين الخياط رحمه الله تعالى : إنه لو لم يكن في رده إذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاز أن يكون طريقه الاجتهاد ؛ لأن النبي إذا كان صلاحه في المال لا يتمتع^(١) أن يتغير حكمه باختلاف الأوقات وتغير حال الشيء ؛ وإذا كان لأبي بكر أن يسترد عمر بن الخطاب أسامة للعاجة إليه . وإن كان قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعزده . من حيث تنبئت المال ، فغير ممتنع مثله في الحكم .

اعترض للرضي رحمه الله تعالى على هذا ، فقال : أما دعواه أن عثمان أذى أن رسول الله صلى الله عليه وآله أذن في رد الحكم فشيء لم يسمع إلا من قاضي القضاة ، ولا يذرى من أين نقله ، ولا في أية كتاب وجده ؛ والقدى رواه الناس كلهم خلاف ذلك ؛ روى الواقدي من طرق مختلفة وغيره أن الحكم بن أبي العاص لما قدم المدينة بعد الفتح ، أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وقال : لا نساكني في بلد أبدا ، فجاء عثمان فسلمه فأبى ، ثم كان من أبي بكر مثل ذلك ، ثم كان من عمر مثل ذلك ، فلما قام عثمان أدخله ووصله وأكرمه ، فشيء في ذلك على الرازيير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف

وعمار بن ياسر ؟ حتى دخلوا على عثمان فقلوا له : إنك قد أدخلت هؤلاء القوم - يمتون
الحكم ومن معه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أخرجهم ؛ وإنا نذكرك الله والإسلام
ومعادك ؛ فإن لك معاداً ومُنقِياً ، وقد أبت ذلك الولاية قبلك ، ولم يطمع أحد أن يكلمها
فيهم ؛ وهذا شيء يخاف الله فيه عليك . فقال عثمان : إن قرابتهم مني ما تعلمون ؛ وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثُ كلمته أطمعني في أن يأذن لهم ، وإنا أخرجهم
لكلمة خلفته عن الحكم ؛ ولم يضر كم مكاهم شيئاً ، وفي الناس من هو شرّ منهم . فقال
علي عليه السلام : لا أجدُ شرّاً منه ولا منهم ، ثم قال : هل تعلم عمر يقول : والله ليحملن
بنو أبي سفيان على رقاب الناس ؛ والله إن فعل ليفتننهم ، فقال عثمان : ما كان منكم أحد
ليكون يمتو يمتنه من القرابة ما يمتني ويمتنه ، ويثال من المقدرة ما ثلّت إلا قد كان سيّد حله ،
وفي الناس من هو شرّ منه . قال : فنصب علي عليه السلام ، وقال : والله لتأتينا بشرّ من
هذا إن سلّيت ، وسرى يا عثمان غيب ما تفعل انتم خرجوا من هذه .

وهذا كما ترى خلاف ما أدعاه صاحب " المنى " لأن الرجل لما احتفل ادعى
أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أطمعه في رده ، ثم صرح بأن رباطته فيه
القرابة هي الوجبة لرده وخالفه الرسول عليه السلام . وقد روى من طرق مختلفة أن
عثمان لما كلم أبا بكر وعمر في ردّ الحكم أخطأ له وزيراه ، وقال له عمر : يخرجك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أدخله ؛ والله لو أدخلته لم آمن أن يقول قائل : غير
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لأن أشقّ باتنتين كما تشقّ الأهلّة^(١) أحبّ إليّ
من أن أخالف لرسول الله أمراً ، وإياك يا ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم ؛ وما رأينا

(١) الأهلّة : خمس اللذات ؛ واللذات : المال ، البور ، وبيك شق الأهلّة ، مثل بضرب في المساواة
والشاذكة في الأمر .

عُمان قال في جواب هذا التمثيل والتوبيخ من أبي بكر وعمر: إنَّ عندى عهداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، لا أستحقُّ منه عتاباً ولا تهجيناً، وكيف تطيب نفس مسلم موقر لرسول الله صلى الله عليه وسلم معظَّم له، أن يأتى إلى عدوِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، مصرّح بدلوته والوقيمة فيه؛ حتّى بلغ به الأمرُ إلى أن كان يحكى مشيئته، طرده رسول الله، وأبعده ولعنه؛ حتى صار مشهوراً بأنّه طريدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيكرمه ويرده إلى حيث أخرج منه، ويصلُّه بالمال العظيم: إما من مال المسلمين أو من ماله! إنَّ هذا لعظيم كبير قبل التصنُّع والتأمل والتعلُّل بالتأويل الباطل!

فأنا قولُ صاحب "المسئ": إنَّ أبا بكر وعمر لم يقبلوا قوله لأنَّه شاهد واحد، وجعلاً ذلك بمنزلة الحقوق التى تخصُّ، فأول ما فيه أنَّه لم يشهدَ عندهما شيء واحد في باب الحكم على ما رواه جميع الناس؛ ثم ليس هذا من باب اتقى محتاج فيه إلى الشاهدين، بل هو بمنزلة كل ما يقبل فيه أخبار الآحاد. وكيف يجوز أن يجرى أبو بكر وعمر بتجرى الحقوق ما ليس منها! وقوله: لا بدَّ من تجويز كونه صادقاً في روايته؛ لأنَّ القطع على كذب روايته لا يبطل إليه ليس بشيء! ألا قد يفتننا أنَّه لم يرو عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذناؤه، إنما ادعى أنَّه أطمعه في ذلك. وإذا جوزنا كونه صادقاً، هذه الرواية؛ بل قلنا على صدقه لم يكن معذوراً.

فأما قوله: الواجبُ على غيره ألا يتهمه إذا كان لقوله وجهٌ يصحُّ عليه؛ لا تصابه منصباً يزيل التهمة؛ فأول ما فيه أنَّ الحاكم لا يجوز أن يحكم ببله مع التهمة، والتهمة قد تكون لها أمارات وعلامات؛ فاقع منها عن أمارات وأسباب تتهم في المادة كان مؤثراً؛ وما لم يكن كذلك فلا تأثير له، والحكم هو عمَّ عُمان، وقرينه ونسيبه، ومن

قد تكلم في ردّه مرة بعد أخرى ، ولوالٍ بعد والٍ ؛ وهذه كلها أسباب التهمة ، فقد كان يجب أن يتجنب الحكم بعلمه في هذا الباب خاصة ؛ لتطرق التهمة إليه .

فأما ما حكاه عن أبي الحسين الخطّاط من أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يأذن في ردّه بلز أن يرّده إذا أذاه اجتهد إلى ذلك ؛ لأن الأحوال قد تتغير - فظاهر البطلان ؛ لأن الرسول عليه السلام إذا حُظر شيء أو أمّاه لم يكن لأحد أن يجتهد في إباحة المحظور أو حظره للباح ، ومن يجوز الاجتهاد في الشريعة لا يقدم على مثل هذا ؛ لأنه إما يجوز عندهم فيها لأنس فيه . ولو سوغنا الاجتهاد في مخالفة ما تناوله السنن لم يؤمن أن يؤدّى اجتهاد مجتهد إلى تحليل الحظر وإسقاط الصلاة ، بأن تنمو الحبل ، وهذا هدمٌ للشريعة . فأما الاستشهاد باسترداد عمر من حبس أسامة قال الكلام في الأمرين واحد^(١) .



الطعن الثالث :

أنه كان يؤثر أهل بيته بالأموال البغضية التي هي عند المسلمين ، نحو ما روي أنه دفع إلى أربعة أنفس من قريش رؤوسهم بناتيه أرمائة ألف دينار ، وأعطى مروان مائة ألف هند فتح إفريقية ، وروي خمس إفريقية ، وغير ذلك ، وهذا بخلاف سيرة من تقدمه في القسمة على الناس بقدر الاستحقاق ، وإبنا الأبعد على الأقارب .

قال القاضي القضاة : وحوابنا عن ذلك أن من الطاهر للشهور أن عثمان كان عظيم اليسار ، كثير المال ، فلا يمتنع أن يكون إماماً أعطى أهل بيته من ماله ، وإذا احتمل ذلك وجب حله على الصحة .

وقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : إن أئمة رؤى من دفعه إلى ثلاثة نفر من قريش رؤوسهم بناتيه إلى كل واحد منهم مائة ألف دينار ، إماماً هو من ماله ، ولارواية

(١) يندع في الثاني ١٧٦ : « وقد مضى ما به » .

تصح أنه أعطاه ذلك من بيت لئال ، ولمصح ذلك اسكان لا يمتنع أن يكون أعطاه من بيت لئال ليرد يوحه من ماله ، لأن للإمام عند الحاجة أن يفعل ذلك ، كما أنه أن يفرض غيره .

وقال شيخنا أبو علي أيضا : إن ماروي من دفعه خمس إفرقية لنا فبعت إلى مروان ؛ ليس بمحفوظ ولا منقول على وجه يجب قبوله ؛ وإنما يرويه من يقصد التشنيع . وقد قال الشيخ أبو الحسين النخاط : إن ابن أبي سريح لما غزا البحر ، ومعه مروان في الجيش ، ففتح الله عليهم ، وعموا غنمة عظيمة ، اشترى مروان من ابن أبي سريح الخمس بمائة ألف ، وأعطاه أكثرها ؛ ثم قديم على حنان شيرا بالفتح ، وقد كانت قلوب المسلمين تملقت بأمر ذلك الجيش ؛ فرأى حنان أن يهب له ما بقى عليه من اللئال ، وللإمام قيل مثل ذلك ، ترغيبا في مثل هذه الأمور .

قال : وهذا المصح كان منه في السنة الأولى من إمامته ، ولم يرا أحد منه فيها ، فلا وجه لتعلق بذلك .

وذكر أبو الحسين النخاط أيضا فيها أعطاه أقاربه أنه وصلهم لحاجتهم ، فلا يمتنع منه في الإمام إذا رآه صلاحا . وذكر في إقطعه القطنان لبنى أمية ، أن الأئمة قد تحصل في أيديهم الصياع لأمالك لها ، ويملكون أنها لا بد فيها تمن يقوم بإصلاحها وعمارتها ، ويؤدى عنها ما يجب من الحق ، فله أن يصرف من ذلك إلى من يقوم به ، وله أيضا أن يهد بعضها على بعض بحسب ما يمل من الصلاح والتألف ، وطريق ذلك الاجتهاد .



اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : أما قوله : يجوز أن يكون إماما أعطاه من ماله ، فالرواية بخلاف ذلك ، وقد صرح الرجل بأنه كان يعطى من بيت لئال

صَلَّةُ رُحْمِهِ ، وَلَمَّا عَوَّبَ عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَمْتَنِعْ عَنْهُ بِهَذَا الصَّرْفِ مِنَ الْمَدْر ، وَلَا قَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْمَطْلُوبُ مِنْ مَالِي ، فَلَا اعْتِرَاضَ لِأَحَدٍ فِيهَا . وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ السَّوَرِ بْنِ حُتَيْبَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَقُولُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَحُمُرَ كَالَا بَنَؤُلَانِ فِي هَذَا اللَّالِ ظَلَفٌ ^(١) أَضْمِيَهُمَا وَذَوِي أَرْحَامِهِمَا ، وَإِنِّي تَأَوَّلْتُ فِيهِ صِلَةً رَحْمَى .

وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ بِمَحْصَرِهِ زِيَادُ بْنُ عُبَيْدٍ ، مَوْلَى الْخَلَارِثِ بْنِ كَعْبَةَ التَّنْفُزِيِّ ، وَقَدْ نَصَبَتْ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى بِمَالٍ عَظِيمٍ مِنَ الْبَصْرَةِ ، لِحُجْلِ عُثْمَانَ بِقَسَمِهِ بَيْنَ وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ بِالصَّحَافِ ، فَبَكَى زِيَادٌ ، فَقَالَ : لَا تَبْكُ ، فَإِنَّ حُمُرَ كَانِ يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَذَوِي قَرَابَتِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَأَنَا أَعْطَى أَهْلِي وَوَلَدِي وَقَرَابَتِي إِشَاءَ وَجْهِ اللَّهِ .

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْمَعْنَى عَنْهُ مِنْ عِدَّةٍ طَرِيقٍ بِاللَّفَظِ بِمُتَعَلِّقَةٍ

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ ، قَالَ : قَدِمْتُ إِسْلَمَ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ عَلَى عُثْمَانَ ، فَوَجَّهَهَا الْخَلَارِثُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، وَرَوَى أَيْضًا أَنَّهُ وَلَّى الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ صَدَقَاتٍ قُضَاةً ، فَبِلِمَتْ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ فَوَجَّهَهَا لَهُ حِينَ أَتَاهَا بِهَا .

وَرَوَى أَبُو يَحْيَى وَالْوَاقِدِيُّ أَنَّ النَّاسَ أُنْكَرُوا عَلَى عُثْمَانَ إِعْطَاءَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَكَلَّمَهُ عَلَى- وَالزَّيْبُورُ وَطَلْحَةُ وَسَمْدٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ لَهُ قَرَابَةً وَرَحْمَاءً قَالُوا : فَمَا كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ وَحُمُرِ قَرَابَةٍ وَذَوُورِ حُمُرٍ ؟ فَقَالَ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَحُمُرَ كَانِ يَحْتَسِبَانِ فِي مَنَعَ قَرَابَتِهِمَا ، وَأَنَا أَحْتَسِبُ فِي إِعْطَاءِ قَرَابَتِي ، قَالُوا : قَهْدَيْتُهُمَا - وَاللَّهِ - أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ هَذَيْنِكَ .

وَرَوَى أَبُو يَحْيَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدَ بْنَ أَسِيدِ بْنِ أَبِي الْعِيصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ مِنْ مَكَّةَ ، وَمَعَهُ نَاسٌ ، فَأَمَرَ لِمَبْدَأِهِ بِثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْمِ بِمِائَةِ أَلْفٍ

(١) ظَلَفٌ غُصَّةٌ مِنَ الْعَمَى : مِنْهَا ، وَلِ الْأُمُودِ : « مَلَأَ » ، وَالصَّوَابُ بِأَلْتِهْ مِنْ كِتَابَةِ الثَّقَالِي .

وصك^(١) بذلك على عبد الله بن الأرقم - وكان خازن بيت المال - فاستكثره وردّ الصك^(٢) به . ويقال : إنه سأل عثمان أن يكتب عليه بذلك كتابا ، فبني وامتنع ابن الأرقم أن يدفع لئال إلى القوم ، فقال له عثمان : إنما أنت خازن لنا ، فاحكم على ما علمت ؟ فقال ابن الأرقم : كنت أراي خازن^(٣) للسليين ، وإنما خازنك غلامك ، والله لا ألي لك بيت لئال أبدا ، وجاء بالمفاتيح فلقها على اللنبر ، ويقال : بل ألقاها إلى عثمان ، فرضها إلى نائل مولا .

وروى الواقدي أن عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحيل من بيت مال السليين إلى عبد الله بن الأرقم في قتيب هذا الفل ثلاثمائة ألف درهم ، فلما دخل بها عليه ، قال له : يا أبا محمد ، إن أمير المؤمنين أرسل إليك يقول : إنا قد شغلناك عن التجارة فوكل ذوو رحم أهل^(٤) حاجة ، فترق هذا المال فيهم ، واستغن^(٥) به على حيالك ، فقال عبد الله بن الأرقم : مالي إليه حاجة ، وما علمت لأن^(٦) ينيهي عثمان ، والله إن كان هذا من بيت مال السليين ما بلغ قدر^(٧) على أن أعطى ثلاثمائة ألف ، وتتن^(٨) كان من حال عثمان ما أحب أن أرزاه^(٩) من ماله شيئا . وما في هذه الأمور أوضح من أن يشار إليه ويؤبه عليه .

فأما قوله : ولو صح أنه أعطاه من بيت المال لجاز أن يكون ذلك على طريق القرض ؛ فليس بشئ . لأن الزوايا أولًا تعالف مذكرو ، وقد كان يجب لما تم عليه وجوه الصيانة إعطاء آثاره من بيت المال ، أن يقول لهم : هذا على سبيل القرض ، وأما أرد^(١٠) عوضه ، ولا يقول ما تقدم ذكره ، من أني أصيل^(١١) به رحي ؛ على أنه ليس للإمام أن يقرض^(١٢) من بيت مال السليين إلا ما يتصرف في مصلحة لهم مهية ؛ يمد عليهم نعمها ، أو في سد^(١٣) حاجة وفاقة لا يتمكنون من القيام بالأمر معها ؛ فأما أن يقرض المال ليتسع به ،

(١) صك : كتب ، والصك : الكتاب

(٢) ما أحب أن أرزاه ، أي ما أحب أن أصيب به شيئا .

(٣) أي يقرض موليتي ، وأن يدفع عوضه له من ماله ، وانظر ص ٣١-٣٢ من س ٣٤ من هذا الجزء

ويُخرج فيه مترني بن أمية وفُتقهم فلا أحدَ يحجز ذلك .

فأما قوله حاكباً من أبي علي : إن دَفَعَه خمس إفريقية إلى مروان ليس بمحفوظ ولا منقول - فباطل ؛ لأنَّ العلم بذلك يجري مجرى العلم بسائر ما تقدم ، ومن قرأ الأخبار علم ذلك على وجه لا يعترض فيه شك ، كما يعلم نظائره .

روى الواقدي عن أسامة بن زيد ، عن نافع مولى الزبير ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : أفرانا عثان سنة سبع وعشرين إفريقية ، فأصاب عبدُ الله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليلة ، فأعطى عثانُ مَرَّوانَ بن الحكم تلك الغنائم . وهذا كما ترى يتضمن الزيادة على إعطاء الخمس ، ويتجاوزها إلى إعطاء الأصل .

وروى الواقدي ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أم بكر بنت السَّوَر ، قالت : لما بنى مَرَّوانُ داره بالمدينة ، دعا الناس إلى طعامه ، وكان للسَّوَر ممن دعاه ، فقال مروان وهو يحدثهم : والله ما أفتتُ في داري هذه من مال المسلمين درهماً فافوقه ، فقال للسَّوَر بنو أكلت طعامك وسكتَ كان خيراً لك . لقد هروئتُ معنا إفريقية ، وإليك لأقلنا مالا ورقياً وأموالاً ، وأخفنا قتلًا ، فأعطاك ابنُ عمك خمسَ إفريقية ، وحملت على الصدقات ، فأخذت أموال المسلمين .

وروى الكلبي عن أبيه ، عن أبي عصف أن مروان ابتاع خمسَ إفريقية بمائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار ، وكلم عثان ، فوجهها له ، فأنكر الناس ذلك على عثان . وهذا بعينه هو الذي اعترف به أبو الحسين الغلياط واعتذر عنه بأن قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذلك الجيش ، فرأى عثان أن يهبَ لمروان ثمن ما ابتاعه من الخمس لما جاءه بشيراً بالفتح على سبيل الترغيب . وهذا الاعتذار ليس شيء ؛ لأنَّ الذي رويناه من الأخبار في هذا الباب خالٍ من البشارة ، وإنما يقتضي أنه سألَه تركَ ذلك عليه ، فتركه وابتدأ هو بصلاته ، ولو أتى بشيراً بالفتح كما ادَّعوا لما جاز أن يترك عبه خمسَ الفتيمة المائدة فتمه على المسلمين ،

لأن تلك البشارة لا تبلغ إلى أن يستحق البشير بها مائتي ألف درهم ، ولا اجتهد في مثل هذا ، ولا فرق بين من يجوز أن يؤدي الاجتهاد إلى مثله ومن يجوز أن يؤدي الاجتهاد إلى دفع أصل العنية إلى البشير بها ، ومن ارتكب ذلك أزم جوار أن يؤدي الاجتهاد إلى إعطاء هذا البشير جميع أموال المسلمين في الشرق والغرب .

فأما قوله : إنه وصلني عنه حاجتهم ، ورأى في ذلك صلاحاً ؛ فقد بينا أن صلاتهم كانت أكثر مما تقتضيه الحاجة والحاجة ، وأنه كان يصل فيهم لباساً . ثم الصلاح الذي زعم أنه رآه : لا يخلو إما أن يكون عائداً على المسلمين ، أو على أقاربه ؛ فإن كان على المسلمين فمعلوم ضرورة أنه لاصلاح لأحد من المسلمين في إعطاء مئوي ألف دينار ، والحكم من أبي العاص ثمانية ألف درهم ، وابن أبيد ثمانية ألف درهم ؛ إلى غير ما ذكرنا ، بل على المسلمين في ذلك غاية الضرر . وإن أراد الصلاح الرجوع إلى الأقارب فليس له أن يصلح أمر أقاربه بحساد أمر المسلمين ، وينفعهم بما يصرفه المسلمين .

وأما قوله : إن القطن التي أقطعها سي أمية ؛ إنما أقطعهم إياها لمصلحة تعود على المسلمين ؛ لأن تلك الصياح كانت حراً لا عامراً لها ، فسلها إلى من يسترها ويؤدي الحق عنه ؛ فأقول ما به أنه لو كان الأمر على ما ذكره ، ولم تكن هذه القطن على سبيل الصلة والمونة لأقاربه لما حثي ذلك على الحاسرين ، ولما كانوا لا يبدون ذلك من مثالبه ، ولا يوافقونه عليه في جملة ما وافقوه عليه من إحداه . ثم كان يجب لو فعلوا ذلك أن يكون جوابه بخلاف ما روي من جوابه ؛ لأنه كان يجب أن يقول لهم : وأي متعة في هذه القطن عائدة على قرابتي حتى تعدوا ذلك من حلة صلاتي لهم ؛ وإصالي للنافع إليهم ! وإنما حملهم فيها بمنزلة الأكرّة الذين يُلغفهم بهم أكثر من انتفاعهم أنفسهم ، وما كان

يجب أن يقول ما تقدمت روايته ؛ من أي محاسب في إعطاء قرابتي ، وأن ذلك على سبيل
الصلة لرحي ، إلى غير ذلك مما هو حال من الذي ذكره .

• • •

العلم الرابع :

أنه سمى الحى عن السنين ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعلهم سواء في
اللام والكلأ .

قال قاضي القضاة : وجوابنا عن ذلك أنه لم يجرى الكلأ لنفسه ، ولا استأثر به ،
لكنه حاه لإبل الصدقة التي منفعها تعود على السنين . وقد روى عنه هذا الكلام
بيه ، وأنه قال : إنما قلت ذلك لإبل الصدقة ، وقد أطلقت الآن ، وأما استغفر الله ،
وليس في الاعتذار ما يزيد عن ذلك .

• • •

اعترض الرضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : أما أولاً فالروى بخلاف
ما ذكر ، لأن الواقدي روى بإسناده ، قال : كان هنان يحمى الربة والشرف^(١) والبيع ،
فكان لا يدخل الحى بغير له ولا فرس ، ولا لى أية حتى كان آخر الزمان ، فكان
يحمى الشرف لإبله وكانت ألف بئر ، وإبل الحكم بن أبى العاص ، ويحمى الربة
لإبل الصدقة ، ويحمى البيع لحيل السنين وخيله وخيل بنى أمية .

قال : على أنه لو كان إنما حاه لإبل الصدقة لم يكن بذلك مصيباً ؛ لأن الله تعالى
ورسوله أباحا الكلأ ؛ وجعله مشتركاً ؛ فليس لأحد أن يميز هذه الإباحة . ولو كان

(١) وسمي الهان : قال الأسي : « الشرف كد جد ؟ وكانت من مارل بن آكل للرا من
كد للوك وبها اليوم حى ضربة ، وبه الربة ؛ وهى الحى الأيمن » .

في هذا القمل مُصِيباً ، وأنه إما جاء لمصلحة تعود على المسلمين لما جاز أن يستغفر الله منه ويمتنر ، لأن الاعتذار إما يكون من الخطأ دون الصواب .

الطعن الخامس :

أنه أعطى من يت مال الصدقة للقائلة وغيرها ، وذلك مما لا يحمل في الدين .
قال قاضي القضاة : وجوابنا عن ذلك أنه إما حاز له ذلك لعله بحاجة للقائلة ، واستمناه أهل الصدقة ، فعمل ذلك قبيح الإفراض ، وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله مثله ، والإمام في مثل هذه الأمور أن يفعل ما جرى هذا الجري ؛ لأن عند الحاجة ربما يجوز له أن يقترض^(١) من الناس ، فإن يجوز له أن يتناول من مال في يده ، ليرة عوّضه من اللال الآخر أولى .

(***)

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : إن المال الذي جعل الله تعالى له جهة مخصوصة ، لا يجوز أن يبدل به عن جهته بالاجتهاد ، ولو كانت المصلحة في ذلك موقوفة على الحاجة لشرطها الله تعالى في هذا الحكم ، لأنه سبحانه أعلم بالصالح واختلافها منّا ، ولكان لا يحمل لأهل الصدقة منها القسطن مطلقاً .

وأما قوله : إن الرسول صلى الله عليه وسلم فعل مثله ، فهي دعوى مجردة من برهان ، وقد كان يجب أن يروى ما ذكر في ذلك . وأما ما ذكره من الاقتراض ، فإين كان عيان عن هذا المذنب وأوقف عليه !

الطعن السادس :

أنه ضرب عهد الله بن مسعود حتى كسر بعض أصلاعه .

(١) كذا في ج ؛ وهو الصواب ، وزب : * يرس ، تحريف .

قال قاضي القضاة : قال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : لم يثبت عندنا ولا صح عندنا ما يقال من طعن عبد الله عليه ، وإكماره له ، والذي يصح من ذلك أن عبد الله كره منه جمعة الناس على قراءة زيد بن ثابت وإحراقه للصاحف ، ونقل ذلك عليه كما ينقل على الواحد منا تقديم غيره عليه .

وقد قيل : إن بعض موالى عثمان صر به لنا صريح منه الوقفة في عثمان ، ولو صح أنه أمر بصريه لم يكن بأن يكون طعنًا في عثمان بأولى من أن يكون طعنًا في ابن مسعود ؛ لأن للإمام تأديب غيره ، وليس لغيره الوقفة فيه إلا بعد البيان . وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخطيب أن ابن مسعود إنما طابه لمرته إياه ؛ وقد روي أن عثمان اعتذر إليه فلم يقبل عذره ، ولما أحضر إليه عطائه في مرضه ، قال ابن مسعود : ممتنق إياه إذ كان يتعمى ، وجئتني به عند الموت لا أقبله . وأبه وسط أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليزيل ما في نفسه فلم يجب ؛ وهذا يوجب دمه ابن مسعود إذ لم يقبل الندم ، ويوجب براءة عثمان من هذا المييب ، لو صح ما صح ما روه من صريه .



اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : للعلوم المروية خلاف ما ذكره أبو علي ، ولا يختلف أهل النقل في طعن ابن مسعود على عثمان ، وقوله فيه أشد الأقوال وأعظمها ، والتم بذلك كالم بكل ما يدعى فيه الضرورة ، وقد روى كل من روى السيرة من أصحاب الحديث على اختلاف طرقهم أن ابن مسعود كان يقول : ليتني وعثمان برمل حاليج^(١) يمتنوا علي وأحتو عليه حتى يموت الأجهز مني ومنه ! ورووا أنه كان يظن عليه ، فيقال له : ألا خرجت عليك ، ليخرج معك فيقول : لأن أزاوّل جبالا راسيا أحب إلي من أن أزاوّل ملوكا مؤجلا .

(١) قالج : رجال بين قيد والفرجات ، يرهاض علي* ، متصدة بالعلية . مراد الأجلع ٢ : ٩١١ .

وكان يقول كل يوم جمعة بالكوفة جاهراً معلناً : « إِنَّ أَصْدَقَ الْقَوْلِ كِتَابُ اللَّهِ ،
وَأَحْسَنَ الْمَذْهَبِ هَذَا مِنْ عَمَدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثٍ بِذَنَّةٍ ، وَكُلُّ بِذَنَّةٍ
ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ » . وإنما كان يقول ذلك معرضاً لعمان ، حتى غضب الوليد
ابن عُقبة من استمرار نمرضة ، ونهاه عن خطبته هذه ، فَأَتَى أَنْ يَنْتَهَى ، فَكُتِبَ إِلَى عُمَانَ
فِيهِ ، فَكُتِبَ عُمَانُ بِتَقْدِيمِهِ عَلَيْهِ .

وروى أنه لما خرج عبد الله بن مسعود إلى المدينة مزجها من الكوفة خرج الناس
معه يشيعونه ، وقالوا له : يا أبا عبد الرحمن ، ارجع ، فوالله لا نوصله إليك أبداً ؛ فإننا
لا نأمنه عليك ، فقال : أمر سيكون ، ولا أحت أن أكون أوَّلَ مَنْ قُتِلَ .

وقد روى عنه أيضاً من طرق لا تحصى كثرة أنه كان يقول : مَا بَرَزْتُ عُمَانَ عِنْدَ اللَّهِ
جَنَاحَ ذِيَابٍ ، وَتَمَاطِي مَارُيٍّ عَنْهُ فِي هَذَا الْبَابِ بِطُولٍ ، وَهُوَ أَظْهَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ
إِلَى الْإِسْتِشْهَادِ عَلَيْهِ ؛ وَإِنَّهُ بَلَغَ مِنْ إِسْرَارِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى مَظَاهِرَتِهِ بِالطَّلَاوَةِ أَنْ قَالَ لَمَّا حَضَرَهُ
اللُّوتُ : مَنْ يَقْبَلُ مِنِّي وَصِيَّةَ أَرَضِيَةٍ بِهَا عَلَى مَا قَسَمْتُ الْقَوْمُ ، وَعَرَفُوا أَنِّي
يُرِيدُ ، فَأَعَادَهَا ، فَقَالَ عَمَارُ بْنُ يَسْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : أَمَا أَقْبَلُهَا ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : أَلَا يَصْلَى
عَلَى عُمَانَ ، قَالَ : ذَلِكَ لَكَ ، فَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمَّا دُفِنَ جَاءَ عُمَانُ مُسَكِّراً لِقَائِكَ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ :
إِنْ عَمَاراً وَلِيَ الْأَمْرَ ، فَقَالَ لِعَمَارٍ : مَا حَلَّكَ عَلَى أَنْ لَمْ تُوَدِّقْ ؟ فَقَالَ : عَيْدٌ إِلَيَّ الْآوْدُنُكَ ،
فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ : رَفَسْتُ وَاللَّهِ أَيْدِيَكُمْ عَنْ خَيْرٍ مِنْ بَقِي ،
فَحَمَلْتُ الزَّيْبَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

لَا أَفْقِهَكَ بَعْدَ اللُّوتِ تَنْذُرِي وَفِي حِيَاتِي مَارُودَتِي زَادِي (١)

ولما مَرِضَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، أَتَاهُ عُمَانُ عَائِداً ، فَقَالَ : مَا نَشْكِي ؟
قَالَ : ذَنْبِي ، قَالَ : فَا تَنْتَهَى ؟ قَالَ : رَحِمَ بِي ، قَالَ : أَلَا أَدْعُو لَكَ طَبِيباً ؟ قَالَ :

(١) البيت لمحمد بن الأبرص ، ديوانه ٤٨ .

الطيبُ أمرضني ، قال : أفلا آمر لك بعتائِكَ ؟ قال : نعمتني وأنا محتاج إليه ، وتعتني به ، وأنا مستغفر عنه ! قال : يكون لوليك ، قال : رزقهم على الله تعالى ، قال : استغفر لي يا أبا عبد الرحمن ، قال : أسأل الله أن يأخذني منك حتى .

قال : وصاحبُ " للمنى " قد حكى مصر هذا الخبر في آخر الفصل الذي حكاها من كلامه ، وقال : هذا يوجب دَمَ ابن مسعود من حيث لم يقبل المنزلة ؛ وهذا منه طريف ؛ لأنَّ مذهبه لا يقتضي قبولَ كلِّ عذر ظاهر ، وإنما يجب قبولُ المنزلة الصادق ، الذي ينقلب في الظن أن الباطن فيه كالظاهر ، فمن أين لصاحب " للمنى " أن احتذار عتائِه إلى ابن مسعود كان مستوفيا للشرائط التي يجب معها القبول ! وإذا جاز ما ذكرناه لم يكن على ابن مسعود لوم في الامتناع من قبول عذره .

فأما قوله : إن عتائِه لم يضر به ، وإنما ضربه ببعض مواله لما سمع وقبته فيه ، فالأمر بخلاف ذلك ، وكلَّ مَنْ قرأ الأخبار علم أنَّ عتائِه أمر بإخراجه من المسجد على أعتاب الوجوه ، وبأمره جرى ما جرى عليه ، ولو لم يكن بأمره رضاه لوجب أن ينكر على مولاه كسر ضلعه ، ويستنذر إلى مَنْ عاتبه على فعله ابن مسعود بأن يقول : إني لم آمر بذلك ، ولا رضيته من فاعله ، وقد أنكرت عليه فعله .

وفي علنا بأنَّ ذلك لم يكن دليل على ما قلنا ، وقد روى الواقدي بإسناده وغيره أنَّ ابن مسعود لما استقدم للدينه ، دخلها ليلة جمعة ، فلما حلَّ عتائُه بدخله ، قال : أيها الناس ، إنه قد طرقتكم الليلة دُويَّةٌ ، مَنْ تمشي على طعنه يبق . ويلحق . فقال ابن مسعود : لست كذلك ، ولكنني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وصاحبُه يوم أحد ، وصاحبُه يوم بكة الرضوان ، وصاحبُه يوم الخندق ، وصاحبُه يوم حنين . قال : وصاحت عائشة : يا عتائِه ! أقول هذا لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال عتائِه : اسكتي ؛ ثم قال لشد الله ابن زُمعة بن الأسود من المطلب من عبد المزي من قمي : أخرجته إخراجا عتيقا ، فأخذته

ابن زمة ، فاحتله حتى جاء به باب مسعد ، فضرب به الأرض ، فكسر ضلعا من أضلاعه ، فقال ابن مسعود: قتلى ابن زمة السكار بأمر عثمان وفي رواية أخرى: إن ابن زمة الذي فعل به ما فعل كان مولى لعثمان أسود مسدما^(١) طولا. وفي رواية أخرى: إن فاعل ذلك يحموهم مولى عثمان. وفي رواية: إنه لما احتله ليجرجه من المسعد ناداه عبدالله: أنشدك الله ألا تخرجني من مسعد حليلي صلى الله عليه وسلم .

قال الراوى : فكأنى أنظر إلى حوشة^(٢) ساق عبدالله بن مسعود ورجلاه تحتفان على عنق مولى عثمان حتى أخرج من المسعد، وهو الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لساها ابن أم عبد أنقل في اليزان يوم القيامة من جبل أحد » .

وقد روى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي أن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطا في فيه أبا ذر. وهذه قصة أخرى: ثم ذلك أن أبا ذر رجه الله تعالى لما حضرته الوفاة بالرعدة، وليس معه إلا امرأته وعلامة عهد إليهما أن قسلاى ثم كفتاى، ثم ضاعا على قارعة الطريق، فأول ركب يمركون بهم يقولوا لهم: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه عليه ، فأعينونا على دفنيه ، فلما مات فعلوا ذلك ، وأقبل ابن مسعود فى ركب من المراق مستمرين ، فلم يرعهم إلا الجسارة على قارعة الطريق ، قد كادت الإبل تظفرها ، فقام إليهم المبد، فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه ، فاهل ابن مسعود باكيا ، وقال : صدق رسول الله صلى الله عليه عليه ، قال له : « تمشى وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك » ، ثم نزل هو وأصحابه ، فواروه . قال : فأما قوله إن ذلك ليس بأن يكون طعنا فى عثمان بأولى من أن يكون طعنا فى ابن مسعود ، فواضح البطلان ، وإنما كان طعنا فى عثمان دون ابن مسعود ؛ لأنه لا خلاف

(١) للمسم : الأهوج .

(٢) المروحة : دقة الساقين .

بين الأمة في طهارة ابن مسعود وفضله وإيمانه ، ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وثنائه عليه ، وآمنه مات على الخلة المحسودة منه ، وفي جميع هذا خلاف بين المسلمين
في عثمان .

فأما قوله : إن ابن مسعود كره يجمع عثمان الناس على قراءة زيد ، وإحراقه
الصاحف ؛ فلا شك أن عبد الله كره ذلك ، كما كرهه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وتسكتوا فيه ، وقد ذكر ترواة كلام كل واحد منهم في ذلك مفصلاً ، وما
كرهه عبد الله من ذلك إلا مكروهاً ، وهو الذي يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه : « مَنْ
سرّه أن يقرأ القرآن غصّاً كما أُنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » . وروى عن ابن عباس
رحمه الله تعالى أنه قال : « قراءة ابن أم عبد هي القراءة الأخيرة » ؛ إن رسول الله صلى الله
عليه كان يُرض عليه القرآن في كل سنة من شهر رمضان ، فلما كان العام
الذي توفّي فيه حُرّض عليه دفتين ، فشهد عبد الله مانسّخ منه ، وما صحّ فهي
القراءة الأخيرة .

وروى عن الأحفش ، قال : قال ابن مسعود : لقد أخذت القرآن من في رسول الله
صلى الله عليه ، سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لنُلام في الكتاب ، له ذؤابة .

فأما حكايته عن أبي الحسين الخطاط أن ابن مسعود إنما طلب عثمان لعزله إياه ،
فبعد الله عند كل من عرفه بخلاف هذه الصورة ، وأنه لم يكن ممن يخرج على عثمان ويظلم
في إمامته بأمر يسود إلى منفعة الدنيا ، وإن كان عزله بما لا شبهة فيه في دين ولا أمانة عيباً
لا شك فيه .

الطعن السابع :

أنه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة ، وأحرق للعاصف ، وأبطل ما لا شك أنه نزل من القرآن ؛ وأنه مأخوذ عن الرسول صلى الله عليه ، ولو كان ذلك مما يسوغ لسبق إليه رسول الله صلى الله عليه ، ونفعه أبو بكر وعمر .

قال قاضي القضاة : وجوابنا عن ذلك أن الوجه في جمع القرآن على قراءة واحدة تحصيل القرآن وصبطه ، وقطع المنازعة والاختلاف فيه . وقولهم : لو كان ذلك واجباً لفعله الرسول صلى الله عليه وسلم غير لازم ؛ لأن الإمام إذا فعله صار كأن الرسول صلى الله عليه وسلم فعله ، ولأن الأحوال في ذلك تختلف ، وقد روى أن عمر كان عزم على ذلك فأتى دونه . وليس لأحد أن يقول : إن إحراقه للعاصف استخفاف بالهدين ، وذلك لأنه إذا جاز من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحرق المسجد الذي بُني ضراباً وكفراً ، فغير ممنوع إحراق العاصف .



اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : إن اختلاف الناس في القراءة ليس بموجب لما صنفه ؛ لأهمبروون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، كلها شافية كافية ، فهذا الاختلاف عندهم في القرآن مباح مسند عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكيف يحظر عليهم عثمان من التوسع في الحروف ما هو مباح ؟ فلو كان في القراءة الواحدة تحصيل القرآن كما ادعى ؛ لما أباح النبي صلى الله عليه وسلم في الأصل إلا القراءة الواحدة ؛ لأنه أعلم بوجود المصالح من جميع أمته ، من حيث كان مؤيداً بالوحي ، موثقاً في كل ما يأتي ويذكر . وليس له أن يقول : حدثت من الاختلاف في أيام عثمان ما لم يكن في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا ما أباحه ؛ وذلك لأن الأمر

لو كان على هذا لوجب أن ينهى عن القراءة الخادثة ، والأمر للبتدع ، ولا يحمله ما أحدث من القراءة على تحريم التقدّم بلا شبهة .

وقوله : إن الإمام إذا فعل ذلك ؛ فسكان الرسول صلى الله عليه وسلم فعله تعالى بالباطل ؛ وكيف يكون كما ادعى ، وهذا الاختلاف بعينه قد كان موجوداً في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلو كان سبب الانتشار الزيادة في القرآن ، وفي قطعه تحصيله له ، لكان عليه السلام بالهوى عن هذا الاختلاف أولى من غيره ؛ اللهم إلا أن يقال : حدث اختلاف لم يكن ؛ فقد قلنا فيه ما كفى .

وأما قوله : إن امر قد كان حرم على ذلك فأت دونه ؛ فما سمعناه إلا منه ؛ ولو فعل ذلك أى فاعل كان لكان مُسْكراً .

فأما الاعتذار عن كون إحراق الصحف لا يكون استخفافاً بالدين ، بحمله إياه على تخريب مسجد القصر ، فبين الأمرين بؤسٌ بئس ؛ لأن البنين إنما يكونون مسجداً ويقا لله تعالى بنية الباني وقصده ، ولولا ذلك لم يكن سعى البنين بأن يكون مسجداً أولى من بعض ، ولما كان قصد الباني لذلك للوضع غير القرينة والمادة ، بل خلافاً وضدّها من الفساد والمكيدة . لم يكن في الحقيقة مسجداً ، وإن سمي بذلك مجازاً على ظاهر الأمر ، فهدمه لأجرٍ فيه ، وليس كذلك ما بين ههنا ؛ لأنه كلام الله تعالى للوفر للمتمم ، الذي يجب صيافته عن الزينة والاستخفاف ، فأى نسبة بين الأمرين !

• • •

الطعن الثامن :

أنه أقدم على عمار بن ياسر بالنسب ، حتى حدث به فتى ، ولهذا صار أحد من أظهر التفتل من أهل الأمصار على قتله ، وكان يقول : قتلناه كافراً .

قال قاضي القضاة : وقد أجاب شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى من ذلك ، فقال : إن ضرب عار غير ثابت ، ولو ثبت أنه ضربه لقول المظلم الذي كان يقوله لم يجب أن يكون طعناً عليه ؛ لأن للإمام تأديب مَنْ يستحق التأديب ، وما يمدح معتقذك أن عاراً لا يجوز أن يكفره ، ولما يقع منه ما يستوجب به الكفر ؛ لأن الذي يكفر به الكافر معلوم ؛ ولأنه لو كان قد وقع ذلك لكان غيراً من الصحابة أولى بذلك ، ولو جب أن يحتموا على تحمله ، ولو جب أن يكون قتله مباحاً لهم ، بل كان يجب أن يقتلوا إماماً لقتله على ما قدمناه . وليس لأحد أن يقول : إنما شققره عار من حيث وثب على الخلفاء ، ولم يكن لها أهلاً ؛ لأننا قد بينا القول في ذلك ؛ ولأنه كان منصوباً لأبي بكر وعمر على ما تقدم ، وقد بينا أن صحة إمامتها تقتضي صحة إمامة عثمان .

وقد روى أن عماراً نازع الحسن بن علي عليهما السلام في أمر عثمان فقال عمار: قُتِلَ عثمان كافراً، وقال الحسن عليه السلام: قُتِلَ مؤمناً وتعلق ببعضها ببعض، فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: ماذا تريد من ابن أخيك؟ قال: إني قلتُ كذا، وقال كذا، قال له أمير المؤمنين عليه السلام: أتتكفر بربِّ كان يؤمن به عثمان! فكنت كحمار؛ وعُدَّ ذكر الشيخ أبو الحسين الخطيب أن عثمان لما نُقِمَ عليه شرٌّ بهماراً احتج لنفسه، فقال: جاني^(١) سعد وعمار، فأرسلوا إلى أن اتنا، فلما نريد أن نذكرك أشياء فسلتها، فأرسلت إليهما: إني مشغول، فانصرفا، فوجدتهما يوم كذا، فانصرف سعد وأبي عمار أن ينصرف، فأعدت الرسولَ إليهما فإني أن ينصرف، فأتاه بنبرأسى؛ ووالله ما سرتُ به ولا رضىت؛ وهما أنا، فلهيتمنى منى.

قال: وهذا من أنصف قول وأعدته.



احتضن للرفي رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : أما الدفع لضرب عمار ، فهو

(١) كفا في الأصول وكتاب الشافعي ٢٧٧ ، دليل الصواب : ٥ جاء سعد .

كالإنكار لطلوع الشمس ظهوراً وانتشاراً ، وكل من قرأ الأخبار ، ونصفع السيوف ، يعلم من هذا الأمر ما لا تنبيه عنه مكابرة ولا مدافعة ؛ وهذا القمل - أعني صرب عمار - لم يختلف الرواة فيه ؛ وإنما اختلفوا في سببه ، فروى عباس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف ، في إسناد ما أنه كان في بيت المال بالمدينة سقط فيه حلي وجوهر ، فأخذ منه عثمان ماحل به بعض أهله ، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك ، وكفوه فيه بكل كلام شديد ؛ حتى أغضبوه ، فغضب فقال : لنأخذن حاجتنا من هذا الوء ؛ وإن رَغِيتَ به أنوف أقوام ! فقال له علي عليه السلام : إذن تُمنع من ذلك ، ويحال بينك وبينه ، فقال عمار : أشهد الله أن ابن أول راعم من ذلك ؛ فقال عثمان : أعلني ابن بأسر مجترئ ! حذوه ، فأخذ ، ودخل عثمان ، فدعا به فغضبه حتى غشي عليه ، ثم أخرج غسل حتى أتى به مبرل أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، فلم يصل الظاهر والمصر والمرب ، فلما أظن توحاً وضلي ، وقال : الحمد لله ، ليس هذا أول يوم أودينا الله تعالى ! فقال هشام بن الوليد بن الميرة الخزومي - وكان حمار حليما بلي محزوم - بأعنان ، أما علي فانتقته ، وأما نحن فاجترأت علينا ، وضربت أخانا حتى أشفيت به^(١) على التلف ؛ أما والله لئن مات لأحتلن به رجلا من بني أمية عظيم الشأن ! فقال عثمان : وإنك لها هنا وابن القسرية ، قال : فإلهما قسريتان - وكانت أم هشام وجدته قسريتين^(٢) من بجيلة - فشتمه عثمان ، وأمر به فأخرج ، فأتى به أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، فإذا هي قد غضبت لمار ، وبلغ فائسة رضي الله تعالى عنها ما صنع بهمار ، فغضبت أيضا ، وأخرجت شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونملا من نماله ، وثوبا من ثيابه ، وقالت : ما أسرع ما ترككم سنة نبكم ، وهذا شعره وثوبه ونمله لم يبيل بعد !

(١) أخفيت به ، أي حكت مشعراً على الحلاء . (٢) قسر : بطن في بجمه .

وروى آخرون أن السبب في ذلك أن عثمان مرّ بقر جديد ، فسأل عنه ، فقيل : عبد الله بن مسعود؛ فنصب على عمار لكتابيه إياموته ، إذ كان التوثيق للصلاة عليه ، والقيام بشأه ، فصدّها وطى عثمان عماراً حتى أصابه العتق .

وروى آخرون أن القداد وعماراً وطحة والزبير وعدة من أصحاب رسول الله صلى عليه وآله كتبوا كتاباً عددوا فيه أحداث عثمان ، وخوفوه به ، وأعلموه أنهم مؤابوه إن لم يُقْلِع ، فأخذ عمار الكتاب ، فأنابه به ، فقرأ منه صدراً ، ثم قال له : أعلّ تقدم من يسهم ! فقال : لأنى أصعبهم لك ، قل : كذبت يابن نُمَيْة ! فقال : أنا والله ابن نُمَيْة ، وابن ياسر ! فأمر عثمان عماراً له ، فذّوا يديه ورجليه ، ثم ضربه عثمان برجله - وهي في الثلثين - على مداكيره ، فأصابه العتق ، وكان ضربه كبيراً فَعُشِيَ عليه .

قال : مصرّبُ عمار على ما ترى غير مختلف فيه بين الرواة ، وإنما اختلفوا في سببه ، والخبر الذي رواه صاحب " للمعتمد " وهو حكاه لمن أوى الحسين الخياط ما نرفه ، وكعبُ السيرة للمرومة خالية منه ومن نظيره ، وقد كان يجب أن يُضَيِّفه إلى الموضع الذي أخذه ، فإن قوله وقول من أسند إليه ليس بحجة ؛ ولو كان صحيحاً لكان يجب أن يقول بدل قوله : « هأنأفليقتصم مني » - إذا كان ما أمر بذلك ، ولا رضى عنه ، وإنما ضربه الملام الجاني - « فليقتصم مني » ، فإنه أولى وأعدل .

وبعد ؛ فلا تنافي بين الروايتين لو كان ما رواه مروقاً ، لأنه يجوز أن يكون غلامه ضربه في حال ، وضربه هو في حال أخرى ، والروايات إذا لم تتعارض لم يحز إسقاط شيء منها .

فأما قوله : إن عماراً لا يجوز أن يكثره ، ولم يقع منه ما يوجب الكفر ؛ فإن تكفير عمار وغير عماره معروف ، وقد^(١) جاءت به الروايات ، وقد روي من طرق مختلفة وبأسانيد كثيرة أن عماراً كان يقول : ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر وأما الرابع ، وأنا شرّ

الأربعة ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) ، وأنا أشهد أنه قد حَكَمَ سِر ما أنزل الله .

وروى عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنه قبل له : بأى شيء كفرتم^(٢) ؟ عثمان ؟ فقال : بثلاث : جعل المال ذوقاً بين الأغنياء ، وجعل للهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة من حارب الله ورسوله ، وجعل سِر كتاب الله .
وروى عن حذيفة أنه كان يقول : ما لي عثمان بمصدق أشك ، لكنى أشك في فائه ، لا أدرى أ كافر قتل كافراً ، أم مؤمن حاض إليه العتنة حتى قتله ؛ وهو أفضل المؤمنين إيماناً !
فأما ما رواه من منازعة الحسن عليه السلام عماراً في ذلك ، وترافعهما إلى أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فهو أولاً غير دافع لكون عمار مكفراً له ، بل شاهد بذلك من قوله عليه السلام . ثم إن كان الخبر صحيحاً فالوجه فيه أن عماراً كان يعلم من تلقى كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وعُدوله عن أن يقضى بينهما بصريح القول أنه متمسك بالتقية ، فأمسك عمار متابعة لفرسه^(٣) .

فأما قوله : لا يجوز أن يكفر من حيث وثب على الخلافة ، لأنه كان مصوباً لأبى بكر وعمر لما تقدم من كلامه في ذلك ؛ فأبى لا سأل له أن عماراً كان مصوباً لها ، وما تقدم من كلامه قد تقدم كلامنا عليه .

فأما قوله عن أبى علي : إنه لو ثبت أنه ضربه للقول النظيم الذى كان يقول فيه لم يكن طعناً ، لأن للإمام تأديب من يستحق ذلك ، فقد كان يجب أن يستوحش صاحب كتاب "اللعنى" ، أو من حكى كلاماً من أبى علي وغيره من أن يستذير - من ضرب عمار ووقَّده حتى يلقه من الناس ما ترك له الصلاة ، ووطئه بالأقدام استهائاً واستخفافاً - بشى من المذرة ،

(١) سورة البقرة ٤٤ .

(٢) ١ : ٥ : أ كفرتم .

(٣) الثالث : لا فهم من فرسه .

فلا عذر يُسَمَّع من إيقاع سبابة الكروء عن رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه : « عمار جِلْدَةٌ ما بين الدين والأف ومتى تُشْكَا الجِلْدَةُ يَذَمُّ الأَم » . وروى أنه قال عليه السلام « ما لم ولعار ! بدعوم إلى الحمة ويدعونه إلى النار » . وروى الموصم بن حَوْشَب عن سلمة بن كهيل عن علقمة عن خالد بن الوليد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « مَنْ عَادَى عَمَارًا عَادَاهُ اللَّهُ ، وَمَنْ أَمْسَ عَمَارًا أَبْنَصَهُ اللَّهُ » ؛ وَأَيُّ كَلَامٍ غَلِيظٍ سَمِعَهُ عَمَّانٌ مِنْ قَهَّارٍ يَسْتَحِقُّ بِهِ ذَلِكَ لِلْكَرْوَةِ الْعَظِيمَةِ الْقَدَى يَجَاوِزُ مَقْدَارَ مَا فَرضَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحُدُودِ ! وَإِنَّمَا كَانَ عَمَارٌ وَغَيْرُهُ أَثْبَتُوا عَلَيْهِ أَحْدَاثَهُ وَمَعَايِبَهُ أحيَانًا عَلَى مَا يَظْهَرُ مِنْ سَبِيٍّ أَفْضَلِهِ . وَقَدْ كَانَ يَحِبُّ عَلَيْهِ أَحَدُ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَزْعُمَ قَهَّارٌ يَوَاقِفُ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْأَفْصَالِ ، أَوْ يَبِينَ مِنْ عَظِيمِهِ عَنْهَا وَرَأْيَهُ مِمَّا يَظْهَرُ وَيَشْتَهَرُ ؛ فَإِنْ أَطَاعَ مَقِيمٌ بِدَ ذَلِكَ عَلَى تَوْيِخِهِ وَتَمْسِيقِهِ زَجَرَهُ عَنْ ذَلِكَ لَوْحَظَ أَوْ عَجَزَهُ ، وَلَا يَقْدَمُ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ الْحَبَابَةُ وَالْكَاسِرَةُ مِنْ شَفَاءِ الْمَيْطِ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَحَسْبُكُمْ بِهِ

• • •

الطعن التاسع :

إقدامه على أبي ذَرٍّ مع تَفَدُّسِهِ فِي الْإِسْلَامِ ، حَتَّى سَيَّرَهُ إِلَى الرُّمَّةِ وَهَامَ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ ضَرَبَهُ .

قَالَ قَاضِي الْقَضَاءِ فِي الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ : إِنَّ شَيْخَنَا أَبَا عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : إِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَرُويَ أَنَّهُ قَبِلَ لِأَبِي ذَرٍّ : عَمَّانُ أَنْزَلَكَ الرَّبُّكَ ؟ فَقَالَ : لَا ؛ بَلْ اخْتَرْتُ لِنَفْسِي ذَلِكَ .

وَرُويَ أَنَّ مَعْلُومَةَ كَتَبَ بِشَكْوِهِ وَهُوَ بِالشَّامِ ، فَكَتَبَ عَمَّانُ إِلَيْهِ أَنْ مِيرَ إِلَى الدِّينَةِ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا قَالَ : مَا أَخْرَجَكَ إِلَى الشَّامِ ؟ قَالَ : لَأَتَى سَمْعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم يقول : « إذا بلغت عمارَةَ المدينة موضعَ كذا فأخرج عنها » ؛ فذلك خرجتُ ، فقال : فأى البلاد أحبُّ إليك بعد الشام ؟ قال : الرُّبْدَةُ ، فقال : حيرَ إليها .

قال : وإذا تكافأتِ الأخبارُ لم يكن لهم في ذلك حجة ، ولو ثبت ذلك لكان لا يمتنع أن يُخرجهُ إلى الرُّبْدَةِ لصالح يرجع إلى الدين ، فلا يكون عُقْلًا لأبى ذَرٍّ ؛ بل يكون إشفاقا عليه ، وخوفًا من أن يئنه من بعض أهل المدينة مكروم . ، وقد رُوِيَ أنه كان يُنْظَفُ في القول وعُشْنُ الكلام ، فيقول : لم يبقَ أصحابُ محمد على ما عهد ، ويُنَمَّرُ^(١) بهذا القول ؛ فرأى إمرأته أصلحَ لها يرجع إليه وإليهم وإلى الدين ؛ وقد رُئِيَ أن عمر أخرج من المدينة نصرَ بن الحجاج لما خافَ ناحيته ، وقد ندب الله سبحانه إلى خفض الجناح للمؤمنين ، وإلى القول القين للكافرين ، وبينَ الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لو استعمل الغفظة لافضوا من حوله ، **هذا رأى عثمان** من خشونة كلام أبى ذَرٍّ ، وما كان يُورده مما يحشى منه التنفير قَلَّ ما قَلَّ .

قال : وقد رُوِيَ عن زيد بن وهب ، قال : قلتُ لأبى ذَرٍّ رحمه الله تعالى ، وهو بالرُّبْدَةِ : ما أنزلَكَ هذا المنزلَ ؟ قال : أحبرُّك ؛ إني كنتُ بالشام في أيام معاوية ، وقد ذكرت هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٢) ، فقال معاوية : هذه في أهل الكتاب ، قلت : هي فيهم وفينا ؛ فكتب معاوية إلى عثمان في ذلك ، فكتب إلى أن أقدم على ، فقدمت عليه ؛ فأتاه الناسُ إلى كأنهم لم يعرفوني ، فشكوت ذلك إلى عثمان ، تغيرني وقال : أنزلْ حيث شئت ، فنزلت الرُّبْدَةَ .

(١) ينفر : يهيج .

(٢) سورة التوبة آية ٣٤ .

وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخطيب قريباً مما تقدم ، من أن إخراج أبي ذر إلى الرعدة كان باختياره ، وروى في ذلك حبراً ، قال : وأقل ما في ذلك أن تختلف الأخبار فطرح ، ويُرْجَع إلى الأمر الأول في صحة إمامة عثمان وسلامة أحواله .

• • •

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال :

أما قول أبي عليّ إن الأخبار في سبب خروج أبي ذر إلى الرعدة متكافئة ، فمماذا الله أن تتكافأ في ذلك بل المعروف والظاهر أنه لما أُولَا إلى الشام ، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكاه منه معاوية ، ثم غاب عن المدينة إلى الرعدة . وقد رَوَى جميع أهل السير على اختلاف طرقهم وأسانيدهم أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه ، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلثمائة ألف درهم ، وأعطى ريد بن ثابت مائة ألف درهم ، جعل أبو ذر يقول : بشر الكافرين بمذابحهم ، ويتنقل قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَسْكُرُونَ الْفُجُورَ وَالْفُصُوءَ وَلَا يَتَّقُونَ اللَّهَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَنُفِثُوا فِي رِجَالِهِمْ ﴾ فرجع ذلك مروان إلى عثمان ، فأرسل إلى أبي ذر مائلاً مولاه : أن انتقل فها يلقي عنك ، فقال : أيتها عثمان عن قراءة كتاب الله ، وعيت من ترك أمر الله ! فوالله لأن أرمى الله بسخط عثمان أحب إليّ وخير لي من أن أسخط الله رضاء . فأعصب عثمان ذلك ، وأحفظه فخصابر .

وقال يوما : أيحور الإمام أن يأخذ من المال ، فإذا أنسر قضى ؟ فقال كتب الأخبار : لا بأس بذلك ، فقال له أبو ذر : يا ابن اليهوديين ، أنهلنا ديننا ! فقال عثمان : قد كثر أذاك لي وتوكلت بأصحابي ، الحق بأشام . فأخرجه إليها ، فكان أبو ذر يُنكر على معاوية أشياء يفعلها ، فبعث إليه معاوية ثلثمائة دينار ؛ فقال أبو ذر : إن كانت هذه

من عطائي الذي حرمته عليه ما هذا قبلتها ، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها ، وردّها عليه .

وبني معاوية الخضراء بدمشق ، فقال أبو ذرّ : يا معاوية ، إن كنت هذه من مال الله فهي الغنيمة ، وإن كانت من مالك فهو الإسراف .

وكان أبو ذرّ رحمه الله تعالى يقول : والله لقد حدثت أعمالاً ما أعرفها ، والله ما لي في كتاب الله ولا سنة فيه ، والله إني لأرى حقاً بطلاً وباطلاً يُحمي ؛ وصادقاً مكذباً ، وأثره مبررٌ تقى ، وصالحاً مستأثراً عليه ؛ فقال حبيب بن مسلمة البصري لمعاوية : إن أبا ذرّ لم يصدّق عليكم الشام ، فشارك أهلك إن كنت لكم حاجة فيه . فكتب معاوية إلى عثمان فيه ، فكتب عثمان إلى معاوية : أما بعد ؛ فاحمل حذبا^(١) إلى علي أظفر مراك وأوعره ، فوجه به مع من صار به القيل واليل واليهار^(٢) وحمله على شارب^(٣) ليس عليها إلا قتب^(٤) ، حتى قدم به للدينة ، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد ؛ فلما قدم أبو ذرّ للدينة ؛ بعث إليه عثمان أن الحق بأبي أرضي كنت ، فقال : ممكة ؟ قال : لا ، قال : حيث القدس ؟ قال : لا ، قال : فأخذ المصرين^(٥) ؟ قال : لا ؛ ولكني ميّرك إلى الرُبذة ، فسيره إليها ، فلم يزل بها حتى مات .

وفي رواية الواقدي أن أبا ذرّ لما دخل على عثمان ، قال له : لا اسم الله بك سينا يا جُنَيْدُ ! فقال أبو ذرّ : أما جُنَيْدُ وسَمَانِي رسول الله صلى الله عليه عليه عبد الله ، فاحترت اسم رسول الله الذي سماني به علي اسمي ؛ فقال عثمان : أنت الذي تزعم أنا أقول إن يد الله معلومة ؛ وإن الله فقير وعمن أغنياء ؛ فقال أبو ذرّ : لو كنتم لا تزعمون لأنقم

(١) جديب : اسم أبي ذر التماري .

(٢) اليهار : الليلة السابعة الحرة .

(٣) القتب : الإكلاف الصبر على قدر ساء الجبر .

(٤) للصران : هما السكونة والعمرة .

مَالَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ! وَلَكِنِّي أَشْهَدُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا جَمَعُوا مَالَ اللَّهِ دَوْلًا ، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلًا ، وَدِينَ اللَّهِ دَخَلًا » ، فَقَالَ عُمَانُ لِمَنْ حَضَرَهُ : ائْتَمِمُوا مَا مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ؟ فَقَالُوا : مَا مَعْنَاهُ ، فَقَالَ عُمَانُ : وَيْلَكَ يَا أَبَا ذَرٍّ ! أَنْكَذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ! قَالَ أَبُو ذَرٍّ إِمِنْ حَضَرٍ : أَمَا تَنْظُرُونَ أَنِّي صَدَقْتُ ! قَالُوا : لَا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي ، فَقَالَ عُمَانُ : لَادْعُوا إِلَى عَلِيٍّ ، فَدَعَى ، فَلَمَّا حَاضَ قَالَ عُمَانُ لِأَبِي ذَرٍّ : اقْصُصْ عَلَيَّ حَدِيثَكَ فِي بَنِي أَبِي الْعَاصِ ، فَعَدَّته ، فَقَالَ عُمَانُ لِمَنْ : هَلْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا ، وَقَدْ صَدَّقَ أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ عُمَانُ : بَلَى ^(١) هَرَفَتْ صِدْقُهُ ؟ قَالَ : لَا بَلَى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا أَظْلَمْتُ الْغُفْرَاءَ وَلَا أَقْلَمْتُ النَّبْرَاءَ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ » ، فَقَالَ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ صَدَّقَ أَبُو ذَرٍّ ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : أَحَدْتُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ مَوْتَنِي ! مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي أَحْيَا حَقِّي أَمَعَ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !

وروى الواقدي في خير آخر يستأذنه من صَهِبَانِ مَوْلَى الْأَسْلَمِيِّينَ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ يَوْمَ دُخِلَ بِهِ عَلَى عُمَانَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَهْلِي فَطَلْتُ وَفَعَلْتُ ! فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ : نَصَحْتُكَ فَاسْتَفْشَشْتَنِي ، وَنَصَحْتُ صَاحِبَكَ فَاسْتَمَشَقَنِي ! فَقَالَ عُمَانُ : كَذَبْتَ ! وَلَكِنَّكَ تَرِيدُ الْفِتْنَةَ وَتُحِبُّهَا ، قَدْ أَفْطَلْتُ ^(٢) الشَّامَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ : اتَّبِعْ سُنَّةَ صَاحِبَيْكَ ، لَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ كَلَامٌ ، قَالَ عُمَانُ : مَا لَكَ وَذَلِكَ لَا أَمْرَ لَكَ ! قَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ لِي عَذْرًا إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ! فَغَضِبَ عُمَانُ وَقَالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي هَذَا الشَّيْخِ الْكَذَّابِ ، إِنَّمَا أَنْ أَضْرِبَهُ أَوْ أَحْبِسَهُ أَوْ أَقْتُلَهُ ! فَإِذَا قَدْ فَرَّقَنِي جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوْشَقَنِي مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ ، فَتَكَلَّمْ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَكَانَ حَاضِرًا - وَقَالَ : أَشِيرْ عَلَيْكَ

(١) النَّالُ : « كَيْدٌ » .

(٢) أَقْلَمْتُ الشَّامَ : أَيِ أَصْدَقْتُ أَمْرَهُ ؛ وَأَسْهَلَ الْأَمْرَ ؛ يَقَالُ : أَهْلُ الْأَمْرِ ؛ إِنَّا أَصْدَقُ فِي الْخُلُقِ .
وَلِ النَّالِ : « لَيْبٌ » .

بما قاله مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِنْ بَلَكَ كَذِبًا فَتَتَبِعْهُ كَذِبُهُ وَإِنْ بَلَكَ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ
بَعْضُ الَّذِي بَعْدَكُمْ﴾ (١) أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ؟ وَأَجَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَثَلِهِ، قَالَ: ثُمَّ إِنْ هَبَّ
حَظَرَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَفَاعِدُوا أَبَا ذَرٍّ، أَوْ يَكَلِّمُوهُ؛ فَكَثُرَ كَذِبُكَ أَيْمَانًا، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُؤْتَى
بِهِ، فَلَمَّا أَتَى بِهِ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: وَبِحَبْلِكَ يَا عِمَّانُ! أَمَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَرَأَيْتَ أَبَا بَكْرٍ وَهَرَاهِلَ رَأَيْتَ هَذَا هَدَيْتَهُمْ! إِنَّكَ لَتَبْطِشُ بِي بَطْشَ جَبَّارٍ؛ فَقَالَ:
أَخْرُجْ عَنَّا مِنْ بِلَادِنَا، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: مَا أَمْسُ إِلَى جَوَارِكِ! فَإِلَى أَيْنَ أَخْرُجُ؟ قَالَ: حَيْثُ
شِئْتَ، قَالَ: فَأَخْرُجْ إِلَى الشَّامِ أَرْضَ الْجِهَادِ؟ قَالَ: إِنَّمَا جَلَيْتُكَ مِنَ الشَّامِ لِمَا قَدْ أَفْسَدَتْهَا
أَفْأَرَدْتُكَ إِلَيْهَا! قَالَ: فَأَخْرُجْ إِلَى الْعِرَاقِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَمْ؟ قَالَ: تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ
شُبَّةٍ وَطَمَنٌ فِي الْأَثَمَةِ، قَالَ: أَمَا أَخْرُجْ إِلَى مِصْرَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ أَخْرُجُ؟ قَالَ:
حَيْثُ شِئْتَ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَهُوَ إِذْنُ الصَّرَبِ (٢) بَعْدَ الْفَحْرَةِ؛ فَأَخْرُجْ إِلَى نَجْدٍ فَقَالَ عِمَّانُ:
الشَّرَفُ الْأَمْدُ أَفْصَى فَأَفْصَى؛ أَمْسُ عَلَى وَجْهِكَ هَذَا، وَلَا تَمْلِكُونَ الرِّبْذَةَ.

فخرج إليها .

وروى الواقدي عن مالك بن أبي الرجل، عن موسى بن مبصرة أن أبا الأسود الدؤلي،
قال: كنت أحب لقاء أبي ذَرٍّ لأَسْأَلَهُ عَنْ سَبَبِ خُرُوجِهِ، فَبَزَلَتْ الرِّبْذَةَ، فَقُلْتُ لَهُ:
أَلَا تَخْبِرُنِي؟ أَخْرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ طَائِفًا أَمْ أَخْرَجْتَ مَكْرَهًا؟ فَقَالَ: كُنْتُ فِي قَرْيَةٍ مِنْ ثَعْلَبِ
الْمَدِينِ، أَتَيْتُ عَنْهُمْ، فَأَخْرَجْتُ إِلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقُلْتُ: أَصْحَابِي وَدَارُ
هَجْرَتِي، فَأَخْرَجْتُ مِنْهَا إِلَى مَا تَرَى، ثُمَّ قُلْتُ: يَبْنَوُ أَبَا ذَرٍّ لَيْلَةً مَاتِمٌ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ مَرَّ بِي
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، فَضَرَبَنِي رَجُلُهُ وَقَالَ: لَا أَرَاكَ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا أُنْتِ

(١) سورة طه ٢٨ .

(٢) الصرب: الإمالة بالبادية .

وأى ! غلبتني عيني، فتمتُ فيه ، فقال : كيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ قلت : إذن الحق بالشام ، فإنها أرض مقدسة ، وأرض بجة الإسلام ، وأرض الجهاد ؛ فقال : فكيف تصنع إذا أخرجت منها ؟ قلت : أرجع إلى المسجد ، قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ قلت : آخذ سيفي فأضرب به ، فقال صلى الله عليه وآله : « ألا أدلك على خير من ذلك ، أنتقي معهم حيث ساقوك ، ونسَمِعُ وطيع » ، فسمعت وأطعت وأُما اسمع وأطيع ؛ والله ليقينَ الله عنان وهو آثم في جنبي .

وكان يقول بالربذة : ماترك الحق لي صدقا . وكان يقول : فيها ردِّي عنانُ بعد المحنة أعرابيا .

والأخبار في هذا الباب أكثر من أن نحصر وأوسع من أن يذكرها . وما يحيلُ نفسه على ادعاء أن أبا ذرٍّ خرج مختارا إلى الربذة إلا مكابر . ولما تنكر أن يكون ما أورده صاحب كتاب " المصنف " من أنه خرج مختارا قد روي ، إلا أنه من الشاذ النادر . وإزاء هذه الرواية القذة كل الروايات التي تتضمن خلافها ؛ ومن تصفع الأخبار علم أنها غير متكافئة على ما ظنَّ صاحب المصنف ؛ وكيف يجوز خروجه عن اختيار ! وإنما أشخص من الشام على الوجه الذي أشخص عليه : من خشونة للركب ، وقبح السَّير به للموجدة عليه . ثم لما قدم مُنِع الناس من كلامه ، وأغلظ له في القول ؛ وكل هذا لا يشبه أن يكون خروجه إلى الربذة باختياره . وكيف يظنُّ قائل أن أبا ذرٍّ يختار الربذة منبرًا مع جدبها وقحطها ومُدها عن الخيرات ؛ ولم تكن بمنزل مثله !

فأما قوله : إنه أشفق عليه من أن ياله بعض أهل المدينة بمكروه من حيث كان يُفَلِظُ لم القول ، فليس شيء ؛ لأنه لم يكن في أهل المدينة إلا من كان راضيا بقوله ، عاتبا بمنزل حقه ؛ إلا أنهم كانوا بين مجاهر بما في نفسه ، وخفي ما عنده ؛ ومافى أهل المدينة إلا

من رَقِي لأبي ذَرٍّ مما حَدَّثَ عليه ، ومن استغفله ؛ وَمَنْ رَجِعَ إِلَى كُتُبِ السِّيرة عرف ما ذَكَرناه .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنْ هَرَّ أَحْرَجَ مِنَ الدِّبْتِ نَصْرَ بْنَ حِجَّاجٍ ، فَيَأْتِيهِ مَا يَنْبَغِي الْأَمْرَيْنِ أَوْ مَا كُنَّا نَظُنُّ أَنْ أَحَدًا يَسُومِي بَيْنَ أَبِي ذَرٍّ وَهُوَ وَجْهُ الصَّحَابَةِ وَعَيْنُهُمْ ، وَمَنْ أَجْمَعَ السُّلُوكَ عَلَى تَوْفِيرِهِ وَتَمْطِيطِهِ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَدَّحَهُ مِنْ صِدْقِ الْقَهْقَةِ بِمَا لَمْ يَدَّخِرْ بِهِ أَحَدًا ، وَبَيْنَ نَصْرِ بْنِ الْحِجَّاجِ الْحَدَّثِ الَّذِي كَانَ خَافَ عَمْرَ مِنْ افْتِتَانِ النِّسَاءِ بِشَاهِدِهِ ؛ وَلَا حَظَّ لَهُ فِي فَصْلٍ وَلَا دِينَ ؛ إِنْ هَرَّ قَدْ دَمَّ بِإِحْرَاحِهِ نَصْرَ بْنَ الْحِجَّاجِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ كَانَ مِنْهُ ، فَإِذَا كَانَ مَنْ أَخْرَجَ نَصْرَ بْنَ حِجَّاجٍ مَدْمُومًا ، فَكَيْفَ مَنْ أَخْرَجَ أَبَا ذَرٍّ ؟

فَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَالرَّسُولَ قَدْ بَدَّأَ إِلَى خَفَضِ الْجَنَاحِ ، وَلَيْنَ الْقَوْلَ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، فَهُوَ كَمَا قَالَ ؛ إِلَّا أَنْ هَبَّ أَدَبُ كَانَ يَنْفِي أَنْ يَتَأَدَّبَ بِهِ عِيَانٌ فِي أَبِي ذَرٍّ ، وَلَا يَجَابِلُهُ بِالْمُتَكَذِّبِ ، وَقَدْ قَطَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى صِدْقِهِ ؛ وَلَا يَسْمَعُهُ مَكْرُوهَ الْكَلَامِ ؛ فَإِنَّمَا نَصَحَ لَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ عِيُونَهُ ، وَهَاتَبَهُ عَلَى مَا لَوْ نَزَعَ عَنْهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

• • •

الطعن العاشر :

تَمْطِيطُهُ الْحَدَّثَ الْوَاجِبَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَإِنَّهُ قَتَلَ الْهَرَمُزَانَ مُسْلِمًا فَلَمْ يَقْدَمْ بِهِ ، وَقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَطْلُبُهُ لِقَائِهِ .

قَالَ قَاضِي الْقَضَاءِ فِي الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ : إِنْ شِيعْنَا أَبَا عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِهَرَمُزَانَ وَلِيٌّ يَطْلُبُ بَدَنَهُ ، وَالْإِمَامُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَ لَهُ ، وَلَوْلَى أَنْ يَفْهَمَ كَالَهُ أَنْ يُقْتَلَ ، وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ سَأَلَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَفْهَمُوا عَنْهُ ، فَأَجَابُوا عَنْهُ إِلَى ذَلِكَ .

قال : وإنما أراد عثمانُ بالعمو عنه ما يعودُ إلى عزِّ الدين ، لأنه خاف أن يبلغ العدوُّ قتلَهُ ؛ فيقال : قتلوا إمامهم وقتلوا ولده ولا يعرفون الحال في ذلك فيكون فيه شناعة ؛ وقد قال الشيخُ أبو الحسين النخياط : إن عامةَ المهاجرين أجمعوا على أنه لا يُقادى بالهرمزاني ، وقالوا لثمان : هذا دمُ سُنك في غير ولايتك ، وليس له ولي يطلب به ، وأمرُهُ إلى الإمام ، فأقبل منه الدَّية ، فذلك صلاح للمسلمين .

قال : ولم يثبت أن أميرَ المؤمنين عليه السلام كان يطلبه ليقْتله بالهرمزاني ، لأنه لا يجوز قتلُ مَنْ عسا عنه وليُّ القتل ؛ وإنما كان يطلبه ليضع من قدره ، ويصنر من شأنه .

قال : ويجوز أن يكون ماروي عن عليٍّ عليه السلام من أنه قال : لو كنتُ بذلِّ عثمان لقتلته ، يعني أنه كان يرى ذلك أقبرى في الاجتهاد ، وأقرب إلى التشدد في دين الله سبحانه .



اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، قال :

أما قوله : لم يكن الهرمزاني وليَّ يطلب دمه ، فالإمام يكون وليه ، وله أن يعفو عنه ، كما له أن يقتل ؛ فليس بمستند ، لأن الهرمزاني رجلٌ من أهل فارس ، ولم يكن له وليٌّ حاضر يطلب دمه ، وقد كان الواجب أن يبذل الإصاف لأوليائه ويؤمنوا متى حصروا ، حتى إنه لو كان له وليٌّ يريد المطالبة حضر وطالب . ثم لو لم يكن له وليٌّ لم يكن عثمانُ وليَّ دمه ، لأنه قُتل في أيام عمر ، فصار عمر وليَّ دمه ، وقد أوصى عمر على ما جاءت به الروايات الظاهرة بقتل ابنه عبيد الله ؛ إن لم يتم البيعة المأداة على الهرمزاني وجبينة ،^(١) أنهما أمر بالثأرة غلامُ الخيرة بن شعبة بقتله ، وكانت وصيته بذلك إلى أهل الشورى ، قال : أيكم ولي هذا الأمر فليفعل كذا وكذا ؛ إنما ذكرناه ، فلما مات عمر ، طلب المسلمون إلى عثمان إرضاء

(١) جبينة ؛ كان نصرانيا من أهل الحيرة وكان قترا لعمد بن أبي وقار ؛ أهداه إلى المدينة لعل يصلي الله به ويؤمنهم ؛ ويعلم بالمدينة الكتاب . تاريخ الطبري ٤ : ٤٢ .

الوصية في عبيد الله بن عمر ، فدافع عن ذلك وعَثَمَهم ؛ ولو كان هو وليّ القوم على ما ذكرُوا لم يكن له أن يعمو وأن يُعطِلَ حدًّا من حدود الله تعالى ، وأىّ شيانة للمدوّني إقامة حدٍّ من حدود الله تعالى ؛ وإنما الشيانةُ كُلُّها من أعداء الإسلام في تعطيل الحدود . وأىّ حَرَج في الجمع بين قتل الإمام وابنه ، حتّى يقال : كَرِهَ أن يفتش الخبِرُ بأنّ الإمام واسّة قَتْلًا ، وإنما قُتِلَ أحدهما طعنا ، والآخر عدلًا ، أو أحدهما بنير أمر الله ، والآخر بأمره سبحانه ! وقد روى زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أتى عُمَان ؛ بعد ما استخف ، فكلّمه في عبيد الله فلم يكلمه أحدٌ غيره ؛ فقال : اقْتُلْ هذا الفاسقَ الخبيث الذي قتل أميرًا مسلمًا ؛ فقال عُمَان : قَتَلُوا أباه بالأمس ، وأَهْلَهُ اليوم ؛ وإِنا هو رجلٌ من أهل الأرض ؛ فضا أتى عليه مَرّةً عبيد الله على عليه السلام ، فقال له : إني يا فاسق ! أما والله لئن ظفرت بك يومًا من الدهر لأضربن عنقك ؛ فذلك خرج مع معاوية عليه .

وروى القناد ، عن الحسن بن عيسى بن زيد ، عن أبيه ، أنّ المسلمين لما قال عُمَان : إني قد عفوت عن عبيد الله بن عمر ، قالوا : ليس لك أن تعمو عنه ، قال : بلى إنه ليس بـجَنيّةٍ والهرَمَزَان قراءة من أهل الإسلام ؛ وأما وليّ أمر المسلمين ، وأنا أولى بهما ، وقد عفوت ، فقال على عليه السلام : إنه ليس كما تقول ، إيمانك في أمرهما بمنزلة أقصى المسلمين ؛ إنه قَتَلَهُما في إمرة غيرك ، وقد حَسَمَ الوالى الذى قَتَلَا في إمارته بقتله ؛ ولو كان قَتَلَهُما في إمارتك لم يكن لك العمو عنه ، فأتى الله ؛ فإنّ الله سألَكَ عن هذا ؛ فإنا رأى عُمَان أنّ المسلمين قد أبوا إلا قتلَ عبيد الله ، أمره فأرحل إلى الكوفة ، وأقطعها بها دارًا وأرضًا ؛ وهى التى يقال لها : كَوْبَقَة^(١) ابن عمر ، فغَطَمَ ذلك عند المسلمين وأكبروه ؛ وكثُر كلامهم فيه .

(١) الكوفة ، ذكرها ياقوت ، فقال : « كَوْبَقَة ابن عمر منسوبة إلى عبيد الله بن عمر بن الخطاب ؛ ثمّ حين قتل بنت أبى لؤلؤة والهرمزاني وجعية السامى » . معجم البلدان ٧ : ٣٠٤ .

وروى عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: ما أسمى عثمان يومَ ولَّى حتى تقموا عليه وأمر عبيد الله بن عمر؛ حيث لم يقتله بالهرمزان. فأما قوله: إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يطله ليقتله؛ بل ليضع من قدره فهو بخلاف ما صرح به عليه السلام من أنه إن تمكن ليضرب عنه.

ونعم؛ فإن وليّ الدم إذا عمّا عنه على ما ذكرناه لم يكن لأحد أن يستغفر به، ولا يضع من قدره كما ليس له أن يقتله.

وأما قوله: إن أمير المؤمنين عليه السلام لا يجوز أن يتوعد مع عفو الإمام عنه؛ وإنما يكون صحيحاً لو كان ذلك العفو مؤثراً؛ وقد بينا أنه غير مؤثر.

وأما قوله: يجوز أن يكون عليه السلام رأي أن قتله أقوى في الاجتهاد، وأقرب إلى التشدد في دين الله؛ فلا شك أنه كذلك، وهذا بناء منه على أن كلّ متعهد مصيب؛ وقد بينا أن الأمر بخلاف ذلك؛ وإذا كان اجتهاد أمير المؤمنين عليه السلام يقتضي قتله، فهو الذي لا يسوغ خلافه.



الطعن الحادى عشر

وهو إجمالى؛ قالوا: وحده، أحوال الصحابة دأته على تصديقهم الطاعين فيه، ورايتهم منه، والدليل على ذلك أنهم تركوه بعد قتله ثلاثة أيام لم يدفنوه، ولا أسكروا على من أجلب عليه من أهل الأمصار؛ بل أسعوه ولم يدفوا عنه؛ ولكمهم أغانوا عليه، ولم يمنعوا من حصره ولا من منع الماء عنه؛ ولا من قتله، مع تمكنهم من خلاف ذلك، وهذا من أقوى الدلائل على ما قلناه؛ ولو لم يدل على أمره عند الإجماع عن علي عليه السلام أنه قال: الله قتله وأنا معه، وأنه كان في أصحابه عليه السلام من يصرح بأنه قتل

عُثْمَانُ ؛ وَمِمَّ ذَلِكَ لَا يُقَدِّمُ بَلَّ وَلَا يَنْكُرُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ بِصَرْحٍ حُونَ بَأْنِ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَتْلَهُ عُثْمَانُ ، وَيَحْمِلُونَ ذَلِكَ مِنْ أَوْ كَدِّ الشُّبْهِ ، وَلَا يَنْكُرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ؛ مَعَ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَجَاعِدَهُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْمَنْعِ عَنْهُ نَا وَقَعَ فِي حَقِّهِ مَا رَفَعَ ؛ فَصَارَ كُفُّهُ وَكَفُّ غَيْرِهِ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَدْلُ الدَّلَائِلِ عَلَى أَنَّهُمْ صَدَقُوا عَلَيْهِ مَا نَسَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ ؛ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا حَصَلَ عِنْدَنَا .

وَأَجَابَ قَاضِي الْقَضَاءِ مِنْ هَذَا ، فَقَالَ :

أَمَّا تَرْكُهُ مَدَّ الْقَتْلِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَدْفِنْ فَيْسُ بِنَاثٍ ، وَلَوْ صَحَّ لَسَكَانَ عَلِمْنَا عَلَى مَنْ لَرَمَهُ الْقِيَامُ بِهِ ، وَقَدْ قَالَ شَيْخُنَا أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّهُ لَا يَجْتَنِعُ أَنْ يَشْتَمِلُوا بِإِبْرَاهِيمَ الْبَيْعَةَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَوْفًا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْفِتْنَةِ ، فَيُؤْخَرُوا دَفْنَهُ .

قَالَ : وَسَيَدُّ مَعَ حُصُورِ قَرِيْنَيْنِ وَقِيَاثِلِ الْعَرَبِ وَسَائِرِ سِيَامِيَةِ وَمَوَالِيهِمْ أَنْ يُتْرَكَ عُثْمَانُ وَلَا يُدْفَنَ هَذِهِ الْمُدَّةَ ، وَسَيَدُّ أَنْ يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَتَقَدَّمُ بِدَفْنِهِ ، وَلَوْ مَاتَ فِي جَوَارِمِ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يُوَارِيهِ مَا تَرَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَيْدِينَ ، فَكَيْفَ يَحُورُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي عُثْمَانَ ؛ وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ دُفِنَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْأَوَّلَى .

فَأَمَّا التَّمَاتُ بِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ تَنْسَكِرْ عَلَى الْقَوْمِ ، وَلَا دَفَسَتْ عَنْهُ ، فَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ ؛ وَالصَّحِيحُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ تَبَرَّأَ مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ ، وَأَمَّنَ قَتْلَتَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالْجَبَلِ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ يَحْرَى مِنْ حَيْثُ هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ عَلَى جِهَةِ الْخَطَا ؛ لِأَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ كَانَ يَقُولُ : نَحْنُ قَتَلْنَاهُ لَمْ يَقْتُلْهُ ؛ لِأَنَّ فِي الْخَطْبِ أَنَّ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ كَانُوا بِصَرْحٍ حُونَ ذَلِكَ ؛ وَالَّذِينَ دَخَلُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ ثَلَاثَةٌ أَوْ ثَلَاثَةٌ ؛ وَإِنَّمَا كَانُوا يَفْصِلُونَ هَذَا الْقَوْلَ ؛ أَيْ أَحْبَبُوا أَنَّا قَتَلْنَاهُ فَمَا لَكُمْ ! ذَلِكَ أَنَّ الْإِمَامَ هُوَ الَّذِي يَقُومُ بِأَمْرِ الْقَوَدِ ، وَلَيْسَ لِلْخَارِجِ عَلَيْهِ أَنْ يَطَالِبَ بِذَلِكَ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَقْتُلَ قَتْلَتَهُ لَوْ عَزَّزَهُمْ بَيْتَهُ أَوْ إِقْرَارَ ، وَمَيَّرَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ إِلَّا هَذَا مَطَالِبَةً وَلِي الدِّمِ ، وَالَّذِينَ كَانُوا أَوْلِيَاءَ

الدم لم يكموا بطالبونه ، ولا كانت صفتهم صفة من يطالب ؛ لأنهم كانوا كلهم أو بعضهم يدعون أن عليا عليه السلام ليس بإمام ، ولا يحمل لولي الدم مع هذا الاعتقاد أن يطالب بالقود ، فذلك لم يقتلهم عليه السلام ؛ هذا لو صح أنه كان يميزهم ، فكيف وذلك غير صحيح .

فأما ما روي عنه من قوله عليه السلام : « قتل الله وأمامه » ؛ فإن صح فعمناه مستقيم ؛ يريد أن الله أماته وسيمتني وسائر العباد .

ثم قال سائلا فيه : كيف يقول ذلك عثمان مات مقتولا من جهة للكافرين ؛ وأجاب بأنه وإن قُتل ، فالإمامة من قتل الله تعالى . ويحوز أن يكون ماله من الجراح لا يوجب اعتفاء الحياة لا بحالة ، فإذا مات صحت الإمامة على طريق الحقيقة .



اعترض الرضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فدل :

أما تضيغه أن يكون عثمان ترك بعد القتل ثلاثة أيام لم يدفن ؛ فليس بحجة ؛ لأن ذلك قد رواه جماعة الرواة ، وليس يخالف في مثله أحد يعرف الرواية ؛ وقد ذكر ذلك الواقدي وغيره ؛ وروي أن أهل المدينة سمعوا الصلاة عليه ، حتى حمل بين العرب والقتمة ، ولم يشهد جنازته غير مروان وثلاثة من مواله ، ولما أحسوا بذلك رموه بالحجارة وذكروه بأسوأ الذكركر ، ولم يقع التكسر من دفنه إلا بعد أن أسكر أمير المؤمنين عليه السلام المنع من دفنه ، وأمر أهله شول ذلك منه .

فأما قوله : إن ذلك إن صح كان طعنا على من زعم القيام بأمره ، فليس الأمر على ما ظنه ، بل يكون طعنا على عثمان من حيث لا يحوز أن يتمتع أهل المدينة - وفيها وجوه الصحابة - من دفنه والصلاة عليه إلا لاعتقاد قبيح ؛ أو لأن أكثرهم وجمهورهم يعتقد ذلك ؛ وهذا طعن لا شبهة فيه ؛ واستبعاد صاحب " المنقذ " لذلك ؛ مع ظهور الرواية به

لا يلتفت إليه ؛ فاما أمير المؤمنين عليه السلام واستبعاد صاحب " المعنى " منه ألا يتقدم بدفنه ؛ فقد بينا أنه تقدم بذلك بعد مما كسبه من مراومة . وأعجب من كل شيء قول صاحب " المعنى " : إنهم أخروا دفنه تشاعلا بالنسبة لأمر المؤمنين عليه السلام ؛ وأى شغل في البيعة لأمر المؤمنين يمنع من دفنه ، والدفن فرض على الكفاية ، ليجام به الجسم وتشاغل الباقون بالنسبة لحازا وليس الدفن ولا البيعة أبصا معصرة إلى تشاغل جميع أهل المدينة بها . فاما قوله : إنه قد روي أن عثمان دُفن تحت القبة ، فما تُعرف هذه الرواية ؛ وقد كان يجب أن يسندوها ويرووها إلى راويها ، أو الكتاب الذي أخذها منه ؛ فالذي ظهر في الرواية هو ما ذكرناه .

فاما إحالة على ما تقدم في معنى الإنكار من الضعابة على القوم المخالين على عثمان ؛ فقد سبق القول في ذلك .

فاما روايته من أمير المؤمنين عليه السلام تبرؤ من قتل عثمان ، ولسته قتلته في البر والبحر ، والسهل والجبل ؛ فلا شك في أنه عليه السلام كان حريصا من قتله ، وقد روى عنه عليه السلام أنه قال : والله ما قتل عثمان ، ولا مالأت في قتله ؛ والله لأهوى للمأونة والموازرة ، وقد صدق عليه السلام في أنه ما قتل ولا وازر على القتل .

فاما لمنه قتلته ^(١) فضعيف في الرواية ، وإن كان قد روي ؛ فما ظهر منه ما رواه الواقدي ، عن الحكم بن أسنت ، عن محمد بن عمار بن ياسر ، عن أبيه ، قال : رأيت عليا عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله حين قُتل ، وهو يقول : ما أحببت قتله ولا كرهته ، ولا أمرت به ، ولا نهيت عنه .

وقد روى محمد بن سعد ، عن عفان بن جرير بن بشير ، عن أبي جعدة ، أنه مع علي

(١) ج : : قتله عنى .

عليه السلام، يقول وهو مخاطب، فذكر عثمان، وقال: والله الذي لا إله إلا هو؛ ما قتلتُه ولا مالتُ على قتله ولا سائرِي^(١).

وروى ابن بشر، عن حبيدة السلمي، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: مَنْ كَانَتْ سَائِلِي عَنْ دَمِ عُمَانَ؟ فَإِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ. وَقَدْ رَوَى هَذَا الْقَلْبُ مِنْ طَرَفِي كَثِيرَةً.

وقد روى شعبة عن أبي حمزة الثعالبى، قال: قلتُ لابن عباس: إِنْ أَبَى أُخْبِرِي أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا، يَقُولُ: أَلَا مَنْ كَانَ سَائِلِي عَنْ دَمِ عُمَانَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ - فَقَالَ: صَدَقَ أَبِيكَ؛ هَلْ تَدْرِي مَا مَعْنَى قَوْلِهِ! إِنَّمَا عَنَى: اللَّهُ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ.

قال: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَصَحُّ الْجَمْعُ بَيْنَ مَعْنَى هَذِهِ الْأَحْبَارِ؟

قلنا: لَا تَنَاقُ فِيهَا، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَبِعَ مِنْ مِبَاشَرَةِ قَتْلِهِ وَالْوَازِرَةَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَمَرْتُ بِذَلِكَ وَلَا سَبَّيْتُ عَنْهُ؛ يُرِيدُ أَنْ قَاتِلِيهِ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَيَّ، وَلَمْ يَكُنْ مَعِيَ قَوْلِي فِي ذَلِكَ بِأَمْرٍ وَلَا سَبٍّ. فَأَمَّا قَوْلُهُ: «اللَّهُ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ»، فَيَحْزَنُ أَنْ يَكُونَ لِلرَّادِّ بِهِ: اللَّهُ حَكَمَ بِقَتْلِهِ وَأَوْجَبَهُ وَأَمَّا كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقْتُلْهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَإِضَافَةُ الْقَتْلِ إِلَيْهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَعْنَى الْحُكْمِ وَالرَّضَا؛ وَلَيْسَ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ، مَا لَمْ يَتَوَلَّهْ بِنَفْسِهِ، وَلَا آذَرَ عَلَيْهِ، وَلَا شَافَعَ فِيهِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: هَذَا يَنَاقِي مَا رَوَى عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا أَحْبَبْتُ قَتْلَهُ، وَلَا كَرِهْتُهُ»، وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ أَنْ يُقْتَلَ وَهُوَ لَا يُحِبُّ قَتْلَهُ؟

قلنا: يَحْزَنُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ: «مَا أَحْبَبْتُ قَتْلَهُ وَلَا كَرِهْتُهُ» أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ، وَلَا خَطَرُ لِي بِإِلَالِهِ؛ وَإِنْ كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْحُمْلَةِ يُحِبُّ قَتْلَ مَنْ غَلَبَ لِلْمُسْلِمِينَ

(١) كَذَا فِي أ، ج، هـ، وَالنَّاسِ، وَو، م، هـ: وَلَا سَائِلِي.

على أمورهم، وطالبوه بأن يعتزل، لأنه «مستول عليهم بغير حق» فامتنع من ذلك، ويكون فائدة هذا الكلام التبرؤ من مباشرة قتله، والأمر به على سبيل التفصيل أو النهي عنه. ويجوز أن يريد أنبي ما أحيت قتلته؛ إن كانوا نمدوا القتل؛ ولم يقع على سبيل المأنة وهو غير مقصود. ويريد بقوله: «ما كرهته» أي لم أكرهه على كل حال، ومن كل وجه.

فأما لعمه قتلته فقد بينا أنه ليس بظاهر ظهور ماذكرناه؛ وإن صح فهو مشروط بوقوع القتل على الوجه المخطور من تمثيله، وقصده إليه وغير ذلك؛ على أن القول للقتل على ما صحت به الرواية كناية عن تشبث التثبيتي، وسودان بن حمران الرازي؛ وما منها من كان عرضه صحيحا في القتل، ولأنه أن يقدم عليه، فهو ملعون به. فأما محمد بن أبي بكر؛ فما تولى قتله؛ وإنما روى أنه لما حثا بين يديه فأنصا على لحيته، قال له: يا ابن أخي؛ دعه لحيتي؛ فإن أباك لو كان سيئا لم يقدم متى هذا القصد؛ فقال محمد: إن أبي لو كان حيا ثم يراك تعمل ما تفعل لأسكره عليك، ثم وحاه^(١) الجماعة قذاح كات في يده فصررت في جوفه ولم تقطع، وبادره من ذكرناه في قتله عما كان فيه قتله.

فأما تأويله قول أمير المؤمنين عليه السلام: «قتله الله وأما معه»؛ على أن المراد به؛ الله أماته وسيميني؛ فبمعنى من الصواب، لأن لعنة «أما» لا تكون كناية عن القبول، وإنما تكون كناية عن الفاعل؛ ولو أراد مذكوره لكان يقول: «وإياي معه»؛ وليس له أن يقول: إننا نجعل قوله: «وأما معه» مبتدأ محذوف الخبر، ويكون تقدير الكلام: «وأما معه مقتول»؛ وذلك لأن هذا ترك للطاهر وإحالة على ما ليس فيه؛ والكلام إذا أمكن حله على معنى مستقل ظاهره به من غير تقدير وحذف كان أولى مما يتعلق بمحذوف؛ على أنهم إذا جملوه مبتدأ وقدرُوا خبراً لم يكونوا بأن يقدروا ما يوافق مذهبهم بأولى من تقدير خلافه، ويجعل بدلا من لعنة «القتول» المحذوفة لفظة «معين» أو «ظهير».

(١ - ١) ب: «لأنه مستول عليه بحق» وما أجته من أ، ج وكتاب الثاني.

(٢) وجاء: صر به.

وإذا شككنا القولان في التدبير ونمارضا سقطا، ووجب الرجوع إلى ظاهر الخبر؛ على أن عثمان مضي مقتولا، فكيف يقال: إن الله تعالى أماته، والقتل كافٍ في انتفاء الحياة؛ وليس يحتاج منه إلى نافية للحياة بسى موتا.

وقول صاحب "اللفظي": يجوز أن يكون ماله من الجراح لا يوجب انتفاء الحياة؛ ليس بشيء؛ لأن الروى أنه ضرب على رأسه بسود عظيم من حديد، وأن أحد قتلته قال: جلست على صدره فوجأته نزع طعنات، عمت أنه مات في ثلاث، ووجأته الست الأخر لما كان في نسي عليه من الخلق.

وبعد: فإذا كان جائزا، فمن أين حلف أمير المؤمنين عليه السلام حتى يقول: إن الله أماته أو إن الحياة لم تنقُ عافله القاتلون^(١)، وإنما انتفت بشيء زاد على فعلهم من قبل الله تعالى عما^(٢) لا يمله على سبيل التفصيل إلا علام الميوس سبحانه.

• • •

والجواب من هذه اللطائف على وجهين؛ إجمالا وتفصيلا:

أما الوجه الإجمالي، فهو أننا لا نسکر أن عثمان أخذت أحداثا أنكرتها كثير من المسلمين، ولكننا ندعى مع ذلك أنها لم تبلغ درجة الفسق، ولا أحببت ثوابه، وأنها من الصائرات التي وقعت مكفرة^(٣)؛ وذلك لأننا قد علمنا أنه مפור له، وأنه من أهل الجنة لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه من أهل بدر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله أطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»؛ ولا يقال: إن عثمان لم يشهد بدرًا؛ لأننا نقول: صدقتم، إنه لم يشهد بها، ولكنه تخلف على ربيعة ابنة رسول الله

(١) الشافعي: «القتلة»، و«ب»: «القاتلون»، تحريف.

(٢) كذا في أ، ج والشافعي، و«ب»: «في».

(٣) الصائرات المكفرة: التي يصح أنما.

صلى الله عليه وآله بالمدينة لمصرها، وعرب له رسول الله صلى الله عليه وآله نسبه وأجره
بأنفاق سائر الناس .

وثانيها : أنه من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ^(١) . ولا يقال : إنه لم يشهد البيعة تحت
الشجرة ، لأننا نقول : صدقتم ، إنه لم يشدها، ولكنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أرسله إلى أهل مكة ، ولأنه كانت بيعة الرضوان ، حيث أُرْخِفت ^(٢) بأن قريشا قتل
عثمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن كانوا قَتَلُوهُ لأُضْرِمَهَا عليهم ناراً » ثم
جلس تحت الشجرة ، وبايع الناس على اللوت ، ثم قال : « إن كان عثمان حياً فانا أبايع
عه » فصيح شماله على يمينه ، وقال : « شمال خير من يمين عثمان » روى ذلك جميع أرباب
أهل السيرة متفقاً عليه .

وثالثها : أنه من جملة المشركين الذين تطهرت الأخبار بأنهم من أهل الجنة .
وإذا كانت الوحوش الثلاثة دالة على أنه مغفور له ، وأن الله تعالى قد رضى عنه ؛ وهو من
أهل الجنة ، بطل أن يكون كافراً ؛ لأن الكافر يخرج عندنا من الإيمان ، ويحبط ^(٣) نوابه ،
ويحكم له بالنار ولا ينفر له ، ولا يرضى عنه ، ولا يرى الجنة ولا يدخلها ، فاحتضت هذه
الوجوه الصحيحة الثابتة أن يُحْكَمَ بأن كل ما وقع منه فهو من باب الصغار للكفرة ،
توفيقاً بين هذه الوجوه ، وبين روايات الأحداث المذكورة .

وأما الوجه التفصيلي فهو مذکور في كتب أصحابنا للطولية في الإمامة ؛ فليطلب من
مطالعائه ، فإنهم قد استقصوا في الجواب عن هذه المطاعن استقصاء لازم يد عليه .

(١) سورة الفتح ١٨

(٢) يقال : أرخضت النخلة ؛ إذا خلصت إلى الخيار السنت وذكر الخنف على أن يوقوا الناس في الاصطراب .

(٣) ب ، ج ؛ « يحبط » وما أنته عن .

[بيعة جرير بن عبد الله البجلي لعل]

فأما خبر جرير بن عبد الله البجلي، ونعت أمير المؤمنين عليه السلام إياه إلى معاوية، فمن تذكره قلنا من "كتاب صفين" لنصر بن مزاحم بن بشار النخعي؛ وتذكر حال أمير المؤمنين عليه السلام، منذ قدم الكوفة بعد وقعة الجمل، ومراسلته معاوية وغيره، ومراسلة معاوية له ولغيره، وما كان من ذلك في مبدأ حالهما إلى أن صار على عليه السلام إلى صفين.

قال نصر^(١): حدثني محمد بن عبيد الله عن الجرجاني، قال: لما قدم على عليه السلام الكوفة بعد انقضاء أمر الجمل، كاتب العمال، فكتب إلى جرير بن عبد الله البجلي مع زحر بن قيس الجنقي - وكان جرير عاملًا لعماد بن محمد -^(٢):

أما بعد، ذ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ قُيُوتُهُمْ وَلَهُمْ أَعْيُنُهُمْ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) ^(٣). وإني أخبرك عن يدي^(٤) من سرنا إليه من مجموع طلعة والزبير، عند سكنتهم يعني^(٥)، وما صنعوا ساملي عثمان ابن حنيفة. إني نهضت من المدينة بالمهاجرين والأنصار؛ حتى إذا كنت بالمدينة^(٦)، بعثت إلى أهل الكوفة الحسن بن علي، وعبد الله بن عباس، وحنان بن ياسر، وقيس ابن عباد، فاستنقروهم فأجابوا، فسيرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة، فأعذرت في

(١) وقعة صفين للسري ص ١٩ وما بعدها.

(٢) محمد بن قيس الجنقي، مدينة بلاد الجبال من فارس.

(٣) سورة الرعد ١١.

(٤) به: «أباه».

(٥) كتاب صفين: «يعنيهم».

(٦) المدينة: ماء من بين القادسية لبي تميم، به وبه القادسية أربعة أميال (مرامد الاطلاع).

الدعاء ، وأَقَلَّتْ الصَّغَرَةُ وَنَاشَدْتُهُمْ عَهْدًا^(١) يَمْنَعُهُمْ ؛ فَأَبَوْا إِلَّا الْقِتَالَ ، فَاسْتَمَعْتُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، فَحَقَّيْلٌ مَن قَتَلَ ، وَوَلَّوْا مَدْبِرِينَ إِلَى مَعْرَمَ ، وَسَأَلُونِي مَا كُنْتُ دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ قَبْلَ الْقِتَاءِ ، فَحَقَّيْلُ الْعَافِيَةِ ، وَرَفَعْتُ السِّيفَ ، وَاسْتَمَعْتُ عَلَيْهِمْ عَهْدَ اللَّهِ بِنِ الْمَهْلَسِ ، وَسَرْتُ إِلَى الْكُوفَةِ ؛ وَقَدْ نَعَتْ إِلَيْكَ زُحْرَ بْنَ قَبْسٍ ، فَاسْأَلْهُ عَمَّا بَدَأَ لَكَ وَالسَّلَامَ .

قال : فلما قرأ جرير الكتاب ، قام فقال : أيها الناس ، هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ وهو للأموء على الدين والدنيا ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما تحمدُ الله عليه ، وقد باعه الناس لأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، ولو جُعِلَ هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها . ألا وإن اللقاء في الجماعة ، والعناء في الفرقة ، وإن علياً حاملُكم على دماغي ما استقم ؛ فإن ملتم أقام ميثاقكم .

فقال الناس : سما وطاعة ، رضينا رضىنا .
فكتب جرير إلى علي عليه السلام جواب كتابه بالطاعة

• • •

قال نصر : وكان^(٢) مع علي رجل من طي ، ابن أخت لجرير ، ففعل زحور بن قيس شراً له إلى خاله جرير ؛ وهو :

جرير بن عبد الله لا تردُّ الهدى	وباع علياً إني لك ناصح
فإن علياً خيرٌ من وطى الخصاص	سوى أحمد ، والوث غادر ورائع
ودع عك قول الساكنين فإنما	أولاك - أما عمرو - كلاب نواح ^(٣)
وباع إذا باعته نصيحة	ولا بك منها في ضميرك قاذح
فإنك إن تطلب بها الدين تمطه	وإن تطلب الدنيا فإنك راح ^(٤)

(٢) صبي : ٢٠ ، ٧١ .

(١) صبي : عقد .

(٢) أبو عمرو ، كنية جرير بن عبد الله الجلي .

(٣) وقفة صبي : « سلك رايح » .

وإن قلتَ عثمان بن عفان حَقَّه على عظيمٍ والشُّكُورُ مُنَاصِحُ
 حَقُّهُ على إذ وَلَيْسَكَ كَمُحَقِّهِ وشكركَ ما أوليتَ في النَّاسِ صَاحِبُ
 وإن قلتَ لا أرضى علياً إِمَامَنَا فدعُ حنكَ بحرٍ ضلَّ فيه السَّوَاحِبُ
 أرى اللهَ إلا أَنَّهُ خَيْرُ دَفَرِهِ وأفضلَ مَنْ ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَطْلَحُ^(١)

قال نصر : ثم إن جرباً قام في أهل همدان خطيباً ، فقال : الحمد لله الذي احتار
 لنفسه الحمد ، وتولاه دون خلقه ؛ لا شريك له في الحمد ، ولا نظير له في الحمد ، ولا إله
 إلا الله وحده ، الدائم القائم ، إنه السماء والأرض ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله
 بالنور الواضح ، والحق الناطق ؛ داعياً إلى الخير ، ولانثا إلى الهدى ، ثم قال : أيها
 الناس ؛ إن علياً قد كتب إليكم كتاباً لا يخالُ بعده إلا رجيعٌ من القول ، ولكن
 لا بد من رد الكلام . إن الناس يبيعوا علياً بالمدينة من غير محابة له بيعتهم ؛ لعله
 يكتب الله وسنن الحق ؛ وإن طلحة والزبير قضا بيعته على غير محابة حدثت^(٢) ،
 وأبا علي الناس ، ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب ، وأخرجوا أم المؤمنين ، فلقبهما فأعذر
 في الدعاء ، وأحسن في البقية ، وحمل الناس على ما يرفون ، فهذا حيان ما غالب حكم ؛
 وإن سأتم الزيادة زدناكم ، ولا قوة إلا بالله ، ثم قال :

أنا كتابٌ عَصِيٌّ فَلَمْ رَدَّ الْكِتَابَ بِأَرْضِ الْعَجَمِ
 وَلَمْ نَعْرِ مَا فِيهِ لَنَا أُنَى وَلَسْنَا نَدْمُ وَلَنَا نَلَمُ
 وَنَحْنُ وَلَاؤُهُ عَلَى قَتَرِنَا نَضِيبُ الْعَزِيزَ وَنَحْمِي الذَّمَّ
 نُسَاقِيهِمُ لِلْوَتِّ عِنْدَ الْقَتَاءِ بِكَأْسِ النَّيَا وَنُثْنِي الْقَرَمَ

(١) يريد بهم فريق البطاح ؛ وهم الذين يتركون بين أخشي مكة والأخشيان جبلان بها .
 (٢) ب : على غير حدث .

فصل لاله على أحمد رسول الملك تمام التسم^(١)
 رسول الملك ومن مده حليتها التسمم للدم
 عليا عني وصي النبي محالد عنه غواة الأمم
 له الفضل والشوق والكلمات وبنت النومة لا يهتتم

قال نصر : فسر التسم بحطبة جرير وشعره .

وقال ابن الأوزار القسري في جرير يمدحه بذلك :

لَمَسْتُ أَيْكَ وَالْأَنْبَاءَ تَنَبَّيْ لَقَدْ جَسَلِي بِحَطْبَةِ جَرِيرٍ
 وَقَالَ مَسَالَةَ جَدَعَتْ رِجَالًا مِنْ الْخَيْسِ حَطْبُهُمْ كَبِيرُ
 مَذَا بَكَ قَبَسِلْ أَمْتَهُ عَلَى وَحْكُكُ إِنْ رَدَدْتَ الْحَقَّ رِيرٍ^(٢)
 أَنْكَ بِأَمْرِهِ زَخْرُ بْنُ قَلْبِشَ وَزَخْرُ هَالِي حَدَثَتْ حَسِيرُ
 فَكُنْتُ لَمَّا أَنْكَ بِهِ لَيْجًا وَكُنْتُ إِلَيْهِ مِنْ فَرَحٍ تَطِيرُ
 فَأَمْتُ بِمَا سَلَمْتُ بِهِ وَلِي وَأَمْتُ لَمَّا نَعْدَهُ نَعِيرُ
 وَأَحْرَرْتُ الثَّوَابَ وَرُبَّ حَادٍ حَدَا بِالرَّكْبِ لَيْسَ لَهُ بَيْرُ^(٣)

[بَيْعَةُ الْأَشْمَتِ لَعْلَى]

قال نصر :^(٤) وَكُتِبَ عَلَى عَلِيٍّ السَّلَامُ إِلَى الْأَشْمَتِ - وَكَانَ حَامِلَ عَنَانَ عَلَى أَدْرِيْعَانَ -

(١) لم يذكر هذا البيت في كتاب معين ، وذكره موصيه :

طَعَنَاهُمْ طَعْنَةً بِالْقَنَا وَسَرَسِيُوفٍ نُطِيرُ النَّعْمُ
 مَعَيْنًا بَيْنَنَا عَلَى دِينِنَا وَدِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الْعَلَمُ
 آمِينَ إِلَهِهِ وَزُرْهَانِهِ حَبِيقَتَا الْقَاسِمِ لِلدَّعْمُ

(٢) يقال : مع رير ؟ إذا كان قاسدا .

(٣) يمدح وكتاب معين :

لِيَهْلِكَ مَا سَبَقَتْ بِهِ رِجَالًا مِنْ الْعِيَاءِ وَالْقَعْلِ الْكَبِيرِ

(٤) وقلة صحت ٢٤ .

معه إلى البيعة والطاعة ، وكتب جرير بن عبد الله البجلي إلى الأشعث ، يحضه على طاعة أمير المؤمنين عليه السلام ، وقبول كتابه : أما نَعُدُّ : فإنني أتتني بيعة على ، فقبلتها ولم أجد إلى دفعها سبيلا ؛ لأنني نظرتُ فيها غابَ عني من أمر عبان ، فلم أجد له يلزمي ، وقد شهد المهاجرون والأنصار ؛ فكان أوفى أمرهم فيه الوقوف ؛ فاقبل بيعة ؛ فإنك لا تنقلب إلى خير منه ؛ واعلم أن بيعة على خير من مصارع أهل البصرة . والسلام .

قال نصر : قبل الأشعث البيعة ، وسميع وأطاع ، وأقبل جرير سائرا من نفر همدان حتى ورد على عليه السلام الكوفة فبايعه ، ودخل فيها دخل فيه الناس من ^(١) طاعته ولزوم أمره .

[دعوة على معاوية إلى البيعة والطاعة ، ورد معاوية عليه]

قال نصر : ^(٢) فذا أراد على عليه السلام أن يكتب إلى معاوية رسولا ، قال له جرير : اعنني يا أمير المؤمنين إليه ؛ فإنه لم يزل في مَبْغَضَاتٍ ^(٣) ووُدَّ ^(٤) ، آتية ^(٥) فادعوه ؛ على أن يسلم لك هذا الأمر ، ويحافظك على الحق ، على أن يكون أميراً من أمرائك ، وعاملاً من عمالك ، ما عمل طاعة الله ، واتبع ما في كتاب الله ، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك ؛ فقبلهم قومي وأهل بلادي ، وقد رحوت ألا يصوني .

فقال له الأشعث : لا نبهته ولا تصدقته ؛ فوافقه إلى لأطن حواء هوام ، وبنته بنتهم . فقال له على عليه السلام : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا . فبعثه على عليه السلام ، وقال له عليه السلام حين أراد أن يبعثه : إن حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الرأي والدين من قد رأيت ، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله فيك :

(١) ب : « في » .

(٢) وثقة سبعين للفريق ٣٢ وما بعدها .

(٣) كذا في الأصول ، وو صين . = مضمعا .

(٤) ودا ، يضم الواو ؛ أي ذا ود ؛ على حذف الناصب .

(٥) كتاب صين . = تأتيه .

« إِنَّكَ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ »^(١) ، أَنتَ مَعَاوِيَةُ يَكْتَانِي ، فَإِنْ دَخَلَ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ لِلْسُلُوكِ ، وَإِلَّا فَأَنْبِذْ^(٢) إِلَيْهِ وَأَعْلِفْهُ أَيْ لَا أَرْضِي بِهِ أَمِيرًا ، وَأَنْ الْمَأْمَنَةُ لَا تَرْضَى بِهِ خَلِيفَةً .

فَانْطَلَقَ جَرِيرٌ حَتَّى أَتَى الشَّامَ ، وَنَزَلَ بِمَعَاوِيَةَ ، فَمَا دَخَلَ عَلَيْهِ سَجَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَنَا بَدَأْتُ بِمَعَاوِيَةَ ، فَإِنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ لَأَنْ تَحْكُمَ أَهْلُ الْحَرَمَيْنِ ، وَأَهْلُ الْبَصَرَيْنِ ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ ، وَأَهْلُ الْيَمَنِ ، وَأَهْلُ يَمُصَرَ ، وَأَهْلُ الْمَرْوَضِ - وَالْمَرْوَضُ حُمَّانٌ - وَأَهْلُ الْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَلَةِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا هَذِهِ الْحَصُونُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا ، لَوْ سَأَلْتُ عَلَيْهَا سَيْلَ مَنْ أَوْدَيْتَهُ غَرَقْتَهَا ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ أَدْعُوكَ إِلَى مَا يَرْشُدُكَ وَيَهْدِيكَ إِلَى مَأْيَةِ هَذَا الرَّجُلِ وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَفِيهِ :

أَمَّا بَدَأُ ؛ فَإِنَّ يَمِينِي بِالْمَدِينَةِ لَمْ تَمُتْ وَأَنْتَ بِالشَّامِ ، لِأَنَّهُ بَايَعَتِ الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَحُمُرَ وَعُثْمَانَ ، عَلَى مَا تَوَبَّعُوا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ قَدْ شَهِدَ أَنْ يَحْتَارَ ، وَلَا لِلْمَأْمَنَةِ أَنْ يَرُدَّ ؛ وَإِنَّمَا الشُّرَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ فَسَوَّاهُ^(٣) إِمَامًا ، كَانَ ذَلِكَ اللَّهُ رِضًا ؛ فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَسْرَمٍ خَارِجٌ بَطْمَنٌ أَوْ رَحِمَةٌ رَدَّوهُ إِلَى مَا حَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَتَى فَأَتَوْهُ عَلَى اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى ، وَبُصِّلِيهِ جَنَّتُمْ وَسَامَتْ مَصْرًا . وَإِنْ طَلَعَتْ وَارِثِيرَ بَايَعَانِي ثُمَّ خَضَعَ بَنِيكُمْ ، فَسَكَانَ قَضُيَا كَرَّتْهَا ، فَجَاهَدْتُمَا عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ ، وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ كَارِهُونَ . فَادْخُلْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ لِلْسُلُوكِ ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيَّ فِيكَ الْعَاقِبَةُ ، إِلَّا أَنْ تَتَوَضَّعَ لِلْبَلَاءِ ، فَإِنْ تَمَرَّدْتَ لَهْ قَاتِلُكَ ، وَاسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتْلِكَ هَهُنَا ، فَادْخُلْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَى أَحَدِكَ

(١) أَيْ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْيَمَنِ .

(٢) فَأَنْبِذْ إِلَيْهِ ؛ أَيْ الْإِسْلَامَ : « لِلْمَأْمَنَةِ : أَنْ يَكُونَ بَيْنَ مَرْبُوعَيْنِ مَخْلُوقَيْنِ عَهْدٌ وَهَدَنَةٌ بَعْدَ الْقِتَالِ ؛ ثُمَّ إِرَادًا لِقَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، لِجَلْبِذِ كُلِّ فَرِيقٍ سَبِيلًا إِلَى صَاحِبِهِ الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ تَهَادُّتُ عَلَيْهِ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ لِمَالِكٍ : « لِمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ » .

(٣) ب : « وَسَوَّاهُ » .

وليام على كتاب الله ؛ فأثارتك التي تُريدها تُخدعة للصبي عن الله . وتعمى لثغرت بعقلك دون هواك ، لتجدي أبرا قريش من دم عثمان . واعلم أنك من الطلقاء^(١) الذين لا يحل لهم الخلافة ، ولا ترض فيهم الشورى . وقد أرسلت إليك [وإلى من قبلك]^(٢) جرير بن عبد الله البجلي ، وهو من أهل الإيمان والمجبرة ، فبايع ، ولا قوة إلا بالله .

فلما قرأ الكتاب ، قام جرير فخط ، فقال :

الحمد لله الحمود بالموائد ، ولأنمول منه الزوائد ، المرجى منه الثواب ، للعثمان على الثواب ؛ أحده وأستعينه في الأمور التي تحير دونها الأسباب ، [وتضحل عنها الأسباب]^(٣) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل شيء عاك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بعد فترة من الرسل الماضية ، والقرون الخالية ، [والأبذان البالية ، والجليلة الطاغية]^(٤) ، فبلغ الرسالة ، وصح للأمة ، وأدى الحق الذي استودعه الله ، وأمره بأدائه إلى أمته صلى الله عليه وسلم ، من رسول ومبعوث ومتجيب^(٥) .

أيها الناس ؛ إن أمر عثمان قد أعيا من شهده ، فكيف بمن عاب عنه ! وإن الناس نابعوا عليا غير واثق ولا موثوق ؛ وكان طلحة والزبير يمن باباءهم ثم نكثا بيمينه على غير حدث ، ألا وإن هذا الدين لا يحتمل البعث ؛ [ألا وإن العرب لا تحتمل الفتن]^(٦) ، وقد كانت بالبصرة أمس روعة ملحة إن يشفع البلاء بمنزلها فلا بقاء للناس .

(١) الطلقاء : جمع طليق ؛ وهم الأسارى الذين أطلقهم الرسول عليه السلام يوم فتح مكة ولم يرددهم .

(٢) نسخة من كتاب سجين .

(٣) التصحيح : للمطى المختار .

وقد بعث الأمة^(١) علياً ، ولو ملّسكنا والله الأمور^(٢) ، لم نختر لها غيره [ومن خالف هذا استعجب]^(٣) فادخل معاوية فيما دخل فيه الناس .

فإن قلت : استعملني عثمان ثم لم يبرز لي ؛ فإن هذا قول لو جاز لم يتمّ فله دين ، وكان لكل امرئ ما في يديه ؛ ولكن الله جعل للآخر من الولاية حقّ الأول ، وجعل الأمور موطاة ينسج مصها مضا

ثم قدم .

• • •

قال نصر : فقال معاوية : أنظر وتنظر ؛ واستطلع رأي أهل الشام . فضت أيام ، وأمر معاوية منادياً بنادي : الصلاة جامعة ! فما اجتمع الناس صعد المنبر ، ثم قال :

الحمد لله الذي جعل الدعائم للإسلام أركاناً ، والشرائع للإيمان برعاً ، يتوقّد قلبه في الأرض المقدّسة ؛ جعلها الله محلّ الأبياء والصالحين من صاده ؛ فأحلهم أرض الشام^(٤) ، ورضيهم لها ، ورضيها لهم ؛ لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه ، والقوّام بأمره ، والذّائنين عن دينه وحرّماته ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي سبيل انظارات أعلاما ، يردع الله بهم الفناكتين ، ويجمع بهم ألفة المؤمنين ، والله تستعين على ما تشبّب من أمر المسلمين بعد الانشام ، وتباعد بعد القرب . اللهم انصرنا على أقوام يوقعون نائمتنا ، ويحيقون آمنا ، ويريدون لولا الله^(٥) دماثنا ، وإحافة سُبُلنا . وقد علم الله أن لا نريد لهم عِقاباً ، ولا نهتك لهم حجاباً ، ولا نوطهم زلفاً ، غير أنّ الله الحيد كسانا

(١) صفين : « العامة » .

(٢) صفين : « أمورنا » . (٣) من صفين .

(٤) صفين : « فأحلها أهل الشام » .

(٥) صفين : « مرألة دماثنا » ، وما يمس .

(٦) صفين : « لم نرد بهم عقاباً » .

من الكرامة ثوبان نزع طوعاً ؛ ما جازب الصدقي ، وسقط الندى ، وعرف الهدى ؛
 حلهم على ذلك البني والحد ، فتستعين الله عليهم . أيها الناس ، قد علم أي خليفة أمير
 المؤمنين عمر بن الخطاب وحليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان عليكم ، وأتي لم أتم رجلا منكم على
 خراية^(١) قط ، وأتي ولي عثمان ، وقد قُتل مظلوماً ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ
 مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾^(٢) ،
 وأنا أحب أن تعلموني ذات أغسكم في قتل عثمان .

فقام أهل الشام بأجمعهم ، فاجابوا إلى الطنب بدم عثمان ، ويايموه على ذلك ، وأوتقوا له
 على أن يبدلوا بين يديه أموالهم وأغصهم ؛ حتى يدركوا بثأره أو تلتحق أرواحهم بالله .
 قال نصر : فلما أسي مساوية أتم بما هو فيه ، وجته الليل وعنده أهل بيته ، فقال :

تَمَازَلْ لَيْلٍ وَاعْتَرَتْهُ وَسْوَاسِي لَآتٍ أَتَى مَالِكُهَا السَّابِسِ^(٣)
 أَنَا جَرِيرٌ وَالْحَوَاثِ رَحْمَةٌ كَيْفَ أَتَى فِيهَا اجْتِدَاعُ الْمَاطِسِ
 أَكَايِدُهُ وَالسَّيْفُ يَبْرُؤُ بَيْنَهُ وَلَسْتُ لِأَثْوَابِ الدَّقِ بِلَاسِ
 إِنِ الشَّامُ أَعْطَتْ طَاعَةً بِمَنْيَةٍ تَوَاصَفَهَا أَشْيَاحُهَا فِي النَّعَاسِ
 فَإِنْ يَقْتُلُوا أَصْدَرُ عَلِيَا بِمَنْيَةٍ نَفْتُ عَلَيْهِ كُلُّ رَطْبٍ وَبَاسِ
 وَإِنِّي لِأَرْحُو حَيْرَ مَا نَالَ نَاتِلٌ وَمَا أَمِينُ مُلْكِ الرِّاقِ بَاسِ^(٤)

قلت : الجهة هاهنا : الحيل ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله : « ليس في الجهة
 صدقة » ، أي زكاة .



(١) حلهم على الخراية ؛ أي حلهم على أمر يستحبونه .

(٢) سورة الإسراء ٣٣ .

(٣) الباس : الأمور الباطلة . ولأبيات والمجهرى الكامل ١ : ٣٢٦ .

(٤) الكامل : « يأس » .

قال نصر : فاستعته^(١) جرير بالبيعة ، فقال : يا جرير ؛ إنها ليست ببيعة ، وإنه أمر له ما بعده ؛ فأبلغني ريقى [حتى أنظر]^(٢) ، ودعا فتيته^(٣) ؛ فأشار عليه أخوه بمرو ابن العاص ، وقال له : إنه من قد عرفت ، وقد اعتزل عثان في حياته ؛ وهو لأمرك أشد اعتبارا إلا أن يشمن له دينه^(٤) .

وقد ذكرنا فيما تقدم خبر استدعائه صرا ، وما شرط له من ولاية مصر ، واستقدمه شرحبيل بن السمط رئيس البينة وشيعتها ولقدّم عليها ، وتدنيس الرجال إليه يثرونه بعلّ عليه السلام ، ويشهدون عنده أنه قتل عثان ، حتى ملثوا صدره وقلبه حقدًا وتيرة وإحنة قتل على عليه السلام وأصحابه بما لا حاجة إلى إعادته^(٥) .



قال نصر : حدثني محمد بن عبيد الله عن الجرجاني ، قال :

^(٦) جاء شرحبيل إلى حصين بن عتبة ، فقال : ابعت إلى جرير فليأتنا ، فبعت حصين ابن عمير إلى جرير : أن زرنا فنمذنا شرحبيل ، فاجتمعا عند حصين ، فحكّم شرحبيل ،

(١) وقفة صلب ٢١٩

(٢) من كتاب وقفة صلب

(٣ - ٤) وقفة صلب : « فقال له عتبة بن أبي سفيان وكل من نظره : انحس على هذا الأمر بمرو ابن العاص ، وأمن له دينه ؛ فإنه من قد عرفت ، وقد اعتزل أمر عثان في حياته ؛ وهو لأمرك أشد اعتبارا إلا أن يرى فرسه » .

(٥) الجزء الثاني في ص ٦١ وما بعدها .

(٦) ستر هذا الخبر ورد في كتاب وقفة صلب ٥٢ : « لما قدم شرحبيل على معاوية تلقاه الناس فأعظموه ، ودخل على معاوية ؛ فتسكّر معاوية فبعد الله وأمن عليه ، ثم قال : يا شرحبيل ؛ إن جرير بن عبيد الله يدعو إلى بيعة على ، وعلى خير الناس لولا أنه قتل عثان بن عاص ، وقد حبست عسى عليك ؛ وإننا أنا رجل من أهل الشام ، أرمى ماروسا ، وأكره ما كرهوا ؛ فقال شرحبيل : أخرج فأظفر ؛ فخرج فلقب هؤلاء النفر للوطون ؛ فكلهم يصره بأن عليا قتل عثان بن عفان . فخرج مضيا إلى معاوية فقال : يا معاوية ؛ أرى الناس إلا أن عليا قتل عثان ؛ وواف لي بأبست لنخرجك من الشام أو نقتلك . قال معاوية : ما كنت لأخالف عليك ؛ وما أنا إلا رجل أهل الشام . قال : فرد هذا الرجل إلى صاحبه فإذا قال ، عرف معاوية أن شرحبيل قد غفرت بصرته و حرب أهل العراق ؛ وأن الشام كله مع شرحبيل ؛ فخرج شرحبيل فأتى حصين بن عتبة ... » ؛ وقد نقله المؤلف مختصرا في الجزء الثاني ص ٥٢-٥٣ .

فقال : يا حرير أيتها بأمر ملفف^(١) ليُلقينَا في لَهَوَاتِ الْأَسَدِ ، وأردتَ أَنْ تَخْلِطَ الشَّامَ بِالرَّاقِ ، وَأَطْرَيْتَ^(٢) عَلِيًّا ، وَهُوَ قَاتِلُ عُمَانَ ، وَاللَّهِ سَائِلُكَ عَمَّا قَدِّتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ وَقَالَ : يَا شَرَّ حَيْلٍ ، أَمَا قَوْلُكَ : إِنِّي حَسْتُ بِأَمْرِ مَلْفَفٍ ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ مَلْفَقًا وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمَاهِرُونَ وَالْأَصَارُ ، وَقُوتِلَ عَلَى رَدِّهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ؟ وَأَمَا قَوْلُكَ : إِنِّي أَقْبَيْتُكَ فِي لَهَوَاتِ الْأَسَدِ ، فَنِي لَهَوَاتِهَا أَقْبَيْتَ نَفْسَكَ .

وَأَمَا خَلَطَ أَهْلَ الشَّامِ أَهْلَ الْعِرَاقِ ، لِحُطُّهَا عَلَى حَقِّ خَيْرٍ مِنْ فُرْقَتِهَا عَلَى بَاطِلٍ .

وَأَمَا قَوْلُكَ : إِنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُمَانَ ، فَوَلَّهِ مَا فِي بَدَنِكَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْقَذْفَ بِالْعَبَسِ مِنْ مَكَانٍ سِيدٍ ؛ وَلَسْكَتَ يَلْتَمِسُ إِلَى الْغَدَايَا ؛ وَشَيْءٌ كَانَ فِي نَفْسِكَ عَلَى زَمَنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ .

فَلَمَّحَ مَا قَالَهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، صَبَّحَ إِلَى حَرِيرٍ فَرَجَرَهُ ، وَقَالَ نَصْرٌ : وَكُتِبَ إِلَى شَرَحْبِيلَ كِتَابٌ لَا يَبْرَفُ كَاتِبُهُ^(٣) فِيهِ :

شَرَّ حَيْلٍ يَا بْنَ السَّمُوطِ : لَا تَنْتَحِ الْمَوِي	فَالَيْكَ فِي الدُّنْيَا مِنْ الدِّينِ مِنْ بَدَلٍ
وَلَا تَكُ كَالْمُجْرِي إِلَى شَرٍّ غَابٍ	قَدْ خُرِقَ السَّرْبَالُ وَاسْتَنْوَقَ الْجَلَدُ
وَقُلْ لَابِنِ حَرْبٍ : مَا لَكَ الْيَوْمَ خَلَّةٌ	نَوْمٌ بِهَا مَارَمْتُ وَأَقَطَعْتُ لَهُ الْأَمَلَ ^(٤)
شَرَّ حَيْلٍ : إِنَّ الْخَطَّ قَدْ حَدَّ جِدَّهُ	فَكُنْ فِيهِ مَمُونٌ الْأَدِيمُ مِنَ النَّفْلِ
وَأُرْوِدُ وَلَا تَقْرُطُ بِشَيْءٍ مَحَامَهُ	عَلَيْكَ ، وَلَا تَسْجَلُ ، فَلَا خَيْرَ فِي الْمَجَلِ ^(٥)

(١) أَي جَلَبَ مِنْ هُنَا وَهَاهُنَا .

(٢) صُلِحَ : « الْأَطْرَات » ، وَهِيَ بِمِثْلِ : « مَدَحَتْ »

(٣) وَهِيَ صَفِيحٌ : « وَكُتِبَ جَرِيرٌ إِلَى شَرَحْبِيلٍ » .

(٤) وَهِيَ صَفِيحٌ : « مَا لَكَ الْيَوْمَ حَرَمَةٌ . . . وَأَقَطَعْتُ » .

(٥) الْإِرْوَادُ : الْإِهْمَالُ ، وَالْقَرُطُ : السَّقْطُ .

مقال ابن هند في على عصبية وَقَدْ فِي صَدْرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَجَلٌ^(١)
وَمَا مِنْ عَلَى فِي ابْنِ عَفَّانٍ سَقَطَ بِقَوْلٍ ، وَلَا مَالًا عَلَيْهِ ، وَلَا قَتْلٍ^(٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا لَزِمًا قَرَرَتْ بَيْنَهُ إِلَى أَنْ أَمَى عُمَانٌ فِي دَارِهِ الْأَجَلِ
فَمَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَ هَذَا غِبْهُ مِنَ الزُّرُورِ وَالْبُهْتَانِ نَعَضُ الْقَدَى احْتَمَلُ^(٣)
وَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ وَمَنْ بِأَسْمِهِ فِي فَصْلِهِ يَضْرِبُ لِلنَّسْلِ
قال نصر : فلما قرأ شرحبيل الكتاب ذُحِرَ وفُكِّرَ ، وقال : هذه نصيحة لي في ديني ،
ولا والله لا أعجل في هذا الأمر شيء [وفي نفسى منه حاجة]^(٤) ، وكاد "يمول" عن نصر
مما يؤتىه وقف^(٥) ، فالتقى^(٦) له معاوية الرجال يدخلون إليه ويخرجون ، ويمطمون عنده قتل
عُمان ، ويرمون به حلياً ، ويقسمون الشهادة الباطلة ، والكتب المحلقة ؛ حتى أعادوا
رأيه ، وشحنوا عنه^(٧) .



- (١) العصبية : الإمك واليهان . قول ت : يذوقه ابن هند . والوجه مأثمة من ج .
(٢) مالا عليه ، أسله : « مالا » بلميم ؛ واللأنة : لعانة . وقول نصيب : « ولا جلب عليه » .
(٣) لي نصيب :

• مِنَ الزُّرُورِ وَالْبُهْتَانِ قَوْلُ الَّذِي احْتَمَلَ •

- (٤) من كتاب وثقة نصيب .
(٥ - ٥) في وثقة نصيب : « واستتر له التورم » .
(٦) كذا في ج ، و « ا ب » ، « لفظه » نصيب ، وقول نصيب : « ملتب » .
(٧) بقية الخبر في كتاب وثقة نصيب : « وبلغ ذلك قوله ، بحث ابن أخيه من برك . وكان
يرى رأى على بن أبي طالب - بإباهه يد ، وكان من حق من أهل الشام ، وكان أسكاً ، قال :
لنصر أبي الأشقي ابن هند تغدرني شرحبيل بالسهم الذي هو قاتله
وَلَقَفَتْ قَوْمًا بِسُجُوبٍ ذَبُولُهُمْ جميعاً وأولى الناس بالنسب فاعله
فَالْتَقَى بِمِصْبَاحٍ ضَمِيمٍ مَخَافُهُ إلى كل ما يهزون نخدي روايته
فَطَامَسَا لَهَا لِمَا رَمَوْهُ شِقَافَهُ ولا يبرزني التقوى من الله خاذله =
(٦ - ٦ - ٢)

قال نصر : وحديثاً^(١) مر من سعد بن مسعود قال :^(٢) بعث معاوية إلى شُرَحْبِيل
ابن السط :

إنه قد كان من إيجابتك إلى الحق ، وما وقع فيه أجرك على الله ، وقبيلك عليك
صلحاء الناس ما علمت ؛ وإن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يتم إلا برضا العامة ، فيسرق
مدائن الشام ، ونادي فيهم بأن علياً قتل عثمان ، وأنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه .
فسار شُرَحْبِيل ، فبدأ بأهل حمص ، فقام فيهم خطيباً - وكان مأموراً في أهل الشام
ناسكاً متألماً ، قال :

أيها الناس ، إن علياً قتل عثمان ، فمضت قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
فقتلهم فهرم الجمع ، وقتل صلحاءهم وعلب أهل الأرض ، فلم يبق إلا الشام ؛ وهو واضع سيفه
على عاتقه ، ثم خاض غمرات^(٣) الموت ، حتى باتمكم أو يحدث الله أمراً ، ولا نخذ أحداً
أقوى على قتاله من معاوية ، فجدوا وانفضوا .
فأجاباه الناس كلمهم إلا نسا كان أهل حمص ؛ فإلهم قالوا له : ميوتنا قبورنا
ومساجدنا ، وأنت أعلم بما ترى .

قال : وجعل شُرَحْبِيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها ، لا يأتي على قوم إلا قبلوا

ليأكل دمي لابن عبد بديه
ألا وابن عبد قبل ذقت آكله
وقلوا على ابن عثمان خدعة
ودبت إليه بالثنان غوائله
ولا والذي أرمى ثبيراً مكاهه
تقد كفت عنه كفه ووسائله
وما كنت إلا من صاحب عذب
وكنتم تفل على عتبه مراجله

فلما بلغ شرحبيل هذا القول قال : هذا بيتان ؟ الآن امتحن الله علي ؛ والله لأسيرن صاحب
هذا الشعر أو ليغوتن ؛ فهرب الحق إلى الكوفة - وكان أصله منها - وكاد أهل الشام أن يرتابوا .

(١) صفين ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) في صفين : « محمد بن عبيد الله وعمر بن سعد بن مسعود ، قال » .

(٣) صفين : « غمار الموت » .

مأثم به ، فبعث إليه النجاشي بن الحارث^(١) - وكان له صديق :

شَرَحِيلُ مَالِدِ بْنِ فَارِقَةَ دَبْنَا^(٢) وَلَكِنْ لِبَعْضِ ثَالِثِي جَرِيرٍ
وَشَحْنَاءُ دَبَّتْ بَيْنَ سَعْدٍ وَبَيْنَهُ فَأَصْبَحَتْ كَالْحَادِي بِسِيرِ بِسِيرٍ
[وَمَا أَتَ إِذْ كَانَتْ بِحِمْلَةٍ عَانَتْ قُرْبًا فَيَا فُلَّهُ بُدَّ نَصِيرٍ]^(٣)
أَنْفَعِلْ أَمْرًا غُتَ عَنْهُ شَهْدٍ وَقَدْ حَارَفِيهِ عَقْلُ كُلِّ بَصِيرٍ
يَقُولُ رَجَالٍ لَمْ يَكُونُوا أَمَّةً وَلَا لَقَى لَقَوَّكَهَا بِحُضُورٍ
[وَمَا قَوْلُ قَوْمٍ عَائِبِينَ تَقَاذِفُوا مِنْ الْمَيْبِ مَا ذَلَامٌ بِرُورٍ]^(٤)
وَتَرَكَ أَنَّ النَّاسَ أَعْطَوْا عَهْدَهُمْ عَلِيًّا عَلَى أَنْسٍ بِهِ وَسُرُورٍ
إِذَا قِيلَ هَاتُوا وَاحِدًا يَتَدَى^(٥) نَظِيرًا لَمْ يَنْصَحُوا بِنَظِيرٍ
لَمَّا أَنَّ تَشَى الْمَدَاةَ بِحَرِيٍّ فَلَيْسَ الْقَى قَدْ جَسَّ بِصَنِيرٍ

•••

قال نصر بن حذتنا^(٦) عمر بن سعد بن نمير بن وهلة : عن الشعبي ، أن شَرَحِيلَ بْنَ الشَّعْطِ
ابن الأسود بن جَبَلَةَ [الكندي]^(٧) دخل على معاوية ، فقال له : أنت عامل أمير المؤمنين
وابن عمه ، ونحن المؤمنين ، فإن كنت رجلاً نَحْمَدُ عَلِيًّا وَتَحْلِلُهُ عَنَّا حَقَّ نَدْرِكَ ثَارَنَا
أَوْ تَذْهَبُ أَرْوَاحُنَا اسْتِمْلَكَ عَلِيًّا ؛ وَإِلَّا هَرَلْنَاكَ وَاسْتَمْلَنَّا غَيْرَكَ مِنْ نَرِيدَ ، ثُمَّ جَاهَدْنَا
مَعَهُ حَقَّ نَدْرِكَ بِدَمِ عَنَّا أَوْ نَهْلِكَ .

فقال جرير بن عبد الله - وكان حاضراً : مهلاً يا شَرَحِيلُ ؛ فإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَقَّنَ الدَّمَاءَ ،
وَلَمْ يَلْتَمِشْ ، وَجَمَعَ أَمْرَ الْأُمَّةِ ، وَدَنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَكُونٌ ؛ فَلَيْلَا أَنْ تُقْسِدَ بَيْنَ النَّاسِ ،

(١) في حواشي صفح : « وللعرف في شراهم النجاشي الحارثي ؛ واسمه ليس بن عمرو بن مالك ؛
من بن الحارث بن كعب ؛ وهو من حدة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لصريه الحر » .

(٢) وقلة صفح : « أمرنا » .

(٣) من كتاب وقلة صفح .

(٤) وقلة صفح : « قلندونه » . (٥) وقلة صفح ٥٧ ، ٥٨ .

وَأَمْسِكَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَبْلَ أَنْ يَشْجَعَ وَيُظْهِرَ عَنْكَ قَوْلٌ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَسْرَهُ أَبَدًا . ثُمَّ طَامَ فَتَكَلَّمَ بِهِ ، قَالَ النَّاسُ : صَدَقَ صَدَقَ ! الْقَوْلُ مَا قَالَ ، وَالرَّأْيُ مَا رَأَى . فَأَيِسَ جَرِيرٌ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ مَعَاوِيَةَ وَمِنْ هَوَانِ أَهْلِ الشَّامِ .

قَالَ نَعْرُ : ^(١) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ الْجُرْجَانِيِّ ، قَالَ : كَانَ مَعَاوِيَةُ قَدْ أَتَى جَرِيرًا قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا جَرِيرُ ! إِنْ قَدْ رَأَيْتَ رَأْيًا ، قَالَ : هَاهُ ، قَالَ : اكْتُبْ إِلَى صَاحِبِكَ يَحْمِلُ لِيَ الشَّامِ وَمَصْرَ جَبَايَا ، فَإِذَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ فِي عُنُقِ يَمِينِهِ ، وَأَسْلَمَ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ ؛ وَأَكْتُبُ إِلَيْهِ بِالْخُلَافَةِ . فَقَالَ جَرِيرٌ : أَكْتُبُ مَا أُرَدْتُ أَكْتُبُ مِنْكَ ^(٢) .

فَكُتِبَ مَعَاوِيَةَ بِذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ ، فَكُتِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى جَرِيرٍ :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنَّهُ يَكُونُ لِي فِي حَقِّهِ يَتِيمَةً ، وَأَنْ يَخْتَارَ مِنْ أَمْرِهِ مَا أَحَبُّ ، وَأَرَادَ أَنْ يُرِيَنِيكَ وَيَبَيِّنَ لَكَ حَقِّي بِذَلِكَ أَهْلَ الشَّامِ ؛ وَإِنَّ لِلْعَبْرَةِ بَيْنَ شُعْبَةٍ قَدْ كَانَ أَشَارَ عَلِيٌّ أَنْ أَسْتَمِلَ مَعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ ، وَأَنَا حِينَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ ، فَأَيَّتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِي بِرَأْيٍ أَنْ أَخْذَ الصُّلْحَ عَصْدَاءَ فَإِنْ هَاتَمَكَ الرَّجُلُ ؛ وَإِلَّا فَأَقْبِلِ وَالسَّلَامَ .

قَالَ نَعْرُ : وَفُشَا ^(٣) كِتَابُ مَعَاوِيَةَ إِلَى الْعَرَبِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ :
مَعَاوِيَةُ بْنُ الشَّامِ شَانُكَ فَاغْتَصِمْ بِشَامِكَ لَا تُدْخِلْ عَلَيْكَ الْأَعْيَانَ
وَحَارَ عَلَيْهِ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَاقِنِ وَلَا تَكُ مَوْهُونُ الدَّرَاعِينَ وَارِيَا ^(٤)
وَأَنْتَ عَلِيًّا نَظَرْتُ مَا تَجِبِيهِ فَأَهْدِ لَهُ حَرَبًا تُشِيبُ النَّوَاصِيَا

(١) وقصة صفيح ٥٥ .

(٢) معص : « اكتب بما أردت » وأكتب منك .

(٣) صفيح ٥٩ ، ١٠ .

(٤) صفيح : « بالنبال . . . خدوش الدواعين »

وَالْأَنْفَلُ إِنَّ فِي السَّلْمِ رَاحَةً
وَأَنْ كَتَابًا يَأْتِي حَرْبٍ كَتَبْتَهُ
سَأَلَتْ عَلَيْهَا نَفْسِي مَا لَنْ تَنَالَهُ
وَسَوْفَ تَرَى مِنْهُ الَّذِي لَيْسَ سَدًّا
أَمْثَلُ عَلَى تَعْرِفِهِ غَدُوعٌ
قَالَ : وَكَتَبَ الْوَلِيدُ مِنْ عَقِبَةٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ أَبْعَا بِوَفْقَةٍ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِالْحَرْبِ ، وَالْأَبْكَبُ

جواب جرير :

مَعَاوِيَةَ إِنَّ لَكَ قَدْ جُبَّ غَارِبَةٌ
أَنَّكَ كِتَابٌ مِنْ عَلِيٍّ بِخَطِّهِ
فَلَا تَرْجُ عِنْدَ الْوَاتِرِينَ مَوَدَّةً
وَحَارِبُهُ إِنْ حَارَبْتَ حَرْبَ ابْنِ حَرْبٍ
فَإِنَّ عَلَيْهَا خَيْرٌ سَاحِبٌ كَذِبِهِ
[وَلَا قَابِلٌ مَا لَا يَرِيدُ وَهَذِهِ
فَلَا تَدْعُنَّ لَكَ وَالْأَمْرُ مُقْبِلٌ
فَإِنْ كُنْتَ تَوَيْدُ أَنْ تُجِيبَ كِتَابَهُ
وَأَنْ كُنْتَ تَقْنُو أَنْ تَرُدَّ كِتَابَهُ
فَأَلْقِ إِلَى الْخِيَّةِ الْبَيَانِينَ كِفَّةً
تَقُولُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصَابَهُ
أَخَانِينَ مِنْهُمْ قَاتِلٌ وَخَرَضٌ
وَأَنْتَ بِنَافِي كُنْتَ الْيَوْمَ سَاحِبُهُ
مَنْ الْعَصْلُ فَاحْتَرَسِلَهُ أَوْ تَحَارِبُهُ
وَلَا تَأْتِنِ الْيَوْمَ الَّذِي أَسْتَرَاهُ
وَالْأَفْسَلُ لَا تَنْتَبِ حَقَارِيهِ ^(١)
عَلَى خَدْعَةٍ مَا سَوَّخَ لِلَّهِ شَارِبُهُ
بِقَوْمٍ بِهَا يَوْمًا عَلَيْهِ نَوَادِبُهُ ^(٢)
وَنَطْلُبُ مَا أَحْيَتْ عَلَيْكَ مَذَاهِبُهُ ^(٣)
فَقُتِّعَ تَمْلِيهِ وَقُتِّعَ كَاتِبُهُ
وَأَنْتَ بِأَمْرِ لَا حِجَّةَ رَاكِبُهُ
تَالُ بِهَا الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ
عَدُوٌّ وَمَلَامٌ عَلَيْهِ أَفَارِبُهُ
بَلَا تَرَوْهُ كَانَتْ ، وَآخِرُ سَالِبُهُ

(١) ب : « حراين حرة » ، والصواب ما أتته من ا ، ج وكتاب صعب .

(٢) من كتاب صعب .

(٣) ب : « عليه » ، والصواب ما أتته من ج وصعب .

وَكُنْتُ أَمِيرًا قَبْلُ الشَّامِ فِيكُمْ لِحَسْبِي وَلِيَاكُمْ مِنَ الْحَقِّ وَاجِبُهُ
فَإَقْبَلُوا ، وَمَنْ أَرَسَى ثِيْرًا مَكَانَهُ
فَأَقْبَلُوا كَيْفَ مَالَهَا الْيَوْمَ صَاحِبُ سَوَاكُ ، فَصَرَخَ لَسْتُ بِمَنْ تُؤَارِيهِ

قال نصر : وخرج ^(١) جرير يوما يجلس الأخبار ؛ فإذا هو بفلام يمتنى على قصوده ،
هو يقول :

حُكْمٌ وَعَمَلٌ الشَّعَا وَعَمْدٌ وَأَشْدُّوْا لِّلْكُشُوحِ بَرُّوْا اللَّهَ وَاهِبًا ^(٢)
وَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلرَّيْرِ تَجَاجُةٌ وَصَاحِبُهُ الْأَدْنَى أَنْارُوا الدَّوَاهِبَا ^(٣)
فَأَمَّا عَلَى مَا سَجَرَ بَيْعُهُ فَلَا أَمْرَ فِيهَا وَلَمْ يَكُ نَاهِبَا
قَتَلَ فِي جَمِيعِ النَّاسِ مَا شِئْتُ بِنَدَاهُ فَوَقَّعْتُ : أَخْطَا النَّاسُ لَمْ تَكُ خَاطِبَا
وَبِنَ قُلْتُ : ثُمَّ الْقَوْمُ فِيهِ يَغْتَنَّةُ لِحَسْبِكَ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ كَافِبَا
فَقُولُوا لِأَصْحَابِ الدِّهْنِ هَمِيدُ وَخُصَا الرِّجَالِ الْأَقْرَبِينَ الْأَدَانِيَا :
أَبْقَلْتُ عُمَانُ بْنُ عَفَانَ بَيْنَكُمْ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ لَيْسَ إِلَّا تَسْلِيَا
فَلَا نَوْمَ حَتَّى نَسْتَبِيحَ حَرِيمَكُمْ وَغَضِبَ مِنْ أَهْلِ الشَّدَانِ التَّوَالِيَا

فقال جرير : يا بن أحمى ، مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : غلام من قريش ، وأصل من ثَقِيف ،
أنا ابن للنبوة بن الأخنس بن شريق ، قُتِلَ أَبِي مع عُمَانُ يَوْمَ الدَّارِ . فحجب جريرُ

(١) كذا في ج ، وصفي ولى ا ، ب : « تجهوا » ؛ والنوارب : أعالي اللوج .

(٢) وقعة سنين ٦٠ .

(٣) حكيم بن جبلة بن حسن السدي ، كان مشد بيتا إلى السد ؛ ثم نزل البصرة ، وقتل بها يوم
الجل . وعمار بن بسر ، ومحمد بن أبي بكر صديق ؛ والأخضر : مالك بن الحارث . وللكشوح الرادي ،
واسمه حبرة بن ملال ، ونسبه في جبلة .

(٤) سنين : « أهلب التواسيا » .

من شعره وقوله ، وكتب بذلك إلى علي عليه السلام ، فقال علي : والله ما أخطأ الغلام شيئاً .

• • •

قال نصر :^(١) وفي حديث صالح بن صدقة ، قال : أبطأ جريرٌ عند معاوية حتى أنهى الناس ، وقال علي عليه السلام : قد وقت جرير وقتاً لا يُقيم بعده إلا مخدوطاً أو عاصياً ، وأبطأ علي حتى أيس منه .

قال : وفي حديث محمد وصالح بن صدقة ، قال : فكتب علي عليه السلام إلى جرير بعد ذلك :

إذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الصل ؛ ثم خيره وخذه بالجواب بين حربٍ محزبة^(٢) أو سلمٍ مُحطية ، فإن اختار الحرب فابذلهم ، وإن اختار السلم فخذ بيته . والسلام .

قال : فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية ، فقرأه الكتاب ، وقال له : يا معاوية ، إنه لا يطبع على قلب إلا بدنب ، ولا يُسرح صدر إلا بتوبة ، ولا أظن قلبك إلا مطبوعاً عليه ، أراك قد وقفت بين الحق والباطل ، كأملك تنتظر شيئاً في يد غيرك .

فقال معاوية : أفتاك بالفصل^(٣) في أول مجلس إن شاء الله .
فلما بايع معاوية أهل الشام بعد أن ذاقهم ، قال : يا جرير الحق مصاحبك ، وكتب إليه بالحرب ، وكتب في أسفل الكتاب شمر كتب بن جُمَيْل :
أرى الشام تكثر أهل العراق وأهل العراق لهم كارهون

(١) وقفة سبعين . ٦١ .

(٢) صين : • مجلة • .

(٣) صين : • بالفصل • .

وقد ذكرنا هذا الشرع فيما تقدم .

• • •

وقال أبو المباس محمد بن يزيد اللخدي في كتاب "الكامل" ^(١) : إن علياً عليه السلام لما أراد أن يبعث جريراً إلى معاوية ، قال : والله يا أمير المؤمنين ما أذخرك من نصرتي شيئاً ، وما أطمع لك في معاوية . فقال علي عليه السلام : إنما قصدى حجة أقيمها [عليه] . ^(٢) فلما أتى جرير معاوية دافعه بالبيعة ، فقال له جرير : إن المنافق لا يصلح حتى لا يجده من الصلاة نذا . فقال معاوية : إنها ليست بمحذمة الصبي عن الدين ، فأبلى ريق ^(٣) ، إنه أمر له ما يبدد .

قال : وكتب مع جرير إلى علي عليه السلام جواباً عن كتابه إليه : من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب : أما بعد فلتسري لو بأهلك القوم الذين بآبوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبي بكر وحمز وعثمان ، ولست أفرقت بين المهاجرين ، وسدلت عنه الأنصار ، فأطاعتك الجاهل ، وقوى بك الضيف ، وقد أتى أهل الشام لآقتالك ؛ حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين ، ولمعري ^(٤) ليس حبيبك علي كحبيبك علي طلحة ^(٥) والزيير ، لأنهما بآباك ولم أبائك ، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ، لأن أهل البصرة أحاصوك ولم يهلكك أهل الشام . فأما شركك في الإسلام ، وفراجتك من النبي صلى الله عليه وموضك من قريش ، فلست أدفعه .

(١) الكامل ٣ : ٢٠٩ وما بعدها - يشرح للرمي ؛ مع تصرف في الشرح .

(٢) من كتاب الكامل .

(٣) أي أطرفني بمقتض ما أبلغ ريق .

(٤ - ٥) الكامل ٤ : ما حجتك على كحبيبك على طلحة

ثم كتب في آخر الكتاب شعر كعب بن جميل القتي أوله :
أرى للشام تكرر أهل العراق وأهل العراق ثم كاريهما

• • •

قال أبو العباس اللبرّد^(١) رحمه الله تعالى : ^(٢) فكتب إليه علي عليه السلام جواباً عن كتابه هذا :

من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صفير بن حرب^(٣) :
أما بعد ؛ فإنه أناني منك كتابٌ امرئ ليس له بصرف يهديه ، ولا قائد يرشده ،
دعاه الهوى فأجابه ؛ وقاده الضلال فاتبه ، زمت أنك إنما أفند طبعك يبعث خطيئتي
في عيان ، ولست ترى ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين ، أوردت كما أوردوا ، وأصدرت
كما أصدروا ؛ وما كان الله ليجمعهم على الضلال ، ولا ليضربهم بالمعنى . وبعد ، فأنت
وعنان ! إنما أنت رجل من بني أمية ، وهو عيان أولي بمطالبة دمه ، فمن زمت أنك
أهوى على ذلك ، فادخل فيها دخل فيه للسلون ، ثم حاكم القوم إلى . وأما تحريك بينك
وبين طلحة والزبير ، وبين أهل الشام وأهل البصرة ، فلمعري ما الأمرُ فيها هناك
إلا سواء ؛ لأنها يمة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ، ولا يستأنف فيها الذنر . وأما شرفي
في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه ، وموضعي من قرشي ، فلمعري لو استطعت
دفعه لمضته .

قال : ثم دعا النجاشي^(٤) ، أحد بني الحارث بن كعب ، فقال له : إن ابن حنبل شاعر
أهل الشام هوأت شاعر أهل العراق ، فأجب الرجل . فقال : يا أمير المؤمنين ، أصمعي قوله ،
قال : إذن أصمك شعر شاعر ، ثم أصمعه ، فقال النجاشي يبيح :

(١) في الكامل ٣ : ٢٢٤ - يشرح الرسي ؛ وذكره القرطبي في كتاب معين ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) في الكامل : فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جواب هذه الرسالة :
بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صفير .

دَعَا بِأُمَاوَيْ مَالِئٍ يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا نَحْذَرُونَا
أَنَا كَمْ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَ^(١)
عَلَى كُلِّ جَرْدَاءٍ خَيْفَانَةٌ وَأَشْمَتَ سَهْدٍ يَسُرُّ الْيَمِينَا^(٢)
عَلَيْهَا قَوَارِسُ مَحْشِيَةٍ كَأَسَدِ الْأَمْرِينِ حَمِينَ الْعَرِينَا
يَرَوْنَ الطَّمَانَ خِلَالَ الْقَبَاجِ وَصَرَبَ الْقَوَارِسِ فِي النَّفْعِ دِينَا^(٣)
هُمْ هَزَمُوا الْجَمْعَ جَمْعَ الرُّيُورِ وَطَلَعَةَ وَالْمَشْرِ النَّاسِ كَثِينَا
وَأَلَوْا بِمَيْسَا عَلَى حَنْفَةٍ لِنَهْدِي إِلَى الشَّامِ حَرْبًا زُونَا^(٤)
تُشِيبُ التَّوَاهِدَ قَلَّ لِشَيْبِ وَتُنْقِي الْحَوَامِلُ مِنْهَا الْحَيْنَا^(٥)
فَلَيْ تَكْرَهُوا الْمَلِكَ مُلْكَ الْيَرَّاقِ فَقَدْ رَضِيَ الْقَوْمُ مَا كَرَهُونَا
ضَلَّ لِلْعَمَلِ مِنْ وَائِلٍ وَمَنْ جَعَلَ أَلَمَتْ يَوْمًا سَحِينَا
جَسَلَتْ عَيْنَا وَأَشْيَاعُهُ نَظِيرَ ابْنِ هِنْدٍ ، أَمَا تَسْقُطُونَا
إِلَى أَفْضَلِ النَّاسِ سُدَّ الرَّسُولِ وَصِنُو الرَّسُولِ مِنَ الْعَالِينَا
وَصَهْرُ الرَّسُولِ وَمَنْ مِثْلُهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ يُشِيبُ الْقُرُونَا

قلت : أبيت كعب بن جُمَيْل خبر من هذه الأبيات ، وأخبت مقصداً وأدهى وأحسن .

وزاد نصر بن مزاحم في هذه الرسالة بعد قوله : « ولا ليضربهم بالعصى » :
« وما ألبت^(٦) » فخرني خطيئة الأمر ، ولا قتلت فيحب عليّ القصاص . ولما فوقك إن

(١) لم يذكر للدرد في السجل سوى الحبب الأولين ، وقال : « وبعد هذا ما تمكك عنه » .
(٢) الجرءاء : الفرس القصيرة الشعر . والحفافة : الحفيفة الزائدة . والهد من الحبل : الجسيم للفرس
(٣) النفع : الزراب .
(٤) صفتين : « وظلوا » . والإبلاد : الحبب .
(٥) صفتين : « تشيب التواهد » .
(٦) ما ألبت ، أي ما حرصت . وفي صفتين : « وما أمرت » .

أهل الشام هم الحكماء على أهل الحجاز ، فهت رجلاً من أهل الشام يقبل في الشورى ، أو تحمل له الخلافة ، فإن زعمت ذلك كذبك المهاجرون والأبصار ؛ وإلا أتيتك به من قریش الحجاز . وأما ولوعك بي في أمر عثمان ، فما قلت ذلك عن حق العيان ، ولا يقين الخبر^(١) .

وهذه الزيادة التي ذكرها نصر بن مزاحم تقتضي أنه كان في كتاب معاوية إليه عليه السلام أن أهل الشام هم الحكماء على أهل الحجاز ؛ وما وحدها هذا الكلام في كتابه .

• • •

[أخبار متفرقة]

وروى نصر بن مزاحم ، قال : لما قُتِلَ عثمان صرَّت الرِّكبان إلى الشام ضله ، فبقينا معاوية يوماً إذا أقبل رجل متعب ، فكشف عن وجهه ، وقال لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، تعرفني ؟ قال : نعم ؛ أنت الحجاج بن حريمة بن النُّصَّة ، فأين تريد ؟ قال إليك القُرْبان ، نبي ابن عفان ، ثم قال :

إِنْ بِي عَمَّكَ عَبْدُ الْعَلِيبِ مُمْ قَتَلُوا شَيْحَكُمْ عَزِيزٌ كَذِبٌ
وَأَنْتَ أَوَّلُ النَّاسِ بِالْوُثْبِ فِتْنٌ وَأَعْصَبُ مَعَاوِيَ لِلَّهِ وَاحْفِيبُ
وَيَمِيزُ بِنَا سَيِّرَ الْجَرِيرِ الْمُتَشَبُّ وَاهْجِسْ بِأَهْلِ الشَّامِ تَرْشُدُ وَتُصِيبُ
• ثُمَّ أَهْزَرَ الصَّعْدَةَ لَهَا سِ الشَّيْبُ^(٢) •

قال : يعني علياً عليه السلام .

قلت : للتَّشَبُّبِ السَّخِيمِ لِلطَّرْدِ ، يقال : هَذَا قِيَّاسٌ مُتَشَبُّبٌ ، أى مستعز مطرد .

ويقال : مكان شأس ، أى غليظ صلب . والشئب : الهائج الشر ، ومن رواه : « شاسى »
بالياء فأصله « الشاسى » بالصاد ؛ وهو للترقع ، يقال : شعأ السحاب إذا ارتفع ، فأبدل
الصاد سيناً ، وصراده هنا نسبة على عليه السلام إلى التيه والترقع عن الناس .

قال نصر : فقال له معاوية : أفليك تمهز ؟ فقال : نعم ، فقال أخبر الناس ، فقال
الحجاج : يا أمير المؤمنين - ولم يخاطب معاوية بـ « أمير المؤمنين » قبلها - إني كنت فحين
خرج مع يزيد بن أسد القسري ، فغنيا لحيان ، فقدمت أنا وزفر بن الحارث ، فلقينا
رجلاً زعم أنه يمن قتل عثمان ، فقتلناه ؛ وإني أخبرك يا أمير المؤمنين أنك لتقتوى على
على بدون ما يقتوى به عليك ؛ لأن ملكك قوما لا يقولون إذا قلت ، ولا يسألون إذا أمرت ؛
وإن مع على قوما يقولون إذا قال ، ويسألون إذا أمر ؛ فقليل ممن معك خير من كثير ممن
معه . واعلم أنه لا يرضى على إلا بالرضا ، وأن رضاه سخطك ، ولست هو على سواء ؛ على
لا يرضى بالبراق دون الشام ، وأنت ترضى بالشام دون العراق .

قال نصر : فضاق معاوية صغراً بما أتاه ، وتذم على خذلان عثمان ^(١) وكان :

أَنَا فِيهِ أَمْرٌ فِيهِ لِنَفْسِي غَمَةٌ	وَفِيهِ مَكَاءٌ لِلْعُمُيُونِ طَوِيلٌ
وَفِيهِ فَنَاءٌ شَامِلٌ وَخَزَابَةٌ	وَفِيهِ اجْعَادُحٌ لِلْأَنْوَفِ أَصِيلٌ
مَصَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَةٌ ^(٢)	تَسْكَادُ لَهَا صَمٌّ الْجِبَالِ تَزُولُ
فَقَدْ عَيَّنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ هَالِكٍ	أَصِيبٌ بِلاَ ذَنْبٍ وَذَلِكَ جَلِيلٌ
تَدَاعَتْ عَلَيْهِ بِالدِّيْنَةِ عُصْبَةٌ	فَرَبْقَانِ مِنْهُمْ قَاتِلٌ وَخُدُولُ
دَعَاهُمْ فَصَتُوا عَنْهُ عِنْدَ دُعَائِهِ	وَذَلِكَ عَلَى مَا فِي النَّفْسِ دَلِيلُ
تَدِيمَتْ عَلَى مَا كَانَ مِنْ تَوْبِهِ الْهَوَى	وَقَصْرِي فِيهِ حَسْرَةٌ وَهَوِيلٌ ^(٣)

(١) وقصة سجن ٨٨ ، وفيه : « وقال معاوية حين أتاه قتل عثمان » .

(٢) ج : « وهذه » .

(٣) قصري فيه ؟ أى حبي .

تَأْتِي أَبَاهُ بِكُلِّ مُتَغَفٍّ وَيُضِرُّ لَهَا فِي الدُّرْعَيْنِ صَلِيلٌ^(١)
 تَرَكْتُكَ هَمُومِ الدِّينِ هُمٌ شَجَاكَ فَاذَا مَدَّ ذَاكَ أَقُولُ
 ظَلْتُ مَقْباً مَاحِيَةً بِسَلْدَةٍ أَجَرَ بِهَا ذَبِيرٌ وَأَنْتَ قَتِيلٌ
 فَلَا نَوْمَ حَتَّى تُشَجَّرَ الْخَيْلُ بِالْفَنَاءِ وَيُشَقَّ مِنَ الْقَوْمِ الْمَوَاتُ غَلِيلٌ^(٢)
 وَتَطْعَمُهُمْ طَعْنُ الرِّحَا بِثَنَائِلِهَا وَذَلِكَ بِمَا أَسَدَوْا إِلَيْكَ قَلِيلٌ^(٣)
 فَأَنَا الَّذِي فِيهَا مَوْدَةٌ يَنْسَا فُلِبْسَ إِلَيْهَا مَاحِيَةً سَبِيلٌ
 سَأَقِصُّهَا حَرْباً عَوَانَا مُلِحَةً وَإِنِّي رَأَيْتُ حَايِنًا لَكَفِيلٌ

قال نصر: وانضمَّ المحتاج على أهل الشام بما كان من نسيبه على معاوية

باسم المؤمنين .



قال نصر: ^(١) وحدثنا صالح بن صدقة ، عن ابن إسحاق ، عن خالد الخزازي وغيره عن
 لا يُيْتَمُّ مَنْ عَمَّانَ لَمْ يُقْتَلْ وَأَنْتَ مَعَاوِيَةُ بَكْتَابٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَرْزَلَةٍ عَنِ الشَّامِ ، صَعِيدُ الدُّبُرِ وَادِي
 فِي النَّاسِ أَنْ يَحْضُرُوا ، وَانْظُرُوا ، نَقِطَتِهِمْ . نَحِيدُ اللَّهِ وَأَنْتَ عَلَيْهِ ، وَصَلَى عَلَى رَسُولِهِ ، ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَهْلَ الشَّامِ ، قَدْ طَعَمْتُ أَنَّ خَلِيفَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرٍاءَ الْخَطَابِ وَخَلِيفَةَ عَمَّانَ ، وَقَدْ قُتِلَ
 وَأَنَا ابْنُ عَمْرٍاءَ ، وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِثَّةِ سُلْطَانًا ﴾^(٢)
 وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ تُمْلِكُونِي مَا نِي غُرُوسِكُمْ مِنْ قَتْلِ خَلِيفَتِكُمْ .

(١) وقلة معيب : « سأسى » ، وسأسى . أى سأطلب ناره ؛ وأبو عمرو كية معيب .

(٢) تشجر الخيل : تلبس .

(٣) القتال : جلد بسيط توضع موته الرجا ليلط عليه الدقيق . وفي اللسان : « ولى حديث على :
 وتعلمهم القتلى دلى الرجا بشمالها ، هو من ذلك : ولبس أنها تعلمهم دلى الرجا لقلب ؛ إذا كانت مثلك ،
 ولا تفل إلا عند الطعن » .

(٤) وقلة صلين ٩١ .

(٥) سورة الإسراء ٢٣

فقام مرة من كعب^(١)؛ وفي المسجد يومئذ أرمائة رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أو نحوها، فقال: والله لقد فت مقدس هذا، وإني لأعلم أن فيكم من هو أقدم صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله يتي؛ ولكنني شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصف النهار في يوم شديد الحر، وهو يقول: «لَنَكُونَنَّ ههنا حاصرة»، كثر رجل مُقَنَّع، فقال رسول الله: وهذا [المقنع]^(٢) يومئذ على الهدى، ففت فأحدث بمنكبه، وحسرت عن رأسه؛ فإذا عثان، فأقبلت بوجهه على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالت: هذا يا رسول الله؟ قال: نعم؛ فأصق أهل الشام مع معاوية حينئذ، وبابوء على الطلاب بدم عثان أميراً لا يطعم في الخلافة ثم الأمر شورى.



وروى إبراهيم بن الحسن بن زياد في «كتاب صفين» عن أبي بكر بن عبد الله الحفلي أن الوليد بن عقبة كتب إلى معاوية يستدعيه إلى الطلب بدم عثان، ومحرضوه ينهائهم عن قطع الوقت بالسكابة:

ألا أبلغ معاوية بن حزمي فإني من أخدقته سليم^(٣)
قطعت الدهر كالسديم المضي شهراً في دمشق ولا تريم^(٤)

(١) وثقة صفين: «كعب بن مرة السلمي».

(٢) من صفين.

(٣) من أبيات في اللسان ١٥: ٣٦، ٣٧. وميم، من قولهم: ألأم الرجل؛ إذا أتى ما يلام عليه.

(٤) السدم: الغل غير المكرم يكره أهله أن يصروا في ملهم؛ فبيد ولا يسرح في الإبل رغبة عنه؛ فهو يسول ويهدر، أي يصيح. والشي أسله: «الدم» من السمة، فأبدلت إحدى التوئين ياء؛ كالقوا: تظن، وأسله: «تظن»، وفي المتن: «كالهدى في السمة». واسطر جمع الأمثال للبعاني.

فإليك والكتاب إلى علي كداسة وقد حلّم الأديم^(١)

لك الويلات أقصمها عبيهم غير الطائي القرّة المشوم^(٢)

قال : فكتب معاوية إليه الجواب يتكاس شعر أومن بن ححر :

وَمُسْتَعِجٍ مِمَّا يَرَى مِنْ أَمَانِنَا وَلَوْ رَنَفَتْ الحَرْبُ لَمْ يَتَرَمَّرِمِ^(٣)

وروي ابن ديزيل قال : لما عزم علي عليه السلام على السير إلى الشام ، دعا رجلا ، فأمره أن يشجع ويسير إلى دمشق ، فإذا دخل أمانخ راحلته باب المسجد ، ولا يلقى من ثياب سره شيئا ؛ فإن الناس إذا رأوه عليه آثار الرربة سألوه ، فليقل لهم : تركتُ عليا قد هد^(٤) إليكم بأهل العراق . فانظر ما يكون من أمرهم .

حصل الرجل ذلك ، فاجتمع الناس وسألوه فقال لهم ، فكثروا عليه يسألونه فأرسل

(١) الحلم ، بالتحريك : أن يجد المله في العمل وضع له دود مبتلي ؟ يقول منه حلم ، بالكسر ، والمهلة : دودة تم في المله فتأكله ؛ فإذا دمع وهي موصلة الأكل ، فهو رفيقا ؟ يقول منه : حلم الأديم ؟ ومعنى البيت : أنت تسمى في إصلاح أمر قد تم فإفاده كيهده المرء الذي تدبج الأديم الحلم الذي وقعت فيه المهلة فثقلته وأقعدته فلا يتطلع به ، كذا فسره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

(٢) في اللسان بعد هذا البيت :

قَوْمُكَ بِالْمَدِينَةِ قَدْ تَرَدُّوا مِمَّ صَرَعَى كَأَهْمُ الْمَشِيمِ
فَوَكَلْتَ الْمَصَابَ وَكَانَ حَيًّا تَجَرَّةَ لَا أَلْفَ وَلَا سَنُومُ
يَهْتِكُ الْإِمَارَةَ كُلَّ رَكَبٍ مِنَ الْأَفَاقِ سِيرِمُ الرِّسِمِ

وراد الطائي بعد البيت الثاني من زيادات اللسان :

وَلَا رَسْكَلٌ عَنِ الْأَوْتَارِ حَقِّي بِيءَ مَهَا وَلَا يَرْمُ جَنُومُ

وذكر الفسي في الفاخر ٣٠ بحس هذه الأبيات وسبها ابن مروان بن الحكم .

(٣) ديوانه ٢٧ ، ومنايس الفقه ٢ : ٣٨٠ ، ٤ : ٢٤٤ ، ولم يترجم ؟ أي حاركه فله بالكلام ؟ كذا فسره ابن فارس واستشهد بالبيت . وأخر اللسان ١٨ : ١٤٧ .

(٤) يقال : نهده لدوده ؛ إذا أمره لقتاله .

إليه معاوية بالأحور السلي يسأله ، فأتاه فسأله ، فقال له ، فأنى معاوية فأخبره ، فنادى : الصلاة جامعة ، ثم قام فخطب الناس ، وقال لهم إن علياً قد نهّد إليكم في أهل العراق ، فما ترون ؟ فغضب الناس بأذنانهم على صدورهم ؛ لا يتكلمون ، فقام ذو الكلاع الجعفي فقال : عليك أم رأيٌ وعلينا أم فقال ؛ وهى لمة خير^(١) .

فنزّل ، ونادى في الناس بالخروج إلى مسكرهم ، وعاد إلى عليّ عليه السلام ، فأخبره فنادى : الصلاة جامعة ، ثم قام فخطب الناس ، فأخبرهم أنه قدّم عليه رسول كان بث إلى الشام ، وأخبره أن معاوية قد نهّد إلى العراق في أهل الشام ، فما رأى ؟

قال : فاضطرب أهل المسعد ؛ هذا يقول : رأى كذا ، وهذا يقول : رأى كذا ، وكثّر اللنط والحبّ ، فلم يفهم عليّ عليه السلام من كلامهم شيئاً ، ولم يذّر المصيب من الخلق ، فنزل عن المنبر ، وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ ذهب بها ابن أكلة الأكباد^(٢) - بمعنى معاوية .

وروى ابن دُرَيْزٍ عن عُبَيْدِ بْنِ مَكْرَمٍ ، عن يونس بن بكير ، عن الأعمش ، قال : كان أبو مرثد صديقاً لعليّ عليه السلام ، فسمع بما كان فيه عليّ عليه السلام من اختلاف أصحابه عليه ، فغاده ، فلم يبرح علياً عليه السلام إلا وهو قائم على رأسه بالعراق ، فقال له : أبا مرثد ، ما جاء بك نموى ؟ قال : ما جاء بى غيرك ؛ هبدي بك لو ولّيت أمر الأمة كفتيتهم ، ثم مممت بما أنت فيه من الاختلاف ؛ فقال : يا أبا مرثد ؛ إني مُبَيّتُ بِشَرِّ رَأْسِ خَلْقِ اللَّهِ ، أريدكم على الأمر الذي هو الرأي ، فلا يتبعوني .

(١) وهى لمة لثقت من طي . أيضاً ؛ وعليها ورد الحديث : « ليس من أمة أعصاب فى أسفر » .
 من الوجه لأن هشام ١ : ٤٨ .
 (٢) أكلة الأكباد ؛ هى عبد بنت حنبل بن ربيعة ، زوج أبى سفيان وأم معاوية .

وروى ابن ديزيل عن عبد الله بن عمر ، عن زيد بن الحباب ، عن علاء بن جرير الصنعبي ، عن الحكم بن عير الثمالي - وكانت أمه بنت أبي سفیان بن حرب - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم : كيف بك يا أبا بكر إذا وليت ؟ قال : لا يكون ذلك أبدا ، قال : فكيف بك يا عمر إذا وليت ؟ (١) قال : آكل حنظل ، وقد قويت إذ ذاك شرا ، قال : فكيف بك يا عثمان إذا وليت ؟ قال : آكل وأطعم وأقسم ولا أنظم ، قال : فكيف بك يا علي إذا وليت ؟ قال : آكل الفتوة وأحى الخيرة ، وأقسم الخيرة ، وأحق الصور - قال : أي المورث - فقال صلى الله عليه وسلم : وأما إسمك فكلم سبيل ، وسهرى الله أعمالكم ، ثم قال : يا معاوية ، كيف بك إذا وليت ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « أنت رأس العلم ، ومفتاح العلم ، حصا وحقا ، تتخذ الحسن قبيحا ، والسيئة حسنة ، يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير : أحبك بكيم ، وطلك عظيم » .



وروى ابن ديزيل أيضا عن عمر بن عون ، عن هشيم ، عن أبي فلج ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال عبد الله بن مسعود : كيف أنتم إذا لقيتكم فتنه يهرم فيها الكبير ، ويربو فيها الصغير ، تجري بين الناس ، ويتخذونها سنة ، فإذا غيبت قيل : هذا منكروا



وروى ابن ديزيل ، قال : حدثنا الحسن بن الربيع التبعلي ، عن أبي إسحاق الفزاري عن محمد الطويل ، عن أسد بن مالك ، في قوله تعالى : ﴿ قَوْمًا نَذَهَبِينَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ . أو نَرِيَنَّكَ أَلَدِي وَعَدَّ نَاعُمَ فَإِنَّا عَنْهُمْ مُنْتَدِرُونَ (٢) . قال : أكرم الله تعالى نبيه عليه السلام أن يريه في أمته ما يكره رفعه إليه ، وبقيت القصة .

(١-٢) في أ، ج : « فقال حمراء » ، وفي نسخة ج : « يجعل أن يكون يكون الجيم » ، بمسح .

(٢) سورة الزخرف ١١ ، ١٢ .

قال ابن ديزيل : وحدثنا عبد الله بن عمر ، قال : حدثنا عمرو^(١) بن محمد ، قال : أخبرنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي النّبال ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « سألتُ ربّي لأمتي ثلاثَ خلال ، فأعطاني اثنتين ، ومنّني واحدة : سأله ألا تكفرُ أمتي صفقةً واحدةً فأعطانيها ، وسأله ألا يمدّهم بما عذب به الأُمم قبلهم فأعطانيها ، وسأله ألا يحملَ بأسمهم بينهم فتعنيها » .

• • •

قال ابن ديزيل : وحدثنا يحيى بن عبد الله الكرابيسي ، قال : حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن عمار بن زريق ، عن عمار اللهقي ، عن سالم بن أبي الجندب ، قال : جاء رجلٌ إلى عبد الله بن مسعود ، فقال : إن الله تعالى قد آمننا أن يظلمنا ، ولم يؤمننا أن يعطينا ، أرايت إذا أزلت فتنة كيف أصح ؟ فقال : عليك كتاب الله تعالى ، قال : أفرأيت إن جاء قومٌ كلهم يدعوك إلى كتاب الله تعالى ؟ فقال ابن مسعود : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا اجتمع الناس كان ابن سبيّة مع الحق » ، يعني عمارا .

• • •

وروى ابن ديزيل ، قال : حدثنا يحيى بن زكريا^(٢) ، قال : حدثنا علي بن القاسم ، عن سعيد بن طارق ، عن عثمان بن القاسم ، عن زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على ما لن يساءلنكم عليه لم تهلكوا ؟ إن قرئتم الله ، وإن لماسكم عليّ بن أبي طالب ، فناصروه وصدقوه ، فإن جبريل أخبرني بذلك » .
فإن قلت : هذا نصّ صريح في الإمامة ، فما الذي تصنع المعتزلة بذلك ؟
قلت : يجوز أن يريد أنه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشرعية ، لا في الخلافة .
وأيضا فإنما قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديين ما يحمله : إن الإمامة كانت لعل

عليه السلام إن رغب فيها ونازع عليها ، وإن أفرها في غيره ، وسكت عنها تولينا ذلك النير ،
وقلنا بصحة حلقته ، وأمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الأئمة الثلاثة ، ولا جرد السيف ،
ولا استنجد بالناس عليهم ؛ فدل ذلك على إقراره لم على ما كانوا فيه ؛ فذلك توليهم ،
وقلنا فيهم بالطهارة والخير والصلاح ، ولو حاربهم وجرد السيف عليهم ، واستصرخ العرب
على حربهم قلنا فيهم ما قلناه فيمن عامه هذه العامة ، من النفسى والتضليل .



قل ابن ديزيل : وحدثننا عمرو بن الربيع ، قال : حدثنا السرى بن شيبان ، عن
عبد الكريم ، أن عمر بن الخطاب قال لما طعن : يا أصحاب محمد تناصروا ؛ فإسكن إن لم تظفوا
عنكم عليها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان .

قلت : إن محمد بن النعمان المعروف بالنفيد أحد الإمامية قل في بعض كتبه : إنما أراد
عمر بهذا القول إغراء معاوية وعمرو بن العاص بطلب الخلافة وإطاعتها فيها ، لأن
معاوية كان عامه وأميره على الشام ، وعمرو بن العاص عامه وأميره على مصر ، وخاف
أن يضعف عيان عنها ، وأن يصير إلى على عليه السلام ، فأتى هذه الكلمة إلى الناس
لتنقل إليهما - وما بمصر والشام - فيطلبها على هذين الإقليمين إن أفضت إلى على
عليه السلام .

وهذا عندي من باب الاستباطات التي بوجهها الشان والحق ، وعمر كان أنتى فله
من أن يخطو له هذا ، ولكنه من فراسته الصادقة التي كان يعلم بها كثيرا من الأمور
للتقبلة ؛ كما قال عبد الله بن عباس في وصفه : والله ما كان أوس بن حجرة عنى أحدا
سواه بقوله :

الأمى الذى يظن بك الظن " كان قد رأى وقد تيمما^(١)



وروى ابن جرير ، عن عَفَّان بن مسلم ، عن وهب بن خالد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث ، عن مرة بن كعب ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة فخرتها ، فمر رجل قد تقطع بثوبه ، فقال عليه السلام : « هذا وأصحابه يومئذ على الحق » ، فسمت إليه فأخذت بمنكبه ، فقلت : هو هذا ؟ فقال : سم ، فإذا هو عثمان ابن عفان .

قلت : هذا الحديث قد رواه كثير من محقق أصحاب الحديث ، ورواه محمد بن إسماعيل البخاري في " تاريخه الكبير " بمدة روياته . وليس لقائل أن يقول : فهذا الحديث إذا صححه كان حجة لسفيانية ؛ لأنما قول : الخبر يتصن أن عثمان وأصحابه على الحق ، وهذا مذهبنا ، لأننا مذهب إلى أن عثمان قتل مطعوماً ، وأنه وناصرية يوم النار على الحق ؛ وأن القوم الذين قتلوه لم يكونوا على الحق ؛ فأما معاوية وأهل الشام الذين حاربوا علياً عليه السلام بصيغتين فليسوا بداحلين في الخير ؛ ولأن في ألقاظ الخبر لفظ محوم يتصلق به ، ألا ترى أنه ليس فيه كل من أظهر الانتصار لعثمان في حياته وبعد وفاته فهو على الحق ، وإنما خلاصته أنه ستقوم فتنة ، يكون عثمان فيها وأصحابه على الحق ، ونحن لا نأبى ذلك ، بل هو مذهبنا .

وروى نصر بن مزاحم في كتاب " صفين " قال : (١) لما قدم عبيد الله بن عمر ابن الخطاب على معاوية بالشام ، أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص : إن الله قد أحياك عمر بن الخطاب بالشام بقدم عبيد الله بن عمر ، وقد رأيت أن أقومه خطيباً يشهد على علي بقتل عثمان ، وينال منه ، فقال : الرأي ما رأيت ، فبصت إليه ، فأتته ، فقال له معاوية : يا بن أخي ، إن لك

اسم أهلك فانظر بمل عينيك ، وانطق بمل فمك ، فأنت المؤمن الصدق ، فاصد للنبي
واستم علياً ، واشهد عليه أنه قتل عثمان .

قال : أيها الأمير ، أما شعثه ؟ فبن أله أبو طالب ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ،
فأصى أن أقول في حسبه أنا وأما بأش فهو الشجاع للطريق ، وأما أياه فما قد عرفت ؛
ولكني ملزمه دم عثمان ، فقال عمرو بن العاص : قد وأيك إذن نسكات القرحة .

فما خرج عبيد الله بن عمر ، قال معاوية : أما والله لولا قتل المزمزان ، ومحافته علياً
على نفسه ما أنانا أبداً ؛ ألا ترى إلى تربيته علياً ؟ فقال عمرو : يا معاوية ، إن لم تغلب
فاغلب ، قال : وخرج حديثهما إلى عبيد الله ، فقام خطيباً تكلم بحاحته ، فلما انتهى
إلى أمر علي أسك ولم يقل شيئاً ، فلما نزل بعث إليه معاوية : يا بني أخى ؛ إنك بين
حي وحياته ، فبعث إليه : إني كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان ، وعرفت
أن الناس يحملوها على فتركتها .

قال : فجزه معاوية واستحلف به وقته ، فقال عبيد الله :

معاوي لم أحرص من عطية خاطب ولم أكن عياً في لؤي بن غالب^(١)
ولكنني زلوت فضا أيبه على قذف شيخ بالعراقي غائب
وقذف علياً بين هذان جهرة كذاب ، وما لي سبياً للكاذب^(٢)
ولكنه قد قرب القوم بعده ودبوا حوائله ديب المقارب
فما قال : أحسنتم ولا قد أسأتم وأطرق إطراق الشجاع الوائب

(١) لم أحرص : لم أكل ولم أمر . وى معين : لم أحرص ، أى لم أكذب .

(٢) رواية كتاب معين :

فَأَمَّا ابْنُ عَفَّانٍ فَأُثْبِتَهُ أَنَّهُ أَصِيبَ رِيثًا لِأَبَا ثَوْبٍ تَائِبٍ^(١)
وَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلزَّيْرِ عَجَاجَةٌ وَطَلْعَةٌ فِيهَا جَاهِدٌ غَيْرُ لَاصِبٍ
وَقَدْ أَظْهَرَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَوْبَةَ فَيَالَيْتَ شِعْرِي مَا هُمَا فِي الْمَوَاقِبِ !
قَالَ : فَلَا طَعْمَ مَعَاوِيَةَ شَعْرَهُ بِمَثَلِهِ فَأَرْضَاهُ ، وَقَالَ : حَسْبِيَ هَذَا مِنْكَ .

وَرَوَى نَصْرٌ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى ، قَالَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ سَعِيدٍ الْمَرْوُوفَ
بِسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ ، يَقُولُ : مَا أَشْكُ أَنَّ طَلْعَةَ وَالزَّيْرَ بَابَا عَلِيًّا ، وَمَا نَقَا عَلَيْهِ جَوْرًا
فِي حُكْمٍ وَلَا اسْتِثْنَاءٍ بَعْدَ ؛ وَمَا قَاتَلَ عَلِيًّا أَحَدًا إِلَّا وَعَلَى أَوَّلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ .

وَرَوَى نَصْرٌ بِنَ مَرْحُومٍ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدِمَ مِنَ الْبَصْرَةِ فِي عَشْرَةِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ
سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، نَجَرَ الْكُفَّ بِبَيْتِهِ وَبَيْنَ
مَعَاوِيَةَ وَحُرَيْرِ بْنِ الْمَاصِ ، حَقَّ سَارٍ إِلَى الشَّامِ .

قَالَ نَصْرٌ :^(٢) وَقَدْ رَوَى مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْكَنْدُودِ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَدِمَ الْكُوفَةَ بَعْدَ وَقْعَةِ
الْجَلِّ ، لَاتَتْ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ .

قَالَ نَصْرٌ : فَدَخَلَ الْكُوفَةَ وَمَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهِمْ ، فَاسْتَقْبَلَهُ
أَهْلُ الْكُوفَةِ ، وَفِيهِمْ قُرَاطُومٌ وَأَشْرَافُهُمْ ، فَدَعَوْا لَهُ بِالْبَرَكَةِ ، وَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَيْنَ تَنْزِلُ ؟ أَنْزِلْ الْقَصْرَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي أَنْزِلُ الرَّحْبَةَ ، فَزَعَمُوا وَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ
لِلسَّجْدَةِ الْأَعْظَمِ ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ صَدَّ النَّاسُ فَعَمِدَ اللَّهُ ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى
رَسُولِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

(١) يَبْدُو فِي كِتَابِ سَنِينَ :

حَرَامٌ عَلَى أَهْلِهِ نَتَفُ شَعْرَهُ فَكَيْفَ وَقَدْ جَازَوْهُ عَرَبِيَّةً لَا زَيْبَ

(٢) وَقَعَةُ مِنْبِ . ٨ - ٥ .

أما بعد يا أهل الكوفة ؛ فإن لكم و الإسلام فضلاً ما لم تبدلوا وتغيروا ،
دعوتكم إلى الحق فأجبتم ، وبلغتم بالمكر فبترتم ، ألا إن فضلكم فيما بينكم وبين الله ،
غامق في الأحكام والقسم فأنتم أسوة غيركم من أجايبكم ، ودخل فيما دخلتم فيه . ألا إن
أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل ؛ أما اتشاع الهوى فيصد عن
الحق ، وأما طول الأمل فينسئ الآخرة ؛ ألا إن الدنيا قد ترخلت مدبرة ، وإن الآخرة
قد ترخلت مقبلة ؛ ولكل واحدة منهما عون ؛ فكونوا من أبناء الآخرة . اليوم هل
ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل ؛ الحمد لله الذي نصر وليه ، وحذل عدوه ، وأعز
الصديق الحق ، وأذل الناصب البطل .

عليكم بضعوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم ، الذين هم أولى
بطاعتكم فيما أوصوا الله فيه من المستحقين للدعوى القائلين ^(١) إلينا ؛ يفضلون بفضلنا ،
ويحاضوننا أمرنا ، ويلتزموننا حقنا ؛ ويباعدوننا عنه ، فقد ذاقوا وبأل ما اجتروا
فسوف ياتمون غيًّا . ألا إنه قد قعد عن نصرتي رجال منكم ؛ وأنا عليهم عاتب زار ؛
فاهجروهم وأسموهم ما يكرهون ، حتى يُسَيِّئُوا ^(٢) ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة .

فقام إليه مالك بن حبيب البربري - وكان صاحب شرطته - فقال : والله إنى
لأرى المنجر وسماع للكروه لم قليلا ، والله لو أمرتنا لنقتلهم . فقال على عليه السلام :
سبعان الله يا مال ؛ جرت للذى ، وعدوت الحد ، وأمرقت ^(٣) في التزع . فقال : يا أمير
الؤمنين ، لبعض النشم أبلغ في أمر يتوكل من مهادة الأعدى ؛ فقال على عليه السلام :
ليس هكنا قضى الله ، يا مال ، قال سبعانه : (النفس بالنفس) ^(٤) فما بال ذكر النشم ؟

(١) كذا في ج وصح ، وفي أ ب : « الثالث إلينا » .

(٢) الإعتاب : إسماء العبي ، وهي الرضا (٣) ج : « وأمرقت » .

(٤) سورة المائدة ٤٥ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَرِيْهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ (١) ، والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك ، فقد نهى الله عنه ، وذلك هو التثبم .

فقام إليه أبو بريدة بن عوف الأزدي - وكان ممن تخلف عنه - فقال : يا أمير المؤمنين ، أرايت القتلى حول عائشة وطلحة والزبير ، علام قُتلوا ؟ - أوقال : سم قتلوا ؟ - فقال علي عليه السلام : قُتلوا بما قتلوا شيعتي ومُحالي ، وقتلوا أخاريمة المبدئي في مصابة من المسلمين ، قالوا : إنا لا نَسْكُكُ كما نَسْكُكُمْ ، ولا نَفْذِرُ كما غدرتم ؛ فوثبوا عليهم فقتلهم ، فسألهم أن يدفعوا إلى قسلة إخواني أقتلهم بهم ، ثم كتب الله حكم بيني وبينهم ، فأبوا علي ، وقاتلوني - وفي أعناقهم يميني ، ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي - ضفطهم ، أفي شك أنت من ذلك ؟ قال : قد كنت في شك ، فأما الآن فقد عرفت ، واستبان لي خطأ القوم ، وإني لكم المتهدي المصيب .

قال نصر : وكان أشياخ الحمي يذكرون أنه كان عُمَانيًا ، وقد شهيد على ذلك صفيين مع علي عليه السلام ، ولكنه بعد ما رجع كان يكتائب معاوية ، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة (٢) ، وكان عليه كرمًا .

قال : ثم إن عليًا عليه السلام تهيأ لينزل ، وقام رجال ليكلموا ، فلما رأوه نزل جلسوا وسكنوا .

قال : ونزل على عليه السلام بالكوفة على جندة بن هبيرة الخزومي .

قلت : جندة ابن أخته أم هاني بنت أبي طالب ، كانت تحت هُبيرة بن أبي وهب الخزومي ، فأولدها جندة ، وكان شريفًا .



(١) سورة الإسراء ٢٢ .

(٢) في مراسم الخلاص : الفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى : قربتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين الحر . قلت : والفقير من هذه من علي غاملي ، انقرا ، عند ما تم نهر الله من الجانب الغربي .

قال نصر: ولما^(١) قدم على عليه السلام إلى الكوفة نزل على باب السجد، فدخل فصلّى، ثم تحول جلس إليه الناس، فسأل عن رجل من الصحابة كان نزل الكوفة، فقال قائل: استأثر الله به، فقال على عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لا يستأثر بأحد من خلقه؛ إنما أراد الله جلّ ذكره بالموت إعراز نفسه؛ وإذلال خلقه، وعزّاه: (كُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَخْيَا كُتُمٌ نَّمَّ مَبِيتُكُمْ نَّمَّ مَبِيتُكُمْ)^(٢)؛ قال نصر: فلما لحقه عليه السلام ثقله قالوا: أنزل القصر؟ فقال: قصر الخليل، لا تنزلوا فيه^(٣).

• • •

قال نصر: ودخل^(٤) سليمان بن صرد أنظراني على على عليه السلام؛ مرجّعه^(٥) من البصرة، فسأله وعذّله، وقال له: اربيت وتربيت ودراوت؛ وقد كنت من أوثق الناس في خسو، وأسرعهم فيما ألحق إلى نصرتي؛ فما قدّ بك من أهل بيت نبيك؟ وما زهدك في نصرتهم؟

فقال: يا أمير المؤمنين، لا تردن الأمور على أعقابها، ولا تؤثبن عما مضى منها، وإسنيني مودتي مخلصك نصيحتي؛ فقد بقيت أمور تعرف فيها عدوك من وليك.

فكثرت عنه، وجلس سليمان قليلاً، ثم هض، فخرج إلى الحسن بن على عليه السلام؛ وهو قائم في باب السجد، فقال: ألا أعجبك من أمير المؤمنين، وما لقيت منه من التوبيخ والتبكيت؟ فقال الحسن: إنما يمايب من ترجى مودته ونصيحته، فقال: لقد وثبتت أمور مستشرع فيها الفساد، وتنتفى فيها السيوف، ويحتاج فيها إلى أشباهي، فلا

(١) كتاب صليبي ٨.

(٢) سورة الفرة ٢٨.

(٣) صليبي: «لا تنزلوا فيه».

(٤) وثقة صليبي ٩.

(٥) وثقة صليبي: «بعد رجته».

سَتَفِشُوا عَنِّي^(١)، وَلَا تَهْمُوا نَصْحِي .

قَالَ الْحَسَنُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، مَا لَتْ عِنْدَمَا يَفْلُتِينَ^(٢) .

قَالَ نَصْر : وَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ قَبَسٍ الْأَزْدِيُّ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَإِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُتَرَتِّعِينَ ! قَالَ : حَاشَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ أَوْلَئِكَ .
فَقَالَ : لَعَلَّ اللَّهَ فَعَلَ ذَلِكَ .

• • •

قَالَ نَصْر : وَحَدَّثَنَا^(٣) عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَتَفٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مُقَدِّمَهُ^(٤) مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَهُوَ حَامٍ بِلِسْتِ الْحُلُمِ ؛ فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ رِجَالٌ يُوَسِّمُهُمْ ، وَيَقُولُ لَهُمْ : مَا بَطَأَ بِكُمْ عَنِّي ، وَأَنْتُمْ أَشْرَافُ قَوْمِكُمْ ! وَاللَّهِ إِنْ كَانَ مِنْ ضَعْفِ النَّيِّفِ وَتَفْصِيرِ الصَّيْرِ^(٥) ؛ إِنْكُمْ لَبُورٌ^(٦) ، وَإِنْ كَانَ مِنْ شَكِّ فِي فَضْلِي وَمُظَاهَرَةٍ عَلَيَّ ؛ إِنْكُمْ لَعُدْوَةٌ .

فَقَالُوا : حَاشَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! نَحْنُ سِلْمُكَ وَحَرْبُ عَدُوِّكَ . ثُمَّ اعْتَذَرَ الْقَوْمُ فَفَهِمَ مِنْ ذَكَرٍ عَنَّا ، وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَلَّ بِمَرَضٍ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ غِيَةَ ؛ فَهَنَظَرْتُ إِلَيْهِمْ فَهَرَقْتَهُمْ ؛ فَإِذَا عَبْدٌ^(٧) لِلَّهِ الْمَعْمُومِ الْمَبْسُورِ ؛ وَحِظْلَةٌ مِنَ الرَّبِيعِ النَّيِّسِ ؛ وَكَلَاهَا كَانَتْ لَهُ صَحْبَةٌ ؛ وَإِذَا أَبُو بَرْدَةَ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ ؛ وَإِذَا غَرِيبٌ مِنْ شُرَحْبِيلِ الْمُهَنْدِي .

قَالَ : وَنَظَرَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَبِي ، فَقَالَ : وَلَكِنْ يَخْشَفُ بْنُ مُسْلَمٍ وَقَوْمُهُ لَمْ يَخْشَفُوا ، وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَهُمْ كَتَلُ الْقَوْمِ الْقَدِيرِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ وَإِنْ يَشْكُرْ لَنْ كَيْبُطَلْنَ فَإِنْ ﴾

(١) لَا تَفِشُوا عَنِّي ؛ أَيِ لَا تَلْطُوا مَتَابِي لَكُمْ مَعَا .

(٢) الْفُلْتَيْنِ : اللَّحْمُ ؛ وَأَوَّلُهُ : « مَظْنُونٌ » .

(٣) وَهَذِهِ صَفْحَتَانِ ١٠

(٤) وَهَذِهِ صَفْحَتَانِ : « حِينَ قَدِمَ » .

(٥) لَبُورٌ ؛ أَيِ هَالِكُونَ ، جَمْعٌ بِقَطْعِ اللَّفْرِ .

(٦) فِي الْأَمُولِ : « عَبْدُ اللَّهِ » سِوَاهُ مِنْ صَفِين .

أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَتْ قَدْ أَسَمَ اللَّهُ عَلَىٰ ذِي لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ كَيْدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ
فَضْلٌ مِنْ أَثَرِ كَيْفُولٍ كَانَ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ بَاكِتِي مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ^(١) .

قال نصر : ثم ^(٢) إن علياً عليه السلام مكث بالكوفة ، قال الشوق في ذلك ، [شن بن
عبد القيس] ^(٣) :

قُلْ لِهَذَا الْإِمَامِ قَدْ خَسِرَ الْخُرُوبُ وَتَمَتَّ بِذَلِكَ النَّسَاءُ ،
وَقَرَعْنَا مِنْ حَرْبٍ مَنْ خَسِرَ الْقَهْدَ وَالْثَامَ حَيَّةً صَيَّا
تَفَتُّ السَّمَّ مَا لَمْ يَنْتَهَ تَهْتَهُ - فَارْمَهَا قَبْلَ أَنْ تَفْضَ - شَفَاه ^(٤)
إِنَّهُ وَالَّذِي بِحَسْبٍ هَذَا النَّاسُ مِنْ دُونِ بَيْتِهِ الْيَدَا
لَضَعِيفُ التَّخَالُفِ إِنْ رُمِيَ الْبُلْبُلُ مِمَّنْ خَلَّ كَلِمَا أَشْلَاه ^(٥)
تَنْبَارِي مَكَلَّ أَمِيدَ كَالْقَهْرِ عَلَى بَكْمِهِ صَدَّةُ تَنْمَرَاه ^(٦)
إِنْ تَذَرُهُ هَذَا مَمْلُوءُ الدَّمَةِ رَ بَمَطْلِكَ مَا أَرَاكَ تَكَاه
وَلَنْفِيلُ السَّاءِ أَقْرَبُ مِنْ ذَاكَ وَبِحُجْمِ الْمَيُوتِيِّ وَالْمَوَاه ^(٧)
فَأَعْدُدْ بِالْحَدِّ وَالْحَدِيدِ إِلَيْهِمْ لَيْسَ وَالْفَرِّ عِوَدَ ذَلِكَ دَوَاه

(١) سورة النساء ٧٢ ، ٧٣ . (٢) كتاب صعب ١١ ، ١٢

(٣) تشكك من كتاب وثقة صعب ؟ وهو الأعمور لشي ، واسمه بشر بن مقد ، أحد بني شن بن
أقوى بن عبد القيس . وأما المتن والخطب للآدمي ٣٨

(٤) في الساء : « قيل لحيمة التي لا تجيب الرأى صاء ؛ لأن الرأى لا تنطق » .

(٥) أشلاه : الإنسان : أمثاله ، وسند في كتابه صعب :

جَا نَحَلَتْ تَحْتَ السَّجَاجِ رِيحَالًا مُجْتَمِعَاتٍ تَحَالُمَا الْأَشْلَاه

(٦) الصمد : القادة الشوية التي لا تحتاج إلى التتلي .

(٧) الميوت : نجم آخر مضي ، في طرف الحرة الأيمن ، ينظر النرا لا ينطقها ، والمواه : منزل القدر .

قال نصر : وأتمّ على عايه السلام صلاته يوم دخل الكوفة ، فلما كانت الجمعة خطب الناس ، فقال :

الحمد لله الذي أحده ^(١) وأستعينه وأستهديه ، وأعوذ بالله من الضلالة ؛ مَنْ يَهْدِ الله فلا ضلّ له ، وَمَنْ يَضِلّ فلا هادي له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، استجب له لأمره ، واخضعه بنبوته . أكرم خلفه عليه ، وأحبهم إليه ، فبلغ رسالة ربه ، ونصح لأمة ، وأدى الذي عليه .

أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خير ما تواسى به عباده الله ، وأقرب إلى رضوان الله ، وخير في عواقب الأمور عند الله ، ويتقوى الله أيرئكم ، وللإحسان والطاعة خلقتم ؛ فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه ، فإنه حذر بأشدّ حذر ، واخشوا خشية ليست بعذير ^(٢) واحذروا في غير رياء ولا شئمة ؛ فإنه من عمل لنير الله وكفه الله إلى ما حصل له ، ومن عمل لله غلصا تولى الله أجره . اشتقوا من حذاب الله ؛ فإنه لم يخلقكم حيثما ، ولم يترك شيئا من أمركم سدى ؛ قد متى آثاركم ، وعلم أعمالكم ، وكتب آجالكم ؛ فلا تفترّوا بالله ؛ فإنها غرارة لأهلها ، منور من اختر بها ، وإلى فناء ما هي ، وإن الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون . أسأل الله منازل الشهداء ، ومراقبة الأنبياء ، ومعيشة السدء ، فإنما نحن به وله ^(٣) .

قال نصر : ثم ^(٤) استعمل على عليه السلام القتال وفرّتهم في البلاد ؛ وكتب إلى معاوية مع جرير بن عبد الله الجعفي ما تقدم ذكره .

(١) منين : « إن الحمد لله أحمد » .

(٢) التذير هنا : الإجمال والتقصير .

(٣) منين ١٣ .

(٤) كتاب منين ١٤ ؛ وفيه : « ثم إن عليا أهدم بالكوفة واستصل المبال » .

قال نصر: (١) وقال معاوية لصبر بن العاص ، أيام كان جريراً عنده ينتظر جوابه : إنني قد رأيت أن نُلقِيَ إلى أهل مكة وأهل المدينة كتاباً ، تذكر فيه أشرّ عَمَان ؛ فلما أن تذكر به حاجتنا ، أو نكتب القوم عنا ، فقال له عمرو : إنما تكتب إلى ثلاثة نفر : رجلٍ راضٍ بملّ فلا يزيدك كتابك إلا بصيرة فيه ، أو رجلٍ يهوى عَمَان ؛ فلن يزيدك كتابك على ما هو عليه ، أو رجلٍ معتزلٍ ، فست في نفسه بأوتق من علي .
قال : هلّ ذاك ، فكتبنا :

أما بعد ؛ فإنه مهما غابَ عَمَانُ من الأمور فلم يصب عَمَانُ أن علياً قتل عَمَان ؛ والدليل على ذلك مكانُ قتلته منه ؛ وإنما نطلب قتلته ؛ حتى يُدفعوا إلينا ، فنقتلهم بكتاب الله عزّ وجلّ ، فإن دفعهم على إلينا كفّنا عنه ؛ وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عليه صبر بن الخطّاب . فأما الخلافة قلنا نطلبها ، فأهينونا على أمرنا هذا ، وانهموا من ناحيتكم ؛ فإنّ أهدينا وأهدبكم إذا اجتمعت على أمر واحد هاب على ما هو فيه ، والسلام .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر :

أما بعد ، فلمصرى قد أخطأنا موضع النشرة وتناولناها من مكان بعيد ؛ وما زاد الله من شك في هذا الأمر بكتابك إلا شكاً ، وما أتانا وللشورة ، وما أتانا والخلافة أمانت بالمعاوية فطليق ، وأما أنت يا عمرو فظنين (٢) ، ألا فكفّا أنفكما ، فليس لكم فيها ولي ولا نصير . والسلام .

قال نصر : وكتب (٣) رجل من الأنصار إليهما مع كتاب عبد الله بن عمر :

(١) كتاب صعين ٧٠ ، ٧١ .

(٢) كتاب صعين : « فظنون » ، والثلث والثلاثون يعني لثمتهم .

(٣) صعين ٧١ .

مُأْوًى إِنْ الْحَقُّ أَهْلُجْ وَاضِحٌ وليس بما رُبَعْتَ أَنْتَ وَلَا تَمُرُّوْ
نَصَبْتَ إِنْ عَفَانِ لَنَا الْيَوْمَ خُدَعَةٌ كَأَنْصِبَ الشَّيْخَانِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ^(١)
- بِمَنْى طَلْعَةِ وَالزَّيْبِ رَحِمَهَا اللَّهُ -

هَذَا كَهَذَاكَ اللَّلا حَذَوْتَسْلِهِ سواءَ كَرَّرْتَايَ بَمُرٍّ بِهِ السُّرُّ^(٢)
رَمَيْتُمْ عَلَيَّا بِالَّذِي لَا بَصِيرَةَ وَإِنْ عَطَمْتَ فِيهِ السَّكِيدَةَ وَالْمَسْكُرَ^(٣)
وَمَا ذُنُسُهُ إِنْ نَالَ عَثَامَ مَعَشَرَ أَنْوَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ تَجْمَعُهُمْ مِصْرُ
فَنَارَ إِلَيْهِ الْمَلُوءَ بِنِيعَةٍ عِلَالِيَّةٌ مَا كَانَ فِيهَا لَمْ فَسْرُ
وَمَا بِهِ الشَّيْخَانِ نَمَ تَحْمَلًا إِلَى الثُّغْرَةِ الْمُطْمَنِّ وَيَأْطُبُهَا الْقُدْرُ
فَكَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ عَمَّا انْقِصَامِهِ بَطُولُ ؛ يَنَافُهُ مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ^(٤)
وَمَا أَنَا وَالْمُصَرَّ مِنَّا وَأَنَا تَهَيَّجَ حُرُوبَ مَا يَبُوحُ لَهَا بَجْرُ^(٥)
وَمَا أَنَا فَهُ دُرٌّ أَيْكَبُ وَدِ كَرَّهَا الشُّوْرَى وَقَدْ وَصَحَ الْعَقْرُ^(٦)

• • •

قال نصر^(٧) : وقام عدى بن حاتم الطائي إلى علي عليه السلام، فقال : يا أمير المؤمنين،
إن عندى رجلاً لا يوازى^(٨) به رجل ، وهو يريد أن ينور ابن عمه حاس بن سدد
الطائي بالشام ، فلو أمرناه أن يلتقى معاوية لهُد أن يكسره ويكسر أهل الشام ، فقال علي

(١) كتاب صعب : « إذ رُحِفَ الْأَمْرُ » .

(٢) الزفراني : ما يراهى للشارح من زمال الصغراء كأنها لاله .

(٣) كتاب صعب : « لَا بَصِيرَةَ » .

(٤) انقصاصه : قصه وحكاياته ، وقى صعب : « رَحِمَ مَا فَهُ مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ » .

(٥) يَبُوحُ الْجُرْ : يَعْصِي .

(٦) صعب : « وَلَقَدْ فَطَحَ الدَّهْرُ » .

(٧) صعب ٧٦ - ٧٤ .

(٨) لا يمازى به .

عليه السلام : نعم ، فأمره عدى بذلك^(١) . وكان اسم الرجل خُفاف بن عبد الله .

قدم على ابن عمه حاس بن سعد بالشام . وحاس سيد طيها . فحدث خفاف حاسا أنه شهد عَمَّان بالمدينة ، وسار مع علي إلى الكوفة ، وكان خفاف لسان وهبة وشعر ، فمدا حاس خفاف إلى معاوية ، فقال : إن هذا ابنُ عمي ، قدم الكوفة مع علي ، وشهد عَمَّان بالمدينة ، وهو ثقة . فقال له معاوية : هات ، حدثنا عن عَمَّان ، فقال : نعم حصره للكشوح [وحُكِّم فيه حُكِّم ، ووليته عمر ، ونحردى أمره ثلاثة نفر : عدى بن حاتم]^(٢) والأشتر السحمي ، وعمر بن الحقيق ، وحدثني أمره رَحْلان وطلحة والزبير ، وأبى الساس منه علي . قال : ثم مَه ، قال : ثم نهات الناس على بالبيعة نهات القراش ، حتى ضاعت النمل^(٣) وسقط الرداء ، ووطئ الشيخ . ولم يذكر عَمَّان ولم يذكر له ، ثم نهات المير ، وخف مع المهاجرون والأنصار ، وكره القتل معه ثلاثة نفر : سعد ابن مالك ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، فلم يستكبره أحدا ، واستغنى عن خفصمه تمن قتل . ثم سار حتى أتى جبل طي ، فأنته من جماعة كان ضاربا بهم الساس ؛ حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه مسير طليعة والزبير وفاتشة إلى البصرة ، فسرَّح رجالا إلى الكوفة يدعوسهم ؛ فأجابوا دعوته ، فسار إلى البصرة ، فإذا هي في كفه ، ثم قدم الكوفة فجبل إليه الصبي ، ودنت إليه المحوز ، وخرجت إليه المَرُوس فرحاً به وشوقاً إليه ؛ وتركته وليس له حمة إلا الشام .

فدعير معاوية من قوله ، وقال حاس : أيها الأمير ، لقد أمني شعرا غير به حاله .
عَمَّان ، وعظم به عليا عندي .

(١) صف : « فرم بذلك » .

(٢) مابين الصلابة لشكة من كتاب صين .

(٣) جبل : « حتى صلت النمل » .

قال معاوية : أسمعني يا خفاف ، فأشده شعرا أوله :

قُلْتُ وَالْقِيلُ سَاقِطُ الْأَكْثَافِ وَلَجَنَتِي مِنَ الْفِرَاشِ تَجَافٍ

- يذكر فيه حال عيان وقته ، وفيه إشارة عدلنا عن ذكره ^(١) ... ومن جملته :

قَدْ مَتَى مَا مَتَى وَتَرَى بِهِ الْهَقْسُ كَأَمَرٍ ذَاهِبُ الْأَسْلَافِ ^(٢)

إِنِّي وَالَّذِي يَجُجُّ لَهُ النَّاسُ سٌ عَلَى تَحْوِ الْبُطُونِ مَجَافٍ ^(٣)

تَقْبَارِي مِثْلَ الْقَيْسِ مِنَ التَّوَسِّعِ بِشُعْتٍ مِثْلِ السَّهَامِ نَخَافِ ^(٤)

أَرْهَبَ الْيَوْمَ إِنْ أَنَا كَمْ عَلَى صَبْحَةٍ مِثْلَ صَبْحَةِ الْأَحْقَافِ

إِنَّهُ الْإِثْ غَدَاكُ وَشَجَّاعٌ مُطْرَقٌ نَافِثٌ بِسَرِّهِ زُفَافٍ ^(٥)

وَأَضَعُ السِّيفَ فَوْقَ قَافِهِ الْآءِ سَنَ يَفْرِي بِهِ شَتُونَ الْقِيَعِافِ ^(٦)

سَوْمٌ أَظْمِلَ ثُمَّ قَالَ قَوْمٌ بِأَسْوِهِ إِلَى الطُّغْمَانِ خِطَافٍ ^(٧)

اسْتَمَدُّوا لِحَرْبٍ طَافِيَةِ الشَّامِ مَ فَلَبَّوْهُ كَالْيَدَيْنِ الْإِطَافِ

ثُمَّ قَالُوا أَنْتَ الْجَنَاحُ لَكَ الرِّيشُ شُ الْقُدَامَى وَنَحْنُ مِنْهُ الْخَوَافِ ^(٨)

فَانظُرْ الْيَوْمَ قَبْلَ بَادِرَةِ الْقَوْمِ مَ بِلَهُمْ نَهْمٌ أَمْ بِخِلَافٍ ^(٩)

قال : فانكسر معاوية ، وقال : يا حابس ، إني لأظن هذا حيناً لئلا ، أخرجه عنك

ثلاثاً يُفِيدُ حِلْيَتَا أَهْلِ الشَّامِ .

(١) كلمة غير واسعة في جميع الأصول .

(٢) القصيدة كاملة في كتاب صفين ٧٢ - ٧٥ .

(٣) المعنى : جمع لاحق ؟ وهو النصارى من الحيل .

(٤) صفين : « مثل الرصاص » .

(٥) الشجاع هنا : الحية .

(٦) القيعاف : نظام الجناح . والشتون : مجتمع قبائل الراس . وفي صفين : « يبرى » .

(٧) سوم الحيل : أعطيها بملامة .

(٨) القداسى : الربعات التي تكون في مقدمة الجناح ، الواحدة خاصة . والخواف : ربعات إذا ضم الصائر جناحيه خلبت . وفي اللؤلؤ : « ليس القواديم كالحوال » .

(٩) صفين : « غادية القوم » .

قال نصر : وحدثنا عطية بن غنم^(١) ، عن زياد بن رستم ، قال :^(٢) كتب معاوية إلى عبد الله بن عمر خاصة ، وإلى سعد بن أبي وقاص ، وإلى محمد بن مسلمة ، دون كتابه إلى أهل المدينة ، فكان كتابه إلى عبد الله بن عمر :

أما بعد ، فإنه لم يكن أحد من قريش أحب إلى أن يجمع عليه الناس^(٣) بعد قتل عثمان منك ، ثم ذكرتُ خذلك إياه ، ووطنك على أنصاره ، فخيرتُ لك ؛ وقد هَوَّنَ ذلك على حلائك على ، ومعاذك بعض ما كان منك ، فأعنا بحك الله على حتى هذا الخليفة للظلم ؛ فإن لم أريد الإمارة عليك ، ولكني أريد هالك ؛ فإن أيت كانت شوري بين المسلمين^(٤) .

فأجاب به عبد الله بن عمر :

أما بعد ، فإن الرأي الذي أطعك فيه هو الذي صيرك إلى ما صيرك إليه . أترك عينا في المهاجرين والأنصار ، وطلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ، وأنتهم ؛ وأما زعمك أني طعنتُ على ، فلم ير ما أنا كليل في الإيمان والمجرة ، ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونكايته في الشركين ؛ ولكني عهد^(٥) إلى في هذا الأمر عهد ، فزعت فيه إلى الوقوف وقلت : إن كان هذا هدى فنصل تركته ، وإن كان خلافا فشر نجوت منه ، فأعز عانا نفسك ، والسلام^(٦) .

(١) كذا في ١ ، وصحيف ، ورق ب : « ما » ، ورق ج : « من » .

(٢) كتاب ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) ص ١ : « الأمة » .

(٤) ذكر في كتاب ص ١١٢ ، ١١٣ : « ما » .

أَلَا قُلْ لِبَدِ اللَّهِ وَأَخْصَصْ مُحَمَّدًا وَقَارِسًا السَّامُونَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ

(٥) ص ١ : « ولكن حدث أمر لم يكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٦) في كتاب ص ١ : « ثم هل لاين أبي غزوة : أحب الرجل - وكان أبوه ناسكا ، وكان من أشهر قريش فقال : ... وذكر آياتا مطلوبا :

سَعَادِي لَا تَرْجُو الَّذِي كُنْتَ نَائِلًا وَحَاوِلَ تَصِيرًا غَيْرَ صَعْدِ بْنِ مَالِكٍ

قال : وكان كتاب معاوية إلى سعد :

أما بعد ؛ فإن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش ؛ الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره ، وقد نصره طلحة والزبير ، وهما شريكان في الأمر ، ونظيرك في الإسلام ، وسقت قلبك أم المؤمنين ، فلا تسكرهن ما رصوا ، ولا تردن ما قبلوا ، فإننا نردّها شورى بين المسلمين^(١) .

فأجابه سعد .

أما بعد ؛ فإن عزمي لم يدخل في الشورى إلا من تحمّل له الخلافة من قريش ؛ فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا بإجماعنا^(٢) عليه ؛ ألا إن علينا كان فيه ما فيها ، ولم يكن فيها ما فيه ؛ وهذا أمر قد كرهت أوله ، وكرهت آخره ؛ فلما طلعت والزبير فلورثنا بيوتها لسكان خيراً لها ، والله يفرّ لأمة المؤمنين ما أنت . ولا سلام^(٣) .

قال : وكان كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة :

أما بعد ؛ فإنني لم أكتب إليك وأما أرجو مبايعة^(٤) ؛ ولكنني أردت أن أذكرك النعمة التي خرجت منها ، والشك الذي صرت إليه ؛ إليك فارس الأنصار ، وهذه المهاجرين ؛ وقد ادّعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا لم تستطع إلا أن تمض عليه ؛ وهو أنه نهك عن قتال أهل القبّة^(٥) ، أفلا نهيت أهل القبّة^(٦) عن قتال بعضهم بعضا ؟

(١) في كتاب صين : ٨٣ « وقال شعرا » ؛ وذكر آياتنا أولا .

ألا يا سعد قد أظهرت شكّا وشكّ للرء في الأخذات داه

(٢) كتاب صين : « بإجماعنا » .

(٣) في كتاب صين ٨٤ : « ثم أجابه في النصر » ، وذكر آياتنا أولا :

معاوي دلوك أقداه ألعياه فليس لسا تحي، به دواه

(٤) كتاب صين : « مبايعة » .

(٥) كتاب صين : « الصلاة » .

فقد كان عليك أن تسكره لم ما كره رسول الله صلى الله عليه ، ألم تر عياناً وأهل الدار
من أهل القبلة (١) ! فأما قومك فقد عصوا الله ، وحذلوا عياناً ، والله سائلهم
وسائلك عما كان يوم القيامة . والسلام .
قال : فسكتب إليه محمد بن مسلمة :

أما بعد ، فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله صلى الله عليه مثل
الذي في يده ! قد أخبرني رسول الله صلى الله عليه بأدى هو كائن قبل أن يكون ، فلما كان
كسرت سفي ، وجلست في بيتي ، واتهمت الرأي على الذين ؛ إذ لم يصح لي معروف
أمر به ، ولا منكراً نهى عنه . وأما أنت فظمري ما طلبت إلا الدنيا ، ولا أتيت إلا الهوى
وإن تنصر عيان ميتاً فقد خذك حياء ، والسلام (٢) .

(...)

[مفارقة جرير بن عبد الله البجلي لمل]

قد أتينا على ما أردنا ذكره من حال أمير المؤمنين عليه السلام ، مذ قدم من حرب
البصرة إلى الكوفة ، وما جرى بينه وبين معاوية من المراسلات ، وما جرى بين معاوية
وبين غيره من الصعابة من الاستنجاد والاستصراخ ؛ وما أجابوه به ؛ ونحن نذكر الآن
ما جرى لجرير بن عبد الله عند عودته إلى أمير المؤمنين من تهمة الشيعة له بمالأة معاوية
عليهم ، ومفارقتهم جنة أمير المؤمنين .

قال نصر بن مزاحم (٣) حدثنا صالح بن صدقة ، بإسناده ، قال : قال لما رجع جرير

(١) كتاب سفي : « الصلاة » .

(٢) نسخة الرسالة كما في كتاب سفي ٨٦ : « فأمرني الله من نعمة ، ولا سيرني للشك ! إن كنت
أبصرت خلاف ما تحب ، ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار ، نحن أول بالصواب ذلك » .

(٣) كتاب سفي ٦٦ - ٦٨ .

إلى علي عليه السلام ، كثر قول الناس في التهمة لجبرير في أمر معاوية ، فاجتمع جبرير والأشتر عند علي عليه السلام ، فقال الأشتر : أماً والله يا أمير المؤمنين ، أن لو كنت أرسلتني إلى معاوية ، لكانت خيراً لك من هذا الذي أرخى خيافة (١) ، وأقام عنده ؛ حتى لم يدع باباً يرجو فتحة إلا فتحه ، ولا باباً يخاف أمره إلا سدّه .

فقال جبرير : لو كنت والله أنيتهم لقتلوك - وخوفه عمرو ، وذو الكلاع ، وحوشب - (٢) وقال : إسمهم يزعمون أنك من قنطة عمان .

فقال الأشتر : والله لو أنيتهم لجبرير لم يُعَيِّق جوابها ، ولم ينقل عليّ تحملها ، ولحلت معاوية على خطئه لجملة فيها عن الفسكر .

قال : فأنيتهم إذا . قال : الآن وقد أنسيتهم ووقع بينهم الشر !

وروى نصر ، عن عمر بن وعلة ، عن النبي قال : (٣) اجتمع حرير والأشتر عند علي عليه السلام ، فقال الأشتر : أليس قد سبقك وأمير المؤمنين أن تبت حريراً ، وأحبرتك بدلوته وقتله ؛ وأقبل الأشتر بشيعة ، ويقول : يا أخا نعيمة ، إن عمان اشترى منك دينك بهمدان (٤) ، والله ما أت أهلك أن تترك تمشي فوق الأرض ؛ إنما أنيتهم لتتخذ عندهم بدءاً بمسيرك إليهم ، ثم رحمت إلينا من عندهم ، تهددنا بهم ، وأنت والله منهم ، ولا أرى سميتك إلا لم ؛ لن أطلعني فيك أمير المؤمنين ليحبسك واشباهك في حبس لا تخرجون منه حتى تسدّ هذه الأمور ، ويهت الله الطالين .

قال جبرير : وددت والله أن لو كنت مكاني بُيئت ؛ إذن والله لم ترجع .

(١) صحت : « من خاله » .

(٢) صحت : « وحوشب بن ظليم » .

(٣) كتابه ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٤) كذا في بابا وصفي ، وول ج : « بهمدان » .

قال : فلما سمع جرير مثل ذلك من قوله ، فارقَ علياً عليه السلام ، فلتحق بقر قيساء^(١) وخلق به ماس من قسر^(٢) من قومه ، فلم يشهد صيقتين من قسر غير تسعة عشر رجلاً ؛ ولكن شهدا من أحس^(٣) سبمانه رجل .

قال نصر : وقال الأشتر فيما كان من تخوف من جرير إياه بمرو وحوشب [وذى الكلام]^(٤) :

لمسك يا جريرُ لقول عمرو وصاحبه معاوى بالشام
وذى كَلْعٍ وحوشب ذى ظَلَمٍ أحف على من ريش النعام^(٥)
إذا اجتمعوا على نخل عهم وعن بازٍ محالبه دواى
ولست بخائف ما خوفوى وكيف أخاف أحلام النيام !
وهمم الذى حاموا عليه من الدنيا ، وهمى ما أمانى^(٦)
فإن أسلم - أعظمهم عروب يسيه لموسى سارأس الكلام
وإن أهلك فقد قدست أمرأ أفوز بفنجه يوم انحصام^(٧)
وقد رادوا على وأوعدوى ومن ذامات من خوف الكلام !

• • •

[لسب جرير بن عبد الله النخلى وبعض أخباره]

وذكر ابن قتيبة في "المصارف" ، أن جريراً قديم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قر قيساء : بلد بالجابور حد مصر .

(٢) قسر : رجع جرير بن عبد الله النخلى .

(٣) أحس : جلس في بيعة .

(٤) من كتابه صبي .

(٥) صبي : من ردف النعام . والرف : صار ريش النعام .

(٦) ب : « وهمى »

(٧) الفلج : القور والاختصار .

سنة هشر من الهجرة في شهر رمضان ، فباهه وأسلم ، وكان جرير صبيح الوجه جيلًا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَأَنَّ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةَ مَلَكٍ . » وكان عمر يقول : جرير يوسف هذه الأمة . وكان طَوًّا لا يفتل في ذِرْوَةِ البعير من طولهِ ، وكانت نعلُهُ ذراعًا ، وكان يَخْضِبُ لِحْيَتَهُ بِالزَّعْفَرَانِ مِنَ الثَّقِيلِ وَيَنْسِلُهَا إِذَا أَصْبَحَ ، فَتَخْرُجُ مِثْلَ لَوْنِ اللَّتْرِ . واعتزل عليًّا عليه السلام ومماوية ، وأقام بالجزيرة ونواحيها حتى توفَّى بالشرأة سنة أربع وخمسين في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة^(١) .



فأما نسبه فقد ذكره ابن الكلبي في " جبهة الأنساب " ، فقال : هو جرير بن عبد الله ابن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلب بن جُثَم بن عُثُوف بن حرب بن علي بن مالك ابن سعد بن بدير بن قَسْر - واسمه ملك - بن هبتر بن أعمار بن أرامش ابن عمرو بن الفوث بن نَبْت بن زيد بن كَهْلَان .

ويذكر أهل السير أن عليًّا عليه السلام هَدَمَ دار جرير ودور قوم ممن خرج معه ، حيث فارق عليًّا عليه السلام ، منهم أبو أراكة بن مالك بن عامر القسري ، كان خَنَفَهُ عَلَى ابْنَتِهِ ، وموضع داره بالكوفة كان يعرف بدار أبي أراكة قديمًا ، ولعله اليوم يُنسى ذلك الاسم .

(٤٤)

ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصففة بن هيرة الشيباني إلى معاوية ، وكان قد اجتمع صبي بنى حاجية من طاعل أمير المؤمنين عليه السلام وأعضه ، فلما طال به بالمال خاس به وهرب إلى الشام ، فقال :

الأضل :

قَبِّحَ اللَّهُ مَصْفَّةَ أَفْلَلِ فِئْلِ السَّادَةِ ، وَتَرُّ فِرَارِ الْمَيْدِ ، فَمَا أَفْلَقَ مَا دَحَهُ حَقِّي
أَسْكَنَهُ ، وَلَا صَدَقَ وَاصِفُهُ حَقِّي نَكْتَهُ ، وَلَوْ أَقَامَ لَأَحْذَنَّا مَيْسُورَهُ ، وَأَتَنَظَّرْنَا
عَالِيَهُ وَمُفُورَهُ .

الْبُشْرُ :

خاس به يحبس ويخوس : أى عذّر به ، وخاس فلان بالمعد : أى نكث .
وقبح الله فلانا : أى محاه من الخير ، فهو مقبوح .

والتبكيت ، كاللتزيع والتعنيف . والموفور . مصدر وفّر المال : أى تمّ ، وبمىء
معتدّياً . ويروى «موفوره» ، والموفور : التام ، وقد أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال :

يَأْمَنُ مَسَدَحَنَا فَأَكْذَبْنَا بِغَمَالِهِ وَأَنَا بِنَا خَجَلًا
يُرْدَأُ قَشِيبًا مِنْ مَدَامِنَا سُرِبَلَتْ فَارْدُذُهُ لَنَا سَمَلًا^(١)
لِأَنَّ التَّجَارِبَ تَهْتِكُ لِلْمُتَوَرِّينَ أَبْنَاهَا وَتُجْهِزُ الرُّجُلَا

[نسب بنى ناجية]

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي نَسَبِ بَنِي نَاجِيَةٍ ؛ فَإِنَّهُمْ يَنْسَبُونَ أَغْصَنَهُمْ إِلَى سَامَةِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّفْثَرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُرَيْمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ بْنِ إِبِلَاسَ بْنِ مَضَرَ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَدَدَ بْنِ عَدْنَانَ . وَقَرِيشٌ تَدْفِئُهُمْ عَنْ هَذَا الْقَسْبِ ، وَيَسْتَوْنَهُمْ بِبَنِي نَاجِيَةٍ - وَهِيَ أُمُّهُمْ - وَهِيَ امْرَأَةُ سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ سَامَةَ حَرَجَ إِلَى نَاجِيَةِ الْبَحْرَيْنِ مُعَاصِيًا لِأَخِيهِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ فِي مُعَامَلَةٍ^(١) كَانَتْ بَيْنَهُمَا ، فَطَافَتِ بَاتِلَةً رَأْسَهَا لِتَأْخُذَ الثَّشْبَ ، فَلَمَّا قَرِيبٌ مِمَّنْ شَرَّهَا أَنْصَى ، ثُمَّ عَطَفَتْ عَلَى قَتْلِهَا فَخَسَّكَتْ بِهِ ، فَدَبَّ الْأَنْصَى عَلَى الْقَتَبِ حَتَّى نَهَشَ سَاقَ سَامَةَ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ أَحْوَاهُ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ بِرَثِيهِ^(٢) :

عَيْنُ جُودِي لِسَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ
عَلَيْتُ سَاقَ سَامَةَ الْغَلَاةِ^(٣)
رُبَّ كَاسٍ هَرَقَهَا ابْنُ لُؤَيٍّ
لَعَذْرَ اللَّوْثِ لِمَ تَكُنْ مُهَرِّاقَةً

قَالُوا : وَكَانَتْ مَعَهُ امْرَأَتُهُ نَاجِيَةٌ ، فَلَمَّا بَاتَتْ تَزَوَّجَتْ رَجُلًا فِي الْبَحْرَيْنِ ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ الْخَارِثَ ، وَمَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ صَبِيرٌ ، فَلَمَّا تَرَجَعَ طَلِيبُ امْرَأَتِهِ أَنَّ نَتِيجَتَهُ بِقَرِيشٍ ، فَأَحْبَرَتْهُ أَنَّهُ ابْنُ سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ ، فَرَكَلَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ أُمُّهُ ، فَأَحْبَرَ كَعْبُ ابْنَ لُؤَيٍّ أَنَّهُ ابْنُ أَخِيهِ سَامَةَ ، فَضَرَبَ كَعْبُ أُمَّهُ نَاجِيَةَ ، فَظَنَّتْ أَنَّهُ صَادِقٌ فِي دَعْوَاهُ ، فَقَبِلَهُ وَصَكَتْ عَلَيْهِ مَدَّةً ؛ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ رَكَبًا مِنَ الْبَحْرَيْنِ ؛ فَرَأَوْا الْخَارِثَ ، فَسَلَمُوا عَلَيْهِ ، وَحَدَّثُوهُ ، فَسَأَلَهُمْ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ : مَنْ ابْنُ يَرْفُونَةَ ؟ قَالُوا : هَذَا ابْنُ رَجُلٍ مِنْ بَلَدِنَا يُزَوِّجُ بَنِي بِلَانَ ، وَشَرَّ حَوَالِهِ حَبْرَةَ ، فَمَدَّ كَعْبُ مِنْ مَكَّةَ وَبَنَى أُمَّهُ ، فَرَجَعَا إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَكَانَا هُنَاكَ ، وَتَزَوَّجَ الْخَارِثُ ، فَأَقْبَبَ هَذَا الْقَتَبَ .

(١) لِلْأَمَةِ : الْخَاسَةِ وَالنَّازِعَةِ .

(٢) وَيُرْوَى أَنَّ الْقَتَبَ الشَّرَّاءَ أَمْرًا دَرَبَهُ كَلَسًا مَعَهُ بِلَاحًا وَبِزُجْجَةٍ ، لِحَبْرَةِ وَبَيَاتٍ أُسْرَى كَرِهَ صَاحِبُ الْإِسْلَامِ

فِي ١٢٥ : ١٢٥ (٣) الْغَلَاةُ : الْبَلِيَّةُ .

وقال هؤلاء : إنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عتي سامة لم يُقَبِّب » (١) .

وزعم ابن الكلبي أن سامة بن لؤي ولد غالب بن سامة ، والحارث بن سامة - وأم غالب ابن سامة ناجية - ثم هلك سامة ، خلف عليها ابنه الحارث بن سامة ، نكاح مَتَّ (٢) ، ثم هلك ابنها سامة ولم يُقَبِّب ؛ وإن قوماً من بني ناجية بن جرهم بن رِبان بن عِلاف ، ادَّعَوْا أنهم بنو سامة بن لؤي ، وأن أمهم ناجية هذه ، ونسبوا هذا النسب ، وانتموا إلى الحارث بن سامة ، وهم الذين باعهم على عايه السلام على مَصْقَلَة بن هُبيرة . وهذا هو قول الميهم بن عدى . كل هذا ذكره أبو الفرج الأصفهاني في " كتاب الأغاني الكبير " (٣) .

وحدثت أنا في " جمهرة النسب " لأن الكلبي كلاماً قد سرح فيه بأن سامة بن لؤي أعقب ، فقال : ولد سامة بن لؤي الحارث - وأمهم هند بنت تميم - وغالب بن سامة - وأمهم ناجية بنت جرهم بن رِبان ، من قِضاة ، فمَلَكَ غالب بعد أبيه ؛ وهو ابن اثني عشرة سنة ، فوَلَدَ الحارث بن سامة لؤياً وعبيدة وريمة وسعداً ، وأمهم سُلَيْمى بنت تميم بن شَيْبَان ابن محارب بن فهر وعبد الويث ، وأمهم ناجية بنت جرهم ، خلف عليها الحارث بعد أبيه بنكاح مَتَّ ، فهم الذين قتلهم على عليه السلام

قال أبو الفرج الأصفهاني : أما التزوير من بَكَار ، فإنه أدحلهم في قريش ؛ وهم قريش العازية ، قال : وإنما سَمَّوْا العازية ؛ لأنهم عَزَبُوا عن قومهم فَنَسَبُوا إلى أمهم ناجية بنت جرهم بن رِبان بن عِلاف ، وهو أول من اتخذ الرجال العِلافية ، فسببت إليه ،

(١) بقية المتركا والآثار : « وكان من حاجة ارتدوا من الإسلام ، ولما ولي بن أبي طالب رضى عنه الخلافة دعاه إلى الإسلام ، فأسلم بهضم وأقام سالوا على الردة ، فبإيم واستراهم ، فاشترىهم بمصقة ابن هيرة منه ، وأدى ثمنهم وأشهد الناس على نفسه ، ثم أعانهم وحرره من تحت يده إلى معاوية ، فصاروا أحراراً ، ولزمه الناس ، فمعت على بن أبي طالب شيئاً من داره ، وقبيل بل دعماً . فلم يدخل مصقة الكوفة حتى قتل على بن أبي طالب رضى الله عنه » .

(٢) نكاح الفت أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها ؛ وكان يصل في الحليلة وحرمة الإسلام .

(٣) الأغاني ١٠ : ٢٠٥ - ٢٠٧ (حجة الفار) .

واسم ناجية ليل ؛ وإنما سميت ناجية ، لأنها حارت مع سامة في مفازة ، فطشت ، فاستتت ، فقال لها : لاء بين يديك ، وهو يُرِيها السراب ؛ حتى أتت إلى لاء فشرِبت ، فسميت ناجية .

قال أبو الفرج : ولقزير بن بكار في إدخالهم في قریش مذهب ؛ وهو مخالفة أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وميله إليهم ، لإحسانهم على نفسه عليه السلام ، حسب للشهور للأئمة من مذهب الزُّبير في ذلك .

• • •

[نسب علي بن الجهم وذكر طائفة من أخباره وشعره]

ومن المنسبين إلى سامة بن لؤي علي بن الجهم الشاعر ، وهو علي بن الجهم بن بدر بن جهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كوز بن كعب بن حابر بن مالك ابن عتبة^(١) بن الحارث بن عبدالمطلب بن سامة بن لؤي بن غالب .

هكذا ينسب نفسه ، وكان مبغضاً لعلي عليه السلام ، ينحوي نحو مروان بن أبي حفصة في هجاء الطالبين وذم الشيعة ، وهو القائل :

وَرَأَيْتُ تَقُولُ شَيْبَ رَضَوِي : إِمَامٌ ، خَابَ ذَلِكَ مِنْ إِمَامٍ^(٢)

إِمَامٌ مِنْ لِهْ عَشْرُونَ أَلْفَا مِنْ الْأَثَرِكَ مَشْرَعَةَ السَّهَامِ !

وقد هجاء أبو عبادَةَ البَحْرِيّ ، قَدَل فِيهِ .

إِذَا مَا حَصَلَتْ عَلَيَا قُرَيْشِي فَلَا فِي الْمَسِيرِ أَمَّةٌ وَلَا تَغْيِيرُ^(٣)

وَلَوْ أَهْطَأَكَ رَبُّكَ مَا تَمَنَّى زَادَ الْخَلْقَ فِي عِظَمِ الْأَيُّورِ

(١) في الأمان : « عيبة » .

(٢) الأمان ١٠ : ٢٠٥ .

(٣) ديوانه ٢ : ١٠٣٨ (دار الطارف) ، والأمان ١٠ : ٢٠٦ .

وما الجهمُ بنُ بَدْرِ سَيْنَ يُعْزَى من الأفسارِ ثم ولا البُدُورِ^(١)
 عَلامَ هجوتَ مَهداً عَلَيَا عَا لَفَقَتَ مِن كَذِبٍ وَزُورِ !
 أَمَّاكَ فِي اسْتِكَ الْوَجْمَاءُ شَمَلٌ بِكَفِكَ عَن أَذَى أَهْلِ الْقُبُورِ !

• • •

وسمع أبو العيصاء على بن الجهم يوما يطمئن على أمير المؤمنين ، فقال له : أنا أدري لم
 من على أمير المؤمنين ! فقال : أنفى قصة بيته أهل من مصفة بن هُبيرة ! قال : لا ،
 أنت أوضح من ذلك ! ولكنه عليه السلام قتل الفاضل من قوم لوط ، وللقول به ،
 وأنت أسفلهما .

ومن شعر على بن الجهم لما حسه للتوكل^(٢) :

الْمُ تَرَّ مُظْهِرٍ بَيْنَ عَلِيٍّ عَتَا^(٣) وَهُمْ بِالْأَمْسِ إِخْوَانُ الصَّغَا
 قَلْبًا أَنْ يَلِيَتْ غَدَا وَرَاحُوا^(٤) عَلَيَّ أَشَدُّ أَسْبَابُ الْبَلَا
 أَبْتُ أَخْطَلُكُمْ أَنْ يَنْصَرُفُوا بِمَالِي أَوْ بِجَاهٍ أَوْ نَرَا^(٥)
 وَخَافُوا أَنْ يُقَالَ لَهُمْ : خَدَلْتُمْ صَدِيقًا ، فَادْعُوا قِدَمَ الْجَاهِ
 تَفَاطَرَتِ الرِّوَاغُضُ وَالنَّصَارَى وَأَهْلُ الْإِعْزَالِ عَلَى هَجَايِ

(١) الديوان والأغانى : « وارتأى ذلك » ، ولحق حوشى الأمانى : « الرثاء أسلها عصب أو عرقى
 القذى يدر الإبن ؟ واستسلها الحصى هنا فى الألب » .
 (٢) من قصيدة طويلة فى ديوانه ٨١ - ٨٥ ولحق الأمانى ١٠ : ٢٠٦ - ٢٠٨ : « كان على بن
 الجهم قد هجا بختيشوع ، فنه عنه للتوكل ، فحسه للتوكل ، فقال على بن الجهم فى حبه عدة قصائد
 كتب بها لى للتوكل ، فأعلقه بعد سنة ثم هجا بعد ذلك لى خراسان . فقال أول ما حبس قصيدة كتب
 بها لى أخيه ؟ أولها قوله :

تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ السَّاءِ وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ

ثم أورد القصيدة .

(٣) الأغانى : « حيا » ، والديوان : « غيا » .

(٤) الديوان : « بليت بشكة صدوا وراحوا » .

(٥) الديوان : « براء » ، ولحق فى شرحه : الرأى : الرأى .

وَعَاثُوهُ وَمَا ذَنَّبِي إِلَيْهِ سِوَى عِلْمِي بِأَوْلَادِ الرَّثَاءِ
يعني بالروافس : نباح بن مسلمة^(١) ، والنصارى مَحْبُشُوع^(٢) ، وأهل الاعتزال
على^(٣) بن يحيى بن النخعي^(٤) .

قال أبو العرج : ^(٥) وكان علي بن الجهم من الحشوية^(٦) ، شديد المصيب^(٧)
عدواً للتوحيد والمذلل ؛ فلما سحط المذوكل على أحد من بني دُواد وكفاه^(٨) ، قُتِلَ
به علي بن الجهم ، فجهاد ، وقال فيه^(٩) :

يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ دَعَاكَ نَعْتٌ عَلَيْكَ جَنَادٍ لَا وَحِيدٌ^(١٠)
مَا هَذِهِ الْبِدْعُ الَّتِي صَمِيئًا سَالَجُهَا الْمَذَلُّ وَالتَّوْحِيدُ
أَفْسَدَتْ أَمْرَ الَّذِينَ حِينَ وَلِيَّتُهُ زُرْعَتُهُ نَابِي الْوَلِيدِ وَلِيدًا

(١) نباح بن مسلمة ؛ كان في ديوان الخوارج والنخعي على المال في عهد النخعي ؛ لكن جميع المال
يقلونه ؛ وكان النخعي رعيًا نادم ؛ روى مسكوتاً سنة ٢٤٥ . تاريخ الطبری (وفات سنة ٢٤٥) .

(٢) هو محبشوع بن جبريل بن يحيى بن النخعي الأكبر للقطيب

(٣) على بن يحيى بن أبي بصير النخعي ؛ روى عن النخعي ؛ وأحد شيوخه للقطيب عنه ؛ توفي سنة ٢٧٥ .
ابن حنبل ١ : ٣٥٦ .

(٤) في طبقات الشعراء لابن المبر ٣٢٠ . وإنما هي بالروافس الطامحين ؛ وأهل الاعتزال هي
دواد ، والنصارى محبشوع بن جبريل ؛ فإنه كان ينادي به .

(٥) الأغانى ١٠ : ٢١٧ .

(٦) الحشوية : فرقة من الرحضة يقولون : حكم الأحداث كلها واحد ؛ وهم من أن تارك النخل كترك
الفرس ، نصير القرطبي ٤ : ١٦٦ .

(٧) التواصب : قوم يتدينون بنبضه على . (٨) كفاه ، أي طرده وأبعد .

(٩) ذكر صاحب الأغانى في هذا الخبر أنه لما حبس المذوكل على بن الجهم مدح أحد من بني دواد عدوهم مدح ،
وسأله أن يقوم بأمره ؛ منها قوله :

يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ لِمَا تَدْعِي لِسُكْلِ عَطِيَّةٍ يَا أَحْمَدُ
أَبْلَغُ أَمِيرَ لِلزُّمَيْنِ وَدُونَهُ خَوْضُ الرَّدَى وَمَخَافُ لَا تَنْفَدُ
أَنْتُمْ بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَوَّلَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ

فلم يسل وقد عه ؛ فلما سالت المذوكل أحد من بني دواد نعمت به علي بن الجهم ، وجهاد بعده الأبيات
(١٠) ديوانه ١٢٥ ، ١٢٦ .

.. أبو الوليد بن أحمد بن أبي دود، وكان رتبة قاضياً^(١) .

لَا تُحْكَمُ جَلْدًا وَلَا تُسْتَفْرَمَا كَهَلَا وَلَا تُتَخَدَّنَا مَحْمُودًا^(٢)
 شَرِهَا إِذَا ذُكِرَ لِلكَارِمِ وَالشَّلَا ذُكِرَ الْقَلَا مَبْدَا وَمَعْدَا^(٣)
 وَبَوَدَ لَوْ مِخَتْ رَيْبُهُ كُلُّهَا وَبَنُو لِمَادٍ صَحْفَةً وَتَرِيدَا
 وَإِذَا تَرَبَّعَ فِي الْمَالِيسِ خِلْتُهُ ضَمًّا وَخِلْتَ بَنِي أَبِيهِ قُرُودَا
 وَإِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا شَبْتُهُ شَرَفًا تَعَجَّلَ شُرْبُهُ مَرْدُودَا
 لَا أُضْبَحَتْ بِالْخَيْرِ عَيْنٌ أَبْصَرَتْ تَعَثَّ لِلنَّاسِخِرِ وَالْتَنَالِ السُّودَا
 وَقَالَ يَهْجُوهُ لِمَا قُلِيحُ^(٤) :

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى خِيَالِكَ لَأَمَّا فَوْقَ الْفِرَاشِ مُهْمَدًا يَوْمَدَا
 فَرَحْتُ بِمَصْرَعِكَ الْبَرِيَّةِ كُنْهَا مَن كَانَ مِنْهُمْ مُوقِفًا بِمَادَا
 كَمْ مَجْلِسٍ لَهُ قَدْ عَطَلْتُهُ حَتَّى لَا يَحْدُثَ فِيهِ إِلَّا سِنَادَا
 وَلَكُمْ مَصَابِيحُ لَا أُلْفَاتُهَا حَتَّى تَحِيدَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَسَادَا^(٥)
 وَلَكُمُ كَرَمَةٌ مَقْتَرِ أَرْثَتَهَا وَمُحَدِّثِ أَوْقَتَ فِي الْأَفْيَادَا
 إِنَّ الْأَسَارَى فِي السُّجُونِ تَقَرَّحُوا لِمَا أَتَاكَ مَوَازِيِبُ الْعَوَادَا
 وَعَدَا الْمَصْرَعُ الطَّيِّبُ فَلَمْ يَحْدُ لِمَا دَايَكَ حَيْلَةُ الرِّتَادَا
 فَذُقِ الْمَوَانَ مَعْجَلًا وَمَوْجَلًا وَاقِهِ رَبُّ التَّرَنُّسِ بِالْأَيْرِصَادَا
 لَا زَالَ فَالْجِلْكَ الَّذِي بَكَ دَائِمًا وَفُحِصَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالْأَوْلَادَا

(١) وكان يتولى للظالم سرا ما سره ، وعمره للشوكل سنة ٢٢٧
 (٢) الديوان والأغاني : « لَا تَحْكَمُ جِلْدًا وَلَا تُسْتَفْرَمَا : المجلد ما : المجلد الرابع .
 (٣) القلابة : اللطائف ! مفردة قلبية .
 (٤) ديوانه ١٢٨ ، ١٢٩ ، والأغانى ١٠ : ٢٢٩ .
 (٥) الأغاني : « حَتَّى يَزُولَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَسَادَا » .

وروى أبو النرج الأصماني في كتاب "الأغانى" في ترجمته مروان بن أبى حفصة^(١) الأصمفر أن على بن الجهم خطب امرأة من قريش ، فلم يزوجه ، وبلغ التوكل ذلك ، فسأل عن السبب ، فحدث بقصة بنى سامة بن لؤى ، وأن أبا بكر وصر لم يذخلام في قريش ، وأن عثمان أدخلهم فيها ، وأن علياً عليه السلام أخرجهم منها ، فارتدوا ، وأنه قتل من ارتد منهم ، وسبى بقيتهم ، فباعهم من مصقلة بن هيرة ، فضحك التوكل ، وبعث إلى على بن الجهم فأحضره ، وأخبره بما قال القوم ، وكان فيهم مروان بن أبى حفصة المكنى بالأسط وهو مروان الأصمفر ، وكان التوكل يفره بلى من الجهم ، ويضمه على هاته وتلبه ، فيضعك منها ، فقال مروان :

إِنْ جِئْتَا حِينَ تَنْفُسُهُ لَيْسَ مِنْ عَجْمٍ وَلَا عَرَبٍ
لَجَّ فِي شَتَّى بِلَا سَبَبٍ سَكِرَ الشُّرَّ وَالنَّسَبِ
مِنْ أَنْاسٍ يَذْهَبُونَ أَبَا مَالَهُ فِي الدَّاسِ مِنْ عَقَبِ

فغضب على بن الجهم ، ولم يحبه ، لأنه كان يستحقه ، فأومأ إليه التوكل أن يزيده ، فقال :

أَنْتُمْ بَائِنَ جِهَمٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَقَدْ بَاعَكُمْ عَنْ تَرْيَدٍ
أَرْجُو أَنْ تَكَاثُرَ مَاجِهَاراً بِأَصْلِكُمْ وَقَدْ بَاعَ الْجَدُودُ

فلم يحبه ابن الجهم ، فقال فيه أيضا :

عَلَى تَصَرَّضَتْ لِي ضَلَّةً لَهْلَهَكَ بِالشُّرِّ بِامَاتِقٍ^(٢)
تَرُومُ قُرَيْشًا وَأَنْسَابَهَا وَأَنْتَ لَأَنْسَابِهَا سَلِيقُ
فَإِنْ كَانَ سَامَةً جَدًّا كَكُمْ فَتَمُتْ مَيِّ إِذَا طَلَقْتُ

(١) لم أجده هنا المبرر وهذا الشعر في طبع من كتاب الأغانى .

(٢) لائق : الأحق .

[نسب مصقلة بن هيرة]

فَأَمَّا نَسَبُ مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فَإِنَّ ابْنَ الْكَلْبِيِّ ، قَدْ ذَكَرَهُ فِي " جَهْدَةِ النِّسْبِ " ،
قَالَ : هُوَ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنِ شَيْثَلٍ بْنِ يَثْرَجَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ
ثَعْلَبَةَ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ بْنِ صَغْبَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ بْنِ قَاسِمٍ بْنِ
هَنْبٍ بْنِ أَفْصَى بْنِ ذُعْمَى ، بْنِ جَدْرِيلَةَ بْنِ أَسَدٍ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ نَزَارٍ بْنِ مَعْدٍ بْنِ عَدْنَانَ .

• • •

[خبر بني ناجية مع علي]

وَأَمَّا خَبَرُ بَنِي نَاجِيَةٍ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ ذَكَرَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ النَّفْثِيُّ
فِي كِتَابِ " السَّارَاتِ " ، قَالَ :
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّانٍ ، عَنْ تَصْرِيفِ بْنِ مِزَاحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي هَرَمٌ بْنُ سَعْدٍ ،
عَنْ حَدِيثِهِ مِنْ أَدْرَكَ أَمْرَ بَنِي نَاجِيَةٍ ، قَالَ : لَمَّا بَاعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلِيًّا بِمَدِّ الْهَزِيمَةِ ، دَخَلُوا
فِي الطَّاعَةِ عِزَّ بْنَ نَاجِيَةٍ ، فَإِذَا بِهِمْ عَسْكَرُوا ، فَبِثَّ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَجُلًا مِنْ
أَصْحَابِهِ فِي خَيْلٍ لِيَقَاتِلَهُمْ ، فَأَنَامَ ، فَقَالَ : مَا بَالُكُمْ عَسَكْرْتُمْ ، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فِي الطَّاعَةِ
غَيْرَكُمْ ! فَأَعْتَرَفُوا ثَلَاثَ فُرُقٍ : فَرَقَةٌ قَالُوا : كُنَّا نَصَارَى فَأَسْلَمْنَا ، وَدَخَلْنَا فِيهَا دَخَلَ النَّاسُ فِيهِ
مِنَ الْفِتْنَةِ ، وَبَحْنُ نَهَائِجٍ كَمَا بَاعَ النَّاسُ ؛ فَأَسْرَمَ فَأَعْتَرَلُوا . وَفَرَقَةٌ قَالُوا : كُنَّا نَصَارَى فَلَمْ نَسْلَمْ ،
وَخَرَجْنَا مَعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا ؛ فَهَرَوْنَا فَأَحْرَجُونَا كَرَّهَا ، فَخَرَجْنَا مَعَهُمْ فَهَزَمُوا
فَنَحْنُ مَدْخُلُونَ فِيهَا دَخَلَ النَّاسُ فِيهِ ، وَنَسْطَلِكُكُمْ الْجُزْيَةَ كَمَا أُعْطِينَا ؛ قَالَ : اعْتَرَلُوا فَأَعْتَرَلُوا .
وَفَرَقَةٌ قَالُوا : كُنَّا نَصَارَى فَأَسْلَمْنَا فَلَمْ يُنْجِحْنَا الْإِسْلَامُ ، فَجَرَعْنَا إِلَى النِّصْرَانِيَّةِ ، فَنَحْنُ نَسْطَلِكُكُمْ
الْجُزْيَةَ كَمَا أُعْطَاكُمْ النِّصَارَى . قَالَ لَمْ : تَوَيَّرُوا أَرْجَمُوا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَبَوْا ، فَتَقَاتَلَتْهُمْ
وَسَقَى فَرَارِيَهُمْ ، وَقَدَّمَ بِهِمْ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

[قصة الحرث بن راشد الناجي وخروجه على علي]

قال ابن هلال النخعي : وروى محمد بن عبد الله بن عثمان ، عن أبي سيف ، عن الحارث ابن كعب الأزدى ، عن عمه عبد الله بن قُعين الأزدى ، قال : كان ^(١) الحرث بن راشد الناجي ، أحد بني ناجية ، قد شهد مع علي عليه السلام صفين ، فغاء إلى علي عليه السلام بعد انقضاء صفين ، وبعد تحكيم الحكمين في ثلاثين من أصحابه ، يمشى إليهم حتى قام بين يديه ، فقال : لا والله لا أطيعُ أمرَكَ ، ولا أصليَ خلفَكَ ، وإن غدا لم ألقَكَ ؛ فقال له : تَكِلْتُكَ أَمَّا إِذَا تَنَقَّضَ عَهْدُكَ ، وَتَمَنَّى رَبُّكَ ، وَلَا تَضُرَّ إِلَّا نَفْسَكَ ، أَخْبِرْنِي لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ حَكَمْتَ فِي الْكِتَابِ ، وَضَعْتَ عَنِ الْحَقِّ إِذْ جَدَّ الْجَدُّ ، وَرَكَبْتَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَأَنَا عَلَيْكَ وَادٌّ ، وَعَلَيْهِمْ نَاقِمٌ ، وَلَسْتُ حَيِّمَا مَبِينٌ .

فقال له علي عليه السلام : وَتَمَنَّى لَكَ ؟ هَلَمْ إِلَى أَمْرِكَ وَأَنْتَ لَكَ فِي الشَّيْءِ ، وَأَمَّا عَنْكَ أُمُورٌ مِنَ الْحَقِّ أَنَا أَعْلَمُ بِهَا مِنْكَ ؛ فَلِمَ تَعْرِفُ مَا أَتَى الْآنَ لَهُ مَكْرٌ ، وَتُبْصِرُ مَا أَتَى الْآنَ عَنْهُ عَمْرٌ وَهُوَ جَاهِلٌ ، قَالَ الْحَرْثُ : فَإِنِّي غَارٍ عَلَيْكَ غَدًا . قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اغْدُ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ، وَلَا يَضْحَكَنَّ بِكَ رَأْيُ السُّوءِ ، وَلَا يَسْتَحْقَنَنَّ الْجَهْلَاءُ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ ؛ فَوَاللَّهِ إِنِ اسْتَرَشَدْتَنِي وَاسْتَنْصَحْتَنِي وَقَبِلْتَ مِنِّي لِأَهْدِيَنَّكَ سَبِيلَ الْإِشَادِ .

فخرج الحرث من عنده مُنْصَرِّفًا إِلَى أَهْلِهِ .

قال عبد الله بن قُعين : ضعلت في أمره مُسْرِفًا ، وكان لي من يميني عمه صديق ، فأردت أن أُلْقِيَ إِلَيْهِ أَنْ عَمِيَ فِي ذَلِكَ ، فَأَعْلَمَهُ بِمَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَمَرَ أَنْ يَحْمِلَهُ أَنْ يَشْتَدَّ بِسَامِعِهِ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِطَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُسَاصَحَتِهِ ، وَيَحْمِلَهُ أَنْ ذَلِكَ حَيْرٌ لَهُ فِي جَاهِلِ الدُّنْيَا وَأَجَلِ الْآخِرَةِ .

قال : فخرجت حتى انتهيت إلى منزله - وقد سقى - فمضت عند باب دار فيها رجال من أصحابه ، لم يكونوا شهدوا معه دعوته على أمير المؤمنين عليه السلام ، فوالله ما رجعت

(١) وانظر الخبر أيضاً في تاريخ الطبري : ١١٣ وما بعدها .

ولا نديم على ما قال لأمر المؤمنين وما ردّ عليه ، ولكنه قل لم : يا هؤلاء ، إن قدر رأيت
أن أفارق هذا الرجل ، وقد عارضته على أن أرحم إليه من غير ، ولا أرى إلا الفارقة ؛ فقال
له أكثر أصحابه : لا تفعل حتى تأتيه ، فإن أنك بأمر نرفعه قبلت منه ، وإن كانت
الأخرى فما أفدرك على فراقه ! قال لم : نعم ما رأيتم ؛ قال : فاستأذنت عليهم فأذموا
لي ، فأقبلت على ابن عمه - وهو مشرك بن الربان الناجي ، وكان من كبار العرب - فقلت
له : إنك على حقاً لإحسانك وودّك وحقّ السلم على السلم^(١) . إن ابن عمك كان منه ما قد
ذكر لك ، فاحلّ به فأردد عليه رأيه وعظم عليه ما أتى ؛ واعلم أنّي خائف إن فارق
أمر المؤمنين أن يفتك نفسه وعشيرته فقال : جراك الله خيراً من أبيك ! إن أراد هراق
أمر المؤمنين عليه السلام ففي ذلك هلاكه ، وإن اختار مناصحته والإقامة معي ففي
ذلك حفظه ورؤسده .

قال : فأردت الرجوع إلى علي عليه السلام لأعلم الذي كان ؛ ثم اطمأنت إلى
قول صاحبي ، فرجعت إلى منزل ، فبثت ثم أصبحت ، فلما ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين
عليه السلام ، فجلست عنده ساعة ، وأما أريد أن أحذنه بالذي كان علي خلو ، فأطلت
الجلوس ، ولا يزداد الناس إلا كثرة ، فدنوت منه ، فجلست ورامه ، فأصنى إلى برأسه ،
فأخبرته بما سمعته من الخواريث ، وما قلت لأن عمه وما ردّ علي ، فقال عليه السلام :
دعه ؛ فإن قيل الحق ورجع عرفنا له ذلك وقبلناه منه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فلم
لا تأخذه الآن قد جئت منه ؟ فقال : إنا لو فعلنا هذا بكل من يثبتهم من الناس ملأنا
السجون منهم ، ولا أراي يسئ الثوب بالناس والمبس لم وعقوبتهم حتى يظهروا
لي الللاف .

قال : فسكت عنه وتحتيت ، فجلست مع أصحابي هنيهة ، فقال لي عليه السلام :

(١) في الطبري : « بعد حق السلم على السلم » .

اذنُ مني ، فدسوت ، فقال لي مُسِيرًا : اذهب إلى منزل الرجل فاعلم ما فعل ؛ فإنه قلَّ يومٌ لم يكن يأتي في هذه الساعة ، دُتِبتُ إلى منزله ، فإذا ليس في منزله منهم دَبَّار ، فدرتُ على أبواب دور أخرى ، كان فيها عذقة من أصحابه ، فإذا ليس فيها دُج ولا عجب . فأقبلتُ إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقلتُ له حين رآني : أوْطِنُوا^(١) ، فأقاموا ، أم جبنوا فظلموا ؟ قلت : لا بل ظلموا ، فقال : أبعدهم الله كما تبعدت نمود ! أما والله قد أشدَّ عت لم الأسيئة ، وصُبت على هامهم السيوف ، فقد ندموا ! إن الشيطان قد استهوهم وأصلبهم ، وهو غدا متبري منهم ، ومُخلٍ عنهم ؛ فقام إليه رِياض خَصَّعة ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لو لم يكن من مضرّة هؤلاء إلا راقهم إيتاء لم يعلّم قُدُّهم علينا ، فإنهم قلنا يزبدون في عددنا لو أقاموا معنا ، وقلنا يتقصون من عددنا مخروجه منّا ، ولكننا عافان يُفيلوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليهم من أهل طاعتك ؛ فانذرن لي في اتاعهم حتى أردم عليك إن شاء الله .

فقال له عليه السلام : فأخرج في آثارهم راشدا ؛ فلما ذهب ليخرج قال له : وهل تدري أين نوحه القوم ؟ قال : لا والله ؛ ولكني أخرج فأسأل وأنسج الأثر ، فقال : أخرج رحلك الله حتى تنزل دبر أي موسى ثم لا تبرعه حتى يأتيك أمرى ؛ فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين بارزين للناس في جماعة ؛ فإن عمالي شكّبت إلى ذلك ، وإن كانوا متفرقين مستخفين ؛ فذلك أحقُّ لهم ، وسأكتب إلى من حوّل من عمالي فيهم . فكتب نسخة واحدة وأخرجها إلى المال :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المال ، أنا بعد ، فإن رجالاتنا عندهم تيمة ، خرجوا هُرباها نظّمهم خرجوا نحو بلاد البصرة ، فأسأل عنهم أهل بلادك ، واجعل عليهم العميون في كل ناحية من أرضك ، ثم اكتب إلي بما ينشئ إليك عنهم . والسلام .

(١) وطن بالسكان ، أي أقم ، وانظر تاريخ الصبى : ١١٥ .

نفرج زياد بن خصفة حتى أتى داره ، وجمع أصحابه لحيد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
 يلمشرك بكر بن وائل ؛ إن أمير المؤمنين ندبني لأمر من أموره مهم له ، وأمرني بالامكاش
 فيه بالمشيرة ؛ حتى أتى أمره ؛ وأنتم شيعته وأنصاره ، وأوتق حتى من أحياء العرب في
 نفسه ، فانتدبوا معي الساعة ، ويجهلوا . فوالله ما كان إلا ساعة حتى اجتمع إليمائة وثلاثون
 رجلا ، فقال : اكتفينا لا ريد أكثر من هؤلاء ؛ فخرج حتى قطع الجسر ،
 ثم أتى دير أبي موسى فزله ، فأقام به بقية يومه ذلك ، ينتظر أمر أمير المؤمنين
 عليه السلام .

قال إبراهيم بن هلال : حدثني محمد بن عبد الله ، عن ابن أبي سفيان ، عن أبي
 الصلت التيمي ، عن أبي سعيد ، عن عبد الله بن وال التيمي ، قال : أتى لعبد
 أمير المؤمنين ؛ إذا أصبح^(١) قد جاءه نسبي بكتاب من قمر طمة من كتب بن عمرو الأنصاري ، وكان
 أحد عماله - فيه :

لعبد الله على أمير المؤمنين من قرطمة بن كعب ، سلام عليك ؛ فإني آخذ إليك
 الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد :

فإني أخبر أمير المؤمنين ، أن خيلا من مشركي قبل الكوفة متوجهة نحو يفر^(٢) وأن رجلا
 من دهاقين أسفل القرات قد أسلم وصلى ، يقال له : رادان فروخ ؛ أقبل من عند أحوال له
 فلقوه ، فقالوا له : أسلم أم ستام كافر ؟ قال : بل مسلم ، قالوا : فاقول في علي ؟ قال : أقول
 فيه خيرا ؛ أقول : إنه أمير المؤمنين عليه السلام وسيد البشر وصي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . فقالوا : كفرته بأعدائ الله أنتم حملت عليه عصاة منهم ، فقطعوه بأسياقهم ،
 وأخفوا معه رجلا من أهل القعة يهوديا ، فقالوا له : ما لديك ؟ قال : يهودي ، فقالوا :

(١) الصبح : رسول السلطان على رجليه ؛ فارسي مبرك ؛ بيتك . : تاج العروس ٢ : ٨٩ .

(٢) تسككه من تاريخ العلوي . وهو : بلدة على نهر الدرس .

خَلُّوا سَبِيلَ هَذَا ، لَسَبِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا ذَلِكَ الْفَتَى ، فَأَخْبَرَنَا الظَّهْرِي ، وَقَدْ سَأَلَتْ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يَخْبِرْنِي أَحَدٌ عَنْهُمْ شَيْءً . فَبَلَكَتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِمْ بِرَأْيِ أَنْتِهِ إِلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَمَا بَدُ ؛ فَقَدْ فَهِمْتُ مَا مَازَكَرْتُمْ مِنْ أَمْرِ الْعَصَاةِ الَّتِي سَرَمْتَ بِمَعْلَاكَ ، فَقَتَلْتَ الْبَرَّ الْمُسْلِمَ ، وَأَمِنْ عِنْدَهُمُ الْخِلَافُ لِلشُّرْكِ (١) ؛ وَإِنْ أَوْلَيْتَ قَوْمَ اسْتِهْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَضَلُّوا ، كَالَّذِينَ حَسَبُوا الْآلَ تَكُونُ فِتْنَةً فَعَسَوْا وَصَحُّوا ، فَاسْمَعْ بِهِمْ وَأَنْصِرْ يَوْمَ تُخْبَرُ أَعْمَالُهُمْ أَطْرَمَ عَمَلُكَ وَأَقْبَلَ قَلْبَ خُرَاجِكَ ؛ فَإِنَّكَ كَمَا ذَكَرْتَ فِي طَاعَتِكَ وَبِعَهْدِكَ ، وَالسَّلَامُ .

قَالَ : فَكُتِبَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى زِيَادِ بْنِ خَصَفَةَ ، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَائِلِ بْنِ التَّيْمِيِّ ، كِتَابًا نَسَخَهُ :

أَمَا بَدُ ، فَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكَ أَنْ تَبْرَأَ مِنْ أَبِي مُوسَى حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي ؛ وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلِمْتُ أَنَّ نَوْحَةَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ بَلَغَتْ أَهْلَهُمْ أَخَذُوا بِمَوْقِفَةٍ مِنْ قُرَى السَّوَادِ ، فَاتَّبَعُوا أَتَارَهُمْ وَوَسَّلُوا عَنْهُمْ ؛ فَلَمَّا هُمْ قَدْ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ مُسْلِمًا مُصَلِّيًا ، فَإِذَا أَنْتَ لَحَقْتَ بِهِمْ فَارَدَدْتَهُمْ إِلَيَّ ، فَإِنْ أَبَوْا فَنَاجِزْهُمْ ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ ؛ فَلَمَّا هُمْ قَدْ فَارَقُوا الْحَقَّ ، وَسَقَوْا الدَّمَ الْحَرَامَ ، وَأَخَافُوا السَّبِيلَ . وَالسَّلَامُ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَائِلٍ : فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ شَابٌّ فَضِيزٌ بِهِ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا أَمْضَى مَعَ زِيَادِ بْنِ خَصَفَةَ إِلَى هَذِهِكَ ، إِذَا دَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَكَ ؟ فَقَالَ : بَلَى أَخِي ، فَاعْمَلْ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْ أَصْحَابِي عَلَى الْحَقِّ وَأَنْصَارِي عَلَى الْقَوْمِ لِلظَّالِمِينَ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ إِلَيَّ بِمَقَالَتِهِ

(١) الظَّهْرِي : « السَّكَاة » .

(٢) كَذَا فِي ج وَالظَّهْرِي ، وَفِي أ ب : « مُخَصَّر » .

تلك مَحَرَّ النَّفْسِ ، قُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا وَاللَّهِ كَذَلِكَ مِنْ أَوْلَيْكَ ؛ أَنَا وَاللَّهِ
حَيْثُ نَحْبُ .

ثُمَّ مَضَيْتُ إِلَى زِيَادَ بِالْكِتَابِ ، وَأَنَا عَلَى فَرَسٍ رَافِعٍ كَرِيمٍ ، وَعَلَى السَّلَاحِ ، فَقَالَ لِي
زِيَادُ : يَا بَنَ أَخِي ، وَاللَّهِ مَا لِي عَنْكَ مِنْ غَيٍّ ^(١) ، وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَكُونَ مَعِيَ فِي وَجْهِ هَذَا ،
قُلْتُ : إِنِّي قَدْ اسْتَأْذَنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ فَأَذِنَ لِي ، فَسَرَّ بِذَلِكَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا
الْوَضْعَ الَّذِي كَانُوا فِيهِ ، فَالْتَمَعْنَا بِهِمْ ، فَضَلَّ : أَخَذُوا نَحْوَ الْمِائَتَيْنِ فَلَحَقْنَاهُمْ ؛ وَهُمْ نَزَلُوا
بِالْمِائَتَيْنِ ، وَقَدْ أَغَامُوا بِهَا يَوْمًا وَلَيْلَةً ، وَقَدْ اسْتَرَحَوْا وَعَلَقُوا خِيُولَهُمْ ، فَهَمَّ جَائِعُونَ مَرِيضُونَ ،
وَأَتَيْنَاهُمْ وَقَدْ تَقَطَّعْنَا وَلِئِبْنَا وَنَعِينَا ؛ فَنَظَرُوا زَمَانًا وَثَبُّوا عَلَى خِيُولِهِمْ ، فَاسْتَوُوا عَلَيْهَا ، فَجِئْنَا حَتَّى
اسْتَبَيْنَا إِلَيْهِمْ ؛ فَادَّى الْخَطْرَ بِنَدَائِهِ : يَا عِبَادَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ، أَمَعَ اللَّهُ وَكِتَابَهُ أَسْمَ
أَمْ مَعَ الْقَوْمِ الطَّالِبِينَ ؟ فَقَالَ لَهُ زِيَادُ بْنُ خَصَّفَةَ : بَلِ اسْمُ اللَّهِ وَكِتَابُهُ وَسَيِّدُ رُسُلِهِ ، وَمَعَ مَنْ اللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَكِتَابُهُ أَتَرُ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ يَا تَوَّابًا وَقَدْ أَتَيْنَاهَا مِنْذُ يَوْمٍ حَلَقْتُ إِلَى يَوْمٍ تَقَى لَأَتَرَ اللَّهَ
عَلَيْهَا . أَتَيْنَاهُ النَّفْسَ الْأَبْصَارَ ، الصَّمَّ الْإِسْمَاعَ !

فَقَالَ الْخَطْرُ بَ : فَأَحْبَبُوا مَا تَرِيدُونَ ؟ فَقَالَ لَهُ زِيَادُ - وَكَانَ مَحْرَبًا رَفِيقًا : قَدْ تَرَى
مَا بَيْنَا مِنَ النَّصَبِ وَالْقَنُوبِ ^(٢) ، وَاقْدِرْ جِشَاءَ لَا يَصْلُحُ فِيهِ الْكَلَامُ عَلَانِيَةً عَلَى رُءُوسِ
أَصْحَابِكَ ؛ وَلَكِنْ تَنْزِلُونَ وَتَنْزِلُ ، ثُمَّ تَعْلُو حَيْثُمَا ، فَتُذَكَّرُ أَمْرًا وَتَنْظَرُ فِيهِ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ
فِيهَا جِشَاءَ لَهُ حَقًّا لِنَفْسِكَ قَبْلَتَهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَ فِيهَا أَسْمَعَ مِنْكَ أَمْرًا أَرْجُو فِيهِ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكَ
لَمْ أَرِدْهُ عَلَيْكَ .

فَقَالَ الْخَطْرُ بَ : انْزِلْ ، فَنَزَلَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا زِيَادُ ، فَقَالَ : انْزِلُوا عَلَى هَذَا اللَّاءِ ، فَأَقْبَلْنَا حَتَّى
اسْتَبَيْنَا إِلَى اللَّاءِ ، فَنَزَلْنَا بِهِ ، فَهُوَ إِلَّا أَنْ نَزَلْنَا فَخَرَقْنَا ، فَتَحَلَّقْنَا عَشْرَتُ نَوَسِمَةٍ وَثَمَانِيَةٌ وَسَبْعَةٌ ،
فَضَعُ كُلُّ حَلْقَةٍ طَعَامَهَا بَيْنَ أَيْدِيهَا ، لَنَا كُلٌّ ثُمَّ تَقَوْمُ إِلَى اللَّاءِ فَتَشْرَبُ

وقال لنا زياد : علقوا على حيولكم ، فعلقنا عليها ، ووقف زياد في خسة
 موارس ؛ أحدهم عبد الله بن أبي ريثم وبين القوم ، وانطلق القوم فتتبعوا ، هزلوا وأقبل
 إلينا زياد ، ففأ رأى تفرقنا وتعلقنا ، قال : سبحان الله ! أنتم أصحاب حرب ! والله لو أن
 هؤلاء جاموكم الساعة على هذه الحلة ما رادوا من غيرتكم أفصل من أعمالكم التي أنتم
 عليها ؛ مجلوا ، قوموا إلى حيولكم . فأسرعنا من بقوصا ، ومنا من يشرب ، ومنا من
 يسقي فرسه ، حتى إذا فرغنا من ذلك أنبأ زياد ، وإن في يده لرسقا^(١) ينهسه ، فنهسه منه
 سبتين أو ثلاثة ، ثم أتى بإداوة فيها ماء ، فشرب ثم أتى القرق من يده ، وقال : يا هؤلاء ؛
 إنا قد لقينا العدو ، وإن القوم لي عذتكم ، ولقد حرزتهم فما أظن أحد الفريقين
 يزيد على الآخر خسة نرى ؛ إني أرى أمركم وأمرهم سيعير إلى القتل ؛ فإن كان ذلك فلا تكموا
 أبجر^(٢) الفريقين .

ثم قال : ليأخذ كل رجل منكم بسان فرسه ، فإذا دنوت منهم وكلت صاحبهم ، فإن
 تأنى على ما تريد ؛ وإلا فإذا دعوتكم فاستروا على متون خيلكم ، ثم أقبلوا معا غير
 متفرقين . ثم استقدم أمامنا وأنا معه ، فسمعت رجلا من القوم يقول : حاكم القوم وم
 كالون مميون ، وأنتم جامون^(٣) مريجون^(٤) ، فركضوهم حتى مرلوا فأكلوا وشربوا ،
 وأراحوا دوابهم ؛ هذا والله سوء الرأي .

قال : ودعا زياد صاحبهم الخريت ، فقال له : اعتزل بنظر في أمرنا ، فأقبل إليه في
 خسة نرى ؛ فقلت لزياد ؛ أدعوك ثلاثة عر من أصحابنا ؛ حتى نلقاهم في عذدهم ؛ فقال :
 ادع من أحببت . فدعوت له ثلاثة ؛ فكسا خسة وم خسة .

فقال له زياد : ما الذي شمت على أمير المؤمنين وعلينا حتى طرقتنا ؛ فقال : لم أرض

(١) الفرق بالفتح : البطم منه ، ويقال . شيش اللحم ، أي أخذه عديم أسنانه .

(٢) حم ، من الجمام ، وهو الراحة .

(٣) مريجون ؛ من قولهم : أراح فلان ؛ إذا رحمت إليه فنه بهد الإيماء .

صاحبكم إماما، ولم أرضَ بغيركم سيرة، فرأيتُ أنْ أعزِلَ، وأكونَ مع مَنْ يدعو إلى الشورى بين الناس؛ فإذا اجتمع الناسُ على رجلٍ هو لجميع الأمة رِضاَ كنتُ مع الناسِ. فقال زياد: ويحك! وهل يجتمع الناسُ على رجلٍ يُداني عليًّا عالمًا بالله وبكتابه وسنة رسوله، مع قرابته وساخية في الإسلام! فقال الجريث: هو ما أقول لك، فقال: فقيم قتلتم الرجل المسلم؟ فقال الجريث: ما أنا قتلته؛ قتلته طائفة من أصحابي، قال: فادفعهم إلينا قال: ما إلى ذلك من سبيل، قال: أو هكذا أنت فاعل! قال: هو ما تسمع.

قال: فدعونا أصحابنا، ودعنا الجريث أحمده، ثم اقتطنا؛ فوافقه ما رأيتَ قتالا مثله منذ خلقني الله، لقد تطاعنا^(١) بأمر ما حتى لم يبقَ في أبدننا رُمح، ثم اضطر بنا السيوف حتى انحنت، وعُقرت^(٢) طامة حيلنا وخيلهم، وكثُرَت الجراح فبنا بيننا وبينهم، وقتل منا رجلان: مولى لرواد كانت معه رايته يدعى سوبخام ورجلٌ من الأبناء يدعى واقد بن بكر، وصُرع منهم خمسة نفر، وحال الأهل بيننا وبينهم؛ وقد وافقه كرهونا وكرهناهم، وهرؤونا وهرزناهم^(٣)، وقد جرح زياد وجرحنا. ثم إنا بنينا في جانب وتدنونا، فسكنوا ساعة من الليل ثم مضوا، فذهبوا وأصبحنا، فوجدناهم قد ذهبوا؛ فوافقه ما كرهنا ذلك؛ ففضينا حتى أنبنا المنصورة، وبلغنا أنهم أتوا الأهواز^(٤)، فمرلوا في جانب منها، وتلاحق بهم ناسٌ من أصحابهم نحو مائتين كانوا معهم بالكوفة، لم يكن لهم من القوة ما يهنئون به^(٥) معهم حين سَهَضوا؛ فاتبوهم من بُعد لحوقهم بالأهواز، فأقاموا معهم.

قال: وكتب زياد بن خَصَفَة إلى عليٍّ عليه السلام:

أما بعد، فإننا لقينا عدوَّ الله التاجي وأصحابه بالمدائن؛ فدعوناهم إلى الهدى والحق وكلمة

(١) الطبرى: «بلغنا».

(٢) عقرت الخالة؛ إذا قصعت فوائها بالسيف.

(٣) مزونا وهرزناهم؛ أى كرهونا وكرهناهم.

(٤) الأهواز: سبع كور بين البصرة وفارس.

(٥) الطبرى: «ما يهنئون به».

السواء ؛ هَوَّلُوا من الحقِّ وأخذتهم المرة بالإلحاح ، وَزَيَّنَ لهم الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهم عن السَّبِيلِ ؛ فَصَعَّدُونَا وَصَدَّنَا صَدَّهم ، وَفَتَنَنَا قَدَالًا شَدِيدًا مَا بَيْنَ قَائِمِ الظُّهْرِ إِلَى أَنْبَ دَلَّكَ^(١) الشَّمْسُ ، وَاسْتَنْهَدْنَا رَجُلَانِ صَالِحَانِ ، وَأَصِيبَ مِنْهُنَّ خَمْسَةَ نَفَرٍ ، وَخَلَّوْا لنا للمِرْكَةِ ، وَفَدَفَشْتَفِينَا وَفِيهِمُ الْجِرَاحُ - ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أُدْرِكُوا الْقَبِيلَ خَرَجُوا مِنْ تَحْتِهِ مُتَسَكِّرِينَ إِلَى أَرْضِ الْأَهْوَازِ ؛ وَقَدْ بَلَغَ أَهْلُهَا مِنْ الْأَهْوَازِ جَانِبًا . وَنَحْنُ بِالْبَصْرَةِ نَدَاوِي جِرَاحَنَا ، وَنَنْتَظِرُ أَسْرَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ ؛ وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا أَنَاهُ الْكِتَابُ ، قَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ الرُّيَاحِيُّ ، فَجَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَ بَيْنِي أَنْ يَكُونَ مَكَانَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَشَنَّهُمْ فِي طَلَبِهِمْ عَشْرَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا لِحِقُومِ اسْتَأْصَلُوا شَأْنَهُمْ^(٢) ، وَقَطَعُوا دَائِرَتَهُمْ ؛ فَأَمَّا أَنْ تَلْقَاهُمْ بِأَعْدَادِهِمْ ؛ فَلَمْ يَمْرُؤُ (يَصِيرُونَ لَمْ) فَمِنْهُمْ قَوْمٌ عَرَبٌ ، وَالْمُدَّةُ تُصِيرُ الْمُدَّةُ . فَيَقَاتِلُونَ كُلَّ الْقِتَالِ .

قَالَ : صَلَّاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَجَهَّزْ يَا مَعْقِلُ إِلَيْهِمْ ، وَتَدَبَّ مِنْهُ أَتَقِينُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَهَمَّ يَزِيدُ بْنُ مَعْقِلٍ ، وَكَسَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّبَّاسِ بِالْبَصْرَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا بَعْدُ ، فَأَبِثْ رَجُلًا مِنْ قَبْلِكَ صَبِيحًا شَجَاعًا ، مَعْرُوفًا بِالصَّلَاحِ فِي أَلْفٍ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَلْيَتَخَبَّعْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ ؛ فَإِذَا خَرَجَ مِنْ أَرْضِ الْبَصْرَةِ ، فَهِيَ أَمِيرُ أَصْحَابِهِ حَقٌّ يَلْقَى مَعْقِلًا ؛ فَإِذَا أَقْبَاهُ فَمَعْقِلُ أَمِيرُ الْفَرِيقَيْنِ ، فَلْيَسْبَحْ^(٣) مَعَهُ وَلْيُطِيعْهُ وَلَا يَخَالَفْهُ ؛ وَمُرُزَادُ بْنُ خَصْفَةَ فَلْيَقْبَلْ إِلَيْنَا ، فَهَمَّ الرُّمُزَادُ ؛ وَنَحْنُ الْقَبِيلُ قَبِيلُهُ ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) دَلَّكَ الشَّمْسُ : أَصْفَرَتْ وَخَضَعَتْ لِلْمَسَاءِ .

(٢) الشَّأْنُ فِي الْأَسْلِ : فَرَسٌ تَمْرَحُ وَ أَسْفَلَ الدَّمِ تَسْكُوهُ فَتَنْهَبُ ؛ وَإِذَا أَصْلَحَتْ مَاتَ صَاحِبُهَا ؛ وَفِيهِمْ : اسْتَأْصَلُوا شَأْنَهُ ؛ أَيِ أَهْبَاهُ كَمَا تَنْهَبُ الْفَرَسُ ، وَمَعَهُ أَزَالَهُ مِنْ أَسْلِهِ .

(٣) فَلْيَسْبَحْ : فَلْيَسْبَحْ مِنْ مَعْقِلٍ .

قال : وكعب عليه السلام إلى زياد بن خصفة :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت به الناحية وأصعابه ، الذين طبع الله على قلوبهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ؛ فهم حيارى عمون ، يحسبون أنهم بحسنون صنعا ؛ ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر ؛ فما أنت وأصعابك فله سبيكم وعليه جراؤكم ؛ وأيسر ثواب الله للمؤمن خير له من الدنيا التي يقبل الجاهلون بأنفسهم عليها ، ف (ما عندكم) ينفذ وما عند الله باقي ولتخزيي الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (١) : وأما عدوكم الذين لقيتم فحسبهم حروجه من الهدى ، وارتكاسهم في الصلاة ، وردهم الحق ، وجاحهم في التيه ، فزهم وما يفترون ، ودعهم في طعناهم يسهون ، فاسمعهم وأبصر ؛ فكأنك سهم عن قليل بين أسير وقتيل ، فأقبل إلينا أنت وأصعابك مأجورين ، فقد أطمع وسمعت ، وأحسنت الكلام والسلام

قال : ونزل الناحية جاسا من الأهواز ، واجتمع إليه علوج كثير من أهلها ؛ فمن أراد كسر الخراج ومن القصوص ، وطاعة أخرى من الأعراب ترى رأيه .

قال إبراهيم بن هلال : حدثنا محمد بن عبد الله ، قال : حدثني ابن أبي سيف ، عن الحارث بن كعب ، عن عبد الله بن قمين ، قال : كنت أما وأخي كعب بن قمين في ذلك الحيش مع مقل بن قيس ، فلما أراد الخروج أتى أمير المؤمنين (٢) عليه السلام يودعه ، فقال : يا مقل بن قيس ؛ اتق الله ما استطعت ؛ فإنه وصية الله للمؤمنين ؛ لا تبخر على أهل القبلة ، ولا تغلظ أهل الذمة ولا تكبر ؛ فإن الله لا يحب التكبرين . فقال مقل : الله للسمان ، فقال : خير مستعان .

(١) سورة البقره ١٧٦

(٢) الطبري : « أقبل إلى علي » .

ثم قام فخرج ، وخرجنا معه ؛ حتى ترك الأهواز ، فأقنا ننظر بئس البصرة ، فأبطأ علينا ، فقام متعلّ فقال : أيها الناس ؛ إنا قد اعطونا أهل البصرة ، وقد أبطأوا علينا ، وليس بنا بحمد الله قلة ولا وحشة إلى الناس ؛ فسيروا بنا إلى هذا المدوّ القليل الذليل ؛ فإن أرجو أن يصبركم الله ويهلكهم . فقام إليه أخى كعب بن قعين فقال ؛ أصبحت إن شاء الله رأيتنا رأيك ، وإنى لأرجو أن ينصرنا الله عليهم ؛ وإن كانت الأخرى ؛ فإن في الموت على الحقّ لتمزية عن الدنيا . فقال ؛ سيروا على بركة الله . فسرنا ، فوالله ما زال معقل ابن قيس لى ولأخى مُكرماً وادّاً ، ما يبدل بنا أحداً من الجند ، ولا يزال يقول لأخى ؛ كيف قلت ؛ إن في الموت على الحقّ لتمزية عن الدنيا صدقت والله وأحسن ، ووقفت وفتك الله ؛ قال ؛ فوالله ما سرنا يوماً ؛ وإذا بجيش^(١) يشتدّ بصعينة فى يده .

عن عبد الله بن عباس إلى متعلّ بن قيس ، أما بعد ؛ فإن أدركك رسولى بالمكان الذى كنت مقباً به ، أو أدركك وقد شخّضت منه ؛ فلا تبرحن من المكان الذى ينتهى إليك رسولى وأنت فيه ، حتى يقدم عليك بشئنا الذى وجهناه إليك ، فقد وجهت إليك خالد بن معدان الطائى ، وهو من أهل الدين والصلاح والنجدة ، فاسمع منه واعرف ذلك ؛ إن شاء الله والسلام .

قال ؛ قرأه معقل بن قيس على أصحابه . فسرّوا به ، ووجدوا الله ، وقد كان ذلك الوجه هالهم . وأقنا حتى قدّم علينا خالد بن معدان الطائى ، وجاءنا حتى دخل على صاحبنا ، فسلم عليه بالإمرة ، واجتمعنا جميعاً فى عسكر واحد ، ثم خرجنا إلى التاجى وأصحابه ، فأخذوا يرتفعون نحو جبال زامهرمز ، يريدون قلعة حصينة ، وجاءنا أهل البلد ، فأخبرونا بذلك ، فخرجنا فى آثارهم فلقناهم ، وقد دنوا من الجبل ، فصفقتنا لهم ، ثم أقبلنا نحوهم ، فجعل متعلّ على ميسته يزيد بن المقل الأزدي ، وعلى ميسرته مستجاب بن راشد الضبي ، ووقف

الطريق بن راشد الناحي عن معه من العرب ، فكانوا ميمنة ، وحمل أهل البلد والمعلوج^(١) ومن أراد كسر الخراج وجماعة من لأكراد ميسرة .

قال : وسار فينا مقل محمضا ، ويقول : يا عبدا لله ، لا تبدهوا القوم ، وغضوا الأبصار ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا أنفسهم على الطعن والعرب ، وأبشروا في قتالهم بالأجر العظيم ، إنما تقاتلون مارقة مرقّت وعلوجا^(٢) منموا الخراج ، ولصوصا وأكرادا ، فانتظرونا ! فإذا حملت فشدوا شدة رجل واحد .

قال : فر في الصف يكلمهم ، يقول هذه الفتاة ، حتى إذا مرّ بالناس كلهم أقل فوقف وسط الصف في القلب ، ونظروا إليه ما يصنع ، فرك رأسه تحرير يكتن ، ثم حل في الثالثة ؛ وحملنا معه جميعا ، فوالله ما صبروا لنا ساعة حتى ولوا واهزموا ، وقتلنا سبعين عربيا من بني ناجية ، ومن بمض من أتبعه من العرب ، ومحو ثلثائة من المعلوج والأكراد .

قال كعب : ونظرت ، فإذا صديق مدرك بن الرزيان قتيلا ، وخرج الحرير بمهمز ماء حتى لحق بسيف^(٣) من أسياف البحر ؛ وسها جماعة من قومه كثير ، فزال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف على عليه السلام ، ويرين لهم فراقه ، ويحرمهم أن الهدى في حربه ومخالفته ، حتى أتبعه منهم ناس كثير .

وأقام مقتل بن قيس بأرض الأهواز ، وكعب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالفتح ، وكنت أما الذي قدّم بالكتاب عليه ، وكان في الكتاب :

لعبد الله على أمير المؤمنين ، من مقل بن قيس . سلام عليك ، فإنني أحتد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإننا قتيلا المارقين ؛ وقد استظهروا علينا بالمشركين ؛

(١) المعلوج : كفار الجبل ؛ واحد علج .

(٢) العلوج ، بالسكس ؛ ساحل البحر .

فقتلنا منهم مائتا كثيرا ولم نعد فيهم سيرتك فلم تقتل معهم مديرا ولا أسيرا ؛ ولم
مُدْفَعٌ^(١) منهم على جريح ، وقد نصر الله المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

قال : فلما قدمتُ بالكُتَابِ على حنّ عليه السلام ، قرأه على أصحابه ، واستشارهم في
الرأى ، فاجتمع رأيُ عامتهم على قول واحد . قالوا : برى أن تكتبَ إلى مقتل بن
قيس ؛ يَفْشَحُ آثارهم ، ولا يزال في طسهم حتى يقتلهم أو يبعيهم من أرض الإسلام ؛ فإنّا
لا نأمن أن يَفْشِدُوا عليك الناس .

قال : فردّني إليه ، وكتب منى :

أما بعد ؛ فالحمد لله على تأييده أو لياؤه ، وخَدْلُهُ أعداءه ، جراك الله وللمسلمين خيرا ؛
قد أحسنتم البلاد ، وقصصتم ما عليكم ؛ فاسأل من أحيى منى ناحية ، فإنّ تملك أنه استقرّ
في بلد من البلدان ، فيسرّ إليه حتى تقتله أو تفتيه ، فإنّه لم يزل للمسلمين عدواً ،
وللمؤمنين ولياً ، والسلام .

قال : فسأل معقل عن مسيره والمكان الذي انتهى إليه ، فتبيّ بمكانه سيف البحر
بنارس ، وأنه قد ردّ قومه عن طاعة حنّ عليه السلام ، وأفشد من قبله من عبد القيس ،
ومنّ والاهم من سائر العرب ، وكان قومه قد منموا الصدقة عام صيدين ، ومنمواها في ذلك
العام أيضا ، فسار إليهم معقل بن قيس في ذلك الجيش من أهل الكوفة والنصرة ، فأخذوا
على أرض فارس ، حتى انتهوا إلى أسياف البحر ؛ فلما سمع الجريثُ بن راشد بمسيره ،
أقبل على من كان معه من أصحابه ، ثم يرى رأى الحوارج ، فأسرّ إليهم : إني أرى
رأيكم ، وإن عليّ ما كان ينبغي له أن يَحْكُمَ الرجال في دين الله ، وقال لمن يرى رأى
عثمان وأصحابه : إنّا على رأيكم ، وإنّ عثمان قُتِلَ مظلوما معقولا ؛ وقال لمن منع الصدقة :

(١) مدف على الجريح : أجهز عليه .

شَدُّوا أَيْدِيَكُمْ عَلَى صَدَقَاتِكُمْ ، ثُمَّ صَيَّرُوا بِهَا أَرْحَامَكُمْ ، وَعُودُوا لِيَنْ شَتَمَ عَلَى قَرَائِكُمْ ؛ فَأَرْضَى كُلُّ طَائِفَةٍ بِصَرْبِهِ مِنَ الْقَتْلِ ؛ وَكَانَ فِيهِمْ نَصَارَى كَثِيرٌ ، وَقَدْ كَانُوا أَسْلَمُوا ؛ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ الْاِخْتِلَافَ ، قَالُوا : وَاللَّهِ لَنَدِينَنَّ الَّذِي حَرَجَنَا مِنْهُ خَيْرٌ وَأَهْدَى مِنْ دِينِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَهَامُّ دِينَهُمْ عَنْ مَعَكَ الدَّمَاءَ ، وَإِخَافَةَ السَّيْلِ ؛ فَرَجَعُوا إِلَى دِينِهِمْ .

فَلَقِيَ الْغُرَبَاءُ أَوْلِيَاءَهُمْ ، فَقَالَ : وَنَعَمْ ! إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنَ الْقَتْلِ إِلَّا الصَّبْرُ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَلِتَقَاتِلَهُمْ ، أَنْتَدِرُونَ مَا حُكِمَ عَلَى غَيْبِنَ أَسْلَمَ مِنَ النَّصَارَى ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ ؛ لَا وَاللَّهِ لَا يَسْمَعُ لَهُ قَوْلًا ، وَلَا يَرَى لَهُ عِزًّا ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ تَوْبَةٌ ، وَلَا يَدْعُوهُ إِلَيْهَا ؛ وَإِنْ حَكَمَهُ فِيهِ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقُهُ سَاعَةً يُسْتَشْكَرُ مِنْهُ ؛ فَسَارَالِ حَتَّى خَدَعَهُمْ وَجَاهَمَ مَنْ كَانَ مِنْ بَنِي نَاحِيَةٍ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَمِنْ غَيْرِهِمْ ؛ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَاسٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ مُشْكِرًا دَاهِيًا .

قَالَ : فَلَمَّا رَجَعَ مَقْبُولٌ ، قَرَأَ عَلَى أَصْحَابِهِ كِتَابًا مِنْ عَنِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ :
مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابِي هَذَا ؛ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمَارْقِينَ وَالنَّصَارَى وَالرَّتْدِينَ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ ،
وَالْبَيْتِ بَدَ الْمَوْتُ وَأَمَّا بِمَعْدِ اللَّهِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْخَالَتَيْنِ ؛ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ
اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ؛ وَأَنْ أَعْمَلَ فِيكُمْ بِالْحَقِّ وَعَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، فَمَنْ رَجَعَ مِنْكُمْ إِلَى
رَحْلِهِ وَكَفَّ يَدَهُ ، وَاعْتَزَلَ هَذَا الْمَارِقَ ^(١) الْمَالِكَ الْحَارِبَ ^(٢) ؛ الَّذِي حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ
وَالْمُسْلِمِينَ ، وَسَمَى فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، فَهُوَ الْأَمَانُ عَلَى مَالِهِ وَدِينِهِ . وَمَنْ تَابَعَهُ عَلَى حَرْبِنَا
وَالْخُرُوجِ مِنْ طَاعَتِنَا ، اسْتَمْنَا بِاللَّهِ عَلَيْهِ ، وَجَسَلْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَلِيًّا . وَالسَّلَامُ .
قَالَ : فَأَخْرَجَ مَقْبُولٌ رَايَةَ أَمَانٍ فَنَصَبَهَا ، وَقَالَ : مَنْ أَنْتَاهَا مِنَ النَّاسِ فَهُوَ آمِنٌ إِلَّا
الْغُرَبَاءَ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ نَابَذُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَخَرَفَ عَنْ الْغُرَبَاءِ كُلِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ
قَوْمِهِ ، وَعَبَّأَ مَقْبُولٌ بِنَ قَيْسٍ أَصْحَابَهُ ، ثُمَّ زَحَفَ بِهِمْ مَحْوً ، وَقَدْ خَصَّرَ مَعَ الْغُرَبَاءِ جَمِيعَ

(١) : « الْمَارِقُ » .

(٢) : سَالِفَةُ مِنْ ج .

قومه ! مسلهم ونصرايتهم ، ومانى الصدقة منهم ، فجعل مسلهم بمنى ، والنصارى ومانى الصدقة بئسرة ، وجعل يقول لقومه : امنموا اليوم حريكم ، وقاتلوا عن سائكم وأولادكم ، والله لئن ظهروا عليكم ليقتلنكم وليسلبنكم .

فقال له رجل من قومه : هذا والله ماجرته علينا يدك ولسانك ، فقال لهم : قاتلوا فقد سبق السيف المذل .

قال : وسار معقل بن قيس يمرض أصحابه فيما بين اليمنة واليسرة ، ويقول : أيها الناس ، مائدرون ما سبق إليكم في هذا الموقف من الأحر العظيم ! إن الله ساقمكم إلى قوم ممنموا الصدقة ، وارتدوا عن الإسلام ، وسكنوا اليمنة طلما وعدواها ؛ إلى شهيد لمن قيل منكم بالجنة ، ومن عاش بأن الله يقره عيه بالفتح والنعمة ؛ فعمل ذلك حتى مرّ بالناس أجمين ، ثم وقف في القلب براجته ، ثم سبّ إلى يزيد بن المغل الأزدي ، وهو في اليمنة ؛ أن أحل عليهم ، فقتلوا ، فقاتل طويلا وقاتلوه ، ثم رجع حتى وقف موقفه الذي كان فيه من اليمنة ، ثم بحث إلى النعاب من راشد الصبي ، وهو في اليسرة : أن أحل عليهم ؛ فقتلوا ، فقاتل طويلا وقاتلوه ، ثم رجع حتى وقف موقفه الذي كان في اليسرة ، ثم بحث معقل إلى ميسته وميسرته : إذا حملت فاحملوا جميعا . ثم أحرى فرسه وصربها ، وحل أصحابه ، فصرخوا لهم ساعة .

ثم إن النعمان بن صبيان الراصي بصر بالفرات ، فصره عليه ، فصره عن فرسه ، ثم نزل إليه وقد جرحه ، فاحتلما بينهما ضربتين ، فقتله النعمان وقتل معه في الحركة سبعمون ومائة ، وذهب الباقيون في الأرض يمينا وشمالا ، وبث معقل الخليل إلى رحالم ، فسبى^(١) من أدرك فيها رجالا ونساء وصبيان ، ثم نظر فيهم ، فمن كان مسلما خلّاه وأخذ

(١) السبي : الأسر .

بيعتَه ، وخلق سبيل عياله ، ومن كان ارتد عن الإسلام عَرَضَ عليه الرجوع إلى الإسلام وإلا القتل ؛ فأسلموا . خلق سبيهم ، وسبيل عيالاتهم ؛ إلا شيئا منهم نصرانيا يقال له : الزماحس ^(١) بن منصور ؛ فإنه قال : والله ما رلت ^(٢) مصيبا مد قفّلت ؛ إلا في خروجي من ديب ؛ دين الصدق ، إلى دينكم ، دين السوء ؛ لا والله لا أدع ديني ولا أقرب دينكم ما حييت .

فقدّمه مقل فصرب عنقه ، وجمع الناس ، فقال : أدّوا ما عليكم في هذه السنين من الصدقة ، فأخذ من المسلمين عقالين ، وعهد إلى النصاري وحيالاتهم فاحتلهم معه ، وأقبل المسلمون الذين كانوا معهم ؛ يشتموهم ، فأمر مقل ردهم ؛ فلما ذهبوا لينصرفوا ، تصايحوا ودعا الرجال والنساء مصعبهم إلى دعوى .

قال : فلقد رحمتهم رحمة ما رحمتها أحدا قبلهم ولا بعدهم . وكتب مقل إلى علي عليه السلام :

أما بعد ؛ فإنني أحر أمير المؤمنين عن جنده وعن عذوه أنا دفعا إلى عدو ما بأسياف البحر ، فوجدنا بها قاتل ذات حدّ وعد ؛ وقد جمعوا لنا ، فدعوناهم إلى الجماعة والطاعة ، وإلى حكم الكتاب والسنة ؛ وقرأ ما عليهم كتاب أمير المؤمنين عليه السلام ، ورفضنا لهم راية أمان ؛ قالت إلينا طائفة منهم ، وثبتت طائفة أخرى ، فقبلنا أمر لقي أقبلت ، وصعدنا إلى التي أدبرت ، فصرب الله وجوههم ، ونصّرنا عليهم ؛ فأما من كان مسلما ؛ فلما متنا عليه ، وأخذنا بيعته لأمر المؤمنين ، وأخذنا منهم الصدقة التي كانت عليهم ؛ وأما من ارتد فعرّضنا عليهم الرجوع إلى الإسلام ؛ وإلا قتلتهم ؛ فرجعوا إلى الإسلام ؛ غير رجل واحد قتلناه ؛ وأما النصاري ؛ فإننا سبيناهم وأقبلنا بهم ؛ ليكونوا نكالا لمن بعدهم من أهل الذمة ، كي لا يمتنعوا الجزية ، ولا يهجرنوا على قتال أهل القبلة ؛ وهم للصغار والفقراء

(١) كذا في تاريخ الطبري ؛ ١٢٨ ، وفي الأصول ؛ « الرملص » ، تحريف .

(٢) وفي الأصول ؛ « ماظلت » ، والصواب ما أخرجه من الطبري .

أهل . رحمتك الله يا أمير المؤمنين ، وعبك الصلاة والسلام ، وأوجب لك جنات النعيم . والسلام .

قال : ثم أقبل بالأسارى حتى مرّ على مصفّة بن عبدة الشيباني ، وهو عامل لعلّ عليه السلام على أردشير حرّة^(١) وهم خمسمائة إنسان ، فبكى إليه النساء والعصيان ، ونصائح للرجال : يا أبا الفضل ، يا حامل الثقل^(٢) ، يا مؤوى الضمير ، وفكّك المعصاة ، آمن علينا فاشترنا وأعتقنا . فقال مصفّة : أقسم بالله لأنصدقنّ عليهم ، إن الله يحزى للتصدقين . فبلغ قوله مقلّ بن قيس ، فقال : والله لو أعمه قلما توجّها لم وإرراء على لصريت عتقه ، وإن كان في ذلك فناء بنى نعيم وبكر بن وئيل .

ثم إن مصفّة بحث ذهل بن الحارث قد هنّ إلى مقلّ ، فقال : رضى نصارى ناحية ، فقال : أبيعكم ألف ألف درهم ، فأبى عليه ، فلم يزل يرّأوده حتى باعه لإمام عسكارة ألف درهم ، ودفعهم إليه ، وقال : تجلّ لئال إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال مصفّة : أنا باعته الآن بصدر منه ، ثم أتيتك بصدر آخر ، ثم كفلك حتى لا يبقى منه شيء . وأقبل مقلّ إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فأخبره بما كان من الأمر ، فقال له : أحسنت وأصبت ووُفقت .

وانتظر على عليه السلام مصفّة أن يبعث بالمال ، فأبطأ به . وبلغ عليّاً عليه السلام أن مصفّة خلّى الأسارى ولم يسألم أن يهنّوه في فكّك أشبهم بشيء ، فقال : ما أرى مصفّة إلا قد حمل حاته ، ولا أراكم إلا سترونه عن قريب متبلّحاً^(٣) ، ثم كتب إليه :

(١) أردشير حرّة ، بالفتح ثم الكون ومع ابدال اللام وكسر التين للمصدة وباء سا كة وراء ، وباء مسجدة مسبوبة ، وراء مفتوحة مشددة وهاء - من كورثارس (مراد الاطلاع) .
(٢) الثقل - متاع الإنسان وحشمه .
(٣) اللحاح : اللقي على الأوس من الضرب .

أما بعد ؛ فإن من أعظم الخيانة خيانة^(١) الأمة ، وأعظم النش على أهل البصرة جيش الإمام ، وعندك من حقّ المسلمين خمسمائة ألف درهم ، فأبست بها إلى حين يأتيك رسولى ؛ وإلا فأقبل إلى حين تنظر فى كتابى ؛ فإنى قد قدّمت إلى رسولى ألا يدعك ساعة واحدة تقيم بعد قدومه عليك ؛ إلا أن تبعت بالمال ، والسلام .

وكان الرسول أبو جبرّة الحنفى ، فقال له أبو جبرّة : إن تبعت بهذا المال إلا فاشتم منى إلى أمير المؤمنين . فلقرا كتابه أقبل حتى نزل البصرة ، وكان العمال يحملون المال من كور البصرة إلى ابن عباس ؛ فيكون ابن عباس هو الذى يبعث به إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم أقبل من البصرة حتى أتى حلبا عليه السلام بالكوفة ، فأقره أبا ما لم يذكر له شيئا ، ثم سأله المال ، فأدى إليه مائتى ألف درهم ، وعجز عن الباقي .

قال : فروى ابن أبى سيف ، عن أبى الصلت عن ذهل بن الحارث ، قال : دعانى مصقلة إلى رَحْله ، فقدم عشاء فطعنا منه ، ثم قال : والله إن أمير المؤمنين عليه السلام يسألنى هذا المال ، والله ما أقدر عليه ، فقلت له : لو شئت لم يمس عليك شئ حتى تجمع هذا المال ، فقال : ما كنت لأحلبها قروى ، ولا أطلب فيها إلى أحد .

ثم قال : والله لو أن ابن هند مطلقا بها ، أو ابن عفان ، لتركها لى ؛ ألم تر إلى عفان كيف أعطى الأشعث مائة ألف درهم من خراج أذربيجان فى كل سنة ؛ فقلت : إن هذا لا يرى ذلك الرأى ، وما هو ببارك لك شيئا . فسكت ساعة ، وسكت عنه ؛ فامكت ليلة واحدة^(٢) بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية .

فبلغ ذلك عليا عليه السلام فقال : ما له تركه الله أفضل قتل السيد وفرار المبدء ، وخان خيانة الفاجر ؛ أما إنه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه ، فإن وجدنا له شيئا أخذناه ،

(١) كلمة « خيانة » ساقطة من أ ، ب ؛ فالتدقيق والطبرى .

(٢) الطبرى : « فلا والله ما كنت إلا ليلة واحدة » .

وإن لم نجد له مالا تركناه . ثم سار على عليه السلام إلى داره فهدمها .
وكان أخوه نعم بن هبيرة الشيباني شعبة لملى عليه السلام منهاجاً ، فكتب إليه مصقلة
من الشام مع رجل من نصارى تَعْلِب ، بَدَل له حُلُون :
أما سُدُّ ؛ فإني كُلتُ معاوية فيك ، فوعدك الكرامة ، ومثاقك الإمارة ، فأقبل
ساعة تلقى رسولاً . والسلام .

فأخذ مالك بن كعب الأرحبي فسرَح به إلى على عليه السلام ، فأخذ كتابه فقرأه
ثم قدمه فقطع يده ، فأت . وكتب نعيم إلى [أخيه] مصقلة شراً لم يردّه عليه (١) :
لا ترمين هَذَاكَ اللهَ ممترضا بالنظر منك فسا بالي وحلوانا
ذَاكَ الحريمُ على مائالٍ من طَمَعٍ وَهُوَ البمهدُ فَلَا يورثُك أحزاناً (٢)
مَاذَا أَرَدْتَ إلى إرْسَالِهِ سَفَهًا تَرْجُو يَقْطِطُ امرئٌ لم يَلَفَ وَسَفَهًا
مَرُفَتُهُ لِيَلْقَى إِيَّاهُ أَكْثَرُ تَحْتِي الرِّضْنَةُ مِنَ آسَادِ سَعَانَا (٣)
فَدَكُنْتَ فِي خَيْرِ مُصْطَابٍ وَمَرْتَعٍ تَحْتِي الرِّفَاقِ وَتَدْعَى خَيْرَ شَيْئَانَا (٤)
حَتَّى تَقَعْتَ أَمْرًا كُنْتَ تَكْرَهُهُ لِرَاكِبِينَ لَهُ سِيرًا وَإِغْلَانًا
لَوْ كُنْتَ أَدَيْتَ مَالِ اللهِ مُصْطَبًا لَحَقَّ لِحَقَّتْ بِأَهْلِ الشَّامِ مَلْتَبَا (٥)
فَالْيَوْمَ تَقْرَعُ مِنَ الصَّجَرِ مَنْ نَدِمَ (٦) مَاذَا تَقُولُ وَقَدْ كَانَ الذي كَانَا
أَصْبَحْتَ تَبْغِضُكَ الْأَحْيَاءُ قَاطِبَةً لَمْ يَوْقِعَ اللهُ بِالْمُضَيَّانِ إِنْسَانًا (٧)

(١) الأبيات في تاريخ الطبري ٤ : ١٣٠ وما بعدها .

(٢) الطبري : « فلا يورثك إرساناً » .

(٣) الرمنه : المعنى في اللقي من المشاط . وخفان : مأسدة قرب الكوفة .

(٤) الطبري : « قد كنت في مطر من دا وسنم » .

(٥) رواية الطبري :

لَوْ كُنْتَ أَدَيْتَ مَا لِلْقَوْمِ مُصْطَبًا لَحَقَّ أَحْيَيْتَ أَحْيَانًا وَتَوْتَمَانًا

(٦) الطبري : « سن الترم » .

(٧) الطبري : « بالبناء إنساناً » .

فما بلغ الكتاب إليه علم أن النصراني قد هلك^(١)، ولم يلبث الصليبيون إلا قليلا حتى بلغهم هلاك صاحبهم، فأنوا مصقة، فقالوا: أستاذ هلك صاحبنا؛ فإنا أن نجيتنا^(٢) به، وإنا أن نديته؛ فقال: أما أن أجى^(٣)، فقلت أستطيع ذلك؛ وأما أن أدية قسم، فوداه.

قال إبراهيم: وحدثني ابن أبي سيف، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: قبل لمي عليه السلام حين هرب مصقة: اردد الدين سوا ولم تستوف أمانهم في الرق، فقال: ليس ذلك في القضاء بحق؛ قد عتقوا إذ أعتقهم الذي اشتراهم، وصار مالى ديناً على الذي اشتراهم.

ودرى إبراهيم أيضا، عن إبراهيم بن ميمون، عن عمرو بن القاسم بن حبيب النار، عن عمار الدهني، قال: لما هرب مصقة قال أصحابي سلم عليه السلام: يا أمير المؤمنين، فيئنا! قال: إنه قد صار على قريم من العراء، فاطلبوه.

وقال غليان بن حجارة، أحد بني سعد بن زيد مناة في بني ناجية:

هلا صبرت للفراع ناجيا وللرهقات تحتل الهواديا^(٤)
والطعن في نخورك تواليها وصائب الأسم القواضيا
وقال غليان أيضا:

الأفاصبر والطعن والضرب ناجيا وللرهقات يختلن الهواديا
قد صبر الناس خزيًا عليكم وصبركم من بعد مر مواليا

(١) الطبري: « فلما وقع الكتاب إليه علم أن رسوله قد هلك ».

(٢) الطبري: « نجية ».

(٣) الطبري: « أجىه ».

(٤) تغزل: تجز، والمواضي هنا: الأمتان.

تَمَّا لَكُمْ بِالتَّقْلِ جُرْأَ مُوَادِمَا أَخُو قَتْلَ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرُ غَازِيَا
فَصَبَحَكُمْ فِي رَحِيلِكُمْ وَخِيُولِكُمْ يَصْرَبُ يَوْمَ مِنْهُ لِلدَّجِجِ هَاوِيَا
فَأَصْبَحْتُمْ مِنْ بَسَدٍ مِرٍّ وَكَثْرَةٍ عَيْدَ الْعَصَا لَا تَحْمُونَ الذَّرَارِيَا

قال إبراهيم بن هلال : وروى عبد الرحمن بن حبيب ، عن أبيه ، أنه لما بلغ علياً عليه السلام مصاب بني ناجية ، وقتل صاحبهم ، قال : هوت أمه إنا كان أخص عقله وأجرأه ! إنه جاءني مرة فقال : إن في أصحابك رجالاً قد حشيت أن يارقوك ، فما ترى فيهم ؟ قلت : إني لا آخذ على التهمة ، ولا أمارق على الظن ، ولا أقاتل إلا من خالفني وناصبني ، وأظهر العداوة لي ؛ ثم استمفاته حتى أدهوه وأحضر إليه ^(١) ؛ فإن تاب ورجع قبلنا منه ، وإن أي إلا الاعتزام على حرنا استمنا بالله عليه ، وما جزأه . فكف عني ما شاء الله ، ثم جاءني مرة أخرى ، فقال لي : إني قد حشيت أن يفسد عليك عبد الله بن وهب وزيد بن حصين الطائي ، إني سمعتهما يذكر أمك بأشياء لم سمعتهما لم تفارقهما حتى تقتلها أو تورقهما ، فلا يزالان بمعصك أبداً . قلت له : إني مستشيرك فيها ، فلماذا تأمرني به ؟ قال : إني آمرك أن تدعو بهما فغضب رقابتهما ، فقلت أنه لا ورع له ولا عقل . قلت له : والله ما أعلن لك ودعاً ولا عتلاً ، لقد كان يبغي لك أن تعلم أني لا أقتل من لم يقاتلني ، ولم يظهر لي عداوته لئذي كنت أعلمك من رأيي ، حيث جئتني في المرة الأولى لم يولد كان يبغي لك . لو أردت قتلهم — أن تقول لي : اتق الله ! ثم تستحل قتلهم ولم يقتلوا أحداً ، ولم ينادوك ولم يخرجوا من طاعتك !

• • •

فأما ما يقوله المتكلم في مثل هذا السب ، فقيل أن تذكر ذلك هول : إن الرواية قد

(١) أي يكون له منه عذر .

اختلفت في المرتدين من بنى ناجة ، فالرواية الأولى التي رواها محمد بن عبد الله بن عثمان ، عن نصر بن مزاحم ، تتضمن أن الأمير الذي من قبل علي عليه السلام قتل مقاتلة المرتدين منهم بسد امتناعهم من العودة إلى الإسلام ، وسعى ذرائعهم ، قدم بها علي عليه السلام ؛ فلي هذه الرواية يكون الذين اشترام مصفّة ذراعي أهل الردّة .

والرواية الثانية التي رواها محمد بن عبد الله ، عن ابن أبي سيف ، تتضمن أن معقل بن قيس ، الأمير من قبل علي عليه السلام لم يقتل من المرتدين من بنى ناجة إلا رجلاً واحداً ، وأما الباقيون فرجعوا إلى الإسلام ، والاسترقاق إنما كان لخصاري الذين ساعدوا في الحرب وشهروا السيف على جيش الإمام ؛ وليسوا مرتدين ؛ بل نصارى في الأصل ، وهم الذين اشترام مصفّة .

فإن كانت الرواية الأولى هي الصحيحة فيها إشكال ؛ لأن المرتدين لا يجوز عند الفقهاء استرقاقهم ، ولا أمرف خلافاً في هذه المسألة ، ولا أعلن الإمامية أيضاً^(١) تخالف فيها ؛ وإنما ذهب أبو حنيفة إلى أن الرأء الردّة إذا لحقت بدار الحرب جاز استرقاقها ، وسائر الفقهاء على خلافه ؛ ولم يختلفوا في أن المذكور البائمين من المرتدين لا يجوز استرقاقهم ، فلا أعلم كيف وقع استرقاق المرتدين من بنى ناجة على هذه الرواية ؛ على أني أرى أن الرواية المذكورة لم يصرّح فيها باسترقاقهم ، ولا بأنهم بيعوا على مصفّة ، لأن لفظ الراوى : « فأبوا » يقتل مقاتلتهم وسعى ذرائعهم قدم بهم على علي عليه السلام ؛ وليس في الرواية ذكر استرقاقهم ولا بيعهم على مصفّة ؛ بل فيها ما ينافي بيعهم على مصفّة ، وهو قوله : « قدم بهم على علي عليه السلام » ؛ فإن مصفّة ابتاع السبي من الطريق في أرض شير خرة قبل قدومه على علي عليه السلام ؛ وللفظ الغبر : « قدّم بهم على علي عليه السلام » .

وإنما يبقى الإشكال على هذه الرواية أن يقال : إذا كان قد قدم بهم على علي عليه

السلام ، فصلة من اشترى ! ولا يمكن دفع كون مصلة اشترى قوما في الجلة ، فإن الخبر بذلك مشهور جدا يكاد يكون متواترا .

فإن قيل : فما قولكم فيها إذا ارتد البالغون من الرجال والنساء ، ثم أولدوا ذرية صغارا بعد الردة ؟ هل يجوز استرقاق الأولاد ؟ فإن كان يجوز ، فهلا حلت الخبر عليه !
 قيل : إذا ارتد الزوجان لحلت منه في حال الردة وأنت بولد كان محكوما مكفرا ؛ لأنه ولد بين كافرين .

وهل يجوز استرقاقه ؟ فيه لثلاثي قولان ؛ وأما أبو حنيفة فقال : إن ولد في دار الإسلام لم يحز استرقاقه ، وإن ولد في دار الحرب جاز استرقاقه ، فإن كان استرقاق هؤلاء القرية موافقا لأحد قولي الشافعي ، قلته ذلك .

وأما الرواية الثانية ، فإن كانت هي الصحيحة - وهو الأولى - فالتفت في المسألة أن التقى إذا حارب المسلمين قد تقضى عهدهم ، قصار كالشركيين الذين في دار الحرب ، فإذا ظفر به الإمام جاز استرقاقه ويهده ؛ وكذلك إذا امتنع من أداء الجزية أو امتنع من التزام أحكام الإسلام .

واختلف الفقهاء في أمور سبعة : هل ينتقض بها عهدهم ، ويجوز استرقاقهم أم لا ؛ وهي أن يزنى التقى بمسلة ، أو يصيبها بلس نكاح ، أو يقتل مسلما عن دينه ، أو يقطع الطريق على المسلمين ، أو يؤوى^(١) لكفار عينا ، أو يبلت^(٢) هل عورات المسلمين ، أو يقتل مسلما . فأصحاب الشافعي يقولون : إن شرط عليهم في عقد الذمة الكف عن ذلك ، فهل ينتقض عهدهم بفعله ؟ فيه وجهان . وإن لم يشترط ذلك في عقد الذمة ، لم ينتقض عهدهم بذلك .

وقال الطحاوي من أصحاب أبي حنيفة : ينتقض عهدهم بذلك ، سواء شربوا من

(١) ب : « يؤوى » ، تحريف .

الكف عنه في عقد الذمة ، أو لم يشارطوا عليه .

فنصارى بن ناجية على هذه الرواية قد انتقص عهدهم بحرب المسلمين ، فأيحت دعاؤهم ،
 وجاز للإمام قتلهم و جاز له استرقاقهم كالمشركين الأصليين في دار الحرب ؛ وأما استرقاق
 أبي بكر بن أبي قحافة لأهل الردة وسببه ذراتهم ؛ فإن صح كان مخالفا لما يقول
 الفقهاء من تحريم استرقاق المرتدين ، إلا أن يقولوا إنه لم يسب المرتدين ، وإنما سب
 من ساعدتهم وأعانهم في الحرب من المشركين الأصليين .
 وفي هذا الموضع نظر .

(٤٥)

ومن خطبة له عليه السلام :

الانسل :

أَتَلَمَّذُ فِي غَيْرِ مَقْلُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا تَحْزَنُ مِنْ نِعْمَتِهِ ، وَلَا تَأْيُوسُ مِنْ مَنَفِرَتِهِ ،
وَلَا تُسْتَفْسِكُنَّ عَنْ عِبَادَتِهِ ؛ الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ ، وَلَا تَفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ .
وَاللَّهُ نِيًّا دَارُ مَوْتِي لَهَا الْقَنَاءُ ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ ، وَهِيَ حُلُوةٌ خَيْرَةٌ ، وَقَدْ
هَمَلْتُ لِطَالِبِ ، وَالْقَبَسْتُ بِقَلْبِ النَّاسِ ؛ فَمَنْ تَحَلَّوْا مِنْهَا مَا حَسَنَ مَا عَضَرَ تَكَلُّمُ مِنَ الزَّادِ ،
وَلَا تَنَالُوا فِيهَا فَوْقَ الْكِفَافِ ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَغِ .

البُزْج :

مَنْ لَهَا الْقَنَاءُ ، أَيْ قَدَر . وَالْجَلَاءُ ، يَفْتَحُ الْجَمْعُ : الْخُرُوجُ مِنَ الْوَطَنِ ، قَالَ سُبْحَانَهُ :
(وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) (١) .
وَحُلُوةٌ خَيْرَةٌ ؛ مَا خُذَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ
خَيْرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُ كَيْفَ تَسْلُكُونَ » .
وَالْكِفَافُ مِنَ الرِّزْقِ : قَدَرُ الْقُوتِ ؛ وَهُوَ مَا كَفَتْ عَنْ النَّاسِ ، أَيْ أَغْنَى .
وَالْبُلْفَةُ مِنَ الْعَيْشِ : مَا يَتَّبَعُ . هـ .

واعلم أنَّ هذا الفصل يشتملُ على فصلين من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : أحدهما تحمد الله والثناء عليه إلى قوله : « ولا تُعْزِدْهُ رِئْصَةً » ، والفصل الثاني ذكر الدنيا إلى آخر الكلام . وأحدهما غيرُ مختلط بالآخر ولا مُسَوِّقٍ عليه ؛ ولكن الرضى رحمه الله تعالى يلتقط كلامَ أمير المؤمنين عليه السلام لتفادلاً ، ولا يقفُ مع الكلام التوالى ؛ لأنَّ غرضه ذكرُ فصاحته عليه السلام لا غير ، ولو أُنِيَ بِحُطْبِهِ كُلِّهَا على وجهها لكانت أضافاً كتابه الذي جَمَعَهُ .



[فصل بلاغى فى الموازنة والسجع]

فأما الفصل الأول ، فشمس من علم البيان على باب كبير يعرف بالموازنة ، وذلك « غير مقسوط » فإنه وازنه فى الفقرة الثانية بقوله : « ولا تخلو » . ألا ترى أنَّ كل واحد منهما على وزن « مفعول » ، ثم قال فى الفقرة الثالثة : « ولا ما يوس » ، فجاء بها على وزن « مفعول » أيضاً ؛ ولم يمكنه فى الفقرة الرابعة ما أمكنه فى الأولى ، فقال : « ولا مستنكف » فجاء به على وزن « مستفعل » وهو وإن كان خارجاً عن الوزن ؛ فإنه غير خارج عن النعوية ، لأن « مستفعل » « مفعول » فى الحقيقة ، كقولك : زيد مستحسن ، ألا ترى أنَّ « مستحسناً » من استحسنه ، فهو أيضاً غير خارج عن النعوية .

ثم وارن عليه السلام بين قوله : « لا تبرح » وقوله : « لا تنقد » ، وبين « رجة » و « نسة » ؛ فأعطت هذه الموازاة الكلام من الطلاوة والصنعة ما لا تجده عليه لو قال : « الحمد لله غير مخلو » من نعمته ، ولا مبدء من رحته « لأن » مبدء « بوزن » مفعول « ، وهو غير مطابق ولا مماثل لمفعول ، بل هو بناء آخر .

وكذلك لو قال : « لا تزول منه رجة » ، فإن « تزول » ليست فى المائة والموازنة

١. « يفقد » كـ « تبرح » ألا ترى أنها معتلة ، وتلك صحيحة ! وكذلك لو قال : « لا تبرح منه رحمة ولا يفقد له إتمام » فإن « إتماما » ليس في وزن « رحمة » ، والموازنة مطلوبة في الكلام الذي يقصد فيه القصاحة ، لأجل الاعتدال الذي هو مطلوب الطبع في جميع الأشياء . والموازنة أعم من التسجع ، لأن التسجع مماثل أجزاء الفواصل لو أوردناها على حرف واحد ، نحو القريب ، والغريب ، والتسيب ، وما أشبه ذلك . وأما الموازنة فنحو القريب والشديد ، والجليل ؛ وما كان على هذا الوزن وإن لم يكن الحرف الآخر بعينه واحداً ، وكل تسجع موازنة ، وليس كل موازنة تسجماً ؛ ومثال الموازنة في الكتاب العزيز : ﴿ وَأَتَيْنَاهَا الْكِتَابَ الْتُسْتَفِينَ » وَخَدَّيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٢) ؛ وقوله تعالى : ﴿ يَسْكُونُوا لَهُمْ عِيرًا » ، ثم قال : ﴿ وَيَسْكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا » ، ثم قال : ﴿ تَوَزَّؤُمْ أَرَأَيْتُمْ » ثم قال : ﴿ نَنُذِرُهُمْ عَذَابًا »^(٣) فهذه الموازنة .

ومما جاء من المثال في الشعر قوله :

بأشديم^١ بأساً على أعدائهم وأعزم^٢ قعداً على الأصحاب

فقوله : « وأعزم » يلزاه « أشدم » ، وقوله : « قعدا » يلزاه « بأسا » .
والموازنة كثيرة في الكلام وهي في كتاب الله تعالى أكثر .



[نبذ من كلام الحكماء في مدح القناعة وذم الطمع]

فأما الفصل الثاني فيشتمل على التحذير من الدنيا ، وعلى الأمر بالقناعة ، والرضا بالكفاف ؛ فأما التحذير من الدنيا فقد ذكرنا ونذكر منه ما يحضرنا ؛ وأما القناعة فقد وُرد فيها شيء كثير .

(٢) سورة مريم ٨١ ، ٨٧ ، ٨٣ ، ٨٤ .

(١) سورة الصافات ١١٧ ، ١١٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخوين من الأنصار : « لا تيشا من روح الله ما هَزَّهَرَتْ رُمُوسُكُمْ ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ يَوْمَهُ لَا قِشْرَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَكْسُوهُ اللَّهُ وَرِزْقَهُ » .
وعنه صلى الله عليه وسلم - وَيُعْزَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - : « الْقَنَاعَةُ كَنْزٌ لَا يَنْعَدُ » .

وما يقال إنه من كلام لقمان الحكيم : « كُنْ بِالْقَنَاعَةِ عَرَّاءً ؛ وَيَطِيبِ النَّفْسَ نِعْمًا » .
ومن كلام عيسى عليه السلام : اتَّحِدُوا الْبُيُوتَ مَنَازِلَ ، وَلِلْمَسَاجِدِ مَسَاكِينَ ، وَكُلُوا مِنْ بَقْلِ الْبَرِيَّةِ ، وَاشْرَبُوا مِنْ لَبَاءِ الْفَرَّاحِ ، وَاحْرَجُوا مِنْ دِيَارِ بِلَاسٍ . لِمَعْرِىٍّ لَقَدْ انْقَطَعَتْ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فَا ضَمِيمَكُمْ ، انْتَعَاظُونَ الصَّبِيَّةَ إِذَا انْقَطَعَتْ إِلَيْهِ أ

وفى بعض الكتب الإلهية القدسية : يقول الله تعالى : يَا أَيُّهَا آدَمُ ، اتَّخَفَ أَنْ أَخْلُقَ بَطَاقِي هَزَلًا ، وَأَنْتَ تَتَفَقَّحُ بِمَصْبُوقِي هِمَّتًا ١

قال أبو وائل : ذهبتُ أَمَا وَصَاحِبُ لِي إِلَى سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ ، جَلَسْنَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : قُلْ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَكَذَا لَتَكَلَّفَتْ لَكُمْ ، ثُمَّ جَاءَ غُبُزٌ وَمِلْحٌ سَازِجٌ لَا أَبْزَارَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ صَاحِبِي : لَوْ كَانَ لَنَا فِي مِلْحِنَا هَذَا سَعْتَرٌ ٢) فَبِثَّ سَلْمَانُ بِمِطْطَرَّتِهِ ، فَرَهْنَهَا عَلَى سَعْتَرٍ ، فَلَمَّا أَكَلْنَا قَالَ صَاحِبِي : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَمَنَا بِمَا رَزَقَنَا ، فَقَالَ سَلْمَانُ : لَوْ قَتَمْتَ بِمَا رَزَقَكَ لَمْ تَكُنْ مِطْطَرَّتِي مَرْهُونَةً ١

عباد بن منصور : لقد كان بالبصرة مَنْ هُوَ أَقْبَرُ مِنْ قُرُوبِ بْنِ عُبَيْدٍ وَأَفْصَحُ ؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ أَصْبَرَهُمْ عَنِ الدِّينَارِ وَالْدِّرْهَمِ ، فَإِذَا أَهْلُ الْبَصْرَةِ .

قال خالد بن صفوان لمسروق بن عبيد : لَمْ لَا تَأْخُذْ بِي ؟ قَالَ : لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا ذَلِكَ ؛ وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَذِلَّ لِمِثْلِكَ .

(١) السطر : بات طيب الرائحة حريف زهره أبيض إل الخبز .

كان معاشُ عمرو بن عبَّيد من دَارِ وَرَثَتِهَا ، كان يأخذ أجرتها في كل شهر ديناراً واحداً فيبلغ به .

الغليل بن أحد : كان الناس يكتسبون الرغائب بجله ، وهو بين أخصاص البعثة ، لا يلتفت إلى الدنيا ولا يطلبها .

وهب بن منبه : أرملتُ مرة حتى كدت أقتط ، فأتاني آتٍ في المنام ومعه شبة لوزة ، قال : افضمْ ، ففضضتها ، فإذا حريرة فيها ثلاثة أسطر : لا يبنى لمن عقل من الله أمره ، وعرف الله عدله ، أن يستبطي الله في رزقه ، فقدمت وصبرت ، ثم أعطاني الله فأكثر .

قيل للحسن عليه السلام : إن أبا ذر كان يقول : انفر أحب إلي من النفي ، والسم أحب إلي من السمعة ، قال : رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من أكل إلى حسن الاختيار من الله لم يمتن أنه في غير الحال التي اختارها الله له ، لعمري إن آدم ، الطير لا تأكل رَغداً ، ولا نخباً لند ، وأنت تأكل رَغداً ، ونخباً لند ، فالطير أحسن ظناً منك بالله عز وجل .

سبس عمر بن عبد العزيز المداء من مسألة ، حتى برح به الجوع ، ثم دعا بسويق فسقاه ، فلما فرغ منه لم يقدر على الأكل ، قال : يا مسلة ، إذا كفأك من الدنيا ما رأيت ، فسلام التهاكت في النار !

عبد الواحد بن زيد : ما أحيب شيئاً من الأعمال يقدم الصبر إلا الرضا والقناعة ، ولا أعلم درجة أرفع من الرضا ، وهو رأس المحبة .

قال ابن شبرمة في محمد بن واسع : لو أن إنساناً اكتفى بالتراب لا اكتفى به .

يقال من جملة ما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : قل لبادي للتسخطين لزي ، إياكم أن أغضب فأبسط عليكم هدنيا .

كان لبعض اللوك نديم، فسَكِر، ففانته الصلاة، فجاءت جارية له بمِزَّة نار، فوضعتها على رجليه، فانته مذهباً، فقالت: إنك لم تصبر على نار الدنيا، فكيف تصبر على نار الآخرة! فترك الدنيا واشتغل إلى العبادة، وقد بيع البقل، فدخل عليه الفضيل وابن عيينة؛ فإذا تحت رأسه لينة، وليس تحت جنبه حصير، فقالا له: إنا رؤينا أنه لم يدع أحداً شيئاً إلا عوزه خبراً منه، فإعوانك؟ قال: القناعة والرضا بما أنا فيه. أصابت داود الطائي ضيقة شديدة، فجاء حماد بن أبي حنيفة بأربمئة درهم من تركة أبيه، فقال داود: هي لشري من مال رجل ما أقدم عليه أحداً في زهد وورع وطيب كسبه، ولو كنتُ قابلاً من أحده شيئاً قبلتها إعطائاً لله، وإعجاباً للهي، ولكي أحب أن أجيش في عز القناعة.

سفيان الثوري: ما أكلت طعاماً أحذر قلباً إلا حُنت عليه.

مسمر بن كدام: من صبر على الحل والبقل لم يستعبد.

فصيل: أصل الزهد الرضا بما رزقك الله، ألا تراه كيف يصنع بعبده ما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها لتطعمه مِزَّة خبصاً^(١)، ومرة صبراً، تريد بذلك ما هو أصلح له.

للسيخ عليه السلام: أنا الذي كبيت الدنيا على وجهها، وقدرتها بقدرها، ليس لي ولد يموت، ولا بيت يخرب؛ وسادى الحجر، وفراشى الدَّر، وسراجى القمر.

أمير المؤمنين عليه السلام: أكل تمر دقل^(٢)، ثم شرب عليه ماء، ومسح بطنه، وقال: من أدخلته بطنه النار، فأبده الله، ثم أشد:

فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ بَطْنَكَ مِزَّةً وَفَرَجَكَ نَاراً مُنْهَى اللَّهُمَّ أَحْمَقاً^(٣)

(١) الخبص: الخمر السلول من السن والصل.

(٢) الدقل: أرماً الخمر.

(٣) البيت لحام الطائي، ديوانه ١٧ (طبع بيروت).

في الحديث الصحيح الرفوع: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوحِي أَنَّهُ إِنْ مَوْتُ نَفْسٍ حَتَّى تَسْتَكِلَ رِزْقَهَا، فَأَجْلُوا فِي الطَّلَبِ» .

من كلام الحكماء: من ظفر بالقناعة فقد ظفر بالكيساء الأعظم .

الحسن: المريض المرغب، والقديع الراحل كلاهما مستوفٍ أجله، مستكمل أجله؛ غير مُزداد ولا منقصرٍ تماماً قدره، فلام التفعّل في البار .

ابن مسعود، رفعه: «إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ بِأَكْبَسَ مِنْ أَحَدٍ؛ فَدَكَّتِيبُ النَّصِيبِ وَالْأَجَلِ، وَقُيِّمَتِ الْمَعِيشَةُ وَالْمَمْلُوكُ؛ وَالنَّاسُ يَجْرُونَ مَعَهَا إِلَى مَنْتَهَى مَعْلُومٍ» .

المسيح عليه السلام: انظروا إلى طير السماء تمدُّ وتروح، لبس معاشي، من أوزاقها لا تموت ولا تمعد؛ والله يرزقها، فإن زعمتم أنكم أوسع بطونا من الطير؛ فهذه الوحوش من البحر والحمر، لا تموت ولا تمعد؛ والله يرزقها .

سويد بن غفلة: كان إذا قبل له: قد قُلِّه فلان، يقول: حسبي كثرني ويملحي .
وفد عروة^(١) بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا إليه حاله، فقال له:
أأنت القائل:

قَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خُلُقٍ أَنْ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي^(٢)
أَسَى لَهُ فِيمَتْنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَسَسْتُ أَنَا فِي لَا يُعْتَنِي

فكيف خرجت من الحجاز إلى الشام تطلب الرزق! ثم اشتغل عنه، فخرج وقعد على ناقته ونصّها راجعا إلى الحجاز، فذكره هشام في الليل، فسأل عنه فقبل: إنه رجع إلى الحجاز، فهدم ومدم، وقال: رجل قال حكمة، ووفد على مستجديا، جبهته،

(١) المجرى الشعر والعراء ٥٦ .

(٢) الإشراق . الحرص، كذا فسر صاحب البيان واستعمله بالبيت .

ورددته اثم وجهه إليه بالنيء درهم ، فجاء الرسول وهو بالندبة ، فذفعاها إليه ، فقال له : قل
لأمير المؤمنين ، كيف رأيت ! سميت فأكدت ، وقصدت في منزلي فأتاني رزق .

عربن الخطاب : تلم أن الطمع قفر ؟ وأن اليأس غنى ، ومن يئس من شيء
استغنى عنه .

أهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم طائران ، فأكل أحدهما عشية ، ففأصبح
طلب غداء ، فأنته بمعز أزواجه بالطائر الآخر ، فقال : « ألم أسهك أن ترفع شيئا لندى ،
فإن من خلق الله خلق رزقه » .

وفي الحديث الرفوع : « قد أمتح من رزق كفافا وقتنه الله بما آتاه » .

من حكمة سليمان عليه السلام : قد جبرنا بين القيش وشدته ، فوجدنا
أهنا أدناه .

وهاب ، في قوله تعالى : (فَلَنَحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)^(١) ، قال : القناعة .
بعض حكماء الشعراء :

فَلَا تَجْزَعْ إِذَا اعْتَرَتْ بَوَئَا فَتَدَّ ابْتَسَرَتْ فِي الدَّهْرِ الطُّوْبُو
وَلَا تَطْلُنْ بِرَبِّكَ ظَنًّا سَوْه فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَهْلِ
وَبِإِنْ الْمُسْرِ يَتَّبِعُهُ بَسَلٌ وَقِيلَ اللَّهُ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلٍ
وَلَوْ أَنَّ الْعُقُولَ تَحْمُرُ رِيقًا لَكَانَ السَّالُّ عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ

عائشة : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أردت المحق في فيسكنيك
من الدنيا زاد الراكب ، ولا تخلفني ثوبا حتى ترزقني ؛ وإياك ومجالسة الأغنياء » .

يقال : إِنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَاتِحِ
خَزَائِنِ الدُّنْيَا ، قَالَ : « لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا ، بَلْ جَوَّعْتَانِ وَشَبَعَةٌ » .

وُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى صَخْرَةٍ عَادِيَّةٍ^(١) : يَا بَنَ آدَمَ ، لَسْتُ بِبَالِغِ أَمَلِكَ ، وَلَا سَائِقِ
أَجَلِكَ ، وَلَا مَغْلُوبٍ عَلَى رِزْقِكَ ، وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ فَتْ ، فَالْأَمَلُ تَقْتُلُ نَفْسَكَ !

الحسين بن الضحالك :

يَا رَوْحُ مَنْ صَلَّيْتَ قَنَاعَتَهُ حَسَمَ لِلطَّامِعِ مِنْ غَدٍ وَغَدٍ^(٢)
مَنْ لَمْ يَسْكُنْ فِيهِ مِنْهَا لَمْ يَمْسُ مُخْتَابًا إِلَى أَحَدٍ

أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ : أَنْتَرِي لَمْ رَزَقْتُ الْأَحْمَقُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : لِمَ لَمْ
تَعْلَمْ أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَيْسَ بِالْإِحْتِيَالِ .

قَطَطُ^(٣) يَوْسُفُ بْنُ يَغُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْيَلْبِ الْجَوْعِ اعْتَرَاهُ ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ : انْظُرْ
إِلَى حَائِطِ الْبَيْتِ ، فَتَنَظَّرَ فَانْجَرَجَ الْحَائِطُ عَنْ ذَرِيَّةٍ عَلَى صَخْرَةٍ ، مِمَّا طَلَسَهَا ، قَتِيلٌ لَهُ :
أَرَأَيْتَ لَا أَهْلُ عَنْ هَذِهِ الدَّرَّةِ ، وَأَهْلُ عَنْكَ ، وَأَنْتَ نَهَى ابْنَ نَهَى !

دَخَلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ لِلْحَجِّ ، وَقَالَ لِرَجُلٍ : أَمْسِكْ عَلَى بَنْتِي ، نَخْلَعُ لِحَامَهَا ،
وَذَهَبَ بِهِ ، فَخَرَجَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ بِمَدِّ مَا قَضَى صَلَاتَهُ ، وَبِيَدِهِ دِرْهَمَانِ لِيُدْفَعَا إِلَيْهِ
مُكَافَأَةً لَهُ ، فَوَجَدَ الْهِنَةَ عَطَلًا ، فَدَفَعَ إِلَى أَحَدِ خِدْمَانِهِ الدَّرْهَمَيْنِ ! لِيَشْتَرِيَ بِهِمَا لِحَامًا ،
فَصَادَفَ النَّعْلَامَ الْأَجْعَامَ لِلْمَرْسُوقِ فِي السُّوقِ ! قَدْ بَاعَهُ الرَّجُلُ بِدَرْهَمَيْنِ ، فَأَخَذَهُ بِالْأَدْرَمَيْنِ
وَعَادَ إِلَى مَوْلَاهُ ، فَقَالَ بَعْلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ الْمَدَّ لِيَحْرِمُ هَذِهِ الرِّزْقَ الْحَلَالَ بِتَرْكِ الصَّبْرِ »

(١) عَادِيَّةٌ ، أَيْ قَدِيمَةٌ ؟ نَسَبَةٌ إِلَى قَبِيلَةِ حَادِ الْبَلَاءِ .

(٢) مِنْ آيَاتِ فِي الْخِيَوَانِ : « ٤٨٠ : قَالَ الْحَائِطُ : « وَهَذَا شَعْرُ رِوَيْتِهِ لَهُ عَلَى وَجْهِ الدَّمْرِ ، وَزَعَمَ
حَسَنُ بْنُ الْقَصَّاصِ أَنَّهُ « وَكَانَ يَدْمِي مَا لَيْسَ لَهُ » .

(٣) قَطَطٌ قَطَطًا ؟ أَيْ يَلْسُ .

ولا يزداد على ما قدر له .

سليمان بن المهاجر البجلي :

كَتُوتُ بِجِيلِ الصَّبْرِ وَجِئْتُ فَصَاةً بِهِ أَفْهُ عَنْ غِثَيَانِ كُلِّ تَجِيلٍ
قَلَمٌ يَتْبَذَلُنِي الْبَخِيلُ وَلَمْ أَقُمْ قَلَى بِأَيْهِ يَوْمًا مَقَامَ ذَلِيلٍ
وإنَّ قَلِيلًا بَسَّرَ الْوَجْهَ أَنْ يُرَى إِلَى النَّاسِ مَذُولًا لَمِيرٍ قَلِيلٍ
وقف بعض الملوك على سقراط وهو في الشرقة^(١) ، فقال له : سَلْ حاجتك ، قال :
حاجتي أَنْ تُزِيلَ عَنِّي مَلَاكَ ، فقد منعتني الرزق^(٢) بالشمس ؛ فأحضر له ذهباً وكسوة
ديهاج ، فقال : إنه لا حاجة سقراط إلى حجارة الأرض ولعل الدود ؛ إنما حاجته إلى أمر
يصحبه حينما توجه .

صلى معروف السكري حَتَفَ إِمَامٌ ؛ فَلَمَّا افْتُلِمَ سَأَلَ ذَلِكَ الْإِمَامَ مَعْرُوفًا : مَنْ أَيْنَ
تَأْكُلُ ؟ قَالَ : أَصِيرُ عَلَى حَتَّى أَهَيِّدَ مَا صُلِبَتْهُ حَتَفُكَ ؛ قَالَ : لِمَاذَا ؟ قَالَ : لِأَنَّ مَنْ شَكَ
فِي الرِّزْقِ شَكَ فِي الرِّزْقِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا تَهْلِكُنْ النَّفْسَ وَجَدًا وَحَسْرَةً عَلَى الشَّيْءِ أَسَدَاهُ لِمِيرِكَ قَادِرُهُ^(٣)
وَلَا تَتَيَأْسِنْ مِنْ صَالِحٍ أَنْ تَنَالَهُ وَإِنْ كَانَ نَهَبًا يَبِينُ أَيْدِي تُبَادِرُهُ
فَإِنَّكَ لَا تَعْلَمُ أَمْرًا حَقًّا تَفِيْعُ وَلَا تَمْنَعُ الشَّقَّ الَّذِي الْمَيْثُ نَامِرُهُ
قال عمر بن الخطاب لعلَّيْنِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَدْ مَلَقْتُ النَّاسَ ، وَأَحْبَبْتُ
أَنْ أَلْحَقَ بِصَاحِبِي ، فقال : إِنْ سَرَّكَ التَّلْحُوقُ بِهِمَا فَصَصِّرْ أَمْلَكَ ، وَكُلِّ دُونَ الشَّيْءِ ،
وَاصْصِفِ التَّمَلُّ^(٤) وَكُنْ كَيْبِشَ^(٥) الْإِزَارَ ، مَرْقُوعَ الْقِمِيمِ ، تَلْعَقُ بِهِمَا .

(١) الشرقة : موضع عمود في الشمس في الشتاء .

(٢) : ١ - سَدَاهُ لِمِيرِكَ ؛ أَيِ أَعْلَاهُ .

(٣) : ١ - كُنْ كَيْبِشَ الْإِزَارَ ؛ إِذْ كَصَرِهِ وَشَمَرِهِ .

(٤) : ١ - حَصَفَ التَّمَلُّ : خَرَزُهُمَا بِالْحَصَفِ .

وقال بعض شعراء العجم :

عَلَا الشَّعْرُ فِي بَسْدَاتَيْنِ بَعْدَ رُحْبِهِ وَإِنِّي فِي الْحَالَيْنِ بِاللَّهِ وَإِنِّي
فَلَسْتُ أَخَافُ الضُّمَيْقَ وَاللَّهَ وَاسِعَ غِيَسَاءُ ، وَلَا الْحِرْمَانَ وَاللَّهَ رَازِقُ
قِيلَ لِمَنْ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ سَدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ بَيْتٍ وَتَرِكَ فِيهِ ، مَنْ أَيْنَ كَانَ بِأَتِيهِ
رِزْقُهُ ؟ قَالَ : مِنْ حَيْثُ كَانَ بِأَتِيهِ أَجْرُهُ .

قال بعض الشعراء :

صَبَرْتُ النَّفْسَ لَا أَحْزَ عَ مِنْ حَادِثَةِ الدَّهْرِ
رَأَيْتُ الرِّزْقَ لَا يُكْتَفَى بِالْمَرْفِ وَلَا التُّكْرِ
وَلَا بِالسَّلَفِ الْأَجْنَى لِأَهْلِ الْفَصْلِ وَاللَّهِ كَرِي
وَلَا بِالشُّرِّ الْهَدِي وَلَا بِالْعَدَمِ الْبُسْرِ^(١)
وَلَا بِالنَّقْلِ وَالْهَدْيِ وَلَا الْإِجَاءِ وَلَا الْقَدْرِ
وَلَا بِذُرِّكَ نَالِغِي وَلَا الْجَهْلِ وَلَا الْهَذْرِ
وَلَكِنْ قِسْمٌ نَجْرِي بِمَا تَدْرِي وَلَا تَدْرِي

جاء فتح بن شخرف إلى منزله بعد العشاء ، فلم يجد عندهم ما يهضم به ، ولا وجد
دهناً لسراج وهم في الطرفة ، فجلس ليلة يئس من الفرح ، ويقول : بأني قد كانت حق ،
بأني طاعة تنم على بأن أترك على مثل هذه الحال !

لحق هريم بن حيان أوبى القرني ، فقال : السلام عليك يا أويس بن عامر ! قال :
وعليك السلام يا هريم بن حيان ، فقال هريم : أما لاني حرفتك بالصفة ، فكيف حرفتني ؟
قال : إن أرواح المؤمنين للشام كما تشام الخليل ، فيعرف بعضها بعضاً . قال : أوصني ،

(١) السر : جمع أسمر ! وهو الرشح اللدن اللين . والحلم : جمع حلم ! أي حلم .

قال : عليك سيف البحر ، قال : فن أين للعاش ؟ قال : أنفك ! خلطت الشك
للوعدة ، أنقر إلى الله بدينك وثبته في رزقك !
عنصور الفقيه :

النَّوْتُ أَهْلٌ عِنْدِي بَيْنَ لَفْنَا وَالْأَيْتَةِ
وَالْجِلُّ تَجْرِي مِرَاعاً مَنْطَمَاتِ الْأَعْتَةِ
مِنْ أَنْ يَكُونَ لِنَذْلٍ قَلَّ فَصْلٌ وَمِنَهُ

أعرابي :

أَتَيْتُ أَنْ يَخْلِرَ نِكَ النَّجَاحُ فَأَبَى اللَّهُ وَالْقَدَرُ الشَّحَاحُ^(١)
قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصني ، قال : « إِيَّاكَ وَالطَّمَعُ ! فَإِنَّهُ قَرَّ
حَاضِرٌ ، وَعَلَيْكَ بِالْيَأْسِ يَمًا فِي أَيْدِي النَّاسِ » .
حكيم : أحسن الأحوال رَحَالُ يَسْبُحُكَ بِهَا مَنْ دُونَكَ ، وَلَا يَحْتَرِكُ لَهَا
مَنْ فَوْقَكَ .

أبو العلاء المرعي :

فَإِنْ كُنْتَ تَهْوَى الْعِيشَ فَابْعَثْ تَوْشِطًا فَضِدَّ التَّسَامَى يَحْصُرُ التَّطَاوُلُ^(٢)
تَوْشِطُ الْهِنْدُورِ النَّقْمَ وَغَىْ أَمَةً وَيُنْذِرُهَا التَّنْقِصَانُ ، وَغَىْ كَوَامِلُ
خالد بن صفوان : كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً ، أقل ما تكون
في الباطن مآلاً ! فَإِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ كَرُمَتْ عِنْدَ الْحَاجَةِ سَكَتُهُ^(٣) ، وَالنَّبِيمَ مَنْ لَوَّمَتْ عِنْدَ
الْفَاقَةِ طَمَعُهُ .

(١) نجاج : تلياً . (٢) شروح سقط الزند ٥٥٢ .
(٣) الحجة : الحاجة .

شعر:

وَكَمْ مَلِكٍ جَانِبُهُ مِنْ كَرَاهَةٍ لِإِغْلَاقِ بَابٍ أَوْ لِنَشْدِيدِ حَاجِبٍ
وَلَوْ فِي غَوٍّ غَيْبٍ مَرَادٌ وَمَذْهَبٌ إِذَا أُبْهِتَ دُورِي وَجُوهٌ لِلذَّاهِبِ^(١)

بعض الحكماء: ينبغي للمقل أن يكون في دنياه كالدعوى إلى الويلية، إن أنته صحفة تنالها،
وإن جازته لم يرصدها ولم يطلبها .

(٤٦)

ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام :

الأفضل :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَغَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَسُوءِ الْمُنْظَرِ ،
فِي الْأَهْلِ وَالْأَلِ وَالْوَلَدِ . اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَأَنْتَ الْغَلِيْفَةُ فِي الْأَهْلِ ؛
وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَمْعِبًا ، وَالْمُسْتَعْمَبُ
لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا .



قال الرضى رحمه الله :

وابتداء هذا الكلام مروى من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وَقَدْ قَضَاهُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَبْلَغِ كَلَامٍ ، وَنَمَنَهُ بِأَحْسَنِ تِمَامٍ ، مِنْ قَوْلِهِ : « لَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ » ،
إِلَى آخِرِ النِّصْلِ .



الْبُخَارِ :

وَوَغَاءُ السَّفَرِ : مُشَقَّقُهُ ، وَأَصْلُ الرُّمَتْ لِلْكَانِ التَّنْهَلِ الْكَثِيرِ الْفُحْشِ ، تَنْفِيْهُ
فِي الْأَهْدَامِ ، وَيَشُقُّ عَلَى مَنْ يَمْشِي فِيهِ ، بِأَوْعَتْ الْقَوْمِ ، أَيْ وَغَوَا فِي الرُّمَتْ . وَالْكَآبَةُ :
الْحُزْنُ . وَالْمُنْقَلَبُ ، مَصْدَرٌ مِنْ اخْتِلَافِ مَقَلَبًا ، أَيْ رَجَعَ ، وَسُوءُ الْمُنْظَرِ : قُبْحُ الرَّأْيِ .

وصدر الكلام مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السانيد الصحيحة ،
 وختمه أمير المؤمنين عليه السلام وتتمه بقوله : « ولا يجمعها غيرك » ؛ وهو الصحيح ؛
 لأنَّ مَنْ يَتَّصِفُ بِلا يكون مستغنياً ؛ فإنه مستحيل أن يكون الشيء الواحد في المكانين
 مقياً وسائراً ؛ وإنما تصيح هذه القضية في الأجسام ؛ لأنَّ الجسم الواحد لا يكون في جتين
 في وقت واحد ؛ فأنما ما ليس بجسم وهو الباري سبحانه ؛ فإنه في كل مكان ؛ لا على معنى
 أن ذاته ليست مكانية ؛ وإنما المراد علمه وإحاطته ونفوذه حكمه وقضائمه وقدره ؛ فقد صدق
 عليه السلام أنه المستغنى وأنه المستصحب ؛ وأن الأمرين مجتمعان له جل اسمه .

وهذا الدعاء دُعَا به أمير المؤمنين عليه السلام بعد وُضْع رجليه في الركاب ، من منزله
 بالكوفة متوجّهاً إلى الشام لحرب معاوية وأصحابه ؛ ذكره نضر بن مزاحم في كتاب
 " صفين " (١) وذكره غيره أيضاً من رواة الحديث .

• • •

[أدعية على عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية]

قال نصر : لما وُضِعَ على عليه السلام رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى
 صفين ، قال : بسم الله ؛ فلما جلس على ظهرها ، قال : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا
 وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِبِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقِلِبُونَ) ، (٢) اللهم اني أعوذ بك من غناء السفر...
 إلى آخر الفصل . وزاد فيه نصر : « وَمِنَ الْخَيْرَةِ بِدِ الْيَقِينِ » . قال : ثم خرج أمامه
 الحر بن سبه بن طريف ، وهو يرتجز ويقول :

يَا قَرِيبي سِيرِي وَأُمِّي الشَّامَا وَتَقَطَّيَ الْمَرْوُونَ وَالْأَعْلَامَا (٣)
 وَنَا يَذِي مَنْ خَالَفَ الْإِمَامَا إِنِّي لَأَرْجُو إِنْ كُنَّا نَا

(٢) سورة الزخرف ١٣ ، ١٤ .

(١) كتاب صفين ١٤٩ .

(٣) صفين ٣ : وأعطى ، والخزون : جمع حزن ، وهو عند السهل من الأرض .

تَجَمَّعَ بَنِي أُمَيَّةَ الطُّغَمَاءَ^(١) أَنْ قَتَلَ الْعَامِسَ وَالْمُسَامَا

• وَأَنْ تُزِيلَ مِنْ رِجَالِ هَامَا •

قال : وقال حبيب بن مائل ، وهو على شُرطة على عليه السلام ، وهو آخذُ بِنَتَانِ دَابَّتِهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخْرِجِ الْمُسْلِمِينَ فَيُصِيبُوا أَجْرَ الْجِهَادِ بِالْقِتَالِ ، وَتَخْلُقَ بِالْكُوفَةِ كَثِيرُ الرِّجَالِ ! فقال عليه السلام : إِنَّهُمْ لَنْ يُصِيبُوا مِنَ الْأَحْرَ شَيْئًا إِلَّا كُنْتَ شَرِبَهُمْ فِيهِ ؛ وَأَنْتَ هَاهُنَا أَعْظَمُ عَنْهُمْ مِنْكَ لَوْ كُنْتُ مَعَهُمْ . فخرج على عليه السلام ، حتى إِذَا حَازَى الْكُوفَةَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ^(٢) .

قال : وحدثنا عمرو بن خالد ، عن أَبِي الْحُسَيْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَنْ أَهْلِهِ : أَنَّ^(٣) عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ وَهُوَ يَرِيدُ صَيْقِينَ ؛ حَتَّى إِذَا فُطِعَ الشَّهْرُ ، أَمَرَ مُنَادِيَهُ ، فَنَادَى بِالصَّلَاةِ ؛ فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ؛ حَتَّى إِذَا قَضَى الصَّلَاةَ ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَجْهَهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ؛ أَلَا مَنْ كَانَ مُشْتِئًا لَوْ شِئْنَا فَلَيْمَ الصَّلَاةِ ؛ فَإِنَّا قَوْمٌ سَفَرٌ ، أَلَا وَمَنْ صَحَبَنَا فَلَا يَمُومَنَّ لِلْفُرُوشِ . وَالصَّلَاةُ لِلْفُرُوشَةِ رَكْعَتَانِ .

قال نصر : ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى زَلَّ دَبِيرُ أَبِي مُوسَى . وَهُوَ مِنَ الْكُوفَةِ عَلَى فَرَسَيْنِ . فَصَلَّى بِهِ الْمَصْرَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ذِي الطُّلُوعِ وَالنُّجُومِ ؛ سُبْحَانَ اللَّهِ ذِي الْقُدْرَةِ وَالْإِفْضَالِ ، أَسْأَلُ اللَّهَ الرِّضَا بِقَضَائِهِ ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ ، وَالْإِنَابَةَ إِلَى أَمْرِهِ ؛ إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ^(٤) .

قال نصر : ثُمَّ^(٥) خَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى زَلَّ عَلَى شَاطِئِ نَرَسٍ^(٦) بَيْنَ مَوْضِعِ حَقَامِ أَبِي بُرْزَةَ وَحَقَامِ حَمْرٍ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْقُرْبَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَوَّجُ^(٧)

(١) الطُّغَمَاءُ : أَوْجَادُ النَّاسِ .

(٢) كِتَابُ صَفِيحٍ ١٥٠ : « حَتَّى إِذَا جَلَزَ حُدَّ الْكُوفَةِ » .

(٣) كِتَابُ صَفِيحٍ ١٥٠ .

(٤) كِتَابُ صَفِيحٍ ١٥١ .

(٥) نَرَسٌ ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ الْكَوْنُ وَآخِرُهُ سَبَبٌ مُبْتَدَأٌ : نَهْرٌ حَمْرٌ نَرَسٌ بَنِي جَهْرَامٍ بِوَادِي الْكُوفَةِ ؛ يَأْخُذُهُ مِنَ الْقُرَاتِ ، وَعَلَيْهِ عِدَّةُ قُرَى . (مِرْآةُ الْإِبْلَاحِ) .

الليل في النهار ، ويوَجُّ النهار في الليل ؛ والحدُّ لله كَمَا وَقَبَ لَيْلٍ وَغَسَقَ ؛ والحدُّ لله كَمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ .

ثم أقام حتى صلى المدة ، ثم شخص حتى بلغ إلى قبة قَبَيْن^(١) ، وفيها نخل طَوَالٍ إلى جانب البيعة من وراء النهر ، فلما رآها ، قال : ﴿ وَالنَّحْلَ نَاسِغَاتٍ لَهَا مَطْلَعٌ نَصِيدٌ ﴾ . ثم أقصم دابته النهر ، فمير إلى تلك البيعة فمرها ، ومكث قَدَّرَ المدة .

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن محمد بن جَحَفٍ بن سليم^(٢) قال : إني لأنظر إلى أبي وهو يسير علياً عليه السلام ، وعلى يقول له : إني بابل أرضٌ قد حُفِّ بها ، فحرك دابتك لعلنا نصلي العصر خارجاً منها . فحرك دابته ، وحرك الناس دوابهم في أثره ؛ فلما جاز جسر العرات^(٣) ، زلَّ صلى بالناس العصر .

قال : حدثني عمر بن عبد الله بن بلي بن مَرْحَةَ التثني ، عن أبيه ، عن عبد خير ، قال : كنت مع عليٍّ أسير في أرض بابل ، قال : وحضرت الصلاة صلاة العصر ، قال : جعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أُفَيْحَ^(٤) من الآخر ؛ قال : حتى أتينا على مكانٍ أحسن مارأيناه ؛ وقد كادت الشمس أن تسيب . قال : فزلَّ عليٌّ عليه السلام ، فزلت معه ، قال : فذا الله ، فرجعت الشمس كفدارها من صلاة العصر . قال : فصليت العصر ، ثم ثابتت الشمس ، ثم خرج حتى أتى دير كعب ، ثم خرج منه فبات بساباط ، فأتاه دهاقها بمرصون عليه الرُّزْلُ^(٥) والطعام ، فقال : لا ، ليس ذلك لنا عليكم . فلما أصبح وهو يَظْلُمُ سَاباط^(٦) ،

(١) قبين ، بالهم ثم الكسر والتثنية ؛ هل صاحب مراد الاطلاق ؛ « ولاية بالمرأى » .

(٢) ص ١٥٦ ، والحمد لله ؛ نصر : عمر ، من رجل - من أبي جَحَفٍ ، من عمه ابن جَحَفٍ .

(٣) ص ١٥٦ : « جسر المصراة » ؛ والمصراة من أنهار الفرات .

(٤) أُفَيْحَ ، من اللقيح وهو السعة .

(٥) الرُّزْلُ : طعام الضيف .

(٦) يَظْلُمُ سَاباط ؛ موضع مضاب إلى سَاباط أي قريب للثاني ؛ قليل الضوء ؛ مراد بالاطلاق ١٢٨٦

قرأ : ﴿ أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَسْبُتُونَ ﴾ ^(١) .

قال نصر : وبلغ عمرو بن العاص سيده فقال :

لَا تَحْسَبْنِي يَا عَلِيٌّ غَافِلًا لِأُورِدَنَّ السُّكُوفَةَ الْقَتْلَاءَ ^(٢)

• بِحَسْبِي الْعَمَامُ وَجَيْي قَالِيَا •

قال : فبلغ ذلك علياً عليه السلام ، فقال :

لَأُورِدَنَّ الْعَاصِيَ ابْنَ الْعَاصِي سَبْعِينَ أَلْفًا عَاقِدِي النَّوَامِي

مُسْتَعْفِينَ حَتَّى أَلْهَى ^(٣) قَدْ جَمَعُوا الْخَيْلَ مَعَ الْقِلَاصِ ^(٤)

• أَسُودَ خَيْلٍ حِينَ لَا مَنَاصِرَ •

•••

[نزول علي بكربلاء]

قال نصر : وحدثنا منصور بن سلام التميمي ، قال : حدثنا حيان التميمي ، عن أبي

هيبة ، عن هرمثة بن سلم ، قال ^(٥) : غزونا مع علي عليه السلام صَغِيرٍ ، فلما نزل

بِكَرٍّ بَلَاءَ صَلَى بِنَا ، فلما سلم رفع إليه من ثَرِبَتِهَا فَشْتَهَا ، ثم قال : وَاِهَالَتْ يَا ثُرْبَةُ ^(٦) !

لِيَحْشَرَنَّ مِنْكَ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

قال : فلما رجع هرمثة من غزائه ^(٧) إلى امرأته سَوْرَدَاءَ بنت سمير - وكانت من شيعة

علي عليه السلام - حدثها هرمثة فيها حدث ، فقال لها : أَلَا أَجِبُكَ مِنْ حَدِيثِكَ أَبِي حَسَنٍ !

(١) سورة النمر ١٢٨

(٢) ص ١٠٣

(٣) القنابل : جماعات الخيل والناس .

(٤) مستعفين : حليين ، والقياس : المدح والثناء .

(٥) يقال : جيب الرجل الفرس إذا طعمه إلى حنّه . والقيلاس : جمع قلويس ، وهي الثاية من الإبل ؟

بجولة الجارية من النساء .

(٦) ص ١٠٧ : وَاِهَالَتْ أَيُّهَا الثَّرْبَةُ .

(٧) كتاب ص ١٥٧ .

(٨) ص ١٠٧ : من غزواته .

قال : لما نزلنا كركر^(١) بلاء ، وقد أخذ حَفَنَةً مِنْ تَرْبَتِهَا فَشَمَّهَا ، وقال : « واهالك أيتها التربة ! ليحسرنَ منك قومٌ يدخلون الجنةَ بعد حساب » : وماعِظُهُ بالنيب ! فقالت المرأة له : دَعْنَا مَعَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ؛ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُلْ إِلَّا حَقًّا .

قال : فلما نَدَتْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ الْبَيْتَ الَّذِي نَمَتْهُ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَفَتْ فِي الْخَلِيلِ الَّذِي بَعَثَ إِلَيْهِمْ ؛ فَلَمَّا انْهَيْتَ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ ، عَرَفْتُ الْمَرْزُوقَ الَّذِي نَزَّلْنَا فِيهِ مَعَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْقُعْمَةَ الَّتِي رَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ تَرْبَتِهَا وَالْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ ، فَكِرِهْتُ مَسِيرِي ، فَاقْبَلْتُ عَلَى فَرَسِي حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدَلَّسْتُ عَلَيْهِ ، وَحَدَّثْتُهُ بِالَّذِي سَمِعْتُ مِنْ أَبِيهِ فِي هَذَا الْمَرْزُوقِ ؛ فَقَالَ الْحُسَيْنُ : أَمْسَأُ أَمَ عَلَيْنَا ؟ فَعَلْتُ : يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، لَا مَعَكَ وَلَا عَلَيْكَ ؛ تَرَكْتُ وَلَدِي وَعِيَالِي^(٢) أَحَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ ابْنِ زَيْدٍ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَوْلُ هَرَبًا حَتَّى لَا تَرَى مَقْتَلَنَا^(٣) ؛ فَوَلَدِي نَفْسُ حُسَيْنٍ^(٤) يَدُهُ لَا يَرَى الْيَوْمَ مَقْتَلَنَا أَحَدٌ تَمَّ لَا يَسِيْدُ^(٥) إِلَّا دَخَلَ النَّارَ .

قال : فَأَقْبَلْتُ فِي الْأَرْضِ أَشَدَّ هَرَبًا ، حَتَّى سَوَّيْتُ عَلَى مَقْتَلِهِمْ .

قال نصر : وَحَدَّثَنَا مُصَاصٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَجْلَحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيُّ عَنْ أَبِي جُصَيْفَةَ ، قَالَ : جَاءَ^(٦) عُرْوَةُ الْبَارِقَةِ إِلَى سَعْدِ بْنِ وَهَبٍ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : حَدِّثْ حَدَّثَنَاهُ^(٧) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : نِمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَلِيمِ بْنِ عَلِيٍّ عِنْدَ تَوَجُّعِهِ إِلَى صَفِينٍ ، فَأَنْبَتَهُ بَكْرٌ بَلَاءٌ ، فَوَجَدْتُهُ يُشِيرُ يَدَهُ ، وَيَقُولُ : هَاهُنَا ، هَاهُنَا ؛ فَقَالَ لَهُ

(١) سكين : « تَرَكْتُ أَهْلَ وَفَدِي » .

(٢) صغين : « حَتَّى لَا أَرَى لَنَا مَقْتَلًا » .

(٣) سكين : « فَوَلَدِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ » .

(٤) صغين : « لَا يَسِيْدُ » .

(٥) سكين ١٠٨ .

(٦) صغين : « حَدَّثَنِي » .

رجل : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قُلْ لآلِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُ هَاهُنَا ، فَوَيْلٌ لِمَنْ مَعَكُمْ ، وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ ! فقال له الرجل : مالم يَهِدِ هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟ قال : وَيْلٌ لِمَنْ مَعَكُمْ تَقْتُلُونَهُمْ ، وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ يَدْخُلُكُمْ اللَّهُ فَيَقْتُلُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا .

قال نصر : وَقَدْ رَوَى هَذَا الْكَلَامَ عَلَى وَجْهِ آخَرٍ ، أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « فَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ ، وَوَيْلٌ لَكُمْ عَلَيْهِمْ » ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ أَمَّا « وَيْلٌ لَنَا مِنْهُمْ » ، فَقَدْ عَرَفْنَاهُ ؛ فَوَيْلٌ لَنَا عَلَيْهِمْ ، مَالِمْنَاهُ ؟ فَقَالَ : تَرَوْنَهُمْ يُقْتَلُونَ لَا نَسْتَطِيعُونَ نُصْرَتَهُمْ .

قال نصر : وَحَدَّثَنَا سَمِيدُ بْنُ حَكِيمٍ الْمَسْقِيُّ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى كَرْبَ بِلَاءٍ ، فَوَقَفَ بِهَا ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ هَذَا كَرْبُ بِلَاءٍ ، قَالَ : « ذَاتُ كَرْبٍ وَبِلَاءٍ » ؛ ثُمَّ أَوْمَأَ يَدَهُ إِلَى مَكَانٍ ، قَالَ : هَاهُنَا مَوْضِعُ رِجَالِهِمْ ، وَمُنَاحَ رِجَالِهِمْ ؛ ثُمَّ أَوْمَأَ يَدَهُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ، قَالَ : هَاهُنَا مَرَاتِقُ دِمَائِهِمْ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى مَا بَاطِلٍ (١) .

•••••

[خُرُوجُ عَلِيٍّ لِحَرْبِ مَعَاوِيَةَ وَمَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ]

وَيَنْبَغِي أَنْ نَذْكُرَ هَاهُنَا ابْتِدَاءَ عَزْمِهِ عَلَى مُفَارَقَةِ الْكُوفَةِ ، وَالسَّيْرِ إِلَى الشَّامِ وَمَا خَاطَبَ بِهِ أَصْحَابَهُ ، وَمَا خَاطَبُوهُ بِهِ ، وَمَا كَاتَبَ بِهِ الْعِمَالُ وَكَاتَبُوهُ جَوَابًا عَنْ كِتَابِهِ ؛ وَجَمِيعُ ذَلِكَ مَقُولٌ مِنْ كِتَابِ نَصْرِ بْنِ مِرْزَاهِمٍ .

قال نصر : حَدَّثَنَا عَمْرٌو بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدٍ أَبِي الْكَنُودِ ، قَالَ : لَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّيْرَ إِلَى الشَّامِ ، دَعَا مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَجَمَعَهُمْ ؛ ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّكُمْ مِيَامِينَ

الرأى ، مَرَّاجِيعِ الْحِلْمِ ، مَبَارَكُو الْأَمْرِ ، وَمُقَاوِيلِ الْحَقِّ ؛ وَقَدْ عَزَمْنَا عَلَى السَّيْرِ إِلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُمْ ؛ فَاشِيرُوا عَلَيْنَا بِرَأْيِكُمْ .

فَقَامَ هَاشِمُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، خَدِيعَةُ اللَّهِ وَأَنْتَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأَنَا بِالْقَوْمِ جِدَّ خَيْرٍ ؛ هُمْ لَكَ وَلِأَشْيَاعِكَ أَعْدَاءُ ؛ وَهُمْ لَنْ يَطْلُبَ حَرْثَ الدُّنْيَا أَوْلِيَاءَ ؛ وَهُمْ مَقَاتِلُكَ وَمَجَادِلُكَ ^(١) لَا يَبْقُونَ جِهْدًا ، مَشَاقَّةَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَصَنَاءَ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهَا ؛ لَيْسَ لَمْ لِرَبِّةٍ غَيْرَهَا ؛ إِلَّا مَا يَخْدَعُونَ بِهِ الْجَاهِلَ مِنْ طَلَبِ دَمِ ابْنِ عَفَّانٍ ؛ كَذَبُوا لَيْسَ لَكُمْ بِغَيْرِهِمْ ، وَلَكِنَّ الدُّنْيَا يَطْلُبُونَ ؛ أَنَّهُمْ بَنُوا إِلَيْهِمْ ؛ فَإِنْ أَجَابُوا إِلَى الْحَقِّ فَيَسِرْ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الصَّلَالُ ؛ وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّقَّ ؛ فَذَلِكَ ظَلَمَ سَهْمٌ ^(٢) ؛ وَاللَّهُ مَا أَرَادَ يُبَاسِمُونَ وَقَدْ بَقِيَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِمَّنْ يُطَاعُ إِذَا نَهَى ؛ وَيُسْمَعُ إِذَا أَمَرَ ^(٣) .

قَالَ بَصْرٌ : وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سُلَيْمٍ ، عَنْ الْخَارِثِيِّ بْنِ حَمِيْرَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبِيبٍ أَيْ الْكَتُودِ أَنَّ هَارُونَ بْنَ بَاسِرٍ قَامَ خَدِيعَةُ اللَّهِ وَأَنْتَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تُقِيمَ يَوْمًا وَاحِدًا قَافِلٌ ، اشْتَخَصَ مَا قَبِلَ اسْتِمَارَ نَارَ الْهَجْرَةِ ، وَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى الصُّدُودِ وَفُتْرَةِ ، وَادْعُهُمْ إِلَى سَطْلِهِمْ وَرَشْدِهِمْ ؛ فَإِنْ قَبِلُوا سَعِدُوا ؛ وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا حَرْبَنَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ سَلَّكَ دِمَائِهِمْ ، وَالْجِدَّةَ فِي جِهَادِهِمْ ، لَقَرَبَةَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَكَرَامَةً ^(٤) .

ثُمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، خَدِيعَةُ اللَّهِ وَأَنْتَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، انْكَشِرْ ^(٥) بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا وَلَا تَمَرَّجْ ^(٦) ؛ فَوَاللَّهِ لَجِهَادِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جِهَادِ الْفِرَاقِ

(١) مَنِينٌ : « مَجَادِلُكَ » .

(٢) مَنِينٌ : « فَذَلِكَ ظَلَمَ سَهْمٌ » .

(٣) كِتَابُ مَنِينٍ ١٠٣ .

(٤) مَنِينٌ : « وَهُوَ كَرَامَةٌ » .

(٥) الْإِنْكَشَارُ : الْخُجُودُ فِي السَّيْرِ .

(٦) مَنِينٌ : « لَا تَمَرَّجْ » وَالتَّمَرُّجُ : التَّهَرُّجُ .

والروم ؛ لإدعائهم^(١) في دين الله ، واستدلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، إذا عَصَبُوا على رجل حبسه وضره وحرموه وسيره ، وجننا لم في أعينهم حلال ، ونحن لم فيا يزعمون قَطِين^(٢) - قال : يعني رقيق .

قال أشياخ الأنصار ، منهم حُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ وأبو أيوب ؛ وغيرها : لَمْ تَقْدَمَتْ أشياخ قومك وبناتهم بالكلام يا قيس ؟ فقال : أما إني عارف بفضلكم ، معظم لشأنكم ؛ ولكني وجدتُ في نفسي القصد من الذي في صدوركم جاش حين ذكرت الأحراب .

قال بعضهم لبعض : لِيَقُمْ رجلٌ منكم فليُجِبْ أميرَ المؤمنين عن جماعتكم ، فقام سهل بن حنيف ، خُذِ اللهُ وَاثْنِي عليه (ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ عن سِلْمٍ لِمَنْ سَأَلَتْ ، وَحَرْبٍ لِمَنْ حَارَبَتْ ، وَرَأْيَانَا وَأَبْكَ ، ونحن^(٣) بميثك موقد رأينا أن تقوم [بهذا الأمر]^(٤) في أهل الكوفة فتأمرهم بالشخص ، بتحريم بما صنع لهم في ذلك من الفصل ، فإنهم أهل البلد وهم الناس ؛ فإن استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتطلب ؛ فأما عن قليس عليك خلاف مِنَّا ، متى دعوْنَا أجبناكَ ، ومتى أمرْنَا أطعناكَ^(٥) .

قال نصر : لَحْدْنَا عمر بن سعد ، عن أبي مخنف ، عن زكريا بن الحارث ، عن أبي خُشَيْش ، عن معبد ، قال : قام على^(٦) عليه السلام خطيباً قَلَى مِنْبَرِهِ ، فَكَانَتْ تَحْتَ الْمَدْبَرَةِ أَسْمَعُ تَحْرِيطَهُ^(٧) الناس وأمره لم بالمسير إلى صَرَقِينَ لِقَاتِلِ أَهْلِ الشَّامِ ، فسمعتُه يقول :

(١) الإدعاء : الفتح والمجدبة . (٢) القطين : اللعين : اللعنة والأبواب .

(٣) منين : نحن كف بميثك .

(٤) من منين

(٥) صلين ١٠٥

(٦) صلين : حين حرض الناس .

سيروا إلى أعداء الله ، سيروا إلى أعداء القرآن والسنة ، سيروا إلى بقية الأحزاب وقتلة
للمهاجرين والأنصار . فقام رجل من بني فزارة ، فقال له : أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا
من أهل الشام فنقتلهم لك ، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلهم ؟ كلا ،
ها الله ^(١) إذا لا فعل ذلك .

فقام الأشتر ، فقال : مَنْ هذا اللارق ! ^(٢)

فهرب الفزاري ، واشتد الناس على إثره ، فلحق في مكان من السوق تباع فيه
البراذين ، فوطئوه بأرجلهم ، وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتى قُتل ؛ فأتى على
عليه السلام ، فقتل له : يا أمير المؤمنين ، قُتل الرجل ، قال : وَمَنْ قُتِلَ ؟ قالوا : قُتِلَ
عُثْدَان ومعه شوب من الناس ، فقال : قُتِلَ عُمَيْة ^(٣) ، لا يُدرى مَنْ قُتِلَ ! ديت من
بيت مال المسلمين ؛ فقال معص بن نعيم اللات من قبله ^(٤) :

أعوذُ برؤي أن تكونَ ميتي . كما مات في سوقِ البراذين أربدُ
تأوَّره عُثْدَانُ خفقَ نعالهمْ إذا رفعت عنه يدٌ وصمت يدُ

فقام الأشتر ، قال : يا أمير المؤمنين ، لا يهدمك ما رأيت ، ولا يؤيسك من نصرنا
ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن ؛ إنَّ جميع مَنْ ترى من الناس شيعتك ، لا يرضون
بأنفسهم عن نفسك ، ولا يحبون البقاء عندك ، فإن شئت فسير بنا إلى عدوك ، فوالله
ما ينجو من الموت مَنْ خافه ، ولا يعلو البقاء مَنْ أحبه ، وإنا لئلى بيته من ربنا ؛ وإنَّ
أفئتنا لن تموت حتى يأتى أجلها . وكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين ،
وقد وثبتت عصاة منهم على طائفة من المسلمين بالأسس ، وابعوا حلالهم ترضى
من الدنيا يسير !

(٢) معين : « من لهذا أبها الناس » .

(٤) معين : « قال علاقة التيمي » .

(١) الله ما قسبه باسم بها .

(٣) قيل عُمَيْة ، أى مينة فنة وجهالة .

فقال **علي عليه السلام** : الطريق مُشْتَرَك ، والبأس في الحق سواء ، وَمَنْ اجْتَهَدَ رَأْيَهُ فِي نَصِيحَةِ الْعَامَةِ ، فَقَدْ قَصَى مَا عَلَيْهِ . ثُمَّ رَلَّ فَدَخَلَ مَعَهُ ^(١) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : حدثني أبو زهير المبسي ، عن النضر بن صالح أن عبد الله بن النعمان المصبي وحظلة بن الربيع النخعي : لما أمر **علي عليه السلام** الناس بالسير إلى الشام دخلوا عليه في رجال كثير من عطفان وبني تميم ، فقال له حظلة : يا أمير المؤمنين ؛ إما قد مشينا إليك في نصيحة فاقبها ، وإما بنا لك رأياً فلا تردّه عليك ، فإننا نظرمالك ولنا ملك ؛ أقم وكائب هذا الرجل ، ولا تدخل إلى قتال أهل الشام ؛ فإنما والله ما نذكرى ولا تدرى لئن تكون الدنة إدا التقيتم ؛ ولا على من تكون الدبرة !
وقد ان للنعم مثل ^(٢) قوله ، وبكتم القوم الذين دخلوا معها بتل كلامها ، لحيد
علي عليه السلام الله وأنى ، ثم قال :-

أما مدد فإن الله وارثُ الماد والمعاد ، وربّ السموات السبع ، والأرضين السبع ، وإليه ترجعون ، يقرى الملك من يشاء ، ويرع الملك من يشاء ، ويرى من يشاء ، ويدل من يشاء . أما الدبرة ، فإنها على الضالين العاصين ظفروا أو ظفروا بهم ؛ وإيم الله إلى لأسمع كلام قوم ما أراهم يعرفون معروفاً ، ولا ينكرون منكراً .

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن هؤلاء والله ما آثروك بتصيح ، ولا دخلوا عليك إلا ديش ، فاحذرهم فإنهم أدنى العدو .

وقال له مالك بن حبيب : إنه بلمى يا أمير المؤمنين أن حظلة هذا بكائب معاوية ، فادفعه إلينا نحبسّه حتى تنفضي عزائك ، وتنصرف .

(١) ص ١٠٢

(٢) ص ١٠٢ : « وإم للنعم كلام » .

وقام من بني عبس قائد بن بكير وحياش بن ربيعة المبيسان ، فقالا : يا أمير المؤمنين إن صاحبنا عبد الله بن النعمان قد بلغنا أنه يكتب معاوية ، فاحبسناه أو مكثنا من حبسه ؛ حتى تنقض غزائنا ثم تنصرف .

فقالا : هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالرأي فيما بينكم وبين عدوكم .
فقال لهما علي عليه السلام : الله بيني وبينكم ، وإليه أكلسكم ، وبه استظهر عليكم ، اذهبوا حيث شئتم ^(١) .

قال نصر : ومث علي عليه السلام إلى حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب ، وهو من الصعابة - فقال له : يا حنظلة ، أنت قتل أمي ؟ قال : لا لك ولا عليك ؛ قال : فما تريد ؟ قال : اشتغص إلى الرها ^(٢) ، فزاع فرج من الفروج ، أصيد له حتى ينقض هذا الأمر .

فنصب من قوله حبار بن عمرو بن نجيم ومعه رجل ، فقال : إنكم والله لا تروني من ديني ، دهرني فأنا أعلم منكم ، قالوا : والله إن لم تخرج مع هذا الرجل لا ندع ثلاثة يخرج معك - لأم والله - ولا ولدها ، ولئن أردت ذلك لنقتلك .

فأحاطه ناس من قومه واختلطوا بهوفهم ، فقال : أجلوني حتى أنظر . ودخل منزله وأغلق بابه ؛ حتى إذا أسيى هرب إلى معاوية ، وخرج من بعده إليه من قومه رجال كثير ، وهرب ابن النعمان أيضا ، حتى أتى معاوية في أحد عشر رجلا من قومه .

وأما حنظلة فخرج إلى معاوية في ثلاثة وعشرين رجلا من قومه ؛ لكنهما لم يقاتلا مع معاوية ، واعتزلا الفريقين جيما ^(٣) .

(١) ص ١٠٧ ، ١٠٨

(٢) الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والعمام .

(٣) ص ١٠٩

وقال : وأمر علي عليه السلام بهذم دار حطلة ، فهدمت ؛ هذمها عرفهم شبت بن ربيعة وبكر بن تميم ؛ فقال حنظلة مبهوما :

أيا راكبا إنا عرّضت فنبئن مُنْصَلَّةً عَنِّي سَرَاةَ بَنِي عَمْرِو
فأوصيكم بالله واليز والنتي ولا تنظروا في السائيات إلى تكبر
ولا شبت ذى المنخرين كاهه أرب حال قد رعا ليله الغر^(١)

وقال أيضا بحرّض معاوية بن أبي سفيان :

أبلغ معاوية بن حرب حطّة ولكل مائقة نسيْلُ قرار
لا تقبلن دنية ترضونها^(٢) في الأمر حتى تقتل الأنصار
وكذا تنوء دماؤهم بدنائكم وكما تُهـ_____دّمُ بالديار دار
وترى ساؤهم يحئن خوايسر ولهم من نكل الرجال خوار^(٣)

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ، عن سعد بن طريف ، عن أبي المحامد ، عن المهدي بن خلیعة ، قال : قام عدی بن حاتم الطائي بين بدی علی عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : ^(٤) يا أمير المؤمنين ، ما قلت إلا علم ، ولا دعوت إلا إلى حق ، ولا أمرت إلا يبرئ ؛ ولكن إذا رأيت ^(٥) أن نستأى هؤلاء القوم ونستدعيهم - حتى تأتيهم كتبك ، ويقدم عليهم رؤسك - فعلت . فإن قبلوا يصيبوا رُشدكم ^(٦) ، والماوية أوسع لنا ولم ؛

(١) الأرب : الكثير شعر الوجه والبنون ، وفي سيب :

• أرب حال في ملاحيّة صفر •

(٢) صئين : « تطونها » .

(٣) صئين : « ولهم من نكل الرجال خوار » .

(٤) صئين ١١٠

(٥) صئين : « فإن رأيت » .

(٦) صئين : « فإن قبلوا يصيبوا ورشدوا »

وإن ينادوا في الشقاق ولا ينزعوا من النية فسر إليهم . وقد قدمنا إليهم بالسر^(١) ، ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق ؛ فوالله لم من الحق أبداً ، وعلى الله أهون ؛ من قوم قاتلناهم أمس بناحية البصرة لما دعوناهم إلى الحق فتركوه ، ناولجناهم برأكاهم القتال^(٢) ؛ حتى بلنا منهم ما نحب ، وبسج الله منهم رضاه .

فقام زيد بن حصين الطائي . وكان من أصحاب البراس^(٣) المجتهدين . فقال : الحمد لله حتى يرضى ، ولا إله إلا الله ربنا ، أما بعد : فوالله إن كنا في شك من قتال من حالنا ، ولا تصلح لنا التتية في قتالهم حتى تستديهم ونستأنيهم . ما الأعمال إلا في تباب ، ولا الهمي إلا في ضلال ، والله تعالى يقول : ﴿ وَأَمَّا يَتِيمَةٌ رَبِّكَ فَهَدَّتْ ﴾^(٤) ؛ إنا والله ما ارتبنا طرفة عين فممن يقيمونه^(٥) ، فكيف يأتباعه القاسية قلوبهم ، القليل من الإسلام حنظلهم ، أعوان الطلبة وأصحاب الخوارج والدوان^(٦) ؛ ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ، ولا التابعين بإحسان .

فقام رجل من طيء فقال : يا زيد بن حصين ، أكلام سيدنا عدى بن حاتم شهين^(٧) ؟ قال : زيد ما أستم بأعترف بحق عدى مني ، ولكني لا أدع القول بالحق وإن سخط الناس .

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن الحارث بن حصين قال^(٨) : دخل أبو زبيب

(١) صفين : « السر » .

(٢) البراكاه : الابتداء في الحرب ؛ وهو أن يمشي القوم على ركبهم . ، ويقال : وحن به ، أي ضربه به الأرض ، ولى صفين : « ناولجناهم » .

(٣) جمع براس ؛ وهو قنصوة طويكة كان يلبسها في صدر الإسلام التكا والرحاد .

(٤) سورة الصفي ١٦ .

(٥) صفين : « يقيمون حبه » .

(٦) صفين : « وسددي أساس الخوارج والدوان » .

(٧) في صفين بعد هذه الكلمة : « قال : فقال صفين بن حاتم : الضريق مشرك ، والناس في الحق سواء ؛ من اجتهد رأيي في نصيحة الناس فقد نصي التي هابه » .

(٨) صفين ١١٢ : « الحارث بن حصية » .

ابن عوف ، عَلَى حِلٍّ عَلَيْهِ السَّلَام ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَئِنْ كُنَّا عَلَى الْحَقِّ لَأَنْتَ أَهْدَانَا سَبِيلًا ، وَأَعْظَمُنَا فِي الْخَيْرِ نَصِيحًا ! وَلَئِنْ كُنَّا عَلَى ضَلَالٍ ، إِنَّكَ لَأَتَقْلُنَا ظَهْرًا وَأَعْقَلُنَا وَزَرًا ! قَدْ أَمَرْتَنَا بِالْمسير إِلَى هَذَا الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ قَطَعْنَا مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْوَلَايَةِ ، وَأَظْهَرْنَا لِمَ الْمَدَاوَةِ ! نَرِيدُ بِذَلِكَ مَا يَمْلِكُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ طَاعَتِكَ ! أَلَيْسَ الْقَدَى بِمَنْ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ الْبَيِّنُ ، وَالَّذِي عَلَيْهِ عَدُوُّ مَا هُوَ الْحَوْبُ الْكَبِيرُ !

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام : بَلَى ، شَهِدْتُ أَنَّكَ إِنِ امْضَيْتَ مَعَنَا مَامِرًا لِدَعْوَتِنَا ، صَحِيحَ النِّيَّةِ فِي نَصْرِنَا ، قَدْ قَطَعْتَ مِنْهُمْ الْوَلَايَةَ ، وَأَظْهَرْتَ لِمَ الْمَدَاوَةَ كَمَا زَعَمْتَ ! فَإِنَّكَ وَلِيُّ اللَّهِ ، تَسْبِيحٌ^(١) فِي رِضْوَانِهِ ، وَتَرْكُضٌ فِي طَاعَتِهِ ، فَأَبْشُرْ يَا زَيْنَبُ .

وَقَالَ لَهُ عُمَارُ بْنُ بَاسِرٍ : اثْبُتْ يَا زَيْنَبُ ، وَلَا تَنْشُكْ فِي الْأَحْرَابِ ، أَعْدَاءُ^(٢) اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

فَقَالَ أَبُو زَيْنَبٍ : مَا أَحَبُّ إِلَيَّ تَحَاذُبُكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ شَهِدَاتِي فِي مَحَاسِنَاتٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْقَدَى أَهْمِي - مَكَانَسِكَا .

قَالَ : وَخَرَجَ عُمَارُ بْنُ بَاسِرٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

يَسِيرُوا إِلَى الْأَحْرَابِ أَعْدَاءُ النَّبِيِّ يَسِيرُوا نَفِيرُ الْقَاسِ اتِّبَاعُ عَلَى
هَذَا أَوْ إِنْ طَلَبَ سَلٌّ لِلشَّرَفِ وَقَوْدُنَا الظُّلْمَ وَهَرُّ السَّهْمِ^(٣)
قَالَ نَصْرُ : وَحَدَّثَنَا هُرَيْرُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِي رَزَاقٍ ، قَالَ :^(٤) دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْأَرْحَمِيُّ عَلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَام ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! نَعْنِ أَوْلُو سِبَاكٍ وَهَذِهِ مَوَاضِعُ كَثَرِ

(١) صَنِيعٌ : نَسَبٌ .

(٢) صَنِيعٌ : عَدُوٌّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ .

(٣) السُّيُوفُ الشَّرَفِيَّةُ : مَسْبُوءَةٌ إِلَى مَشَارِفِ الْقَاسِ ! قَرَى مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ . وَالسَّهْمِيُّ : الرَّمَحُ

السَّابِ ، مَسْبُوءٌ إِلَى سَهْمٍ زَوْجٍ رَدِيئَةٍ ، وَكَأَنَّ مَثَلَهُ الرَّمَاحَ . (٤) صَنِيعٌ ١١٣ .

الناس أهل قوة، ومن ليس به ضعف^(١) ولا علة، فرأى مناد بك؛ فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالثغيلة؛ فإن أحاد الحرب ليس باستوم ولا التثوم، ولا من إذا أمكنه القصر أجلها، واستشار فيها؛ ولا من يؤخر عمل الحرب في اليوم لغيره وبعد غد.

فقال زياد بن النضر: لقد نصحت بك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين، وقال ما يعرف، فهو كل على الله، وثق به، واشتص بنا إلى هذا العدو راشداً معاً؛ فإن يرد الله بهم خيراً لا يتركوك رغبة منك^(٢) إلى من ليس له مثل سابقك وقد ملك^(٣)؛ وإلا ينجبوا ويحبوا ويأبوا لأحاربنا نجد حرمهم علينا حيناً؛ ونرجو أن يصرهم الله مصارع إخوانهم بالأمس.

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الظراري، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن القوم لو كانوا الله يربطون، وفه يملكون ما خالفوا؛ ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الأسوة وحياً للأثرة، وضناً بسلاطهم، وكرهاً لفراق ديارهم التي في أيديهم، وعلى إسن في قلوبهم، وعداوة يمدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديماً، قلت فيها آباءهم وأخوانهم^(٤).

ثم انصرفت إلى الناس، فقال: كيف يبائع معاوية طيلاً، وقد قتل أخاه حنظلة، ووخأله الوليد، وجدته حنفة في موقف واحد؛ والله ما أظنهم يملكون^(٥)، ولن يستقيموا لكم دون أن تقتص فيهم قنأ للكران^(٦)، وتقطع على هامهم السيوف، وتذثر حواجيبهم بمد الحديد، وتسكون أمور جنة بين الفريقين.

(١) صلين: « ومن ليس بضعف ».

(٢-٣) صلين: « إلى من ليس مثلك في الشاقة مع الله صلى الله عليه وآله والندم في الإسلام ».

(٤) صلين: « وإخوانهم ».

(٥) صلين: « وهي يمين ».

(٦) صلين: « وللكران: الرماح المدية ».

قال نصر : وحدنا همر بن سعد عن الحارث بن حصين عن عبد الله بن شريك ، قال ^(١) : خرج حُجْر بن عدى وعُثْرُوبُ بن الحقيق ، يُطهران البراءة من أهل الشام ؛ فأرسل على عليه السلام إليهما أن كُفّا عما يبلُغُنِي عنكما ، فأتياه ، فقالا : يا أمير المؤمنين ، ألسنا عتقين ؟ قال : بلى ؛ قالوا : أو ليسوا مُبطلين ؟ قال : بلى ؛ قالوا : فلم نمنعنا مِنْ شَتيمهم ؟ قال : كرهتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لَعْنَيْنِ شَتَامَيْنِ تَشْتُمُونَ وَتَشْتَبَهُونَ ؛ وَلَسَكُنْ لَوْ وَصَفْتُمْ مِثْلَهُ أَعْلَمُ قُلْتُمْ : مِنْ سَبَرِيْهِمْ كَذَا وَكَذَا ، وَمِنْ أَهْلِهِمْ كَذَا وَكَذَا ، كَانَ أَصَوْبٌ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغُ فِي الْمَذَرِ ؛ وَقُلْتُمْ كَانَ لَكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَبِرَاءَتُكُمْ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ احْنِ دِمَاءَهُمْ وَدِمَاءَنَا ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَنَا ، وَانْقِصِرْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَرْفَ الْحَقُّ مِنْهُمْ مَنْ جِهَلَهُ ، وَيَرْعَوْىَ عَنِ النَّفَى وَالْعُدْوَانِ مِنْهُمْ مَنْ نَهَجَ بِهِ - لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ وَخَيْرًا لَكُمْ .

فقالا : يا أمير المؤمنين ، تَهْلُ بِطَلْعِكَ ، وَتَعْدُوْهُ بِأَدْبِكَ .

قال نصر : وقال له عمرو بن الحِقِّ يومئذ : والله يا أمير المؤمنين إني ما أحببتُك ولا بايئتُك على قِوَابَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَلَا لِرَادَةِ مَالٍ تُؤْتِيْنِيهِ ، وَلَا لِمَتَاسَرِ سُلْطَانٍ تَرْضَعُ ذِكْرِي بِهِ ؛ وَلَسَكُنِي أَحَبُّ إِلَيْكَ بِخِصَالِ خَس : أَلَمْ يَكُنْ ابْنُ هَمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَبُو الْقَدِيَةِ الَّتِي جَعَلَتْ فِينَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَسْبَقُ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَعْظَمُ لِلْمُهَاجِرِينَ سَهْنًا فِي الْجِهَادِ ؛ فَتَرَانِي كُنْتُ قَلَّ الْجِبَالِ الرِّوَاسِي ، وَنَزَحَ الْبَحُورِ الطَّوَاسِي ؛ حَتَّى بَاتَنِي عَلَى يَوْمِي فِي أَمْرِ أَهْلِي بِهِ وَلِيكَ ، وَأَهْمِنُ حُلُوكَ ؛ مَا رَأَيْتُ أَنِّي قَدِ ادَّهَيْتُ فِيهِ كُلَّ الَّذِي يَحَقُّ عَلَى مَنْ حَقَّكَ .

فقال على عليه السلام : اللَّهُمَّ تَوَزَّ قَلْبُهُ بِالْحَقِّ ، وَاهْدِهِ إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ ^(٢) ،

(١) صحيح : ١١٠ ، ١١٦ .

(٢) صحيح : « لِي صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ » .

لَيْتَ أَنَّ فِي جُنْدِي مِائَةَ مِثْلِكَ ، قَالَ حُبَيْرٌ : إِنَّا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَحَّ جَنْدُكَ ، وَقُلْ فِيهِمْ مَنْ يَشْكُ .

قال نصر : وقام حُبَيْرُ بْنُ هَدْيَةَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ بَنُو الْحَرْبِ وَأَهْلُهَا الَّذِينَ يُنْقِلُهَا وَيُنْقِضُهَا ، قَدْ ضَارَقْنَا وَضَارَسْنَاهَا^(١) ، بُولْنَا أَعْوَانٌ وَعَشِيرَةٌ ذَاتُ عَدَدٍ وَرَأْيٍ مَجْرُوبٍ ، وَبِأَسْ مَعُودٍ ، وَأَزْمَنَّا مُتَفَادَةً لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَإِنْ شَرَقَتْ شَرَقْنَا ، وَإِنْ غَرَبَتْ غَرَبْنَا ، وَمَا أَمَرْتَنَا بِهِ مِنْ أَمْرٍ فَعَلْنَا . قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَكُلَ قَوْمِكَ بَرِي مِثْلَ رَأْيِكَ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا حُسْنًا ، وَهَذِهِ يَدِي عَنْهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَحَسَنِ الْإِجَابَةِ . قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرًا .

• • •

قال نصر : حَدَّثَنَا هَرِيرُ بْنُ سَمْدٍ ، قَالَ : كَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عَمَّالِهِ . حِينَئِذٍ يَسْفِرُهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَى مُخَنَّفِ بْنِ سَلِيمٍ :

سَلَامٌ^(٢) عَلَيْكَ ؛ فَإِنِّي آخِذٌ بِكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ جِهَادَ مَنْ صَدَفَ مِنَ الْحَقِّ رَغْبَةً عَنْهُ ، وَصَبَّ فِي نَفْسِ النَّاسِ وَالضَّلَالِ ، اخْتِيَارًا لَهُ .. فَرِيصَةً عَلَى الْمَصَارِفِينَ . إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنْ أَرْضَاءِ ، وَيَسْخَطُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ ، وَإِنَّا قَدْ هَمَمْنَا بِالسَّيْرِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بَعِيرٌ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالنِّقْيِ ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ ، وَأَمَاتُوا الْحَقَّ ، وَأَغْلَبُوا فِي الْأَرْضِ الْقِسَادَ ، وَانْحَدُوا الْفَاسِقِينَ وَلِجَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَإِذَا وَلَّى اللَّهُ أَعْظَمَ أَحَدِهِمْ أَيْبُسُوهُ وَأَقْصَوْهُ وَحَرَّمُوهُ ، وَإِذَا ظَلَمَ سَاعِدَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ أَحْبَبُوهُ ، وَأَدَبُوهُ وَبَرَّوهُ ؛ فَقَدْ أَصْرَوْا عَلَى الظُّلْمِ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى الْخِلَافِ ؛ وَقَدْ بَيَّنَّا مَا حُدِّثُوا مِنَ الْحَقِّ ، وَتَعَامَنُوا عَلَى الْإِلَهَمِ ، وَكَانُوا ظَالِمِينَ . فَإِذَا أُتِيتَ بِكَتَابِي هَذَا ، فَاسْتَخْلِفْ عَلَى تَحْلِيكِ أَوْثَقِ أَصْحَابِكَ فِي شَمْلِكَ ، وَأَقْبِلْ إِلَيْنَا ، لِمَا لَكَ تَلْقَى مَعَهُ هَذَا الْمَدْرُ

(١) مَارَسَتْ الْأُمُورَ : حَرَسَتْهَا .

(٢) كِتَابُ صَعْبٍ : ١١٦ ، ١١٧ .

المُجِلِّ ، فخامر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وتمايز الحق ، وتباين الباطل ؛ فإنه لا غناء بنا ولا بك عن أجر الجهاد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكتبه حبيب الله^(١) بن أبي رافع في سنة سبع وثلاثين .

قال : فاستعمل يخف على أصحان الخوارج من أوى الحارث بن الربيع ، واستعمل على تهمذان سعيد بن وهب ، وكلاهما من قومه ، وأقبل حتى شهد مع علي عليه السلام صفين . قال نصر : وكتب عبد الله بن عباس من البصرة إلى علي عليه السلام يذكر له اختلاف أهل البصرة ، فكتب إليه علي عليه السلام : [من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس]^(٢) :

أما بعد ؛ فقد قدّم علي رسوئك ، وقرأت كتابك ، تذكر فيه حال أهل البصرة واختلافهم بعد انصرافي عنهم ، وسأحدثك عن القوم^(٣) وهم بعب مقيم (رعدة) رجوها ، أو خائف من عقوبة بمحاشاها ، فأرغب راعيتهم بالعدل عليه ، والإنصاف له والإحسان إليه ؛ واحلّ فحقة الخوف عن قلوبهم ، وأنته بى أمرى ولا تدهه ، وأحسن إلى هذا الخي من ربيعة وكل من قبلك فأحسن إليه ما استطعت إن شاء الله .

قال نصر : وكتب إلى أمراء أئمتنا كلهم سحو ما كتب به إلى محمد بن سليم ، وأقام ينتظرهم .

قال : لقد ثنا عمر بن سعد ، عن أبي رَوْق ، قال^(٤) : قال زياد بن البصر الحارثي لعبد الله ابن أبي ذر : إن يومنا اليوم غصص^(٥) ما بصر عليه إلا كل مشيع^(٦) القاب ، الصادق

(١) صفي : د عبد الله .

(٢) من صفي

(٣) صفي ١٧٤ - ١٧٨

(٤) المصص : الشديد ، وو صفي : د صص .

(٥) المشيع القلب : القوي الحاد الشعاع .

النية ، رابط الجأش^(١) ؛ وإيم الله ما أعلن ذلك اليوم يبقى منهم ؛ ولا منا إلا الرذال^(٢) .
 قال عبد الله بن نُدَيْل : أبا والله أطرّ ديث . فبلغ كلاهما علياً عليه السلام ، فقال
 لها : ليسكن هذا الكلام محزوماً في صدوركما لا تطهرا ، ولا يسمعه منك سماع ؛ إن الله
 كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكل آتية منبئة كما كتب الله له ،
 فطوبى للمجاهدين في سبيله ، وللقنولين في طعته !

قال نصر : فلما سمع هاشم بن عتبة ما قاله ، أتى علياً عليه السلام ، فقال : سر بنا
 يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم ، نقاسيتهم ، الذين نبؤوا كتاب الله وراء ظهورهم ،
 وعملوا في عباد الله بنير رصاصه ، فأحلوا حرامه ، وحرّموا حلاله ، واستوى بهم^(٣)
 الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومقام الأمان ، حق أراهم عن الهدى ، وقصد بهم
 قصد الردى ، وحجب إليهم الدنيا فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها ؛ كرهيننا في الآخرة
 واعتجز موعده رجا . وأت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه
 وآله ، وأفضل الناس سابقاً وقديماً ؛ وهم يا أمير المؤمنين يملكون منك مثل الذي نعلم ؛
 ولكن كُتِبَ عليهم الشقاء ، ومات بهم الأهواء ، وكانوا ظالمين ، فأيدينا مبسوطاً لك
 بالسمع والطاعة ، وقهرنا منشرجة لك بهذا النصيحة ، وأغضنا تدصرك على من خالفك ،
 وتولى الأمر دونك جذلة ، والله ما أحب أن لي ما على الأرض مما أقلت ، ولا ما تحت
 السماء مما أغلّت ؛ وأنى وإيت عدواك ؛ أو عادت وليا لك !

قال عليه السلام : اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك ، وللمرافقة لنبيك^(٤) .

قال نصر : ثم إن علياً عليه السلام صيد للنبر فخطب الناس ، ودعاهم إلى الجهاد فبدأ
 بحمد الله والثناء عليه ، ثم قال :

(١) الجأش : القلب ؛ وفلان رابط الجأش ؛ أي عجده لا يضطرب قلبه خوفاً .

(٢) الرذال : والرذيل : ما اتق جميعه وبني أشبه وأدوم .

(٣) سمين : « واستوى لهم » .

(٤) كذا في مسند ، وفي الأصول : « للمرافقة » .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَكُمْ بِدِينِهِ، وَخَلَقَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، فَأَنْصَبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي أَدَاءِ حَقِّهِ، وَتَتَجَبَّرُوا
مَوْعِدِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ جَبَلٌ أَمْرَاسُ الْإِسْلَامِ مَثْبِتَةٌ، وَعِرَاءُ وَثِيقَةٌ؛ تَمَجِّلُ الطَّاعَةَ حَقًّا
الْأَنْفُسَ وَرِضَا الرَّبِّ، وَغَنِيْمَةُ الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَقْرِيبِ الْعَجْزَةِ^(١)، وَقَدْ تُخَلِّتُ أَمْرَ أُسُودِهَا
وَأَحْمَرِهَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ! وَنَحْنُ سَائِرُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى مِنْ سَفَةِ نَفْسِهِ، وَتَفَاوُلِ مَالِيْسٍ
لَهُ وَمَالٍ يَدْرِكُهُ مَعَاوِيَةُ وَجَنْدُهُ، الْفَنَاءُ الطَّاعِيَةُ الْبَاطِنَةُ، بِقُدْرَةِ إِبْلِيسَ، وَيُبْرِقُ لَمْ يَبَارِقْ
تَسْوِيفُهُ، وَيَدْلِيهِمْ نَفَرُورُهُ؛ وَأَنْتُمْ أَهْلُ النَّاسِ بِالْخِلَالِ وَالْحَرَامِ؛ فَاسْتَمْتِنُوا بِمَاعِلَتِهِمْ، وَاحْذَرُوا
مَاحْذَرَكُمْ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَارْعَبُوا بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالْكَرَامَةِ؛ وَاعْمُوا أَنَّ السُّلُوبَ
مَنْ سُلِبَ دِينُهُ وَأَمَانَتُهُ، وَلِلْمُرُورِ مَنْ آثَرَ الصَّلَاةَ عَلَى الْهَدْيِ، فَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ
تَقَاعَسَ عَنِّي، وَقَالَ فِي عَيْرِي كِفَايَةً؛ فَبِإِذْنِ اللَّهِ يُودَى إِلَى الدَّوْدِ إِبِلٌ، وَمَنْ لَا يَبْذُدُ عَنْ حَوْضِهِ
يَهْتَدِمُ. ثُمَّ إِنْ أَمَرَكُمْ مَا شَدَّتْ فِي الْأَمْرِ وَالْجِهَادِ قَدْ كَيْلَ اللَّهُ، وَأَلَّا تَتَجَبَّرُوا سَلَامًا، وَانْتَظَرُوا
لِنَصْرِ الْمَاجِلِ مِنَ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قال نصر: ثم قام ابنه الحسن بن علي عليه السلام، فقال:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ.

ثم قال: إِنَّ مَا عَظَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَأَسَنَّ عَلَيْكُمْ مِنْ نَفْسِهِ مَا لَا يَحْصِي ذِكْرُهُ؛
وَلَا يُؤَدِّي شُكْرُهُ، وَلَا يَكُنُّهُ قَوْلٌ وَلَا صَمَةٌ؛ وَنَحْنُ إِمَامُ حَضْرَتِ اللَّهِ وَلَسْكَمُ؛ إِيَّاهُ لَمْ يَجْمَعْ قَوْمٌ
قَطَّ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ إِلَّا اشْتَدَّ أَمْرُهُمْ، وَاسْتَعْمَكْتَ حَقْدَهُمْ. فَاحْشِدُوا فِي قِتَالِ عَدُوِّكُمْ مَعَاوِيَةَ
وَجُنُودَهُ، وَلَا تَحْمِلُوا، فَإِنَّ الْخِلْدَانَ يَقْطَعُ نِيَابُ الْقُلُوبِ؛ وَإِنْ الْإِفْدَامُ عَلَى الْأَيْتَةِ نَحْوَهُ
وَعِصْمَةٌ، لَمْ يَجْمَعْ^(٢) قَوْمٌ قَطَّ إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعِقْدَ، وَكَفَاهُمْ جَوَارِحَ الذَّلَّةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى
مَعَالِمِ اللَّفَّةِ، ثُمَّ أُنْشِدَ:

(١) صليبي: «العجزة».

(٢) صليبي: «لم يجمع»، والنسخ والاصحاح: «المر والفتنة».

والصِّلَحُ تَأْخُذُ مِنْهُ مَا رَضِيتَ بِهِ وَالْحَرْبُ بِكَفَيْكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعٌ^(١)
 ثُمَّ قَامَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، خَلِيدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ،
 أَنْتُمْ الْأَحْيَاءُ السَّكْرَمَاءُ ، وَالشُّعَارُ دُونَ اللَّهِ تَارٍ ، حِدٌّ وَأَفِي إِطْفَاءِ مَا تَرَى بَيْنَكُمْ ، وَتَسْهِيلُ^(٢)
 مَا تَوَعَّرَ عَلَيْكُمْ . أَلَا إِنَّ الْحَرْبَ شَرُّهَا دَرِيْعٌ وَطَمَسُهَا قَطِيعٌ ؛ فَمَنْ أَخَذَ لَهَا أَهْتَهَا ، وَاسْتَعَدَّ
 لَهَا عَدَّتَهَا ، وَلَمْ يَأْتِ كُلُّوْمَهَا قَبْلَ حُلُوْمَا ، فَذَكَ صَاحِبُهَا ، وَمَنْ عَاجَلَهَا قَبْلَ أَوَانِ فُرْصَتِهَا ،
 وَاسْتَبْصَرَ سَمِيْعَ فِيهَا ، فَذَلِكَ تَمَنَّى أَلَّا يَتَعَاقَبَ قُوْمُهُ ، وَأَنْ يُهْلِكَ فَسَهُ ، نَسْأَلُ اللَّهَ قُوْتَهُ أَنْ
 يَدْعَمَكُمْ بِالْفَيْتَةِ^(٣) ثُمَّ نَزَلَ .

قَالَ بَصَرٌ : فَأَجَابَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّيْرِ حُلُّ النَّاسِ ؛ إِلَّا أَنْ
 أَصْحَابَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنْوَّهُ ، فِيهِمْ عُيُودَةُ السُّلَمِيِّ وَأَصْحَابُهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّا نَخْرُجُ
 مَعَكُمْ ، وَلَا تَرَكْ عَسْكَرَكُمْ وَسَكْرَ حُلِيِّ جِدَّةٍ ، حَتَّى يَنْظُرَ فِي أَسْرَمِكُمْ وَأَسْرَ أَهْلِ الشَّامِ يَفْنَى
 رَأْيَاهُ أَرَادَ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ أَوْ بَدَأَ لِنَافِعِهِ تَمَنَّى كُنَّا عَلَيْهِ . فَقَالَ لَمْ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَرَّحَا
 وَأَهْلَا ؛ هَذَا هُوَ الْعَقْدُ فِي الدِّينِ ، وَالْعَلَمُ بِالْأَمَّةِ ، مَنْ لَمْ يَرْضَ هَذَا فَهُوَ خَائِنٌ جَبَّارٌ^(٤) .
 وَأَتَاهُ آخَرُونَ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؛ مِنْهُمْ الرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ ؛ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ
 أَرْبَعِيَّةُ رَجُلٍ ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّا قَدْ شَكَكْنَا فِي هَذَا الْقِتَالِ ؛ عَلَى مَعْرِفَتِنَا
 بِعَصْلِكَ ، وَلَا عَقَاءَ مَنَا وَلَا بَكَ وَلَا بِالْمُسْلِمِينَ نَحْمَنُ بِقَائِلِ الْمَدُونِ ؛ فَوَلَّيْنَا بَعْضَ هَذِهِ النَّوَدِ
 سَكْنًا^(٥) ثُمَّ قَاتَلَ عَنْ أَهْلِهِ ؛ فَوَجَّهَهُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالرَّبِيعِ بْنِ خَثِيمٍ عَلَى نَمْرِ الرَّمْيِ ،
 فَكَانَ أَوَّلُ لُؤْلُؤِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكُوفَةِ لُؤْلُؤَ الرَّبِيعِ بْنِ خَثِيمٍ

• • •

(١) البيت القاس بن مرداس السلمي ، الخرافة ٢ : ٨٢

(٢) صبيح : ٢ : إسبال .

(٣) صبيح : ٢ : بالفتح .

(٤) صبيح : ٢ : حائر .

(٥) صبيح : ٢ : تكون به .

قال نصر: وحدثني عمر بن سعد، عن يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف ابن الأحمر؛ أن^(١) عليا عليه السلام لم يبرح التَّحَصُّيفَ، حتى قَدِمَ عليه ابنُ عباسٍ بأهل البصرة. قال: وكان كُتَابَ عليٍّ عليه السلام إلى ابنِ عباس:

أما بعدُ، فَاشْحَصْ إِلَيَّ عَنْ قِتْلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَدَكْرِهِمْ مِلَاتِي عِنْدِي، وَغَفْوِي عَنْهُمْ فِي الْحَرْبِ، وَأَعِينِهِمُ الَّذِي لَمْ يَفِدْكَ مِنَ الْعَصْلِ. والسلام.

قال: ففُتِلَ كِتَابُهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ بِالْبَصْرَةِ، قَامَ فِي النَّاسِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ، وَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثَمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَمِدُّوا لِلشُّعُوصِ إِلَى إِمَامِكُمْ، وَاصْبِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ تَقَاتِلُونَ الْمُخَلِّينَ الْقَاسِطِينَ؛ الَّذِينَ لَا يَفْرَوْنَ الْقِرَافَاتِ، وَلَا يَمْرُقُونَ حَكْمَ الْكِتَابِ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ؛ كَمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّادِقُ بِالْحَقِّ، وَالْقَبِيضُ بِالْهَدْيِ، وَالْحَاكِمُ بِحَكْمِ الْكِتَابِ، الَّذِي لَا يَرْتِي فِي أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا يَدَاهِنُ الْمُجْتَارَ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَانَمَ.

فَقَامَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ بْنُ قَبَيْسٍ، فَقَالَ: سَمِعْتُ اللَّهَ لِنَجِيبَتِكَ، وَلَنُفْرَجَتِكَ عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالرَّحَا وَالسَّكْرَةِ، بِحَسَبِ ذَلِكَ الْأَجْرِ، وَأَمَلْتُ بِهِ مِنَ اللَّهِ الْمُنْظِمَ حَسَنَ الثَّوَابِ.

وَقَامَ خَالِدُ بْنُ الْمَعْمَرِ السَّدُوسِيُّ فَقَالَ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا؛ فَقِي اسْتَخَفَرْنَا نَفَرًا، وَمَتَى دَعَوْتَنَا أَجَبْنَا.

وَقَامَ هُرَيْرُ بْنُ مَرْجُومٍ الْمَدِينِيُّ، فَقَالَ: وَفَّقَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَمَعَ لَهُ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ،

ولمن الخلقين المتعاصرين، لا يقرءون القرآن ؛ نحن والله عليهم حَقَقُون ، ولم في الله مفارقون ؟
فَقِي أَرَدْنَا صَحْبَكَ خَيْلًا^(١) ورجالنا إن شاء الله .
قال : وأجابَ الناسُ إلى السير ، ونشطوا وخَفَوا ؛ فاستعمل ابنُ عباسٍ على البصرة
أبا الأسود الدؤليَّ وخرج حتى قدم على علي عليه السلام بالثخينة .

• • •

[كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابه عليه]

قال نصر : وكُتِبَ^(٢) محمد بن أبي بكر إلى معاوية :
من محمد^(٣) بن أبي بكر إلى معاوية بن صهر ، سلامٌ على أهل طاعة الله
يَمُنُّهُ سَلَامٌ^(٤) لأهل ولاية الله . أبا بعد فإن الله بحلله وعظته وسلطانه وقدرته ، خَلَقَ
خَلْقًا بِلَا حَبْثٍ وَلَا ضَعْفٍ فِي قُوَّتِهِ ، لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى خَلْقِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ خَلَقَهُمْ عِبِيدًا ،
وَجَعَلَ مِنْهُمْ شَقِيًّا وَسَعِيدًا ، وَغَوِيًّا وَرَشِيدًا ، ثُمَّ آخَرَهُمْ عَلَى عِلْمِهِ ، فَاصْطَفَى وَاتَّعَبَ
مِنْهُمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَاحْتَصَّ بِرِسَالَتِهِ ، وَاخْتَارَهُ نُوحِيًّا ، وَاتَّصَفَهُ عَلَى أَمْرِهِ ،
وَمَنَّهُ رَسُولًا مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ، وَدَلِيلًا عَلَى الشَّرَائِعِ ؛ فَدَعَا إِلَى سَبِيلِ أَمْرِهِ
بِالْحُكْمِ وَالْوَعْدَةِ الْحَسَنَةِ ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَجَابَ وَأَمَابَ ، وَصَدَّقَ [ووافق] ^(٥) فَاسْلَمَ
وَسَلَّمَ أَخُوهُ وَابْنُ تَحْتِهِ . عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَصَدَّقَهُ بِالنَّبِيِّ لِلْكِتَابِ ، وَآثَرَهُ
عَلَى كُلِّ حَيْمٍ ، وَوَقَّاهُ كُلَّ هَوًى ، وَوَأَسَاهُ بِنَفْسٍ فِي كُلِّ خَوْفٍ ؛ فَغَارِبَ حَرْبِهِ ، وَسَالَمَ
سِيلَهُ ؛ فَلَمْ يَبْرَحْ مُجْتَهِدًا لِنَفْسِهِ فِي سَاعَاتِ الْأَزَلِ^(٦) ، وَمَقَامَاتِ الرُّوْعِ ؛ حَتَّى يَرَى زُجَاجًا

(١) ص ٦٦ : ٥ ورجلنا • (٢) ص ١٣٢ - ١٣٥

(٣) في ص ٦٦ : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن أبي بكر .

(٤) ص ٦٦ : مسلم .

(٥) من ص ٦٦

(٦) الْأَزَلُ : المدة والضيقة .

لا نظير له في جهاده ، ولا مقارب له في ضله ؛ وقد رأيتك تساييه وأنت أنت ؛ وهو هو السابق للبرز في كل خير ؛ أولُ الناس إسلاما ، وأصدق الناس ربةً ، وأطيبُ الناس ذُرِّيَّةً ، وأفضلُ الناس زَوْجَةً ، وخيرُ الناس ابنَ عمٍّ . وأنت الممينُ ابنُ الممين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله العوائل ، وتعهدان على إطفاء نور الله ؛ وتجمعان على ذلك الجوع ، وتبذلان فيه المال ، وتحالفان في ذلك القبائل ؛ على هذا مات أبوك ، وعلى ذلك خَفَّفَهُ ، والشاهدُ عليك بذلك مَنْ يَأْوِي ويُلْعَأُ إليك ؛ من مَنَّةِ الأحزاب وروسِ النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله ؛ والشاهدُ لعلَّ مع فضله وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكروهم الله تعالى في القرآن ، فضضتهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ؛ فهم معه كتاب وعصائب ؛ يحاللون حوله بأسيا فهم ، ويهرقون دماءهم حونه ؛ يرون الفصل في اتباعه ، والشقاق والمصيان في خلافه ؛ فسكتب إليك الجويل - تدليل نفسك على - ، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه وأمرؤكم ، وأولُ الناس له اتباعا ، وأحرَمَ به عهدا ، يحبره بسرُّه ، ويُشركه في أمره ؛ وأنت حنوة وابن عدوة ؛ فتشع ما استطعت بإيائك ، ولتبددك لك ابن المامس في غوايتك ؛ فكان أجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ، وسوف تسببن لمن تكون العاقبة العليا . واعلم أنك إنما تكابد ربك الذي قد أمست كيدك ، وأبست من دعوته ، وهو لك بالمرصاد ؛ وأنت منه في غرور . وبالله وبأهل بيت رسوله عنك الفناء والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب إليه معاوية^(١) :

من معاوية بن أبي سفيان ، إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر . سلام على أهل طاعة الله ، أما بعد ؛ فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه ، وما أصق به نبيه ، مع كلام ألقته ووضعت ؛ لرأيتك فيه تضبيب ؛ ولأنيك فيه تنيف ؛ ذكرت حق

(١) يشعالي صديق ؛ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

ابن أبي طالب وقديم سابقته ، وقرابته من نبي الله ونصرته له ، ومواساته إياه ؛ في كل خوف وهول ؛ واحتياجك على ، وعرك بعصل غيرك لا فضلك . فاحمد إلهك صرف ذلك الفضل عنك ، وجهه لميرك ؛ فقد كنت وأبوك معاً في حياة نبينا ؛ ترى حق ابن أبي طالب لارماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا ؛ فلما احتار الله لديه ماعنده ، وأتم له ما وعدمه ، وأظهر دعوته ، وأفلج حجتة ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقه ، أوّل من ابتزّه وحالفه ، على ذلك اتفاقاً واتفاقاً^(١) ؛ ثم دعواهُ إلى أنفسهما فطأا عليهما ، وتلكا عليهما ، فمهما به المصوم : وأرادا به العظيم ، فبايسهما وسلمهما ، لا يشركان في أمرهما ، ولا يظلمان على سرهما ، حتى قبضا واشغيا أمرهما . ثم أقاما سدحهما ثالثهما عيان بن عفان ، يهتدي بهديهما ، ويسير برهنهما ، فبته أنت وصاحبك ، حتى طلع فيه الأقماس من أهل العامى ، ونطنناً وطهرتاً^(٢) ، وكشفنا له عداوتكما وغلبكما ، حتى بلغنا منه هنا ، كذا ، فحزرك يابن أبى بكر ، فسرى وبأل أمرك ، وقبس شبرك بفترك ، فغصرت عن أن يساوى أو توارى من بزن الجبال حله ، ولا تلين على قسر قمانه ولا بدرك ذو مدي أمانه ، أبوك مهذ له مهاده ، ويبقى منكك وشاده ، فإن يكن ماعن فيه صواباً فأبوك أوله ، وإن يكن جوراً فأبوك أسه^(٣) ونحن شركاؤه ، فبهذب أخذنا ، وبغله اتخذينا ، رأينا أباك فعل مافعل ، فاحتذينا مثاله ، واتخذينا بفماره ، فمب أباك بما بدا لك ، أو دغ . والسلام على من أناب ، ورجع من غوايته وناب .



قال : وأمر على عليه السلام الحارث ، الأهور أن ينادى في الناس : اخرجوا إلى مسكركم

(١) صبي : « واشفا » .

(٢) سنين : « أظهرتاً » .

(٣) سنين : « أسه » .

بالتَّغْيَةِ ، فتأدى الحارث في الناس ذلك ، وبعث إلى مالك بن حبيب البربوعى صاحب شرطته ، بأمره أن يحشُر الناس إلى المعسكر ، ودعا عُمَيْه بن عمرو الأنصاري ، فاستجفنه على الكوفة - وكان أصغر أصحاب العقبة السدين ، ثم خرج عليه السلام ، وخرج الناس معه .

قال نصر : ودعا على عليه السلام رءس النُّصْر وشریح بن هاشم - وكانا على مدحجج والأشعرين - فقل : يارب ، اتَّقِ الله في كل مُنْمَى ومُصْح ، وخَفْ على عبيك الدنيا المَرور ! ولا تَمْسها على حال ، واعلم أنك إن لم تَرَعها عن كثير مما تحت محبة مَكْرُوها ، سَمَتْ بك الأهواء إلى كثير من الضرر ، فمكن نفسك ماسماً وارعاً من النسي والطم والعدوان ؛ فإني قد وليت هذا الخلد ، فلا تستطيان طلبهم ؛ إن حيركم عند الله أنفكم ؛ نلتم من عالمهم ؛ وعلم حاههم ، واحلم عن كميهم ؛ فإنك إنما تدرك الخير بالعلم وكف الأذى والجهل (١) .

فقل زياد : أَوْصَيْتَ يا أمير المؤمنين حاضاً لوصيتك ، مؤدياً لأمرك ؛ يرى الرشدي نفاذ أمرك ، والشيء في نصيب عهدك .

فأمرهما أن يأخذاً في طريق واحد ولا يختلفا ، وبمئهما في اثنين عشر ألفاً على مقدمته ، وكل واحد منهما على جماعة من ذلك الجيش ؛ فأخذ شريح يتولى بمن معه من أصحابه على حدة ، ولا يقرب زيادا ، فسكت زياد إلى على عليه السلام مع موثى له يقال له شوزب :

لبيد الله على أمير المؤمنين ؛ من زياد بن النُصْر :
سلام عليك ؛ فإني آخذ إليك الله أقدى لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإنك وليتني أمر

الناس ؛ وإن شَرَّيَحا لا يرى عليه طاعة ولا حقاً ؛ وذلك من قبله بى استخفاف بأمرك ، وترك لمهلك ، والسلام .

وكتب شريح بن هانئ إلى علي عليه السلام :

لبيد الله على أمير المؤمنين من شَرَّيَح بن هانئ ، سلام عليك ؛ فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإن زياد بن النضر حين أشركته فى أمرك ، موولته جنداً من جنودك ، طغى واستكبر ، ومال به السُّفْهُ والتَّيْلَامُ والزَّهْوُ إلى ما لا يَرْضَى الله تعالى به من القول والفعل ؛ فإن رأى أمير المؤمنين عليه السلام أن يميزه عَنَّا ويبيث مكانه مَنْ يحب فليفعل ؛ فإننا له كارهون ، والسلام .

فكتب علي عليه السلام إليهما :

من عبد الله على^(١) أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هانئ . سلام عليكما ، فإنى أحمد إليكما الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد ؛ فإنى قد وليتُ مقدّمى زياد بن النضر ، وأمرته عليها ، وشريح بن هانئ قلى طائفة منها أمير ؛ فإن انتهى جمعكما إلى بأس ، فزياد بن النضر على الناس كلهم ؛ وإن افرقتما فكل واحد منكما أمير الطائفة التى وليناه أمرها . واعلم أن مقدّمة القوم مميّزتهم ، وحيون المقدّمة طلائعهم ، فإذا أنما غرَجْتُمَا من بلاد كما فلا تسأما من توجيه الطلائع ، ومن نفص الشُعاب^(٢) والشجر^(٣) والغمر^(٤) فى كل جانب ، كى لا يفتزكا عدوّ ، أو يكون لم كين . ولا تسيرون الكتائب والقبائل من لَدُن الصُّباح إلى المساء إلا على تهيئة ، فإن دهمكم عدوّ أو غشيكم مكروه ، كنتم قد تقدمتم فى التهيئة ، فإنما تزلّم بدمو أو تزل بكم فليكن مصكركم فى قُل الأشراف أو سيف^(٥)

(١) صلين : « بسم الله الرحمن الرحيم » من عبد الله ... » .

(٢) يقال : قس السكائل يلفس ؛ إذا غلظ جمع ما فيه من يعلم منه ؛ ومنه قول زهير :

وتنفذ هنأ غيب كل تحييل
وتنحش رماة القوْث من كل مرصد

والشعاب : جمع شعبة ؛ ومنه : استصب وتخرج من الرأى .

(٣) الغمر : ما وارى الإنسان من هجر ونحوه .

(٤) الأشراف : جمع شرف ؛ ومنه : الأماكن العالية . وسفاح الجبال : أسافلها .

الجبال وأنحاء الأنهار ؛ كما يكون ذلك لكم رِثَةً ، وتكون مقاتلتكم من وَجْهِ واحد أو اثنين ؛ واجعلوا رقباءكم ^(١) في صياصي الجبال ، وبأعلى الأشراف ، ومناكب الأنهار يرون لكم ، كي لا ^(٢) يأتيكم عدو من مكان مخافاً أو أمن . وإيّاكم والتفرق ؛ فإذا نزلتم فأنزلوا جميعاً ، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً ؛ فإذا غشيتكم الليل فزلم نخلوا عسكركم بالرماح والقرصة ^(٣) ، ولتكن دمانكم من وراء ترسيكم ورماحكم بطنهم . وما أقسم فكذلك فافعلوا كي لا تصاب لكم قتل ، ولا تُنقَى لكم غيرة ، فإنا قوم يحنون عسكرهم برماحهم وترسهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنهم في حصون . واحرسوا عسكركم بأغصانكم ، وإياكم أن تذوقوا نوماً حتى تُصْبِحوا إلا غراراً أو مُضْمَضَةً ^(٤) . ثم ليكن ذلك شأنكم ، ودأبكم حتى تنهبا إلى عدوكم ؛ وليكن كل يوم عندى خبركم ورسول من قبيلكم . فإني - ولا شيء - إلا ماشاء الله - حيثُ البسم في أتركم عليكم في جربكم ^(٥) بالتؤدة ، وإياكم والمجلة ؛ إلا أن تمكنكم فرصة بعد الإمداد والحقبة ، وإياكم أن تقاتلوا حتى أقدم عليكم ، إلا أن تُدْأ ، أو يأتيكم أمرى ، إن شاء الله ^(٦) .

قال نصر ^(٧) وكعب على عليه السلام إلى أمراء الأجناد - وكان قد قسم عسكره أسباعاً ، فجعل على كل سبع أميراً ، فجعل سعد بن مسعود التنقي على قيس وعبد القيس ، ومسيل بن قيس اليربوعي على تميم وضبة والرهاب وقريش

(١) صحن : « رقباءكم » .

(٢) كذا في أ ، وفي م ، ج بخط « ك » .

(٣) القرصة : جمع ترس ؛ وهو صفحة من الغولاد مستديرة ، ويجمع على تراس أيضاً .

(٤) الغرار : القليل من النوم . وقوله : « مضضة » ؛ ما حل لهوم دوماً ، أمره ألا ينام ولا ينام إلا بالستيم ولا يسهره ؛ فشيء بالمضضة بالاء وإلغائه من الميم من غير اتلاخ ؛ كما لسه صاحب اللسان (١٠ : ٩) ؛ وأورد كلام الإمام .

(٥) صحن : « حرككم » .

(٦) صحن ١٣٨ - ١٤٠ .

(٧) صحن ١٣٢ ، ١٤٠ - ١٤١ .

وكسانة وأسد، وعُنف بن سُلَيْم عَلَى الْأَزْدِ وَبَجِيلَةَ وَخَثَمَ وَالْأَنْصَارَ وَخَزَاعَةَ، وَحُجْرَ
ابن عدي الكندي على كِنْدَةَ وَحَضْرَمَوْتَ وَقُضَاعَةَ، وَزِيَادَ بْنَ النَّضْرِ عَلَى مَذْحِجِ
وَالْأَشْرَجِينَ، وَسَعِيدَ بْنَ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ عَلَى هَمْدَانَ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ خَيْرٍ، وَعَدِيَّ بْنَ
حَاتِمِ الطَّائِيَّ عَلَى طَيْيٍّ؛ تَحْمِلُهُمُ الْقُدُومَةُ مَعَ مَذْحِجٍ، وَتَخْتَلِفُ الرَّايَاتَانِ: رَايَةُ مَذْحِجٍ مَعَ
زِيَادَ بْنِ النَّضْرِ، وَرَايَةُ طَيْيٍّ مَعَ عَدِيٍّ مِنْ حَاتِمٍ؛ هَذِهِ عَاكِرُ الْكُوفَةِ. وَأَمَّا عَاكِرُ
الْبَصْرَةِ فَغُلَاقُ بْنُ مَعْمَرِ السُّلُوسِيِّ عَلَى سُكْرَ بْنِ وَائِلٍ، وَعَمْرُو بْنُ مَرْحُومِ الْهَمْدِيِّ عَلَى عَبْدِ
الْقَيْسِ، وَابْنُ شَيْبَانَ الْأَزْدِيُّ^(١) عَلَى الْأَزْدِ، وَالْأَحْنَفُ عَلَى تَمِيمٍ وَضَبَّةَ الرَّبَابِ، وَشَرِيكَ
ابْنُ الْأَعْمُورِ الْحَارِثِيُّ عَلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ:

أَمَا سَدٌّ، فَإِنِّي أَرَأَى إِلَيْكُمْ مِنْ مَعْرَةِ الْجَبُودِ^(٢) [إِلَّا مِنْ حَوْصَةٍ إِلَى شَمْعَةٍ، وَمِنْ قَرٍّ
إِلَى غَتٍّ، أَوْ عَمَى إِلَى هَدْيٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ]^(٣). فَأَغْرَبُوا^(٤) النَّاسَ عَنِ الْعَظَمِ
وَالْمُدُونِ، وَخَفُوا عَلَى أَيْدِي سَفَهَانِكُمْ، وَاحْتَرَسُوا أَنْ تَمْلِكُوا أَحْمَالًا لَا يَرْضَى اللَّهُ بِهَا عَنَّا
فَيَرْذِبَهَا عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ دَعَاؤُنَا؛ فَإِنَّهُ تَمَلَّكُ بِقَوْلٍ: «مَا يَنْبَغُ بِكُمْ رَبِّي تَوْلَا دُعَاؤَكُمْ»^(٥).
وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا مَقَّتْ قَوْمًا مِنَ السَّمَاءِ هَلَكُوا فِي الْأَرْضِ، فَلَا تَأْكُلُوا أَنْفُسَكُمْ حَيْرًا، وَلَا الْجَنْدَ
حَسَنَ سِيرَةٍ، وَلَا الرِّعْيَةَ مَمُوعَةً وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً؛ وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِهِ مَا اسْتَوْجِبَ عَلَيْكُمْ؛
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اصْطَلَحَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَهُ بِمُجِدِّنَا، وَأَنْ نَقْصُرَ مَا بَلَّغَتْ
قُوَّتُنَا وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(١) فِي صَفِينٍ: «صِرَّةُ بْنُ شَيْبَانَ».

(٢) قَوْلُهُ: «أَرَأَى إِلَيْكُمْ مِنْ مَعْرَةِ الْجَبُودِ»، نَسَبُهُ صَاحِبُ الْكَلْبِ هَذَا الْقَوْلُ إِلَى حَمْرِ بْنِ الْحَطَّابِ،
وَهَذَا: «وَأَمَّا مَعْرَةُ الْجَبُودِ الَّتِي تَرَأَى مِنْهَا حَمْرٌ رَسَى اللَّهُ عَنْهُ؟ هِيَ وَمَلَأَتْهُمْ مِنْ مَرَوَاهُ مِنْ سَلَمٍ أَوْ
صَاعِدٍ مَوْاسِيَتِهِمْ لِأَهْلِ حَرَمِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَزُرُوعِهِمْ بِمَا لَمْ يَوْفَنَ لَهُمْ فِيهِ»؛ وَفِي صَفِينٍ: «مَعْرَةُ الْجَبُودِ».

(٣) تَمَكَّلَ مِنْ كِتَابِ صَفِينٍ.

(٤) أَغْرَبُوا النَّاسَ، أَيْ نَحَرُوا، وَفِي صَفِينٍ: «فَاهْزَلُوا النَّاسَ».

(٥) سُورَةُ الْقُرْطَانِ ٧٧

قال : وكتب عليه السلام إلى جنوده يخبرهم بأنذى لهم وعليهم :

أما مد : فإن الله جعلكم في الحق جميعاً سواء ؛ أسودكم وأحمركم ، وجعلكم من الوالى وجعل الوالى منكم بمنزلة الوالد من الولد ، و [بمنزلة]^(١) الولد من الوالد ، الذى لا يكتفيه منعه إياهم طلب عدوه والنهية به ، ما سمعتم وأطعتم وقضيتهم الذى عليكم^(٢) . خففكم عليه إصافكم والتعديل بينكم ، والكف عن فيكم ؛ فإذا فعل معكم ذلك ، وحدت عليكم طاعته فيما وافق الحق ، وصبرته والدفع عن سلطان الله ، فإنكم وزعة الله في الأرض ، فكونوا له أوعاء ما يولد به أنصارا ، ولا تنفذوا في الأرض بعد إصلاحها ، إن الله لا يحب الفاسدين^(٣) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : حدثني سعد بن طريف ، عن الأصمغ ابن نباتة ، قال : قال علي عليه السلام : ما يقول الناس في هذا القبر ؟ - وفي القبة ، وبالقبلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله - قال الحسن بن علي عليها السلام : يقولون هذا قبر هود لما عصاه قومه ، جاء فأتاهم ، قال : كذبوا ؛ لأننا أعلم به منهم ؛ هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، يكره يعقوب ؛ ثم قال : أهاها أحد من مهرة^(١) ؟ فأتى بشيخ [كبير]^(٢) ، قال : أين مرقك ؟ قال : على شاطئ البحر ، قال : أين أنت من الجبل^(٣) ؟ قال : أنا قريب منه ، قال : فما يقول قومك فيه ؟ قال : يقولون : إن فيه قبر ساحر ، قال : كذبوا ، ذاك قبر هود النبي عليه السلام ، وهذا قبر يهودا بن يعقوب . ثم قال

(٢) ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٤) ص ١٤١ : أين من الجبل الآخر .

(١) تسكعة من كتاب ص ١٤١ .

(٢) مهرة : حتى من الجبل

عليه السلام : يُخْشَرُ مِنْ ظَهْرِ السَّكُوفَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَى غُرَّةِ^(١) الشَّمْسِ ، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِنُورٍ حَسَابٍ .

قال نصر : فلما نَزَلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ التَّخَيُّلُ مَتَوَجِّهاً إِلَى الشَّامِ ، وَبَلَغَ مَعَاوِيَةَ خَبْرَهُ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِدِمَشْقَ ، هَذَا أَلْبَسَ مِنْبِرَ دِمَشْقَ قَيْصَ عَمَانَ مَخْتَضِعاً بِالْأُذُنِ ، وَحَوْلَ الْمَنِيرِ سَبْعُونَ أَلْفَ^(٢) شَيْخٍ يَبْكُونَ حَوْلَهُ ، لَا تَجُفَّ دُمُوعُهُمْ عَلَى عَمَانَ ، جَطَبُهُمْ ، وَقَالَ :

يَا أَهْلَ الشَّامِ ، قَدْ كُنْتُمْ تَسْكُدُّونَنِي فِي هَذَا ، وَقَدْ اسْتَبَلَنْ لَكُمْ أَمْرَهُ ؛ وَاللَّهِ مَا قَتَلْتُ خَلِيفَتَكُمْ خَيْرُهُ . وَهُوَ أَمَرَ بِقَتْلِهِ ، وَأَنْبَأَ النَّاسَ عَلَيْهِ ، وَأَوَى قَتْلَتَهُ ، وَهَمَّ جَنْدُهُ وَأَنْصَارُهُ وَأَعْوَانُهُ ، وَقَدْ خَرَجَ بِهِمْ قاصِداً بِلَادَكُمْ وَدِيَارَكُمْ لِإِهَادَتِكُمْ . يَا أَهْلَ الشَّامِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي دَمِ عَمَانَ ! فَإِنَّا وَلِيُّهُ وَأَحَقُّ مَنْ طَلَبَ بَدْمَهُ ؛ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَوْنِي لِلْقَتُولِ عِلْماً سُلْطَاناً ، فَانْصَرُوا خَلِيفَتَكُمْ لِلظُّلُمِ ، قَدْ صَنَعَ الْقَوْمُ بِكُمْ مَا تَمْلُونُ ، قَتَلُوهُ ظُلْماً وَنِيًّا ؛ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَتْلِ الْفِتْنَةِ الْبَاهِغَةِ حَتَّى تَنْقُضَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ .
ثم نزل .

قال نصر : فَأَحْطَرَهُ الْعُلَاحَةُ وَأَهْلُوا الْوَاهِ ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ ، وَاسْتَمَدَّ لِقَاءَهُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ^(٣) .

(٢) كُنَّا فِي الْأَصُولِ وَلِي كِتَابِ سَعِيدٍ .

(١) هَرَّةُ الْفَسِّ : مَطْلَبُهَا .

(٣) كِتَابُ صَفِيحٍ ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤٧)

ومن كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة :

الأصل

كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُدَبِّرِينَ مَذْأَدَ الْأَدِيمِ الْمَكَاظِ ؛ مُرَكِّبِينَ بِالنَّوَازِلِ ،
وَتُرَكِّبِينَ بِالنَّوَارِلِ ، وَمَا لِي لَا أَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سَوْءًا إِلَّا ابْتِلَاءَهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ
أَوْزَمَاهُ^(١) بِقَاتِلٍ .



الفتح :

عُكَاظُ : اسم سوق للعرب بناحية مكة ، كانوا يجتمعون بها في كل سنة ، يقيمون
شعرا وبقايسون وينتشدون شعرا ويتفاخرون ، قال أبو ذؤيب :

إِذَا بَيَّ الْقَيْسَابُ عَلَى عُكَاظٍ وَقَامَ الْبَيْعُ وَأَجْتَمَعَ الْأَكُوفُ^(٢)

فما جاء الإسلام هدم ذلك ؛ وأكثر ما كان يُباع الأديم بها ، فنسب إليها .
والأديم واحد والجمع أديم ، كما قالوا : أبيع للعبد القدي لم تيمم دباخته ، وجمعه أفق . وقد
يجمع أديم على آدِمة ، كما قالوا : رغيث وأرغفة .
والنوازل هاهنا : الأمور الزمجة ، والخطوب المحركة .

(١) عضومة التبع : « ورماء » .

(٢) ديوان المحدثين ١ : ٩٨ ؛ وفي شرحه « على عكاظ ، يريد بكظا ، ويقال : فلات نازل على

فلات ، وعلى شربة ، أي بها . فم البيع ، يريد : قامت السوق » .

وقوله عليه السلام : « تُنْذِرِينَ مَدَّ الْأَدِيمِ » ، استعارة لما يخالها من السَّفِّ والخط .
وقوله : « تُعَرِّكِينَ » ؛ من عَرَكَتِ الْقَوْمَ الحرب إذا مارسهم حتى أنصبهم .

[فصل في ذكر فضل الكوفة]

وقد جاء في فضل الكوفة عن أهل البيت عليهم السلام شيء كثير ، نحو قول أمير المؤمنين عليه السلام : نعمت للذرة .

وقوله عليه السلام : إنه يُخْشَر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً ، وجوههم على صورة القمر .

وقوله عليه السلام : هذه مدينتنا ومحننا ، ومقر شيعتنا

وقول جعفر بن محمد عليه السلام : اللهم ارحم من رماها ، وعاد من عادها .

وقوله عليه السلام : ترمة تحبنا ومحبنا .

فأما ما تم به للوك وأرباب السلطان فيها من سوء ، ودقاع الله تعالى عنها ؛ فكثير .

قال للنصور لجعفر بن محمد عليهما السلام : إني قد سمعت أن أمت إلى الكوفة من ينقض منازلها ، ويحمر^(١) نخبها ، ويستصفي أموالها ، ويقتل أهل الرعية منها ؛ فأشير على . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الرعية ليقتردي سلقه ، ولك أسلاف ثلاثة : سليمان أعطى فشكر ، وأيوب ابتلي فصبر ، ويوسف قدر ففخر ؛ فآخذ بأيهم شئت . فصمت قليلاً ، ثم قال : قد خفرت .

(١) حر النخلة ؛ أي قطع جلدها .

وروى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في كتاب "المنتظم" أن زبانا لما حصنه أهل الكوفة ، وهو يحط على المنبر ، قطع أيدى ثمانين منهم ، وهم أن يخزب دورهم ، ويحمر محلهم ، غنمهم حتى ملأهم للسعد والرحمة ، يرضهم على الراء من على عيسى السلام ؛ وعلم أنهم سيمتنعون ، فيحتج بذلك على استنصاحهم ، وإخراجه بدم .

قال عبد الرحمن بن السائب الأصاري : فإني سمعت نعيم بن قومي ، والناس يومئذ في أمر عظيم ؛ إذ هومت تهويم^(١) ، فرأيت شيئا أقبل ، طويل العنق ، مثل عنق البعير أهدر أهمل^(٢) ، قلت : ما أنت ؟ فقال : أما النقاد ذو الرقة ، رست إلى صاحب هذا القصر ، فاستيقظت فرعا ، قلت لأصحابي : هل رأيتم ما رأيتم ؟ قالوا : لا ؛ فأخبرتهم ، وخرج علينا خارج من القصر ، فقال : انصرفوا ، فلين الأمير يقول لكم : إني عنكم اليوم مشمول ؛ وإذا بالطامون قد ضربوه ، فكان يقول ، إني لأجد في النصف من حدي حر النار حتى مات ، فقال عبد الرحمن بن السائب بن

مَا كَانَ مُنْتَهِيًا عَمَّا أَرَادَ بِمَا حَتَّى تَنَاقَلَهُ النَّقَادُ ذُو الرِّقَةِ
فَأَنْتَبَتِ الشُّقْمَةُ ضَرْبَةً عَظُمَتْ كَمَا تَنَاقَلُ خَلْفًا صَاحِبَ الرَّحَةِ^(٣)

قلت : قد يظن ظان أن قوله : « صاحب الرحمة » يمكن أن يحتاج به من قال : إن قبر أمير المؤمنين عليه السلام في رحمة للسجد بالكوفة ؛ ولا حجة في ذلك ، لأن أمير المؤمنين كان يجلس معظم زمانه في رحمة للسجد ، يحكم بين الناس ، لجاز أن ينسب إليه بهذا الاعتبار .

(١) التهويم : هز الرأس من الناس .

(٢) يقال : هدر الحبر ؛ صوت في غير شقفة ، وجلل الأهمل : السرحى للفرس .

(٤٨)

ومن خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام :

الأصل :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ كَلَّمَا وَقَبَ لَيْلٍ وَغَسَقَ، وَأَلْحَمْدُ لِلَّهِ كَلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ، وَأَلْحَمْدُ لِلَّهِ خَيْرَ
مَفْقُودِ الْإِنْسَانِ، وَلَا مُسْكَاتٍ الْإِفْعَالِ . أَمَّا تَمَدُّ، فَقَدْ بَمَشَتْ مُقَدِّمَتِي ، وَأَمْرُهُمْ
يَلْزُومُ هَذَا الْبِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ الشُّطْفَةَ إِلَى
شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ ، مُوْطِنِينَ أَكْثَافَ دَجَّةٍ، فَأَسَيِّضُهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ ، وَأَجْعَلُهُمْ
مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ .

...

قال الرضى رحمه الله :

يعني عليه السلام بالبلطاط ما هنا التست الذي أمرهم بلزومه ؛ وهو شاطئ الفرات ،
ويقال ذَلِكَ أَيْضاً لِشَاطِئِ الْبَحْرِ ، وَأَصْلُهُ مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ ؛ ويعني بالشطفة ماء
الفرات ، وهو من غريب العبارات ومجربها .

...

الشرح :

وقب الليل ؛ أي دخل ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ (١) .
وغسق ، أي اظلم . وحقق النعم ، أي عاب .

ومقدمة الجيش ، كسر الدال : أوله ؛ وما يتقدم منه على جمهور السكر ؛ ومقدمة
لإسان ، بفتح الدال : صدره .

والمَلْطَاط : حافة الرادى وشَفِيرُهُ ، وساحل البحر ، قال رؤبة :

• نَحْنُ بَحْمًا لِنَاسٍ بِرِلْطَاطٍ •

قال الأصمعي : يعنى به ساحل البحر ، وقول ابن مسعود : هذا للملطاء طريق بقية
الؤمنين ، هُزَّأَ مِنَ الدَّجَالِ - يعنى به شاطئ الفرات .

فأما قول الرضى رحمه الله تعالى : « الملطاء : السمت الذى أمرم بزيومه وهو شاطئ
الفرات ، ويقال ذلك لشاطئ البحر » ، فلا معنى له ؛ لأنه لا فرق بين شاطئ الفرات
وشاطئ البحر ، وكلاهما أمر واحد ، وكان الواجب أن يقول : الملطاء : السمت فى
الأرض ، ويقال أيضاً لشاطئ البحر ()
والشَّرْذِمَةُ : فر قليلون .

وموطنين أكناف دجلة ، أى قد حلوا أكنافها وطناً ، أو طنت الثمرة .

والأكناف : الجواب ، واحدها كَنَفٌ . والأمداد : جمع مَدَدَ ، وهو ما يُمدُّ به
الجيش تقوية له .

وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالشحيلة خارجاً من الكوفة
ومتوجّهاً إلى صِفِّينَ لحسّ بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ؛ ذكرها جماعة من أصحاب السير ،
وزادوا فيها : « وقد أمرت على المصر عقبة بن عمرو الأنصارى ، ولم ألكم ولا نفسى ^(١) ؛
فإياكم والتخلف والتربص ؛ فإنى قد خلعت مالك بن حبيب البربوى ، وأمرته ألا يترك
متخفياً إلا ألحقه بكم عاجلاً ، إن شاء الله » ^(٢) .

وروى نصر بن مزاحم عوض قوله : « فَأَسْبَغْتُهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ » « فَأَسْبَغْتُهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ »^(١).

قال نصر : فقام إليه منقل بن قيس الرضاحي ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ والله ما يتخلف عنك إلا غلّين ، ولا يترنّس بك إلا منافق ، فمرّ مالك بن حبيب فلبضرب أعناق المتخلفين . فقال : قد أمرته بأمرى ، وليس يختصر إن شاء الله^(٢).

• • •

[أخبار عليّ في جيشه وهو في طريقه إلى صفين]

قال نصر بن مزاحم : ثم سار عليه السلام حتى انتهى إلى مدينة بهرسير^(٣) ؛ وإذا رجل من أصحابه يقال له حُرّ بن سهم طوبى ، من بني ربيعة بن مالك ، ينظر إلى آثار كسرى ؛ ويتشغل بقول الأسود بن يعفر :

جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى حُلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيسَادٍ^(٤)

فقال له عليه السلام : ألا قلت : « كَمْ تَرَكُوا مِنْ حَقَاتٍ وَعُيُونٍ » وَرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • وَنَمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ • كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ • فَمَا بَسَّكَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْطَرِفِينَ^(٥) ؛ إِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا وَارِثِينَ فَأَصْبَحُوا مَوْرَثِينَ ، ولم يشكروا النعمة ، فليَبُوا دَهَامَ الْعَصِيَةِ . لِمَا كُمْ وَكَفَرَ النَّعْمَ ، لَاعْمَلْ بِكُمْ النَّعْمَ ، انزلوا بهذه الفجوة^(٦).

(١) صفين : « إلى أعداء الله » .

(٢) صفين ١٤٨

(٣) بهرسير : بلد قرب المدائن .

(٤) من قصيدة له في الفشتات ٢١٦ - ٢٢٠

(٥) سورة الفرقان ٢٩ - ٢٩

(٦) الفجوة : للسكان للتحس في الأرض ؛ وفي صفين ١٥٩ « الفجوة » ؛ وهو المكان الرطوب .

قال نصر: وحدثنا^(١) عمر بن سعد، عن مسلم الأعور عن حصة الثمري، قال: أمر علي عليه السلام الحارث الأعور؛ فصاح في أهل الدائن: مَنْ كَانَ مِنَ الْقَاتِلَةِ فليوافِ أميرَ المؤمنين عليه السلام صلاةَ العصر. فوافوه في تلك الساعة، فحيد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعدُ؛ فإنِّي قد تسعَّت مِن تحفِكُم عن دَعَوَتِكُم، واقطاعِكُم عن أهلِ مِصرِكُم في هذه الساكن الظالم. أهلها، لذلك أكثر ما كتبها، لأمعروف بأمرين به، ولا منكر يهون عنه.

قالوا: يا أميرَ المؤمنين؛ إنا ننتظر أمرَك، مُرَّنا بما أحببت. فلما وُخِّلَ عليهم عدى بن حاتم، فأقام عليهم ثلاثاً ثم خرج في ثمانمائة رجل معهم، وحلف أنه زياد معه، فلحقه في أربعمائة رجل منهم.

وجاء علي عليه السلام حتى مرَّ بالأهبار، فاستقبله بو خشنوشك^(٢)؛ دهاقيسا. — قال نصر: الكلمة فارسية، أصلها: خشن، أي الطيب^(٣) —

قال: فلما استقبلوه، نزلوا عن حيولهم، ثم جاءوا يشتدون معه، وبين يديه ومعهم برازين قد أوقصوها في طريقه، فقال: ما هذه الدواب التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنمتم؟ قالوا: أما هذا الذي صنمنا فهو خلقٌ صنمنا معكم به الأمراء؛ وأما هذه البرازين فهديّة لك، وقد صنمنا للسلاطين طعاماً، وهديّة لندوابِكُم علماً كثيراً.

فقال عليه السلام: أما هذا الذي زعمتم أنه فيكم خلقٌ تعظمون به الأمراء هو الله ما يرفع ذلك الأمراء؛ وإنكم لتشتقون به على أنفسكم وأبدانكم، فلا تمودوا

(١) صفين ١٦٠، ١٦١

(٢) في الأصول «خشنوش» وروايتها من كتابه صعب

(٣) الصادرة كما في كتابه صعب: «قال سليل: خشن: طيب. فوشك: راس، يعني بن الطيب الراسي، والفارسية».

هـ . وأما دوابكم هذه ؛ فإن أحببتم أن آخذها منكم ، وأحسبها لكم من خراجكم آخذناها منكم . وأما طعامكم الذي صنعتم لنا ؛ فإننا نكره أن نأكل من أموالكم إلا بشئ . قالوا : يا أمير المؤمنين ، نحن قوم نهم قبل ثمنه ، قال : إذا لا تقومونه فيته ، نحن نكتفي بما هو دونه . قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ فإن لنا من العرب موالٍ ومعارف ؛ أئمننا أن يهْدِيَ لم أو نمنهم أن يقبلوا منا ؟ فقال : كل العرب لكم موالٍ ، وليس ينبغي لأحد من المسلمين أن يقبل هديتكم ، وإن قصَبكم أحد فاعلونا . قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ إننا نحب أن نُقَبِّلَ هديتكم وكرامتنا . قال : وَنَحْكَمْ ! ففعلن أغنى منكم . وتركهم وسار .

قال نصر : وحدثنا^(١) عبد العزيز بن سياه ، قال : حدثنا حبيب بن أبي ثابت ، قال : حدثنا [أبو]^(٢) سعيد القيسى المروفي بَيْهَقِي ، قال : كُنَّا مع عليّ عليه السلام في مسيره إلى الشام ؛ حتى إذا كُنَّا بظهر البَكُوفَةِ من جِابِ هَذَا السَّوَادِ ، عطش الناس واحتاجوا إلى الماء ، فاطلق بنا عليّ عليه السلام حتى أتى [بنا]^(٣) إلى صخرة تسمى^(٤) في الأرض ؛ كَأَسْهَا رُبْعَةُ عَزْ^(٥) ؛ فأمرنا فاقبلناها ، فخرج لنا من تحتها ماء ، فشرب الناس منه ، وارتوؤا . ثم أمرنا فأكفأناها عليه . وسار الناس حتى إذا مضى قليلا ، قال عليه السلام : أئمنكم أحدٌ بئس مكان هذا الماء الذي شربتم منه ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فاطلقوا إليه ، فاطلق مِنَّا رجالٌ رُكبانًا ومشاة ، فاقصصنا الطريق إليه ؛ حتى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنه فيه ، فطلبناه ، فلم ندر على شيء . حتى إذا جِئنا علينا انطلقنا إلى دير قريب

(١) صفين ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) من صفين والقاموس .

(٣) الفرس : الأكمة الحقة .

(٤) الرُبْعَةُ : بضم الزاء ، وقال بكسرهما ؛ مقدار جثة العز إذا رُبِضَتْ ؛ وفي الأثر : « جاء بشيء كانه رُبْعَةُ أَرَبٍ » أي جثتها . راجع الحسان .

منا ، فأنانهم : أين هذا الماء الذي عندكم ؟ قالوا : لبس قُرُونًا ماء ، قلنا : بلى إن شربنا منه ، قالوا : أنتم شربتم منه ! قلنا : نعم ، فقال صاحب الدُّبُر : والله ما شرب هذا الدُّبُر إلا بذلك الماء ، وما استخرجه إلا بئى أو وصى بئى .

قال نصر : ثم مضى عليه السلام : حتى نزل بأرض الجبيرة ، فاستقبله بنو تَغْلِبَ والثَّغَرِ بن قاسط بَجَزُور^(١) ، فقال عليه السلام ليزيد بن قيس الأرحبي : يا يزيد ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : هؤلاء قومك ؛ من طعاهم فاطمَمْ ، ومن شراهم فاشرب .

قال : ثم سار حتى أتى الرِّقَّة - وحل أهلها عنابة ، قرأوا من السكوفة إلى معاوية - فأغلقوا أبوابها دونه ، وتمحصنوا ، وكان أميرهم سَمَّاك بن محرقة الأسدى فى طاعة معاوية ، وقد كان فارق عليا عليه السلام فى محو من حائنه رجل من بني أسد ، ثم كاتب معاوية ، وأقام بالرِّقَّة حتى لحق به سبعمائة رجل .

قال نصر : فروى حبة أن علياً عليه السلام لما نزل على الرِّقَّة ، رل بموضع يقال له اللَّبْلِيخ على جانب القفرات ، فزل راهب هناك من صومته ، فقال لعلى عليه السلام : إن عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا ، كتبه أصعابُ عيسى بن مريم ، أعرضه عليك ؟ قال : نعم ، فقرأ الراهب الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . الذى قصى فيها قصى ، وسطر فيها كتب^(٢) : أنه باعث فى الأميين رسولا منهم : يعلمهم الكتاب والحسكة ، ويدلهم على سبيل الله ، لا قط ولا عليظ ؛ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يمرى بالسبثة السبنة ، بل ينفو ويصنع ، أمته المتعادون الذين يحمدون الله على كل نشر^(٣) ، وفى كل صمود وهبوط ، تذلل ألسنتهم

(١) المزور : الناقة التى نحر ؛ وو صين : « ملزيرة » .

(٢) صين : « فيها سطر » .

(٣) النشر : السكك للرفع ، كالعمار .

بالتكبير والتهليل ، والتسبيح ؛ وبصره الله على من ناواه ؛ فإذا توفاه الله ، اختلفت أمته من بعده ؛ ثم اجتمعت ، فلبث ما شاء الله ، ثم اختلفت ، فمهر رجل من أمته بشاطيء هذا القرات ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقضي بالحق ولا يركس^(١) الحكم ، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح ، ولوث أهون عليه من شرب الماء على الظمان^(٢) . يخاف الله في السر ، ويصيح له في العلانية ، لا يخاف في الله لومة لائم ؛ فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فأمن به كان ثوابه رضوانه وأبنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره ؛ فإن القتل معه شهادة .

ثم قال له : أنا مصاحبك ، فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك . فسكن عليه السلام ، ثم قال : الحمد لله الذي لم أكُنْ عنده منسياً ، الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار .

فرضي الراهب معه ، فكان فيما ذكروا يمدى مع أمير المؤمنين ويتعشى ، حتى أصيب يوم صفين ؛ فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليه السلام : اطلبوه ، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه . وقال : هذا ميتاً أهل البيت ، واستغفر له مراراً^(٣) .

روى هذا الخبر نصر بن مزاحم في كتاب " صفين " عن حماد بن محمد ، عن مسلم الأحمور ، عن حبة العرقى . ورواه أيضاً إبراهيم بن ديزيل الهمداني ، بهذا الإسناد حبة أيضاً في كتاب صفين .

• • •

وروى ابن ديزيل في هذا الكتاب ، قال : حدثني يحيى بن سليمان . . . حدثني يحيى بن عبد الملك بن محمد بن عتبة ، عن أبيه ، عن إسحاق بن رجاء ، عن أبيه ومحمد

(١) الركن : رد الشيء مقلوباً ، وفي معنى : « ولا يركس في الحكم » .

(٢) صين : « القلاء » .

(٣) كتاب صفين لنصر ١٦٤ ، ١٦٥ .

ابن فضيل ، عن الأحمس ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبي سعيد الخدري ، رحمه الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، « قطع شئ »^(١) نعليه ، فألقاها إلى علي عليه السلام يصلحها ، ثم قال : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن ، كما فانتل على نبيه » ، فقال أبو بكر الصديق : أنا هو يا رسول الله ؟ فقال : لا ، فقال عمر بن الخطاب : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : « لا » ، ولكنه ذاكم حاصف النمل . — ويد علي عليه السلام على نمل النبي صلى الله عليه وآله يصلحها .

قال أبو سعيد : « أنبت علياً عليه السلام دثرت به بئذ فلم يحفل به ، كأنه شيء قد كان عليه من قبل .

• • •

وروى ابن ديزيل في هذا الكتاب أيضاً ، عن يحيى بن سليمان ، عن ابن فضيل ، عن إبراهيم الهجري ، عن أبي صادق ، قال : قديم علينا أبو أيوب الأنصاري العراقي ، فأخذت له الأزدر جراً^(٢) ، فبنتوها ممي ، فدخلت إليه فسلمت عليه ، وقلت له : يا أبا أيوب ، قد كرمك الله عز وجل بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وزوله عليك ، فإني أراك تستقبل الناس بسيفك ، تقاتلهم هؤلاء مرة هؤلاء مرة ! قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أن يقاتل مع علي الناكثين ، فقد فانتلناهم وعهد إلينا أن يقاتل معه القاسطين ؛ فهذا وحشنا إليهم — يعني معاوية وأصحابه — وعهد إلينا أن يقاتل معه للارقين ، ولم أرم بعد .

ووروى ابن ديزيل أيضاً في هذا الكتاب ، عن يحيى ، عن يعلى بن عبيد الحنف ، عن إسماعيل التستدي ، عن زيد بن أرقم ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو

(١) الفسح : قبال النمل ؛ وهو زمام بين الإصبع الوسطى والى عليها .

(٢) الجزر : جمع الجزور ؛ وهو ما يذرع من الإبل .

في الحجرة يُوسَى إليه ونحن ننتظره حتى اشتد الحر ، فجاء علي بن أبي طالب ومعه فاطمة وحسن وحسين عليهما السلام ؛ فقدموا في ظل حائط ينتظرونه ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ، رآهم فأنام وَوَقَفْنَا نحن مكانا ، ثم جاء إلينا وهو يظلمهم بثوبه ، ممكا بطرف الثوب ، وعلى مِمْكَ طَرَفِهِ الآخر ؛ وهو يقول : « اللهم إني أحبتهم ، فأحبهم ؛ اللهم إني سئلت لمن سألهم ، وحرب لمن حاربهم » قال : فقال ذلك ثلاث مرات .

قال إبراهيم في الكتاب المذكور : وحدثنا يحيى بن سليمان ، قال : حدثنا ابن فضال ، قال : حدثنا الحسن بن الحكم النخعي ، عن رباح بن الحارث النخعي ، قال : كنت جالسا عند علي عليه السلام ، إذ قَدِمَ عليه قوم متلثمون ، فقالوا : السلام عليك يا مولانا ، فقال لهم : أَوَلَسْتُمْ قوما عَرَبًا ؟ قالوا : بلى ، ولَكِنَّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم قَدِرَ خُمٌ : « مَنْ كَفَّتْ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ ، اللهم والِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَانصِرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَاخْلُذْ مَنْ خَذَلَهُ » ، قال : فلقد رَأَيْتُ عليًّا عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : اشهدوا .

ثم إن القوم مضوا إلى رحلم فحبسهم ، قتل لرجل منهم : مَنْ القوم ؟ قالوا : نحن رَحْمَةُ من الأنصار ، وذلك — يمتنون رجلا منهم — أموأيوب ، صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فأنبته فصاحت .

• • •

قال نصر : وحدثني عمر بن سعد ، عن نعيم بن وعة ، عن أبي الوَدَّاعِ أن^(١) عليًّا عليه السلام بعث من المدائن مَقْقِلَ بن فَيْس الرِّياحِي ، في ثلاث آلاف ، وقال له : خُذْ عَلَى

الوصل ، ثم نصيبين ، ثم التقى بالرقعة ، فإني موافقها . وسكن الناس وأمنهم ، ولا تقابل إلا من قاتلك ، وسير البردتين^(١) ، وعوز بالناس^(٢) . أقم الليل ، ورقه في السير ، ولا تسير أول الليل ؛ فإن الله جملة سكنا ، أرح فية بدنك وجندك وظهرك ، فإذا كان السحر ، أو حين يتبليج^(٣) الفجر ، فسر .

فسار حتى أتى المدينة - وهي إذ ذاك منزل الناس ، وإما بقى مدينة للوصل بعد ذلك محمد بن مروان - فإذا بكبشين ينتطحان ، ومع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعة^(٤) - قتل بعد ذلك مع الخروربة - فأخذ يقول : إيه ، إيه ! فقال معقل : ما تقول ؟ فجاء رجلان نحو الكبشين ، فأخذ كل واحد منهما كبشا واصرفا ، فقال الغنمي لمقل : لا تمليون ولا تعسبون ؛ فقال معقل : من أين علمت ؟ قال : أما أبصرت الكبشين ، أحدهما مشرق والآخر مغرب ، اتقيا فقتلا وانتطعا ، فلم يزل كل واحد من مصاحبه منتصفا ، حتى أتى كل واحد منهما صاحبه فانطلق به ! فقال معقل : أو يكون خيرا مما تقول يا أخا خثعم أم مضى حتى وافي عليا عليه السلام بالرقعة .

قال نصر : وقالت طائفة من أصحاب علي عليه السلام له : يا أمير المؤمنين ، اكتب إلى معاوية ومن قبيله من قومك ، فإن الحجة لا ترداد عليهم بذلك إلا عطا . فكتب إليهم عليه السلام : [بسم الله الرحمن الرحيم]^(٥) ، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية ومن قبيله من قريش :

(١) البردان : النداء والمعنى .

(٢) طور بالناس ، أي أنزل بهم في المائدة ؛ وهي الثالثة ؛ أو نصب الشهار .

(٣) صقي : « ينطح » ، و « م » : « يتبليج » .

(٤) كذا في صقي ، أ ، ج ، و ، هـ : « شداد بن أبي ربيعة » .

(٥) من صقي .

سلام عليكم، فَإِنَّ أَحَدَ إِلَيْكُمْ الْهَدَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدَ : فَإِنَّ اللَّهَ عِبَادًا آمَنُوا
بِالتَّزِيلِ ، وَغَرَفُوا الصَّوَابَ ، وَقَفُّوا فِي الدِّينِ ، وَبَيَّنَّ اللَّهُ فَضْلَهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ،
وَأَنْتُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَعْدَاءُ لِلرَّسُولِ ، تَكْذِبُونَ ^(١) بِالْكِتَابِ ، مَجْمُوعُونَ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ ،
مَنْ قَفَّزَتْ مِنْهُمْ حَبْسَتُهُ أَوْ عَذَبَتْهُ أَوْ قَتَلَتْهُ ؛ حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِعْزَازَ دِينِهِ ، وَإِغْلَازَ
أَمْرِهِ ، فَدَخَلَ الْعَرَبَ فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا ، وَأَسَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ طَوْعًا وَكَرْهًا ، فَكُنْتُمْ
فِيهِمْ دَخْلٌ فِي هَذَا الدِّينِ ؛ إِنَّمَا رَغِبَ وَإِمَّا رَهَبَ ؛ عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السُّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَفَازَ
الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ . وَلَا يَبْقَى لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ مِثْلُ سِوَاqِهِمْ فِي الدِّينِ ، وَلَا فَضْلُهُمْ
فِي الْإِسْلَامِ ؛ أَنْ يَنَازِحَهُمُ الْأَمْرَ الَّذِي هُمْ أَهْلُهُ وَأَوَّلَى بِهِ ، فَيَجُورُونَ ^(٢) وَيَظْلِمُونَ ، وَلَا يَنْفِي
لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ أَنْ يَحْمِلَ قُدْرَتَهُ ، وَيَسْلُو طُورَهُ ، وَيُشَقِّقَ غَضَبَهُ بِالْمَنَاسِ مَا لَيْسَ بِأَهْلِهِ ؛ فَإِنَّ
أَوَّلَى النَّاسِ بِأَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَخَدِيثًا أَقْرَبُهَا بِالنَّبِيِّ الرَّسُولِ ، وَأَعْلَاهَا بِالْكِتَابِ ، وَأَقْنَبُهَا
فِي الدِّينِ ، أَوْ لَهَا إِسْلَامًا ، وَأَعْلَاهَا جِهَادًا ، وَأَشَدُّهَا بِمَا تَحْمِلُهُ الْأُمَّةُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ
اضْطِعَالًا ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الدِّينَ يَسْلُونَ بِمَا يَسْلُونَ ، وَأَنَّ شَرَارَهُمُ الْجَاهِلُ الدِّينَ يَنَازِعُونَ
بِالْجَهْلِ أَهْلَ الْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ لِلْعَالِمِ بِنَفْسِهِ فَضْلًا ، وَإِنَّ الْجَاهِلَ لَا يَزِدُّهُ بِمَنَازَعَتِهِ الْعَالِمَ إِلَّا جَهْلًا .
أَلَا وَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَحَقِّ دِمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ فَإِنْ قَبِلْتُمْ أَصَبْتُمْ
رُشْدَكُمْ ، وَاهْتَدَيْتُمْ لِحَقِّكُمْ ، وَإِنْ أَيْمَنْتُمْ إِلَّا الْفُرْقَةَ وَشَقَّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ لَمْ تَزِدُوا مِنْ اللَّهِ
إِلَّا بَعْدًا ، وَلَا يَزِدُّدُ الرَّبَّ عَلَيْكُمْ إِلَّا سَعَطًا وَالسَّلَامَ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ مِثْلُ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ، سَطْرًا وَاحِدًا : رَهْوَ : أَمَا بَعْدَ فَإِنَّهُ

(١) : « مَكْذِبُونَ »

(٢) : « وَصَلِينَ » : « يَحْبُوبَ » .

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِصَابٌ غَيْرَ طَعْنِ الْكَلْبِ وَضَرْبِ الرَّعَابِ
 قَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُ هَذَا الْخَوَابُ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ
 اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(١) .

قال نصر : وقال عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَهْلِ الرَّقَّةِ : جَسُّوْا لِي جِسْرًا أُعْبِرُ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا
 الْمَكَانِ إِلَى الشَّامِ ؛ فَأَبَوْا ، وَقَدْ كَانُوا ضَمُّوا السُّفْنَ إِلَيْهِمْ ؛ فَهَضَمَ مِنْ عِنْدِهِمْ لِيُعْبِرَ
 عَلَى جِسْرِ مَتَبِجٍ ، وَخَلَّفَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ ، قَتَلَ : لَا أَهْلَ هَذَا الْحَصَنِ ؛ إِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ
 إِنْ مَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ نَعْمُرُوا لَهُ عِنْدَ مَدِينَتِكُمْ حَتَّى يَنْبُرَ مِنْهَا ؛ لَا جَرَدَنَ فَيْكُمْ
 السَّيْفَ ، فَلَا تَقْتُلَنَّ مَقَاتِلَكُمْ ، وَلَا تُخْرِبَنَّ أَرْضَكُمْ ، وَلَا تَخْذَنَ أَمْوَالَكُمْ .

فَاتَّقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، قَالُوا : إِنْ الْأَشْتَرُ بَقِيَ بِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا خَلَفَهُ عَلَى عِنْدَنَا
 لِأَيُّنَا بَشَرٌ ، فَبَشُرُوا إِلَيْهِ : إِنَّا نَصْبُونُ لَكُمْ جِسْرًا ، فَأَقْبَلُوا . فَأَرْسَلَ الْأَشْتَرُ إِلَى عَلَى عَلَيْهِ
 السَّلَامُ ، فَجَاءَ ، وَنَصَبُوا لَهُ الْجِسْرَ ، فَمَرَّ الْأَقْفَالُ وَالرِّجَالُ ، وَأَمَرَ الْأَشْتَرُ فَوْقَهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ
 فَارِسٍ ؛ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا عُبْرَ ، ثُمَّ عُبِرَ آخِرُ النَّاسِ رِجَالًا .

قال نصر : وازدحمت الحيلُ حين عُبِرَتْ ، فَسَقَطَتْ قَنْسُورَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَصِينِ ،
 فَتَزَلَّ فَأَخَذَهَا ، وَرَكَبَ ، ثُمَّ سَقَطَتْ قَنْسُورَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَصَاجِ ، فَتَزَلَّ فَأَخَذَهَا ، ثُمَّ رَكَبَ
 فَقَالَ لِصَاحِبِهِ :

فَإِنْ بِكَ غُلٌّ الرَّاجِي الطَّيْرَ صَادِقًا كَا زَعَمُوا ، أَقْتُلْ وَشِيكََا وَتَقْتُلْ
 فَقَالَ عِبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْحَصِينِ : مَا شَاءَ أَحِبَّةٌ إِلَيَّ مَا ذَكَرْتَ ، قَتَلْنَا مَعَا
 يَوْمَ صَفِينٍ ^(٢) .

(١) سورة القصص ٥٦ .

(٢) صفين ١٦٩ .

قال نصر : فلما^(١) قطع على عليه السلام الفرات ، دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسرّحهما أمامه نحو معاوية ، على حالهما الذي كانا عليه حين خرجا من الكوفة ، في اثني عشر ألفا ، وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة مقدّمة له أخذًا على شاطئ الفرات من قِبَل البرّ ، ممّا على الكوفة حتى بلغا عاتات^(٢) ، فبلمهم أخذ على عليه السلام طريق الجزيرة ، وعلما أنّ معاوية قد أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقباله ، فقالا : والله ما هذا برأى ، أن سير وينتارين أمير المؤمنين هذا البحر ، وما لنا خيرٌ في أن نلقى جوعَ الشام في قلة من المدد ، منقطعين عن المدد . فذَهَبُوا لِيَعْبُرُوا من عاتات ، فبلمهم أهلها ، وجسوا عنهم السفن ، فأقبلوا راجعين حتى عَمَرُوا من هيت ، وكَلَفُوا عليها عليه السلام بقرية دون قرّ قيسيا ، فلما لحقوا عليها عليه السلام تحبّب ، وقال : مقدّمتي تأتي من ورائي أقيم له زياد وشريح ، وأخبراه بالرأى الذي رأيا . فقال : قد أصبنا رُشدًا . فلما عَبَرُوا الفرات قدّمهما أمامه نحو معاوية ، فلما انتهيا إلى معاوية ، لقيهما أبو الأحرور السلمي في جنود من أهل الشام ، وهو على مقدّمة معاوية ، فدعواهُ إلى الدُخُول في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام فأبى ، فبعتوا إلى على عليه السلام : إنا قد لقينا أبا الأحرور السلمي بسور الروم في جند من أهل الشام ، فدعونا وأصحابه إلى الدُخُول في طاعتك ، فأبى علينا ، فرمنا بأمرك .

فأرسل على عليه السلام إلى الأشتر ، فقال : يا مال ، إن زيادا وشريحا أرسلنا إلى يمانيّني أنهما قويا أبا الأحرور السلمي في حندين أهل الشام بسور الروم ، وتبأني الرسول أنه تركهم متواضين ؛ فالتجأ النعاع إلى أصحابك ؛ فإذا أبنتهم فانت هليهم ؛ وإياك أن تبدأ القوم بقتال إن لم يبدؤوك ، واتقهم وجمع منهم ، ولا يمرّ منك شعثُهم على قاتلهم قبل

دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة ، واجعلْ على ميسرتك زيادا ، وعلى ميسرتك شُرُحا ، وقفْ من أصحابك وسطاً ، ولا تذلْ منهم دنوً مَنْ يريد أن يُنْشِبَ الحرب ، ولا تتباعدْ عنهم تباعدَ مَنْ يهاب الساس ؛ حتى أقدم عليك ؛ فإني حثيث السير إليك إن شاء الله .

قال : وكُتِبَ على* عليه السلام إليهما - وكان الرسول الحارث بن جهمان الجعفي - :
أما بعد ؛ فإني قد أمرت عليكما بالسكّ ، فاسمعا له وأطيعا أمره ؛ وهو ممن لا يُخاف رَهَقَهُ ولا سِقَاطَهُ^(١) ، ولا بَطْلُوهُ عَمَّا الإسراع إليه أحزم ، ولا إسرأه إلى ما البطء عنه أمثل ؛ وقد أمرته بمنال الذي أمرتكما ، ألا يبدأ القوم بقتال حتى ينقام ويدعوم ، ويُعْزِرَ إليهم إن شاء الله .

قال : فخرج الأشتر حتى قدِمَ على القوم ؛ فأتبع ما أمره به على عليه السلام ، وكفَّ عن القتال ، فلم يزالوا متوافقين^(٢) ؛ حتى إذا كان عند النساء ، حل عليهم أبو الأعور فتبعوا له واضطربوا ساعة . ثم إن أهل الشام انصرفوا ، ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عُدَّتْها وعددها ، فخرج إليهم أبو الأعور السلمي ، فقاتلوا يومهم ذلك ، فعمل الخليل على الخليل ، والرجال على الرجال ، وصبرَ بمصهم لبعض ؛ ثم انصرفوا . وبسَّكَ عليهم الأشتر ؛ فقتل من أهل الشام عبد الله بن النضر التَّنُوخي ، قتله ثقيان بن عماره النخعي ، وما هو يومئذ إلا فقي حديث السن . وإن كان الشامي لعارس أهل الشام ، وأخذ الأشتر يقول :
ويُحْكَمُ أروني أبا الأعور !

ثم إن أبا الأعور دعا للناس ، فرجعوا نحوه فوقف على تلٍّ من وراء للكان الذي كان فيه أوَّلَ مرة ، وجاء الأشتر حتى صَفَّ أصحابه في للكان الذي كان فيه أبو الأعور أوَّلَ مرة ، فقال الأشتر لستان بن مالك التَّخَمي . اطلقني إلى أبي الأعور ، فادعُه إلى البارزة ،

(١) الرهق : المطش والزلق . والسقاط : الخطأ . (٢) متوافقين : وقف بعضهم أمام بعض في الحرب

قَالَ : إِي مَبَارِزِي أَمْ إِي مَبَارِزَتِكَ ؟ فَقَالَ : أَوَلَوْ أَمَرْتُكَ بِمَبَارِزَتِهِ فَعَلْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛
وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ لَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَعْتَرِضَ صَفَّهُمْ بِسَيْفِي لَفَعَلْتُ حَتَّى أَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ .
قَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، أَطَالَ اللَّهُ بِعَاذِكَ ؛ قَدْ وَافَقَهُ أَزْدَدْتُ فَيْكَ رَغْبَةً ، لَا مَا أَمَرْتُكَ بِمَبَارِزَتِهِ ،
إِنَّمَا أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُوهُ لِمَبَارِزَتِي ؛ فَإِنَّهُ لَا يَبَارِرُ - إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ - إِلَّا لِذَوِي الْأَسْنَانِ
وَالْكَفَاءَةِ وَالشَّرَفِ ، وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْكَفَاءَةِ وَالشَّرَفِ ؛ وَلَسْتُ بِكَ حَدِيثُ
السِّنِّ ، وَلَيْسَ يَبَارِزُ الْأَحْدَاثُ ؛ فَادْهَبْ فَادْهَبْ إِي مَبَارِزَتِي .

فَأَتَانَاهُ فَقَالَ : أَنَا رَسُولُ قَاتِمُونِي ، فَجَاءَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبِي الْأَعْوَرِ .

قَالَ نَصْرُ : لِحَدَّثَنِي ^(١) مَرْبُورُ بْنُ سَمْعٍ ، مِنْ أَبِي زُهَيْرِ النَّبَسِيِّ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ
أَبِيهِ ، قَالَ : قَتَلْتُ لَهُ : إِي الْأَشْتَرِ بِدَهْرِكَ إِي لِلْبَارَةِ ، قَالَ : فَكُنْتُ عَنْ طَوْلِيلَا ، ثُمَّ قَالَ :
إِي خُفَا الْأَشْتَرِ وَسُوءِ رَأْيِهِ وَهَوَاؤِهِ : دَعَا إِلَى إِي إِي جَلَاءِ عَمَالِ حَتَّانَ ، وَافْتَرَاهُ عَلَيْهِ ، بِبَيْعِ
مَحَاسِنِهِ ، وَبِجَهْلِ حَقِّهِ ، وَبِظُهُرِ عَدَاوَتِهِ . وَمِنْ خُفَا الْأَشْتَرِ وَسُوءِ رَأْيِهِ أَنَّهُ سَارَ إِلَى حَتَّانَ
فِي دَارِهِ وَقَرَّارِهِ ، فَهَتَكَ فَمِنْ قَتَلَهُ ، وَأَصْبَحَ مَقْتَبًا ^(٢) بَدَمِهِ ، لَا حَاجَةَ لِي فِي مَبَارِزَتِهِ .

قُلْتُ : إِي أَنْكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ فَاسْمَعْ حَتَّى أَجِيبَكَ ، قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي جَوَابِكَ
وَلَا الْإِسْتِغْنَاءَ مِنْكَ . أَذْهَبَ عَنِّي ؛ وَصَاحَ بِي أَصْحَابُهُ فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ ، وَلَوْ سَمِعْتُ لَأَمْسَعْتُهُ عِلْرَ
صَاحِبِي وَحِجَّتِهِ .

فَرَجَعْتُ إِلَى الْأَشْتَرِ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ قَدْ أَبَى الْمُبَارَاةَ ، قَالَ : لِنَفْسِهِ نَظَرَ .

قَالَ : فَتَوَاقَعْنَا ، فَلِذَا مَرَّ نَدَانَا نَرْفُوا . قَالَ : وَصَبَحْنَا عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ غَدَاةَ سَائِرِ الْأَمْوَ
مَعَاوِيَةِ ، فَلِذَا أَبْرَأَ الْأَعْوَرُ قَدْ سَبَقَ إِلَى سَهْوَةِ الْأَرْضِ وَسَعَةِ النَّزْلِ ، وَشَرِيعَةِ النَّاءِ ، مَكَانِ

(١) كِتَابُ صَنِيعِ ١٧٣

(٢) صَنِيعِ : « بَدَمِي » .

أفصح ؛ وكان أبو الأعور على مقدمة معاوية ، واسمه سفيان بن عمرو ، وقد جعل على ساقه
بُسْر بن أدراسة العامري ، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، ودفع اللواء إلى
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وجعل على يمينه حبيب بن مسلمة القهري ، وعلى رجائه
من اليمين يزيد بن زحر الضبي ، وعلى اليسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى الرجالة من
اليسرة حابس بن سميد الطائي ، وعلى حبل دمشق الصعدي بن قيس القهري ؛ وعلى رجالة
أهل دمشق يزيد بن أسد بن كرز البجلي ، وعلى أهل حمص ذا الكلالع ، وعلى أهل
فلسطين مسلمة بن عجل ، وكان وصوله عليه السلام إلى صيقل ثمان بقين من المحرم من
سنة سبع وثلاثين .

(٤٩)

ومن خطبة له عليه السلام :

الأصل :

أَتَلَمَّذُ فِي الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ ، وَامْتَنَعَ عَلَى هَيْئِ الْبَصِيرِ ؛ فَلَا عَيْنَ مَنْ لَمْ يَرَهُ تَذَكُّرُهُ ، وَلَا قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يُعِيرُهُ .

سَبَقَ فِي التَّلَوِّ فَلَا شَيْءَ أَغْلَى مِنْهُ ، وَتَقَرَّبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ ؛ فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعِدُهُ مِنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُ فِي الْمَكَانِ بِهِ .

لَمْ يُطْلِعِ النُّقُولَ عَلَى تَعْدِيدِ صِفَتِهِ ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاحِدٍ مِمَّنْ فِيهِ ؛ فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الوجودِ عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجَعْدِ نَمَائِ اللَّهِ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاهِلُونَ لَهُ هَلُوا كَيْفًا .

• • •

الشرح :

بطنت سِرَّ فلان ، أى أخفته .

والأعلام : جمع علم ، وهو للنار يهتدى به ؛ ثم جعل لكل ما دل على شئ ؛ ف قيل لمعجزات الأنبياء ، أعلام ، لدلائلها على نبوتهم . وقوله عليه السلام : « أعلام الظهور » ، أى الأدلة الظاهرة الواضحة .

وقوله فيما بعد : « أعلام الوجود » أى الأدلة للوجود ، والدلالة على الوجود نفسه ، وسأنى شرح ذلك .

وقوله : « وامتنع على عين البصير » ، يقول : إنه سبحانه ليس بمرفق بالعين ؛ ومع

ذَلِكَ فَلَا يُمْكِنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ أَنْ يَسْكُرَهُ ؛ لِذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ، بَلْ لِدَلَالَتِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ .

ثم قال : « وَلَا قَلْبَ مَنْ أَتَيْتَهُ بَصَرُهُ » ، أَيْ لَا سَبِيلَ لِمَنْ أَتَيْتَ وَجُودَهُ أَنْ يَحِيطَ عِلْمًا بِمَجْمِيعِ أَحْوَالِهِ وَمَعْلُومَاتِهِ وَمَصْنُوعَاتِهِ ؛ أَوْ أَرَادَ أَنَّهُ لَا تُمْ حَقِيقَةُ ذَاتِهِ ؛ كَمَا قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْحَقَّاقِينَ .

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْكَلَامَ عَلَى وَجْهِ آخَرَ ، قَالُوا^(١) فِي الْخُطْبَةِ : « فَلَا قَلْبُ مَنْ لَمْ يَرَهُ يَسْكُرُهُ ، وَلَا عَيْنُ مَنْ أَتَيْتَهُ بَصَرُهُ » ، وَهَذَا غَيْرُ مَحْتَاجٍ إِلَى تَفْسِيرٍ فَوْضُو حَهُ .

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعِدُهُ » ، أَيْ لَيْسَ عِلْوُهُ وَلَا قُرْبُهُ كَمَا نَفَعَهُ مِنَ الْعِلْوِ وَالْقُرْبِ السَّكَائِينِ ، بَلْ هُوَ عِلْوٌ وَقُرْبٌ خَارِجٌ مِنْ دِفْعٍ ، فَلَيْسَ عِلْوُهُ يَقْتَضِي بَعْدَهُ بِالْمَكَانِ مِنَ الْأَجْسَامِ ، وَلَا قُرْبُهُ يَقْتَضِي مَسَاوَاتِهِ لِإِيْظَاقِ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ .
وَالْبَاقِي « بِهِ » مُتَعَلِّقَةٌ بِ« سَاوَاهُمْ » ، مَعْنَاهُ : وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ بِفِي الْحَاجَةِ إِلَى السَّكَانِ ؛ أَيْ لَمْ يَقْتَضِ قُرْبُهُ مِثَالَتَهُ وَمَسَاوَاتِهِ لِإِيْظَاقِ ذَلِكَ .



[فصول في العلم الإلهي]

وهذا الفصل يشتمل على عدة مباحث من العلم الإلهي :

أولها : كونه تعالى عالما بالأمور الخفية .

والثاني : كونه تعالى مدلولاً عليه بالأمور الظاهرة ؛ بمعنى أفضاله .

والثالث : أن هويته تعالى غير معلومة للبشر .

والرابع : نفي تشبيهه بشيء من مخلوقاته .

والخامس : بيان أن الجاحد لإثباته مكابر لساده ، وعارف به بقايه .
 وبمن مذكر القول في جميع ذلك على سبيل اقتصاص الداهب والأقوال ، ونحيل
 في البرهان على الحق من ذلك وعلان شبه المخالفين فيه ، على ما هو مذكور في كتبنا
 الكلامية ، إذ ليس هذا الكتاب موضوعاً لذلك ، وإن كما قد لا يحل بعض فصوله
 من إشارة إلى الدليل موجرة ، وتوحيح إلى الشبهة لطيف ؛ فنقول : أما



الفصل الأول

وهو الكلام في كونه تعالى عالماً بالأمور الخفية

عالم أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما قال : **يَعْلَمُ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ** ، وهذا القدر
 من الكلام يقتضى كونه تعالى عالماً **لِيَعْلَمَ الْأُمُورَ الْخَفِيَّةَ الْبَاطِنَةَ** ؛ وهذا منقسم قسمين :
 أحدهما : أن يعلم الأمور الخفية **الْخَافِئَةَ** .

والثاني : أن يعلم الأمور الخفية **لِلْمُسْتَقْبَلَةِ** .

والكلام من حيث إطلاقه يحتمل الأمرين ، فنعهده عليهما معاً . فقد خالف في كل
 واحدة من السائلين قوم ؛ فمن الناس من نفى كونه عالماً **بِالْمُسْتَقْبَلَاتِ** ، ومن الناس من نفى
 كونه عالماً **بِالْأُمُورِ الْخَافِئَةِ** ؛ سواء كانت خفية أو ظاهرة ؛ وهذا يقتضينا^(١) أن نشرح أقوال
 المتأخرين في هذه المسائل ، فنقول : إنَّ الناس فيها على أقوال :

القول الأول : قول جمهور المتكلمين ، وهو أن الباري سبحانه يعلم كل معلوم :
 للماضي والحاضر والمستقبل ؛ ظاهراً وباطناً ، ومحسوساً وغير محسوس ؛ فهو تعالى
 العالم بما كان وما هو حاضر ، وما سيكون وما لم يكن ، أن لو كان كيف كان يكون ، كقوله

(١) ب : « يقتضى »

تمالى : (وَتَوَرَّعُوا لِمَا هُوَ عَنْهُ)^(١) ، فهذا علم بأمر مقدّر على تقدير وقوع أصله الذى قد علم أنه لا يكون .

القول الثانى : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم الأمور المستقبلية ، وشبهوه بكونه مدركا ، قالوا : كما أنه لا يدرك المستقبلات ، فكذلك لا يعلم المستقبلات . وهو قول هشام ابن الحكم^(٢) .

القول الثالث : قول من زعم أنه لا يعلم الأمور الحاضرة ؛ وهذا القول يفيض القول الثانى ؛ وشبهوه بكونه قادرا ، قالوا : كما أنه لا يقدر على الوجود ، فكذلك لا يعلم الوجود ؛ ونسب ابن الراوندى هذا القول إلى ميمون بن عبد^(٣) ، أحد شيوخنا ، وأصحابنا يكذبونه فى ذلك ، ويدفعون الحكاية عنه .

القول الرابع : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم بحسب خاصته ، ويعلم كل ما عدا ذاته ، ونسب ابن الراوندى هذه للقاتل إلى معمر أيضا ، وقال : إنه يقول : إن العالم غير للعلوم ، والنسب لا يكون غير نفسه ؛ وأصحابنا يكذبون ابن الراوندى فى هذه الحكاية ، ويبرهون معمر عنها .

القول الخامس : قول من قال إنه تعالى لم يكن فيما لم يزل عالما بشئ أصلا ؛ وإنما أحدث لنفسه علما عليم به الأشياء ، وهو قول جهم بن صفوان^(٤) .

القول السادس : قول من قال إنه تعالى لا يعلم كل المعلومات على تفصيلها ؛ وإنما يعلم ذلك إجمالا وهؤلاء يسمون المسترسية ؛ لأنهم يقولون : يسترسل علمه على المعلومات

(١) سورة الأنعام ٢٨

(٢) هو هشام بن الحكم ؛ من متكلمي الفبيعة ، وصاحب للقاتل فى التشبيه ؛ وإليه نسب المشامية ؛ إحدى الفرق الثمانية ؛ ذكره الصهرستانى وسط آراءه فى لئال والحل ١ : ١٦٤ - ١٦٦

(٣) ميمون بن عبد السلى القندرى ؛ واضع آراءه فى لئال والحل للصهرستانى ١ : ٦٥ - ٦٧

(٤) جهم بن صفوان ؛ وإليه نسب الفرقة الجهمية ؛ من الجبرية ؛ ظهرت بدعته بدمشق ، وقتله سالم بن أعرج للآزنى بمصر ؛ فى آخر ملك بن أمية ، الصهرستانى ١ : ٧٩ - ٨١ .

إجمالاً لا تفصيلاً ، وهو مذهب الجويني^(١) من متكلمي الأشعرية .

القول السابع : قول مَنْ قال إنه تعالى يعلم المعلومات المفصلة ما لم يُفصّر القولُ به إلى محال ؛ وزعموا أن القول بأنه يعلم كل شيء يُفصّل إلى محال ؛ وهو أن يعلم ويدل أنه يعلم ، وهمّ جبراً إلى مالا نهاية له ؛ وكذلك الحال لازم إذا قيل إنه يعلم الفروع ، وفروع الفروع ولوازمها ولوازم لوازمها إلى مالا نهاية له . قالوا : ومحال احتناع كل هذه العلوم غير النهائية في الوجود ، وهذا مذهب أبي البركات البندادي صاحب المعبر^(٢) .

القول الثامن : قول مَنْ زعم أنه تعالى لا يعلم الشخصيات الجزئية ؛ وإنما يعلم الكلّيات التي لا يجوز عليها التعبير ؛ كأنهم بأن كل إنسان حيوان ؛ ويعلم نفسه أيضاً ؛ وهذا مذهب أرسطو وناسري قوله من الفلاسفة كابن سينا وغيره .

القول التاسع : قول مَنْ زعم أنه تعالى لا يعلم شيئاً أصلاً ؛ لا كلياً ولا جزئياً ؛ وإنما وجد العالم منه لخصوصية ذاته قطعاً من غير أن يعلمه ؛ كما أن المناطيس يجذب الحديد بقوة فيه من غير أن يعلم بالجذب ؛ وهذا قول قوم من كثر علماء الفلاسفة .

فهذا تفصيل للذاهب في هذه المسألة .

واعلم أن حجة التشككين على كونه عالماً بكل شيء ؛ إنما تنصح بعد إثبات حدوث العالم ، وأنه فاعل بالاختيار ؛ فينبذ لادّعاء من كونه عالماً ؛ لأنه لو لم يكن عالماً بشيء أصلاً لما صحّ أن يحدث العالم على طريق الاختيار ؛ لأنّ الإحداث على طريق الاختيار ؛ إنما يكون بالفرض والداعي ، وذلك يقتضي كونه عالماً ، فإذا ثبت أنه عالم بشيء أقسّدوا حينئذ أن يكون عالماً بمعنى أقصى له العالمية ، أو بأمر خارج عن ذاته ؛ مختاراً كان أو غير مختار ؛

(١) هو الإمام أبو الفتح عبد الملك بن يوسف الجويني ، إمام الحرمين ، التوفى سنة ٤٧٨ هـ . (ابن حنبل) .

(٢) كتاب التصديق المحسنة ، طبع و حيدرآباد ؛ لأبي البركات علي بن أبي البركات البندادي ، توفى سنة ٦٠ هـ . وأصل أخبار المذاهب للشمس ٣٤٣ .

لحينئذ ثبت^(١) لهم أنه إنعام لأنه هذه اللذات المحصورة لا شيء ما يزيد منها؛ فإذا كان لم ذلك وجب أن يكون علما بكل معلوم؛ لأن الأمر الذي أوجب كونه علما بأمر ما؛ هو ذاته يوجب كونه علما سيرة من الأمور؛ لأن نسبة ذاته إلى الكل نسبة واحدة. فأما الجواب عن شبه المخالين فذكر في المواضع المختصة بذلك، فيطلب من كتبنا الكلامية.



الفصل الثاني

في تفسير قوله عليه السلام: «وَدَّتْ عليه أعلام الظهور»

فقول: إن الذي يستدل به على إثبات الصانع يمكن أن يكون من وجهين؛ وكلاما يصدق عليه أنه أعلام الظهور؛ أحدهما الوجود والثاني للوجود. أما الاستدلال عليه بالوجود نفسه فهي طريقة للدققين من الفلاسفة، فإنهم استدلوا على أن مستى الوجود مشترك، وأنه زائد على ماهيات المسكنات، وأن وجود الباري لا يصح أن يكون زائدا على ماهيته، فتكون ماهيته وجودا؛ ولا يجوز أن تكون ماهيته غريبة عن الوجود؛ فلم يبقَ إلا أن تكون ماهيته هي الوجود نفسه، وأثبتوا وجوب ذلك الوجود، واستحالة تطرق المدم إليه بوجه ما، فلم يفتروا في إثبات الباري إلى تأمل أمر غير نفس الوجود.

وأما الاستدلال عليه بالموجود لا بالوجود نفسه؛ فهو الاستدلال عليه بأفاله، وهي طريقة للتكلمين. قالوا: كل ما لم يُعلم باليدية ولا بالحواس؛ فإنما يُعلم بآثاره الصادرة عنه؛ والباري تعالى كذلك؛ فالطريق إليه ليس إلا أفاله، فاستدلوا عليه بالعالم، وقالوا تارة: العالم محدث وكل محدث له محدث. وقالوا تارة أخرى: العالم ممكن، فله مؤثر.

وقال ابن سينا : إنَّ الطريقة الأولى وهي الاستدلال عليه بالوجود نفسه أغلَى وأشرف ، لأنه لم يحتج فيها إلى الاحتجاج بأمر خارج عن ذاته ، واستندبط آية من الكتاب العزيز في هذا المعنى ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ سَتَجِدُنِي آتِيًّا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْحَقٌ ﴾ ^(١) .

قال ابن سينا : أقول : إنَّ هذا حُكْمٌ تقوم - بمعنى التكلمين وغيرهم ؛ ممن يستدل عليه تعالى بأفعاله ؛ وتتمام الآية : ﴿ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ^(٢) .

قال : هذا حكمُ المُتَدَبِّرِينَ الذين يستشهدون به لا عليه ؛ بمعنى الذين استدلوا عليه بنفس الوجود ، ولم ينتصروا إلى التعلق بأفعاله في إثبات ربوبيته .



الفصل الثالث

في أن هويته تعالى غير هوية البشر

وذلك معنى قوله عليه السلام : « واستمتعَ عَلَى مَقْنِ البصير » ، وقوله : « ولا قلبُ من أثبتَه بصره » ، وقوله : « ولم يُطْلَعْ المقولُ على تحديد صفته » ؛ فنقول : إنَّ جمهورَ التكلمين زعموا أنا نعرف حقيقة ذات الإله ، ولم يتعاشوا من القول بأنه تعالى لا يعلم من ذاته إلا ما تلمس من غيرها .

وذهب ضرار ^(٣) بن عمرو : أَنَّ قُدَّ تعالى ماهية لا يسلها إلا هو ؛ وهذا هو مذهب

(١) سورة فصلت ٥٣

(٢) هو ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الصرارية من فرقة الجهمية ؛ كان في بدء أمره تلميذاً لواصل ابن عطاء القتيل ؛ ثم خالفه في خلق الأعمال وإسكار عذاب القبر . الفرق بين الفرق ٢٠٦

الفلاسفة . وقد حُكيَ عن أبي حنيفة وأصحابه أيضاً ؛ وهو الظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل .



الفصل الرابع

في نفي التشبيه عنه تعالى

وهو معنى قوله عليه السلام : « بُدِّ وَقُرُبٌ » ، أى في حال واحدة ، وذلك يقتضى نفي كونه تعالى حسياً ؛ وكذلك قوله عليه السلام : « فلا استعلاؤه بأعداءه ، ولا قرُبه ساوأم في المكان به » ، فنقول : إن مذهب جمهور المتكلمين نفي التشبيه ، وهذا القول يقتضيه أنوعاً :

النوع الأول : نفي كونه تعالى جسماً مركباً ، أو جوهرًا فرداً غير مركب ، والمراد بالجواهر ههنا الجرم والحجم . وهو قول للمعتزلة ، وأكثر محققى المتكلمين من سائر الفرق ، وإليه ذهب الفلاسفة أيضاً .

وقال قوم من مستضعفى المتكلمين خلاف ذلك ، ذهب هشام بن الحكم إلى أنه تعالى جسم مركب كهذه الأجسام ، واحتجفت الحكاية عنه ، فروى عنه أنه قال : إنه يشترطه سبعة أشبار . وروى عنه أنه قال : إنه على هيئة السبكة . وروى عنه أنه قال : إنه على هيئة البلورة الصافية للستوية الاستدارة من حيث أُنشِئتْ رأيتها على هيئة واحدة ، وروى عنه أيضاً قال : إنه ذو صورة . وأصحابه من الشيعة يدفعون اليوم هذه الحكايات عنه ، ويصرحون أنه لم يزد على قوله : إنه جسم لا كالأجسام ، وإنه إنما أراد بإطلاق هذا اللفظ عليه إثباته .

وصدقوا عنه أنه كان يطلق عليه كونه نورا ، لقول الله سبحانه : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِ ﴾ ^(١) .

وحكى عن محمد بن النعمان الأحول ، المعروف بشيطان الطلاق ، وهشام بن سالم المعروف بالجوالقي ، وأبي مالك بن الحضرمي ، أنه نورٌ على صورة الإنسان ، وأمكروا مع ذلك أن يكون جسماً ؛ وهذه مناقضة ظاهرة .

وحكى عن علي بن ميم مثله . وقد حكى عنه أنه كان يقول بالصورة والجسم . وحكى عن مقاتل بن سليمان ، وداود الجواربي ، وميم بن حماد المصري ، أنه في صورة الإنسان ، وأنه لحم ودم ، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين ؛ وهو مع ذلك لا يشبه غيره ، ولا يشبه غيره ، واتهم على ذلك جماعة من العامة ومن لا نظر له .

وحكى عن داود الجواربي أنه قال : اغفوني من المرج والحقبة وسلوني عما وراء ذلك . وحكى عنه أنه قال : هو أجوف من فيه إلى صدره ، وما سوى ذلك محصت . وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم الجوالقي كان يقول : إن له وفرة سوداء . وذهب جماعة من هؤلاء إلى القول بالثوانة والخفوة والحالة والمحادثة .

وسئل بعضهم عن معنى قوله تعالى : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقِي عِنْدَ مَلِيكٍ مُتَّقِدٍ ﴾ ^(٢) ، فقال : يُقْعَدُ مَعَهُ عَلَى سِرِّهِ وَيُنْقَلَهُ بِيَدِهِ .

وقال بعضهم : سألت مُعَاذاً الْمَدَنِيَّ ، قلت : أله وجه ؟ فقال : نعم ؛ حتى يحدث

(١) - محذوف ٢٥

(٢) - سورة النضر ٥٥

جميع الأعضاء من أنف و فم و صدر و بطن ؛ واستعجبت أن أذكر التفرج ؛ فأومأت يدي إلى قرني ، فقال : سم ، فقلت أذكر أم أني ؟ فقال : ذكر .

ويقال : إن ابن خزيمة أشكل عليه القول في أنه : أذكر أم أني ، فقال له بعض أصحابه : إن هذا مذكور في القرآن ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ أَنتَ كَرَّ كَالْأُنثَى ﴾ ^(١) ، فقال : أفدت وأجدت ؛ وأودعه كتابه .

ودخل إنسان على معاذ بن معاذ يوم عيد ، وبين يديه لم في طيبخ سكباج ، فسأله عن الباري تعالى في جملة مأسأله ، فقال : هو والله مثل هذا الذي بين يدي ، لم ودم . وشهد بعض المثرة عند معاذ بن معاذ ، فقال له : لقد هممت أن أسقطك ؛ لو لاني سمعتك تلحن حماد بن سلمة ، فقال : أما حماد فلم ألعنه ، ولكي أنمن من يقول : إنه سبحانه ينزل ليلة عرفة من السماء إلى الأرض على جبل أحرى هوذج من ذهب ؛ وإن كان حماد يروي هذا أو يقوله فليعه لعنه الله . فقال : أخرجوه ، فأخرج .

وقال بعضهم : خرجنا يوم عيد إلى للصلى ، فإذا جماعة بين يدي أمير ^(٢) ، والطبول تضرب والأعلام تحيق فقال واحد من خلعتنا : اللهم لا طبل إلا طبلك ا قليل له : لا تنقل هكذا ، فليس لله تعالى طبل ، فبكي ، وقال : أراهم هو يحيى وحده ولا يضرب بين يديه طبل ، ولا ينصب على رأسه علم ، فإذن هو دون الأمير !

وروى بعضهم أنه تعالى أبهرى خيلا ، فخلق نفسه من مثلها .

وروى قوم منهم أنه نظر في الرآة فرأى صورة نفسه ، فخلق آدم عليها .

وروا أنه يضعك حتى تبدو نواجذ .

(١) سورة آل عمران ٣٦

(٢) ب = أمير المؤمنين ، والأجود ما أتجه من : ج .

وروا أنه أمر د جند قَطَط^(١) ، في رجليه ملان من ذهب ، وأنه في روضة خضراء
على كرمى تحمله اللانكة .

وروا أنه يضع رجلاً على رجل ، ويستاق فلاناً جلسة الرب .
وروا أنه خَلَقَ اللانكة مِنْ رَعَبِ ذراعيه ، وأنه اشتكى حينه فسادته
للانكة ، وأنه يُنصَر صورة آدم ، وبجائب الناس في القيامة ؛ وله حجاب من
اللانكة يحصونه .

وروا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأيت ربي في أحسن صورة ، فسأته
عما يختلف فيه اللاأهل ، فوضع يده بين كتفي ، فوجدت بردها ، فقلت
ما احتلوا فيه » .

وروا أنه ينزل إلى السماء الدنيا في نصف شعبان ؛ وأنه جالس على المرش قد فصل
منه أربع أصابع من كل جانب . وأنه يأتي الناس يوم القيامة ، فيقول : أما ربكم ،
فيقولون : سوذ الله منك ؛ فيقول لم : أعتز فو له إن رأيتموه ؟ فيقولون : يندناو بدنه علامة ؟
فيكشف لم عن ساقه ، وقد تحول في الصورة التي يرفونها ، فيخرون له سجداً .
وروا أنه يأتي في عام ، فوقه هواء ، وتحته هواء .

وكان يطير ستان قاص من المشتية ، بقص على الناس ، فقال يوماً في قصصه : إن يوم
القيامة نجىء فاطمة بنت محمد ، معها قبص الحسين اسها تلمس القصاص من يزبد
ابن معاوية ، فإذا رآها الله تعالى من بريد ، دعا يزبد وهو بين يديه ، فقال له : ادخل تحت
قوائم المرش ؛ لا تنظر بك فاطمة ، فيدخل^(٢) ويحنى ، وتحضر فاطمة ، فتضام وتبكي ،
فيقول سبحانه : انظري يا فاطمة إلى قدسي ، وبخرجها إليها ، وبه جرح من سهم عمرو ،

(١) قَطَط : قصير

(٢) ب : « يدخل يزبد » ، وبأنه من ا ، ج

فيقول : هذا جرح نمرود في قدي ، وقد صوّت عنه ، أفلا تمنين أن من يزيد افتقوله .
هي : اشهد يا ربّ أني قد عفوت عنه .

وذهب بعض متكلّمي الجسّة إلى أن الباري تعالى مركّب من أعضاء على حروف المعجم .

وقال بعضهم : إنه ينزل على حمار في صورة غلام أمرّد ، في رجليه نملان من ذهب ، وعلى وجهه فراش من ذهب بطاير .

وقال بعضهم : إنه في صورة غلام أمرّد صبيح الوجه ، عليه كساء أسود ، ملتصق به .
وسمعت أنا في عصرى هذا من قال في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْهُ سَبِيلَ الْحَرْثِ ﴾ ^(١) : إنهم قيام على رأسه سيوفهم وأسلحتهم ، فقال له آخر على سبيل التّكليم به : يحرّسونه من المنّة أن يقتلوه ! فمضى وقال : هذا إلحاد .

وروي أنّ النار تزفر وتتميط نهطاً شديداً ، فلا تسكن حتى يضع قدمه فيها ، فتقول : قَطَّ قَطَّ ، أي حسي حسي . ويرفون هذا الخبر مستداً . وقد ذكر شبهه به في الصّحاح .
وروي في الكتب الصّحاح أيضاً : « أن الله خلق آدم على صورته » ؛ وقيل : إن في التّوراة نحو ذلك في السّفر الأول .

واعلم أنّ أهل التّوحيد يتأولون ما يحتمل التأويل من هذه الروايات على وجوه محتملة غير مستبعدة ، وما لا يحتمل التأويل منها يفتشون بطلانه ؛ وبأنه موضوع ؛ وللاستقصاء في هذا المعنى موضع غير هذا الموضع .

وحكى أبو إسحاق النّفّاس ومحمد بن عيسى برغوث أنّ قوماً قالوا : إنه تعالى القضاء نفسه ، وليس بحسم ؛ لأنّ الجسم يحتاج إلى مكان ونفسه مكان الأشياء .

وقال بُرغوث : وطائفة منهم يقولون : هو القضاء نفسه ، وهو جسم تحمل الأشياء فيه ؛ وليس بذى غاية ولا نهاية ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ ^(١) .

فأما من قال : إنه جسم لا كالأجسام ؛ على معنى أنه بخلاف المرض الذى يستحيل أن يُعترقه منه فعل ، وغوا عنه معنى الحسية ، وإنما أطلقوا هذه اللفظة لمعنى أنه شيء لا كالأشياء ، وذات لا كالفوات ؛ فأمرهم سهل ؛ لأنّ خلافهم فى العبارة ، وهم : على ابن منصور ، والسكاك ، ويونس بن عبد الرحمن ، والنفل بن شاذان ، وكل هؤلاء من قدماء رجال الشيعة . وقد قال بهذا القول ابن كرامة وأصحابه ؛ قالوا : معنى قولنا فيه سبحانه إنه جسم ، أنه قائم بذاته لا غيره .

والمتصنون لمشام بن الحكم من الشيعة فى وقتنا هذا يزعمون أنه لم يقل بالتجسيم المنوى ؛ وإنما قال إنه جسم لا كالأجسام ، بالمعنى الذى ذكرناه عن يونس والسكاك وغيرهما ، وإن كان الحسن بن موسى التوبخى - وهو من فضلاء الشيعة - قد روى عنه التجسيم للحم فى كتاب " الآراء والمبادئ " .

• • •

النوع الثانى : نفى الأعضاء والجوارح عنه سبحانه ؛ فلكى يذهب إليه المتزعمون من الحققين من المتكلمين نفى ذلك عنه ، وقد تأولوا ماورد فى القرآن العزيز من ذلك ، من نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾ ^(٢) ، وقوله سبحانه : ﴿ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) وغير ذلك ، وحملوه على وجوه صحيحة جائزة فى اللغة العربية .

وأطلقت السكرامية على سبحانه لفظة اليدين والوجه ، وقالوا : لا تتجاوز الإطلاق ،

(١) سورة الحج ٧٨

(٢) سورة ص ٧٥ .

(٣) سورة الزمر ٤٩

ولا تغسر ذلك ولا تأوله ؛ وإنما يقتصر على إحلاق ماورد به النص .

وأثبت الأشعرى الـيدين صفة قائمة بالسارى سبعانه ؛ وكذلك الوجه من غير تجسيم .
وقالت الجسمة : إنَّ لله تعالى يدين ؛ هما عضوان له ، وكذلك الوجه والدين ، وأثبتوا
له رجلين قد فصلتا عن عرشه ، وساقين يكشف عنهما يوم القيامة ، وقدماً يضمها في جهنم
فتمتلي ؛ وأثبتوا له ذلك معنى لا لفظاً ، وحقيقة لا مجازاً .

فأما أحمد بن حنبل فلم يثبت عنه تشبيه ولا تجسيم أصلاً ، وإنما كان يقول ترك
التأويل قطع ، ويطلق ما أطلقه الكتاب والسنة ، ولا يمحوس في تأويله ؛ ويقف على
قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَتَمَّمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(١) ، وأكثر المحصلين من أصحابه على
هذا القول .



النوع الثالث : من الجمة عنه سبعانه ؛ فالذى يذهب إليه المعتزلة وجمهور المحققين
من المتكلمين أنه سبعانه ليس في جهة ولا مكان ؛ وأن ذلك من توابع الجسمية أو المرضية
اللاحقة بالجسمية ، فإذا اتفق عنه كونه جسماً وكونه عراً صالم يكن في جهة أصلاً ؛ وإلى هذا
القول يذهب الفلاسفة .

وزهدت الكرامية والخشوية ^(٢) إلى أن الله تعالى في جهة فوق ، وإليه ذهب هشام
ابن الحكم ، وعلّ بن منصور ، ويونس بن عبد الرحمن ، وهشام بن سالم الجواليقي ،
وكثير من أهل الحديث .

وزهد محمد بن الميعم ، متكلم الكرامية إلى أنه تعالى ذاتٌ موجودة مفردة
بنفسها عن سائر الموجودات ، لا تحمل شيئاً حلول الأعراض ، ولا تمازج شيئاً بمازجة الأجسام

(١) سورة آل عمران ٧

(٢) الكرامية : أصحاب محمد بن كرام ؛ واعتوية طائفة من التشبيهة ؛ سموا بذلك لأنهم لا يتصلفون من
إظهار المشو . راجع شعاع الغلل ١٠٥

بل هو مبينٌ للمخلوقين ؛ إلا أنه في جهة فوق ، وبين العرش بسدلا ينتهى .
 هكذا يمكن التكلمون عنه ، ولم أره في شيء من تصانيفه . وأحالوا ذلك ؛ لأن ما لا ينتهى
 لا يكون محصوراً بين حاسرين ؛ وأما استبعاد عنه هذه الحكاية ؛ لأنه كان أذكى من
 أن يذهب عليه فساد هذا القول . وحقيقة مذهب متبقي المكان أنه سبحانه متمكن على
 العرش ، كما يمكن ذلك على سريره ، قليل لبعض هؤلاء : أهو أكبر من العرش ،
 أم أصغر ، أم مساو له ؟ فقال : بل أكبر من العرش ، قليل له : فكيف يحمله ؟ فقال :
 كما تحمِلُ رجلاً الكرسيَّ جسمَ الكرسيَّ وجسمه أكبر من رجله . ومهم من يحمله
 مساوياً للعرش في القدر ، ولا يتمتع كثير منهم من إطلاق القول بأن أطرافه تفضل
 عن العرش ؛ وقد سمعت أبا من قال بهم : إنه مستو على عرشه كما أنا مستو على
 هذه الذِّكْر^(١) ورجلاه على الكرسي الذي رُكِبَتِ السموات والأرض ، والكرسي تحت
 العرش ، كما يحمل اليوم الناس تحت أسرهم كراسي يستريحون بوضع أرجلهم عليها .

وقال هؤلاء كلهم : إنه تعالى ينزل ويصعد حقيقة لا محازا ، وإنه يتحرك وينزل ؛ فمن
 ذلك نزوله إلى السماء الدنيا ، كما ورد في الخبر ؛ ومن ذلك إتيانه ومجيئه ، كما نطق به
 الكتاب العزيز في قوله سبحانه : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ آفَافُهُ فِي ظُلُلٍ مِنْ
 الْأَمَامِ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالنَّكُوتُ صَفًّا ﴾^(٣) .

وأطلق ابن الميمم عليه هذه الألفاظ اتباعاً لما ورد في الكتاب والسنة ، وقال : لا أقول
 بمكانها ، ولا أعتقد حركته الحقيقية ؛ وإنما أرسلها لإرسالها كما وردت . وأما غيره فاعتقد
 معانيها حقيقة .

وقال ابن الميمم في كتاب " القالات " : إن أكثر المشوية يُحيز عليه نصالي
 المذوّ والمرولة .

(١) الذِّكْر : بناءً يسطع أهله العُلوس عليه .

(٢) سورة النجم ٢٢

(٣) سورة الفرق ٢١٠

وقال قوم منهم : إنه تعالى يجوز أن ينزل فيطوف البلدان ، وينور في السكك .
وقال بعض الأشعريين : إن سائلاً سأل الشكاك فقال : إذا أجزت عليه
الحركة ، فهلا أجزت عليه أن يطفر ؟ فقال : لا يجوز عليه الطفر ، لأن الطفر إنما يكون
فراراً من ضد ، أو انفعالاً بشكل . فقال له : فالحركة أيضاً كذلك ! فلم يأت بفرق .
فأما القول بأنه تعالى في كل مكان ؛ فإن للمعترلة يقولون ذلك ، ويريدون^(١) به أنه
وإن لم يكن في مكان أصلاً ، فإنه عالم بما في كل مكان ، ومدير لما في كل مكان ،
وكأنه موجود في جميع الأمكنة لإحاطته بالجميع .

وقال قوم من قسما الفلاسفة : إن الباري تعالى روح شديد في غاية الاطافة ، وفي غاية
القوة ، ينفذ في كل العالم . وهؤلاء يظنون عليه أنه في كل مكان حقيقة لا تأويلاً ، ومن
هؤلاء من أوضح هذا القول ؛ وقال : إنما تعالى سارياً في هذا العالم سرياناً نفس الواحد منا
في بدنه ، فكأن كل بدن منا له نفس سارية فيه تدبره ، كذلك الباري سبحانه هو
نفس العالم ، وسارياً في كل جزء من العالم ؛ فهو إذاً في كل مكان بهذا الاعتبار ، لأن
النفس في كل جزء من البدن .

وحكى الحسن بن موسى التوماني عن أهل الرواق من الفلاسفة : أن الجوهر الإلهي
سبحانه روح ناري عقل ؛ ليس له صورة ، لكنه قادر على أن يتصور بأي صورة شاء ،
ويتشبه بالكل ، وينفذ في الكل بذاته وقوته ؛ لا بعلمه وتدبيره .

النوع الرابع : نفي كونه عَرَضاً حالاً في المكان ؛ فاقضى تذهب إليه للمعترلة وأكثر
المسلمين والفلاسفة نفي ذلك القول باستحالته عليه سبحانه لوجوب وجوده ، وكون كل
حالة في الأجسام ممكنة بل حادثاً .

(١) م : « فإن للمعترلة يقولون ذلك ويريدون .. »

وذهبت الخلوئية من أهل الملة وغيرها، إلى أنه تعالى محل في بعض الأجسام دون بعض كما يشاء سبحانه ، وإلى هذا القول ذهب أكثر النلاة في أمير المؤمنين . ومنهم من قال بانتقاله من أمير المؤمنين عليه السلام إلى أولاده ، ومنهم من قال بانتقاله من أولاده إلى قوم من شيعته وأوليائه ؛ واتبعهم على هذه للقالة قوم من التصوف كالخلاجية والبسطامية وغيرهم .

وذهبت النسطورية^(١) من النصارى إلى حلول الكنية في بدن عيسى عليه السلام؛ كحلول السواد في الجسم .

فأما اليعقوبية^(٢) من النصارى ، فلا تثبت الحلول ؛ وإنما تثبت الاعتماد بين الجوهر الإلهي والجوهر الجسدي ؛ وهو أشدُّ بُدْناً من الحلول .



النوع الخامس : في نفي كونه تعالى محلاً لشيء ؛ ذهبت المعتزلة وأكثر أهل الملة والعلاسفة إلى نفي ذلك ؛ والقول باستعاليه على ذاته سبحانه .

وذهبت الكرامية إلى أن الحوادث محل في ذاته ، فإذا أحدث جسماً أحدث معنى حالاً في ذاته فهو الإحداث ، يحدث ذلك الجسم مقارناً لذلك المعنى أو عقيبها ، قالوا : وذلك المعنى هو قول « كن » وهو المسمى خلقاً ، والخلق غير المخلوق ؛ قال الله تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴾^(٣) ، قالوا ؛ لكنه قد أشهدنا ذواتها ، فخلق على أن خلقها غيرها .

(١) النسطورية ؛ أصحاح لسطور الحكيم ؛ ظهر في زمن للأمون ، وعصر في الأنابيل برأيه واسطر للال والنحل لشميرستانى ١ : ٢٠٥ - ٢٠٦

(٢) اليعقوبية ؛ أصحاح ياقوب ؛ طرا بالأنابيل الثلاثة ، إلا أنهم قالوا : اقلعت الكلمة لحاً وهداً ؛ فصار الإله هو المسيح الشميرستانى ١ : ٢٠٦ - ٢٠٨

(٣) سورة الكهف ٥١

وصرح ابن المقيم في كتاب "اللقالات" بقيام الحوادث بذات الباري فقال: إنه تعالى إذا أمر أو نهى، أو أراد شيئا كان أمره وسهيه وإرادته كائنة بعد أن لم تكن، وهي قائمة به، لأن قوله منه يسع، وكذلك إرادته منه توجد.

قال: وليس قيام الحوادث بذاته دليلا على حدوثه، وإنما يدل على الحوادث تعاقب الأضداد التي لا يصح أن يشتمل منها، والباري تعالى لا تتعاقب عليه الأضداد.

وذهب أبو البركات البهتدي صاحب "المعتبر" إلى أن الحوادث تقوم بذات الباري سبحانه؛ وأنه لا يصح إثبات الإنهية إلا بذلك. وقال: إن التكليف يزعمونه عن ذلك، والتنزيه عن هذا التنزيه، هو الواجب.

وذهب أصحابنا وأكثر التكلمين إلى أن ذلك لا يصح في حق واجب الوجود، وأنه دليل على إمكان ذاته؛ بل على حدوثها وإجازة مع ذلك عليه أن يتجدد له صفات - بمنون الأحوال لا للماني -؛ نحو كونه مدركا بعد أن لم يكن. وكقول أبي الحسين: إنه يتجدد له طالية بما وجد؛ وكان من قبل عالما بأنه سيوجد؛ وإحدى هاتين الصفتين غير الأخرى.

وقالوا: إن الصفات والأحوال قيل^(١) مفرد عن الماني، والمحال إنما هو حلول الماني في ذاته لا بتجدد الصفات لذاته؛ والكلام في هذا الباب موضع هو أليق به.



النوع السادس: في نفي اتحاده تعالى بغيره؛ ذهب أكثر العقلاء إلى استحالة ذلك؛ وذهبت اليمقوبية من النصاري إلى أن الكلمة اتحدت بميسى، فصارت جوهرًا من جوهرين: أحدهما الماني، والآخر حماني. وقد أجاز الاتحاد في نفس الأمر لاني ذات

(١) قيل، أي قول.

البارئ قوم من قدماء الفلاسفة ، منهم فرمربوس وأجازة أيضاً منهم من ذهب إلى أن النفس إنما تنقل المقولات ؛ لانحدارها بالجواهر للشارق النقيض للغوس على الأبدان ؛ وهو المسمى بالنقل الفعّال .

• • •

النوع السابع : في نفي الأعراض الجسمانية عنه من التعب والاستراحة ، والألم واللذة ، والهمّ والسرور ؛ ونحو ذلك .

وذهبت للمترلقوا كثير المتفلسفين أهل أدلة وغيرهم إلى نفي ذلك ؛ والقول باستحالته عليه سبحانه . /

ودعيت الفلاسفة إلى حوار اللذة عليه ؛ وقالوا : إنه يلتذ بإدراك ذاته وكأله ؛ لأن إدراك الكمال هو اللذة أو سبب اللذة ؛ وهو تعالى أكمل للوجودات ، وإدراكه أكمل الإدراكات ؛ وإلى هذا القول ذهب محمد الميراني^(١) من الأشعرية .

وحكى ابن الزاوند عن الجاحظ أن أحد قدماء المترلقين ويرف بابي شعيب كان يحوّر عليه تعالى السرور والهمّ ، والمعيرة والأسف ؛ ويذكر في ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لا أحد أعبر من الله ، وأما تعالى يفرح بقوة عبده ويسرّ بها » . وقال تعالى : « فَلَمَّا أَسْمَوْا سَمِعُوا مِثْمَ »^(٢) ، وقال مقال المتحسر^(٣) على الشيء : « يَا حَسْرَةَ ظِلِّ الْعِيَادِ »^(٤) ، وحكى عنه أيضاً أنه يحوّر عليه أن يتعب ويسريح ؛ ويحتج بقوله : « وَمَا مَسَا مِنْ لَعُوبٍ »^(٥) .

(١) هو الإمام محمد بن محمد أبو حامد الخراساني صاحب الإحياء .

(٢) سورة الزخرف • •

(٣) كذا في ج ، و ب ، هـ ؛ حكاية عن متحسر .

(٤) سورة يس ٣٠

(٥) سورة ق ٣٨

وهذه الألفاظ كلها عند أصحابنا متوالة محمولة على محامل صحيحة ؛ نشتمل على شرحها الكتب المبسوطة .

• • •

النوع الثامن : في أنه تعالى ليس بممتون . لم يصرح أحد من المتأخرين ، فاعلم بأن الله تعالى متلون ؛ وإنما ذهب قوم من أهل التشبيه والتجسيم إلى أنه نور ؛ فإذا أبصرته للميون وأدركته أنصرت شخصاً نورانياً مضئاً ؛ لم يزدوا على ذلك ، ولم يصرحوا بإثبات اللون بهذه العبارة ؛ وإن كان كل مضئ ملوناً .

• • •

النوع التاسع : في أنه تعالى لا يشئ ولا ينير ؛ ذهب شيوخنا للتكلمون إلى أنه سبحانه لا يصح عليه الشهوة والشقرة ؛ لأنها إما يصحان على ما قبل الزيادة والتقصان بطريق الاعتداء والتمتؤ ، والبارئ سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك ؛ ولمعرفة لأحد من الناس خلافاً في ذلك ؛ اللهم إلا أن يطلق هاتان اللفظتان على معنى الإرادة والكراهية ؛ على سبيل المجاز .

• • •

النوع العاشر : في أن البارئ تعالى غير متناهي الذات . قالت المعتزلة : لما كان البارئ تعالى ليس بحسم ولا جسماني ، وكانت النهاية من لواحق الأشياء ذوات القادير ؛ يقال : هذا الجسم متناه ، أي ذو طرف .

قلنا : إن ذات البارئ تعالى غير متناهية ؛ لأعلى معنى أن امتداداته غير متناه ؛ فإنه سبحانه ليس بذي امتداد ، بل بمعنى أن للوضع الذي يصدق عليه النهاية ليس بتحقيق في حقه سبحانه ؛ قلنا : إن ذاته غير متناهية ؛ كما يقول الهندس : إن النقطة غير متناهية ؛ لأعلى معنى أن لها امتداداً غير متناه ، فإنها ليست بممتدة أصلاً ؛ بل على معنى أن الأمر

الذى تصدق عليه النهاية - وهو الامتداد - لا يصدق عليها ؛ فإذا صدق عليها أنها غير متناهية . وهذا قول الفلاسفة وأكثر الخلقين .

وقالت الكرامية : الباري تعالى ذات واحدة منفردة عن العالم قائمة بنفسها ، مباينة للموجودات ، متناهية في ذاتها ؛ وإن كان لا نطلق عليها هذا اللفظ لمساغية من إيهام انقطاع وجودها ، ونصرم بجائها .

وأطلق هشام بن الحكم وأصحابه عليه تعالى القول بأنه متناهى الذات ؛ غير متناهى القدرة .

وقال الجاحظ : إن لي قوماً زعموا أنه تعالى ذاهب في الجهات الست ، التي لا نهاية لها .



النوع الحادى عشر : في أنه تعالى لا تصح رؤيته . قالت المعتزلة : رؤية الباري تعالى مستعيلة في الدنيا والآخرة ؛ وإنما يصح أن يرى المقابل ذو الجهة .

وقالت الكرامية والحنابلة والأشعرية : تصح رؤيته ويرى في الآخرة ؛ يراه المؤمنون ؛ ثم اختلفوا ، فقالت الكرامية والحنابلة : يرى في حبة فوق ، وحكى عن مضر وكهمس وأحمد الجبى^(١) أنهم أجازوا رؤيته في الدنيا ، وملاسته ومصالحته ؛ وزعموا أن المخلصين يمانقونه متى شاموا ، ويستون الحنية .

وحكى شيخنا أبو الحسين في " التنصيح " عن أيوب السجستاني من المرجئة ، أن الباري تعالى تصح رؤيته وإسه .

وزهد قوم إلى أنهم لا يزالون يرون الله تعالى ، وأن الناس كلهم كافرون ومؤمنهم يرونه ؛ ولكن لا يعرفونه .

(١) كذا في ١ ، ولما هي خلا من التاموس : أحمد بن عبد الله الجبى ، وقال : الجبى ، ليعا الجبى ، حدث ، ول ب : أنجى .

وقال مَنْ ترفع عن هذه الطبقة منهم : لا يجوز أن يرى بعين حلفت لفناء ؛ وإنما يرى في الآخرة بين خلقت للبقاء .

وقال كثير من هؤلاء : إن محمداً صلى الله عليه وآله رأى ربه بمبنى رأسه ليلة للعراج . ورووا عن كعب الأحبار : أن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد عليه السلام .

ورواها عن المبارك بن فضالة أن الحسن كان يحلف بالله : قد رأى محمداً ربه . وتماق كثير منهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ^(١) ﴾ ، وقالوا : كلمه موسى عليه السلام مرتين ، ورآه محمد صلى الله عليه وآله مرتين .

وأسكر ابن الميهم مع اعتقاده أقوال الكرامية ذلك ، وقال : إن محمداً صلى الله عليه وآله لم يره ، ولكنه سوف يراه في الآخرة .

قال : وإلى هذا القول ذهب يائسة وأبو ذر وأبو ذر وأبو ذر ؛ وقد روى عنه عن ابن عباس وابن مسعود .

واختلف من قال : إنه يرى في الآخرة ؛ هل يجوز أن يراه الكافر ؟ فقال أكثرهم : إن الكفار لا يرونه ؛ لأن رؤيته كرامة ، والكافر لا كرامة له . وقالت السالية وبعض الحنوية : إن الكفار يرونه يوم القيامة ؛ وهو قول محمد بن إسحاق بن خزيمة ؛ ذكر ذلك عنه محمد بن الميهم .

فأما الأشعرية وأصحابه ؛ فإنهم لم يقولوا كما قال هؤلاء : إنه يرى كما يرى الواحد منا ، بل قالوا : يرى ؛ وليس فوقاً ولا تحتاً ولا يميناً ولا شمالاً ولا أماماً ولا وراء ؛ ولا يرى كله ولا بعضه ؛ ولا هو في مقابلة الرأي ولا منعرفاً عنه ؛ ولا تصيح الإشارة إليه إذا رُئي ،

وهو^(١) مع ذلك يرى ويحصر . وأجازوا أيضا عليه أن تسمع ذاته ، وأن تشم وتذاق وتمس ، لأعلى طريق الاتصال ، بل تتعلق هذه الإدراكات كلها بذاته تعلقا عاريا عن الاتصال . وأنسكت الكرامة ذلك ولم يُعجزوا عليه إلا إدراك البصر وحده ، وناقضهم شيخنا أبو الحسين في " التنصيح " ، وألزمهم أحد أمرين ؛ إما نفي الجميع أو إثبات إدراكه من جميع الجهات ، كما يقوله الأشعرية .

وذهب ضرار بن عمرو ، إلى أن الله تعالى يرى يوم القيامة بمائة سلسة لاسهذا البصر . وقبل ذلك عن جماعة غيره .

وقال قوم : يجوز أن يحول الله تعالى قوة القلب إلى العين ، فيعلم الله تعالى بها ، فيكون ذلك الإدراك علما باعتبار أنه قوة القلب ، ورؤية باعتبار أنه قد وقع على معنى الحالت في العين .

فهذه الأنواع الأحد عشر هي الأقوال والمذاهب التي يشتمل قوله عليه السلام بنفي التشبيه عايبا ؛ وسيأتي من كلامه عليه السلام في النفس ما هو أشدّ تصرّحا بمعكس الألفاظ التي نحن في شرحها .

الفصل الخامس

في بيان أن الجاحد له مكارم بسامه ومنبت له بقلبه

وهو معنى قوله عليه السلام : « فهو الذي تشهد له أعلام الوجود ، على إقرار قلب ذي الجبود » .

لا شبهة في أن العلم بافتقار التنفّر إلى التّفير ضروري ؛ والعلم بأنّ التّفير ليس هو التّفير

إما أن يكون ضرورياً أو قريبا من الضروري ، فإذا قد شهدت أعلام الوجود على أن الجاحد لإثبات الصانع ؛ إما هو جاحد لمسا له لا يقبه ؛ لأنّ العقل لا يحصى الأوليات بقولهم ، وإن كانوا بأنستهم ؛ ولم يذهب أحد من العقلاء إلى نفي الصانع سبحانه . وأما القائلون بأنّ العالم وجد عن طبيعة ، وأنّ الطبيعة هي التدبير له ، والقائلون بتصادم الأجزاء في الحلاء الذي لانهاية له ؛ حتى حصل منها هذا العالم . والقائلون بأن أصل العالم وأساس بيته هو النور والظلمة ، والقائلون بأنّ مبدئ العالم هي الأعداد المجردة ، والقائلون بالهيوولي القديمة ؛ التي منها حدث العالم ، والقائلون بنشئ النفس للهيوولي ؛ حتى نسكوت منها هذه الأجسام ؛ فشكل هؤلاء ، أنشئوا الصانع ، وإنما اختلفوا في ماهيته وكيفية فعله . وقال قاصي القصة: إن أحدا من العقلاء لم يذهب إلى نفي الصانع للعالم بالكلية ، ولكن قوما من الزواقين احتجوا ووصعوا بينهم مقالة ؛ لم يذهب أحد إليها ؛ وهي أن العالم قديم لم ير على هيئته هذه ، ولا إله للعالم ولا صنّاع أصلا ؛ وإنما هو هكذا مازال ، ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر .

قال : وأحد من الراويين هذه المقالة فصرّ على كتابه المعروف بكتاب " التاج " قال : فأما العلاسفة القدماء ولتأخرون ، فلم ينموا الصانع ؛ وإنما نفوا كونه فاعلا بالاختيار ؛ وتلك مسألة أخرى . قال : والقول بنفي الصانع قريب من القول بالانقطاع ؛ بل هو هو سببه ؛ لأنّ من شك في المحسوس أعذر ممن قال : إن لتعركات تتحرك من غير محرك حرّ كها .

وقول قاصي القصة هذا ، هو محض كلام أمير المؤمنين عليه السلام وصيته ، وليس قول الجاحظ هو هذا ، لأنّ الجاحظ يذهب إلى أن جميع المعارف والعلوم الإلهية ضرورية ، ونحن ما دعينا في هذا المقام إلا أن العلم بإثبات الصانع فقط هو الضروري ، فأين أحد القولين من الآخر ؟

على التصاد ، لظهور فسادُه لطلبة الحق ، وإنما يقع الاشتباه لامتزاج قضاياء الصادقة بالقضاياء الكاذبة .

مثال ذلك احتجاجُ مَنْ أجاز الرؤية بأنّ البارئ تعالى ذاتٌ موجودة ، وكلّ موجود يصحّ أن يُرى ، فإحدى القدمتين حقّ ، والأخرى باطل ، فالتبس أمرُ النتيجة على كثير من الناس .

ومثال ما يكون للقدمتان جميعا باطلتين ، قول قوم من الباطنية : البارئ لا موجود ولا معدوم ؛ وكلّ مالا يكون موجودا ولا معدوما يصحّ أن يكون حيا قادرا ، فالبارئ تعالى يصحّ أن يكون حيا قادرا ؛ فهاتان القدمتان جميعا باطلتان . لا جرم أن هذه العقلة مرغوبٌ منها عند العقلاء !

ومثال ما تكون مقدماته حقا كلّها : العالم متعبر ، وكلّ متعبر ممكن ؛ فالعالم ممكن ، فهذا مما لا خلاف فيه بين العقلاء .

فإن قيل : فما معنى قوله عليه السلام : « فهناك يستولى الشيطان على أوليائه ، ويدجوّ الذين سبقتم لهم من الله الحسنى » ، أليس هذا إشعاراً بقول الجبرية وتفويها به ؟
 قيل : لا إشعار في ذلك بالجبر ، وسراده عليه السلام أنه إذا امتزج في النظر الحقّ بالباطل ، وتركبت المقدمات من قضاياء صحيحة وفاسدة ، تمكّن الشيطان من الإضلال والإغواء ، ووسوس إلى المكلف ، وخيّل له النتيجة الباطلة ، وأماه إليها ، وزيّسها عنده ، بخلاف ما إذا كانت المقدمات حقا كلّها ، فإنه لا يقدر الشيطانُ على أن يخيّل له ما يخالف العقل الصريح ؛ ولا يكون له مجال في تزوين الباطل عنده ، ألا ترى أن الأوليات لا سبيل للإنسان إلى جملتها وإنكارها ، لا بتخييل الشيطان ولا بنظر ذلك ؟

ومعنى قوله : « على أوليائه » ، أى على مَنْ عنده استمداد للجهل ، ونمرون على اتباع
الموى ، وزهدى تحقيق الأمور العقلية على وجهها ، تنقيداً للأسلاف ، ومحبةً لاتباع للذهب
المأثوف ، فذاك هو الذى يستولى عليه الشيطان ويضلّه ، وينهو الذين سبقوا لهم من الله
الحسنى ، وهم الذين يتبعون محض العقل ، ولا يركنون إلى التقليد ، ويسلكون مسلك
التحقيق ، وينظرون للنظر الدقيق^(١) ، يمشدون فى البحث عن مقدمات أنظارهم ، وليس
فى هذا الكلام تصريح بالخير ، ولا إشار به على وجه من الوجوه ، وهذا واضح .

وحمل الراوى قولَه عليه السلام : « فو أن الباطل خَلَص ... » إلى آخره ، على أن
المراد به نقي القياس فى الشرع ، قال : لأنّ القانسين يحملون السكوت عنه على المنطوق ،
فيمتزج المجهول بالمعلوم ، فيلتبس ويُظَنّ لامتزاج بعضه ببعض حقاً ، وهذا غير مستقيم ،
لأنّ لفظ الخطبة أن الحق يمتزج بالباطل ، وأصحاب القياس لا يسلون أن استخراج الحق
من الحكم المعلوم باطل ، بل يقولون إنه حق ، وإن الدليل الدال على ورود العبارة
بالقياس ، قد أتمهم من كونه باطلاً .



واضح أن هذا الكلام الذى قاله عليه السلام حق إذا تأملته ، وإن لم تفسره على
ما قدمناه من التفسير ، فإن الذين ضلوا من مقلدة لليهود والنصارى وأرباب الفلالات
الفاسدة من أهل لغة الإسلامية وغيرها ، إنما ضلوا أكثرهم بتقليد الأسلاف ، ومن يحسن
الظن فيه من الرؤساء وأرباب للذهب ، وإنما قلدهم الأتباع ، لما شاهدوا من إصلاح
ظواهرهم ، ورفضهم الدنيا وزهدهم فيها ، وإقبالهم على العبادة ، وتمسكهم باللهدين ، وأسلم
بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وشدهم فى ذات الله ، وجهادهم فى سبيله ، وقوتهم فى

مذاهبهم ، وصلاتهم في عقائدهم ، فاعتقد الأتباع وانلّف والقرون التي جاءت بعدهم أنّ هؤلاء يجب اتباعهم ، ونحرّم مخالفتهم ، وأنّ الحق معهم ، وأنّ مخالفتهم مبتدع ضالّ ، فقلدوهم في جميع ما نقل إليهم عنهم ، ووقع الضلال والخطأ بذلك ، لأنّ الباطل استقر وانفمر بما مارحّه من الحقّ العال الظاهر للأشاهد عيانا ، أو الحكم الظاهر ، ولولاء لما تروّج الباطل ، ولا كان له قبول أصلا .

(٥١)

ومن كلام له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصقن ومنموم من الماء :

الأصل :

قَدْ اسْتَطَعْتُمْ كُمُ الْفِتَالِ ، فَافِرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ ، وَتَأَخَّرِ تَحَلَّةٍ ، أَوْ رَوْوا السُّيُوفَ مِنْ أَدْمَاءَ تَرَوْوا مِنْ أَلْمَاءَ ؛ فَالْتَوْتُ فِي سَهَابِكُمْ مَقْهُورِينَ ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ ظَاهِرِينَ .

أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادِلَةٌ بَيْنَ الْقَوَاتِ ، كَحَسَّ عَلَيْهِمُ اتَّلَرُ ، حَتَّى جَمَلُوا مُحُورَةً أَغْرَاضَ الْمَيْتَةِ .

• • •

الشرح :

استطعتم كُمُ الْفِتَالِ ، كلمة مجازية ، ومعناها : طلبوا القتال منكم ؛ كأنه جعل القتال شيئاً يستطعم ، أى يطلب أكله ، وفي الحديث : « إذا استطعمكم الإمام فأطعموه » ، معنى إمام الصلاة ، أى إذا أخرج فاستفتحكم فافتحوا عليه . وتقول : فلان يستطعمنى الحديث ؛ أى يستدعيني منى ويطلبه .

وَالْهَمَّةُ ، بالتخفيف : جماعة قليلة .

وحس عليهم الخبر ؛ يجوز بالتشديد ، ويجوز بالتخفيف ، والتشديد يعطى الكثرة وبقيدها ؛ ومعناه أبهم عليهم الخبر ، ووجهه مظلماً ، لئلا يحأس بأى مظلم ، وقد عرس الليل نفسه

بالكسر ؛ إذا أظلم وعتمه غيره ، وعتمت عليه غمماً ، إذا أرجه أنك لا تعرف الأمر وأنك به عارف .

والأغراض : جمع غرض وهو المهدف .

وقوله : « فأقرتوا على مذلة وتأخير محنة » ، أى اثبتوا على القل وتأخر للربيع والمذلة ، أو فافعلوا كذا وكذا .

ونحو قوله عليه السلام : « فالوت في حياتكم منهورين » قول أبي نصر بن ثبانة : والحسين الذي رأى للوت في الميز حياة والعيش في الدل قتلًا وقال الثباني :

وَمَنْ فَاتَهُ نَيْلُ الْمَلَا بِمُؤَمِّهِ وَأَفْلَامِهِ فَلَيْسَتْ بِهَا حَيَاتِهِ^(١)
فَوْتُ الْفَقْرِ فِي الْمَرْءِ مِثْلُ حَيَاتِهِ وَبِشْتِغَالِهِ فِي الدَّلِّ مِثْلُ حَيَاتِهِ

•••

[الأشعار الواردة في الإباء والأنف من احتمال الضيم]

والأشعار في الإباء الأنف من احتمال الضيم والقل والتعريض على الحرب كثيرة ؛ ونحن نذكر منها ما هنا طرقاتاً ؛ فمن ذلك قول عمرو بن برة الله الهذلي :

وَكَيْفَ يَنَامُ الْكَيْلَ مَنْ جُلُّ مَالِهِ حُسَامٌ سَكُونٌ لِلْعُحَّاءِ أَيْبُضُ صَارِمٍ^(٢)
كَذَّبْتُمْ وَيَتِ اللَّهُ لَا تَأْخُذُوهَا مِرَاحَةً مِلَامَ لَسْتِيفٍ قَائِمٍ
وَمَنْ يَطْلُسِ لَالِ الْمَنَعِ بِالْقَسَا يَمِشُّ أَجْدَا أَوْ تَحْتَرِمُهُ الْخَوَارِمُ^(٣)

(١) ديوانه ٣٣

(٢) من أبيات له في الأمان ٢١ : ١١٣ ، ١١٤ (سأسي) .

(٣) الأمان : « المحرم » .

ومثله :

ومن يطلب المال المسع بالفتنا
وقال حرب بن وشم :
يَمِشُ مَاجِدًا أَوْ يُوْذُ فَيَا يُمَارِسُ

عَطَفْتُ عَلَيْهِ لِلْهَرِّ عَطْفَةَ بَاسِلٍ
فَأَوْجَرْتُهُ لَذَنَ الْكُتُوبِ مُنْفَعًا
كَمِيٍّ وَمَنْ لَا يُظْلِمُ النَّاسَ يُعْلَمُ
عَزَّ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
وقال الحارث بن الأرقم :

وَمَاضَى صَدْرِي يَأْسُتِيحِي بِسُخْطِكُمْ
تَرُوكَ لِدَارِ الْخُسْفِ وَالْعَيْمِ، مُنْكَرُ
وَلَكِنِّي فِي الْخُسُوفَاتِ صَلِيبُ
بَصِيرٍ بِمَسَلِ الْكُرُمَاتِ أَرِيبُ
إِذَا سَاقَى السُّلْطَانُ ذُلًّا أَيْتَهُ
وقال العباس بن مرداس السُّلَمِيُّ :

بِأَيِّ فَوَارِسَ لَا يَمُرُّ صَوَاهِلُهَا
لَا وَالسُّيُوفُ بِأَيْدِيهَا مُجَرَّدَةٌ
أَنْ يَقْبَلُوا الْخُسْفَ مِنْ مَلَكِيٍّ إِنْ عَظُمَا
لَا كَانَ مِنَّا غَدَاةَ الرُّوْعِ مُنْهَرِمَا
وقال وهب بن الحارث :

لَا تَحْسَبْنِي كَأَقْوَامٍ حَبْنَتْ بِهِمْ
لَا تُلْقِنِي قِذَاءَ لَسْتُ فَاعْلَمَا
لَنْ يَأْخُذُوا الدَّلَّ حَقِّي تَأَنَّفَ الْحَرُّ
وَاحْذَرْتُ بَنِي قَيْدِمَا يَنْفَعُ الْخَدْرُ
حَقِّي يُلَوِّحُ يَطْنُ الرَّاخِيَةِ الشُّعْرُ
وقال الليث بن علس :

أَبْلِيحُ ضَبِيحَةً أَنْ يَلَا
دَ فِيهَا لَقَى قُوَّةَ مُنْصَبٍ^(١)

وقد يقعد القوم في دارهم إذا لم يصاموا وإن أجدبوا
 ويترحم القوم عند المواتي عن دارهم بعد ما أخصبوا
 وقد كان سامة في قويمه له مطم وله مشرب
 فسأموه خفًا فلم ير منه وفي الأرض عن ضيقهم مهر

وقال آخر :

إن الموان حار القوم بقره والحرب بيكره والرسلة الأجد^(١)
 ولا يقيم على خف يراد به إلا الأدلان غير الحى والوتد^(٢)
 هذا على الحسف مشدود برمته وذا بئج فلا بأوى له أحد^(٣)
 فإن رجلي له وال ومتمدد مكره من ولاه السوء معتقد

وقال بعض بنى أسد :

إن امرو من بنى خزيم لا أعلم خفًا للعاب نسا
 لست بمسطر ظلامة أبدا حجبًا ولا أنقى بها حربًا

دخل مويك السدوسى إلى البصرة يبيع إبلا ، فأخذ عامل الصدقة بعضها ، فخرج

إلى البادية وقال :

ناقى إلى أرى المقام على الصييم حيليا و قبة الإسلام
 قد أراى ولي من العايل النعة م بعد الثنان أو بالحسام

(١) للتلس ، معاهد التنصيص ٢ : ٣٠٦ . الرسالة . الساقطة السهلة الج . والأجد :

الموتة الحاق .

(٢) الجير ، يفتح الجب : الحار ، وعلب على الوحش : ولراد به ما الأمل .

(٣) الرمة : القطعة من الجبل ، وأوى له ، أى رقى .

وَوَفَّقْتَ بِالْدُّنْيَا وَأَنْتَ تَرَى جَمَاعَتَهَا شَعَاتَا
وَعَزَمْتَ وَيْلَكَ عَلَى أَمَلِهَا ۖ وَطَوَّلَهَا عَزْمًا جَانَا
بِمَنْ رَأَى أَبَوَيْهِ - فَيَسْمَنْ قَدْ رَأَى - كَأَنَّا فَمَانَا
هَلْ فِيهَا لَكَ مِجْدَةٌ أَمْ خِلْتَ أَنَّ لَكَ أَضْلَانَا
وَمَنْ أَلَدَى طَلَبِ التَّقَلُّبِ مِنْ مَنِيَّتِهِ فَمَانَا
كُلُّ نُسْبَةٍ لِّلْهَيْبَةِ أَوْ تُبَيِّهُ نِيَانَا

وله :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي بَدَنِهِ
تُؤَيِّنُ لِلْكَرَمِيِّنَ لَهَا بِسُنْدِ
إِذَا اسْتَعْيَبَتْ مِنْ شَيْءٍ قَدَمَهُ
هَذَاهَا ، كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ (١)
وَنُكْرُمُ كُلَّ مَنْ هَاتَتْ عَلَيْهِ
وَحَبْذُ مَا أَنْتَ مَحْفَاجُ إِلَيْهِ

وله :

أَلَمْ تَرَ رَبِّبَ الدُّخْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
أَبَايَانِي الدُّنْيَا لِقَبْرِكَ تَبْنِي
أَرَى لِرَبِّهِ وَسَائِبًا عَلَى كُلِّ فُرْسَةٍ
بُجَازِلُ مَا لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرَهُ
وَأَمَى امْرَأِي فِي ظَاهِرٍ لَيْسَ غَضَهُ
لِي ظَاهِرٌ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلُعُ
لَهُ عَارِضٌ فِيهِ النِّيَّةُ تَنْتَحِ (٢)
وَبِاجَامِعِ الدُّنْيَا لِقَبْرِكَ تَجْمَعُ
وَلَقَدْ رَأَى بَوْمًا لَا تَحَالَةَ تَصْرَعُ
تَتَقَطِّعُ حَاجَاتِ مَنْ لَيْسَ بِشَيْءٍ
إِلَى ظَاهِرٍ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلُعُ

وله :

سَلِّ الْأَيَّامَ عَنْ أَمْرِ تَقَضَّتْ
سَقَطِيكَ لِلْعَالَمِ وَالرُّسُومِ (٣)

(١) ديوانه ٢٨٨

(٢) ديوانه ١٤٤

(٣) ديوانه ٢٤٦

وَالْحُسَامَا يَبْهَرُ الْعَيْنَ لَمَعُهُ كَصَاعِقَةٍ فِي عَارِضٍ قَدْ تَبَسَّأَ

•••

[أبَاهُ الضَّيْمِ وَأَخْبَارُهُ]

سيد أهل الإباء ، الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف ، اختياراً له على
الدينية ، أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ؛ عرض عليه الأمان
وأصحابه ، فأبى من القتل ، وخاف من أن يزيد أن يذله بنوع من الهوان ؛ إن لم يقتله ،
فاختار الموت على ذلك .

وصممت التقيب أبا زيد يحيى بن زبد العلوي البصري ، يقول : كَانَ أَيْمَاتُ أَبِي
تَمَامٍ فِي مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّائِي^(١) مَا قِيَاتُ إِلَّا فِي الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

وَقَدْ كَانَ قَوْثُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهِ إِلَيْهِمُ الْخِزْيَانُ وَالْخُلُقُ الْوَعْدُ
وَفُسُ نَصَافِ الضَّيْمِ حَتَّى كَانَ هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرُّوْغِ أَوْ دَوْنَهُ الْكَفَرُ
فَأَبَتْ فِي مُسْتَقْفَرِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا : مَنْ تَحْتَ أَخَصَّكَ الْخَشَرُ
تَرَدَّى نِيَابَ الْمَوْتِ مُخْرَأً فَا أَتَى لَهَا الْبَيْلُ إِلَّا وَهَى مِنْ سُنْدُسٍ خُضَرُ
لَمَاقَرُ أَصْحَابٍ مُصْعَبُ مِنْهُ ، وَتَحَنَّنَ فِي غَرْبِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، كَسَرَ جَنْفَ
سَيْفِهِ ، وَأَشَدَّ :

فَإِنَّ الْأَلَى بِالطُّفِّ مِنْ أَلِ هَاشِمٍ تَأَسُّوْا فَتَسُوْا لِقِيَارِ الْتَّاسِيَةِ^(٢)
فَلَمْ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ قَدْ اسْتَقْبَلَ .

ومن كلام الحسين عليه السلام يوم الطف ، للنقول منه ، قلله عنه زين العابدين على
ابنه عليه السلام : « أَلَا وَإِنَّ الْعَمَى ابْنَ الْعَمَى » ، قد خَيْرَنَا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ : السَّلَ^(٣)

(١) ديوانه ٣٦٨ - طبع بيروت .

(٢) لبيان بن قنفذ الكامل ١ : ١٤١ ؛ والطف : من صاحبه الكوكبة ؛ كل غيابة الحسين عليه السلام

(٣) السل : التزاعك الشيء وإخراجك إليه في رغب ؛ ومعنى السل : أي عند استلال السيوف .

أَوَّلُهَا، وَهِيَ بَيْنَا الْقَلْبَ ! يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ لِنُورِ سُوْلِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَحُجُورُ طَابَتْ ، وَحُجُورُ طَهَّرَتْ ^(١) ، وَأَنُوفٌ حَيَّةٌ ، وَغُفُوسٌ أَيْدٍ .

وهذا نحو قول أبيه عليه السلام ، وقد ذكرناه فيها تقدم : « إِنْ أَسْرَأَ أَمْسَكَنْ عَدُوًّا مِنْ نَفْسِهِ ، يَمْرُقُ لَحْيُهُ ، وَيَغْرِي جَانِدُهُ ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ، لِعَظِيمِ مَجْزُؤِهِ ، ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَاحِرُ صَدْرِهِ ! فَكُنْ أَمْتُ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ ! فَأَمَّا أَمَا فِدُونُ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالشَّرِيفَةِ تَطْلِيهِ مِنْهُ قَرَّاشُ الْهَامِ ، وَتَطْلِيحُ السَّوَاعِدِ وَالْأَقْدَامِ » .

• • •

وقال العباس بن مهدي السلمي :

مَقَالٌ أَمْرِي يُهْدِي إِلَيْكَ نَصِيحَةً إِذَا مَعَشَرٌ حَادُوا لِمَرْضِكَ فَاتَجَمَّلْ ^(٢)
وَأِنْ يَوْمَكَ مَنَزَلًا غَيْرَ طَائِلٍ ^(٣) غَلِيظًا فَلَا تَنْزِلْ بِهِ وَتَحْمِلْ
وَلَا تَقْلَعَنَّ مَا يَمْلِكُوكَ - لِيَهْمُ أَنْتَ عَلَى قُرْبَاهُمْ بِالتَّمَلُّلِ ^(٤)
أَرَاكَ إِذَا قَدِ صَرْتَ لِقَوْمٍ نَاصِعًا يَقَالُ لَهُ بِالْفَرْبِ أَذِيرُ وَأَقِيلُ ^(٥)
فَضُدَّهَا فَلَيْسَتْ لِلرَّيْزِ بِحُطَّةٍ وَفِيهَا مَقَامٌ لِمَرِيٍّ مُقَدَّلِي

(١) الحجر : جمع حجرة ، حيث ينسب طرف الإزرار ، كناية عن السعة .

(٢) من أبيات في الحماسة ٢ : ١١ - بفرح التبريزي ، مطبوعاً :

أَلَا أَبْلِيغُ أَسَاتِي رَسُولًا بِرُوحِهِ وَتَوَلَّى حَلَّ ذَا سِدْرٍ وَأَهْلِي بِسَجَلِ

(٣) الحماسة : « مبركاً في طائل » .

(٤) قال التبريزي : التملل : هو الم الذي قد غلط به ما يفرقه ويجهجه ليكون أعوذ ، أي سقوتك للهم وإن كانوا أربابك فلا تفر بهم وكس ذا أفة . وبسند في رواية التبريزي :

أَبْدُ الْإِزَارِ مُجَسِّدًا لَكَ شَاهِدًا أَتَيْتَ بِهِ فِي الدَّارِ لَمْ يَنْزِيلُ

(٥) التامع : البحر الذي يستق عليه النساء ، قال التبريزي : « يقول : أبعد الإزار محضوها بالهم أيت به في الدار شاهداً لصالحهم ! فإن قلت قلت صرت كالناصح لقوم اتقياها لهم » .

وله أيضا :

مُحَارِبٌ فَإِنْ مَوْلَاكَ حَارِدَ نَصْرُهُ فِي السَّيْفِ مَوْلَى نَصْرُهُ لَا يَحَارِدُ^(١)
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ حَرْبٍ الْهَنْدَانِيُّ :

وَكُنْتُ إِذَا حُومَ غَزَوْنِي عَزَّوَسْهُمْ قَبْلُ أَنْ يَذَابَالَ هَمْدَانٌ عَلَّامُ^(٢)
مَتَى تَجْتَمِعُ الْقُلُوبُ الدِّكْيُ وَصَارِمًا وَأَنَا حَيٌّ تَجَنَّبَكَ لِلظَّالِمِ
وَقَالَ رُشَيْدُ بْنُ رُمَيْضٍ الْمَنْزَرِيُّ :

بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هَنْدٍ لَمْ يَمْ بَاتَ بِحُاسِبِهَا عَلَّامٌ كَالْزَلَمِ^(٣)
خَدَّيْهِ السَّاقِينَ خَفَّاقِ الْقَدَمِ^(٤) فَدَلَّهَا الْبَيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمِ^(٥)
لَيْسَ بِرَاعِيٍّ إِلَّا بِلِ وَلَا غَمَمَ وَلَا عَزَّازٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمِ^(٦)
• مَنْ يَنْقُصِ يَدَهُ كَمَا أَرَدَتْ يَدُهُ •

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِمُتَبَايِعِ الْحَيَاةِ يَسْبِدُ وَلَا مُرْتَقِيٍّ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ مُلَا^(٧)
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوَدَّ لَيْسَ بِمُنَافِي تَحَدَّثُ إِلَى الْأَمْرِ الْقَدِيمِ كَانَ آخِرًا

• • •

- (١) ديوان الحماسة ٢ : ١٥ - بفرح التبريزي : وحارده صره ؛ أي انتزع ؛ والحاردة في الأصل اللجن ، واستعير هنا .
(٢) من قصيدة له في الأمان ٢١ : ١١٣ ، ١١٤ وحريم ، سطره البكري في اللآل ٧٤٨ « بلحاه والراء للهمتين ، الحاه مفتوحة ، والراء مكسورة » ، وقال : « ومن روى حزم ، بالراء فقد سقط » .
(٣) ديوان الحماسة ١ : ٣٣٣ - بفرح التبريزي ؛ من وصف حارة .
(٤) الرلم : القدح . بحاسبها ، أي يمانى الحارة كيف يوفها ويدبرها .
(٥) خدج الساقين : يمشيها . خفاف القدم : سريع الخطو ؛ ضراب بها للأرض .
(٦) قد لقيها ، أي الإبل ؛ وجعل الفصل قبل على الحار . والحطم : القى لا يبق من السير شيئا ؛ وليس أنه جسا برجل متحلي القوة ، عفيف الموق .
(٧) الوهم : كل ما قطع عليه الفهم .
(٨) الحصين بن حاتم الرقي ، التفضيلات ٦٥ مع إخلال في الرواية .

ومن آباء الضيم يزيد بن المهلب ! كان يزيد بن عبد الملك يشنؤه قبل خلافة ؛ لأسباب ليس هذا موضع ذكرها ، فلما أنقضت إليه الخلافة ، خلعه يزيد بن المهلب ، ونزع يده من طاعته ، وعلم أنه إن ظفر به قتلته وبأنه من الموان ما القتل دونه ، فدخل البصرة ومَلَكَهَا عَنُوةً ، وحبس عدى بن أرطاة عامل يزيد بن عبد الملك عليها ، فزح إلى يزيد بن عبد الملك جيشاً كثيفاً ، ويشتمل على ثمانين ألفاً من أهل الشام والجزيرة ، وبمشمع الجيش أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وكان أعرَف الناس بقيادة الجيوش وتديورها ، وأمين الناس نقيباً في الحرب ، وضم إليه ابن أحمه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فسار يزيد بن المهلب من البصرة ، قديم واسط ، فأقام بها أياماً ، ثم سار عنها فمرل العقر^(١) ، واشتلت جريدة جيشه على مائة وعشرين ألفاً ، وقدم مسلمة بجيوش الشام ، فلما تراءى المعسكران ، وشبَّت الحربُ ، أمر مسلمة قائداً من قُوَّاده أن يحرق الجسور التي كان عَقَّها يزيد بن المهلب فأحرقها ، فلما رأى أهل العراق المدخان قد علا انهزموا ، فقيل ليزيد ابن المهلب : قد انهزم الناس ، قال : ومِمَّ انهزموا ؟ هل كان قتال يهزم الناس من مثله ؟ فقيل له : إن مسلمة أحرق الجسور فلم يثبتوا ، قتل : قُبِعَهم الله ! بنٌ دَخَن عليه فطار ! ثم وقف ومعه أصحابه ، فقال : اضربوا وجوهَ المهزِمين ، ففعلوا ذلك حتى كَثُرُوا عليه ، واستقبله منهم أمثال الجبال ، فقال : دعوهم قُبِعَهم الله ! فمِمَّ هَذَا في نواحيها الذئب . وكان يزيد لا يهْدُث نفسه بالفرار ، وقد كان أتاه يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي بواسط ، فقال له :

فِمِشْ مِلْكَاً أَوُمْتُ كَرِماً فِإِنْ تَمُتْ رَسْمُكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تُعَذِّرْ

فقال : ما شعرت ، فقال :

(١) قال ابن حنبلان : دعى مقر باهل ؟ ومى حد الكوفة بالقرب من كربلاء ؟ القوم اتى قتل فيه الحسين رضي الله عنه .

إن بني مروان قد بادّ مسلّكمُ فإن كنت لم تشمر بذلك فاشعر
 فقال : أما هذا فحس . فلما رأى يزيد انهزام أصحابه ، نزل عن فرسه ، وكسر جفّنه
 سيفه واستقلّ ، فأتاه آت فقال : إن أخاك حبيباً قد قُتل ، فزاده ذلك بصيرة في توطئته
 نفسه على القتل ؛ وقال : لا خير في العيش بعد حبيب ! والله لقد كنت أبتغي الحياة بعد
 المزيمة ؛ وقد ازدددت لها بنصاً ؛ امضوا قدماً . فلم أصحابه أنه مستميت ، فسأل عنه من
 بكره القتال ، وبقي معه جماعة خشية ، فهو يتقدم كلما مرّ بخيل كشفها ، وهو يقصد مسلمة
 ابن عبد الملك لا يريد غيره ، فلما دنا منه ، أدنى مسلمةُ فرسه ليركب ، وحالت خيولُ أهل
 الشام بينهما ، وعطفت على يزيد بن المهلب ؛ فجالدهم بالسيف مصلاً^(١) ؛ حتى قتل وحوّل
 رأسه إلى مسلمة ، وقتل معه أخوه محمد بن المهلب ؛ وكان أحوماً للفصل بن المهلب ؛ يقاتل
 أهل الشام في جهة أخرى ، ولا يعلمُ مقتل أخيه يزيد ومحمد ؛ فأتاه أخوه عبد الملك بن
 المهلب ، وقال له : ما تصنع وقد قتل يزيد ومحمد ، وقبها قتل حبيب ، وقد انهزم الناس !
 وقد روى أنه لم يأنه بالخبر على وجهه ، وخاف أن يخبره بذلك فيستقل ويقتل ، فقال
 له : إن الأمير قد انحدر إلى واسط ، فاقصصْ أثره ، فأنحدر للفضل حينئذ ، فلما علم بقتل
 إخوته ، حلف ألا يكلم أخاه عبد الملك أبداً ؛ وكانت عين الفضل قد أصيبت من قبل
 في حرب الخوارج ، فقال : فضضني عبد الملك فضحه الله ! ما عدري إذا رأي الناس
 فقالوا : شيخ أمور مهزوم ، ألا صدقني فقتلت ! ثم قال :

وَلَا خَيْرَ فِي طَعْنِ الصَّنَادِيدِ بِالْفَنَاءِ وَلَا فِي إِقَاءِ النَّاسِ نَمْدَ يَزِيدٍ

فلما اجتمع من يلى من آل المهلب بالبصرة بعد الكسرة ، أخرجوا عدى بن أرمطة
 أمير البصرة من الحبس ، قتلوه وحلوا عياله في السفن البحرية ، ولجّعوا في البحر ؛ فبعث
 إليهم مسلمة بن عبد الملك نعتاً عليه قائد من قواده ، فأدركهم في قنذائيل^(٢) ؛ فخار بهم

(١) مصلاً ، أي مجرداً من ثيابه .

(٢) قنذائيل : مدينة بالسند .

وحاربوه ، وتقدم بنو المهلب بأسياهم ، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم ، وهم : الفضل بن المهلب ، وزيد بن المهلب ، ومروان بن المهلب ، وعبد الملك بن المهلب ، وسماوية بن يزيد ابن المهلب ، والنهال بن أبي حينة بن المهلب ، وعمر بن المهلب ، والميرة ابن قبيصة بن المهلب ، وحملت رموسهم إلى مسلة بن عبد الملك ؛ وفي أذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه ، واستؤسر الباقون في الرقعة ، فحلبوا إلى يزيد بن عبد الملك بالشام ، وهم أحد عشر رجلا ، فلما دخلوا عليه قام كثير بن أبي جمة ، فأنشد :

حَلِيمٌ إِذَا مَا نَالَ عَاقِبَ مُخِيلًا أَشَدَّ الْعَقَابِ أَوْ عَنَّا لَمْ يُتْرَبِ
فَهَبُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَسْبَةَ فَمَا تَأْتِيهِ مِنْ صَالِحٍ لَكَ بِكَتَبِ
أَسَاءُوا فَإِنْ تَصَفَّحْ فَمَاكَ قَادِرٌ وَأَفْصَلْ حِلْمَ حَسْبَةٍ حِلْمٌ مَغْضَبِ

فقال يزيد : « أملت بك الرِّحْم يا أبا صخر ! لولا أنهم قدَحُوا في الملك لغفوت عنهم ؛ ثم أمر بقتلهم فقتلوا ، وبقى منهم صبي صغير ، فقال : القلوني فلست بصغير ، فقال يزيد بن عبد الملك : انظروا هل أمت ؟ فقال : أنا أعلم بنفسى ، قد احتلمت ووطئت النساء فاقتلوني ؛ فلا خير في البش بعد أهلى ! فأمر به قتل .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : وأسماء الأسارى الذين قتلوا صبرا - وهم أحد عشر مهديا : المارك وعبد الله والميرة والفضل والمنعاب ؛ بنو يزيد بن المهلب . وذو زيد والحجاج وفسان وشيب والفضل ؛ بنو الفضل بن المهلب لصلبه . والفضل بن قبيصة بن المهلب . قال : ولم يبق بعد هذه الرقعة الثانية لأهل المهلب باقية إلا أبو حينة بن المهلب . وعمر بن يزيد بن المهلب ، وعثمان بن الفضل بن المهلب ، فإنهم لحقوا برتبيل ^(٢) ، ثم أومئوا بعد ذلك .

• • •

(١) أملت بك الرِّحْم : وقت وحت .

(٢) رتبيل : من ملوك الترك .

وقال الرضى الموسوى رحمه الله تعالى :

أَلَا لَيْتَ بَادِرَةَ الْعَلَّابِ وَعَزَمْتُ لَا يَرُوعُ بِالْمَنَابِ^(١)
وَكُلَّ مَشْرِئِ الْبُزْدَيْنِ يَهْوِي هَوَىَّ لِلصَّلَاتِ إِلَى الرَّقَابِ
أَعَابَتُهُ عَلَى بُمْدِ النَّبَايِ فَيُذِلُّنِي عَلَى قُرْبِ الْإِيَابِ
رَأَيْتُ الْمَجْزَى بِمَضْعُ لَيْلِي وَرَمَى عَنْ نَوَائِبِهَا الْغَضَابِ
وَأَمَلْتُ أَنْ تَطْلُو عَيْنِي اللَّيَالِي وَبَشَتْ فِي لَيْلِي ظَفَرِي وَنَائِي
وَلَوْلَا صَوْلَةُ الْأَفْدَارِ دُورِي هَمَّجْتُ عَلَى الْمَلَايِنِ كُلِّ بَابِ

وقال أيضا :

لَا يَبْدُ الْمَهْمُومَ الْإِغْلَامُ يَرْكَبُ الْمَمُولَ وَالْمُسَامُ وَدَيْفُ^(٢)
مَائِذِلَةُ الزَّمَانِ بِالْفَقْرِ حُرًّا كَيْفَهَا كَانَ فَالشَّرِيفُ شَرِيفُ
وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وَلَسْتُ أَضِلُّ فِي طَرَفِ الْكَلَالِ وَنَارُ الْبِرِّ عَالِيَةُ الشَّمَاعِ^(٣)
وَدُونَ الْمَجْدِ رَأَى مُسْتَطِيلُ وَبَاعَ قَسْمُ تَجْوِبِ الدَّرَاعِ
وَيُجِيبُنِي الْبِعَادُ كَأَنِّي قَدِي يَحْدِثُ مِنْ عَدَى بْنِ الرَّقَاعِ
فَرْدُ يَهْنَى الْمَلَاءِ بِلَا رَقِيبِ وَثَمَرُ فِي الْأُمُورِ بِلَا زَرَاعِ
وَلَا تَقَرُّرُكَ قَفْقَمَةُ الْأَعْدَى فَذَلِكَ الصَّغَرُ خَرَّ مِنَ الْخَفَاعِ
وَتَحْنُ أَحَقُّ بِالْهَيْئَةِ وَلَسَكِنْ تُخَيِّرُ الْقَطُوفُ عَلَى الْوَسَاعِ^(٤)



(١) ديوانه لوحة ٧٧ ، من قصيدة يعنصر ورمح فيه آكل الميت ويذكر قوروم وينشدها

(٢) ديوانه ، لوحة ١٨٩ .

(٣) ديوانه ، لوحة ٣٦ من قصيدة يمدح فيها أباه ووجهه .

(٤) النصوص : الدابة الحليفة البحر . والفارس الوساع : الجواد ذو السعة في خطوه .

وقال حارثة بن بدر الندائي :

أهـانُ وأقصى ثم ينصحنوني ومن ذا الذي ينجلي نصيحتي قسراً
رأيت أكف الصليتين عليكم يلاء وكفى من مطانكم حيفاً
متى تسالوني ما على وتغننوا لبي لي ، لا أستطيع في ذلكم صبراً
وقال بعض النصارى :

تعبوني بالحرِبِ عِزِّي وما دَرْتُ باني لها في كل ما أترت حيدة
لما الله قوماً يفسدون وعندكم سُوءٌ ولم يصب بأيديهم ردة
وقال الأحمسي :

أبالوت خففتي حياءً وإعما لم أبت منها قوم ينسئ دليلاً^(١)
وما مودة إن يشأ غير حاجز بعار إذا ما غالت النفس حولها
وقال آخر :

فلا استعن فيكم بأمر حضيبي وضيم ولا تسع به هامق بدي
فإن للسان يركب المرء حده من الضيم ، أو يدوم على الأسد الوردي
ومثله :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف المجران إن كان يقبل^(٢)
ويزكب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف معذل

(١) ديوانه ١٢٥ .

(٢) لمن بن أوس ، ديوانه ٥٩ .

وقال آخر:

كُرمُوا للوْتِ فَاسْتَبِيحِ حَتَامُ
أَمِنَ اللوْتُ تَهْرَبُونَ فَإِنَّ الـ

وقال بشامة بن الغدير:

وإِنَّ الَّتِي سَامَكُمْ قَوْمَكُمْ
مُمْ جَمْعُهَا عَلَيْكُمْ عُدُولًا^(١)
أَغْزَى الْحَيَاةِ وَكُرَّهَ الْمَاتِ فَكَلًّا أَوَّلَهُ طَعَامًا وَبَيَلاً
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَيْبٌ إِحْدَاهَا صَبَرُوا إِلَى اللوْتِ سَيِّئاً جَيْلًا
وَلَا تَقْعُدُوا وَبَيْنَكُمْ مَنَّةٌ كَثُرَ بِالْحَوَادِثِ لَلرَّهْ عُولًا

•••

قال يزيد بن اللهب في حرب جرجان لأخيه أبي عينة: ما أحسن منظرٍ رأيتَ
في هذه الحرب؟ قال: سيف بن أبي سبرة وبيضته؛ وكان مبدأ الله بن أبي سبرة يحمل
على غلام تركي قد أفرج الناس له، وصيدوا عنه لباساً وشجاعته، فتضاربا ضرباً بقتين،
فقتله ابن أبي سبرة بعد أن صرجه التركي في رأسه، فقتل سيفه في بيضة ابن أبي سبرة،
فصاد إلى الصفِّ وسيفه مصبوغ بدم التركي وسيف التركي ناشب في بيضته كجزء منها يلتصق،
فقال الناس: هذا كوكب الذهب، وهجموا من منظره.

وقال هذبة بن خشرم:

وإِذَا مَا اللوْتُ لَمْ يَكُ دَوْتُهُ
فَقَدِ الشَّرُّ أَحْمَى الْأَغْصَانِ أَنَا خَرًّا^(٢)
وَلَسْتُ أَنْعِي الْحَفِيفَةَ حَقًّا
فَاعْرِفْ مَعْرُوفًا وَأَنْكِرْ مَنْكَرًا

وقال آخر:

إِنِّي أَنَا لِلرَّهْ لَا بُدْ مِنْ عَظْمِ تَرَوْهُ
وَلَا يَقَرُّ عَلَى ضَيْمٍ إِذَا غَشِيَا

(١) مختارات أبي الشعري ١٦، القصائد ٥٩.

(٢) قدي النمر: لمره، والبيت في السان (٢٠: ٣٢).

ألقى النية خوفاً أن يقال فتى أمسى وقد ثبت الصفان منهما
وقال آخر :

قَوْضُ خِيَامِكَ وَالنِّسْرُ نَدَاً تَنَاضَى مِنْ الْفَاشِيكِ بِالظُّلَمِ
أَوْ شُدَّ شِدَّةَ يَيْهِي فَعَسَى أَنْ يَتَفَوَّكَ بِصَفْحَةِ السَّلَامِ^(١)

استصر سبيع بن الخطيم النيسر من مئيم الثلاث بن ثعلبة زيد الفوارس الضبي
قصصه ، فقال :

تَبَّهْتُ زَيْدًا فَلَمْ أَفْزَعْ إِلَى وَكَلٍ رَثَّ السِّلَاحَ وَلَا فِي الْحَيِّ مَمْجُورٍ
سَأَلْتُ عَلَيْهِ شَعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَهَا أَنْصَرَهُ بِوَجْهِ كَالْهَامِيرِ
وقال أبو طالب بن عبد المطلب :

كَذَّبَهُمُ وَيَتُ اللَّهُ مُعَلِّي تَحْتَمًا / وَلِمَا نَطَاعِينَ دُونَهُ وَنَنَاصِلِ^(٢)
وَنَنْصَرُهُ حَتَّى نَصْرَعُ حَوْلَهُ وَمَذْجَلٌ مِنْ أَبْنَانِا وَالْحَلَالِ

• • •

لما برز على وحمزة وعبيدة عليهم السلام يوم بدر إلى عتبة وشيبة والوليد ، قتل على
عليه السلام الوليد ، وقتل حمزة وشيبة ، على اختلاف في رواية ذلك : هل كان شيبة قرنه أم
عتبة ؟ وتجاوذا عبيدة وعتبة بهنفيهما ، فخرج عبيدة عتبة في رأسه ، وقطع عتبة ساق عبيدة ،
فكر على وحمزة عليهما السلام على صاحبهما ، فاستنقذه من عتبة ، وخطباه بهنفيهما حتى
قتلاه واحتللا صاحبهما ، فرفضاه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في التمرش ،
وهو يهود بنفسه ، وإن منح ساقه ليسيل ، فقال : يا رسول الله ، لو كان أبو طالب حياً لم
أنى أولى منه بقوله :

(١) اليهس : الشجاع .

(٢) ديوانه ١١٠ ، ١١١ من اختلاف في الرواية

كَذَّبْتُكُمْ وَبِعَدَّتِ اللَّهِ تَحْلِي مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَظَّاهُنَّ دُونَهُ وَنَنَاضِلَ
وَنَصْرَهُ حَتَّى نَصْرَعَ حَوْلَهُ وَنَنَحِلَ مِنْ أَبْنَانِهَا وَالْحَلَالِ
فَهَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ ائْجِرْ لِي مَا وَعَدْتَنِي يَا اللَّهُمَّ إِنْ
تَهَلَّكَ هَذِهِ الْمَصَابِيَةُ لِأَتُسَبِّدَ فِي الْأَرْضِ .

• • •

لَمَّا قَدِمَ جَيْشُ الْحَرَّةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهَلَكَ الْجَيْشُ مُسْلِمٌ بِنَ عَقْبَةَ الرَّيِّ ، أَمَّا لِلدَّبِصَةِ
ثَلَاثًا ، وَاسْتَرْضَ أَهْلُهَا بِالسَّيْفِ جَرْرًا كَمَا يَحْرُزُ النَّصَابُ النَّصْمَ ؛ حَتَّى سَاحَتِ الْأَقْدَامُ
فِي الدَّمِ ، وَقُتِلَ أَعْيَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَفَرِيَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَاحِدُ الْيَمَةِ لِيَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ
عَلَى كُلِّ مَنْ اسْتَبَقَاهُ مِنَ الصَّعَابَةِ وَالنَّاعِمِينَ ؛ عَلَى أَنَّهُ عَبْدٌ قَرْنٌ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ
مَعَاوِيَةَ ؛ هَكَذَا كَانَتْ صُورَةُ الْمُبَايَعَةِ يَوْمَ الْحَرَّةِ ، إِلَّا عَلَى ابْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ،
فَأَبَى أَعْظَمَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَأَخَذَ يَمِينَهُ عَلَى أَنَّهُ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ
مَعَاوِيَةَ وَابْنُ عَمِّهِ ، دَفَعَا لَهُ عَمَّا بَايَعَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِوَصَايَةِ مَنْ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ لَهُ ،
فَهَرَبَ عَلَى ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَحْوَالِهِ مِنْ كِنْدَةَ ، لَحْمَوُهُ مِنْ مُسْلِمٍ بِنَ
عَقْبَةَ ، وَقَالُوا : لَا يَبَايِعُ ابْنُ أَخْتَانَا إِلَّا عَلَى مَا يَبَايِعُ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ عَلَى ابْنِ الْحُسَيْنِ ، فَأَبَى مُسْلِمُ
ابْنُ عَقْبَةَ ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنْ لَمْ أَفْعَلْ مَا فَعَلْتُ إِلَّا بِوَصَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَتَلْتُهُ ،
فَإِنْ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ أَجْدَرُ بِالْقَتْلِ ، أَوْ لَأَخَذْتُ يَمِينَهُ عَلَى مَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ يَمِينَهُ غَيْرُهُ . وَسَقَرُ
السُّفَرَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، حَتَّى وَقَعَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى أَنَّ يَبَايِعَ . وَيَقُولُ : أَنَا أَبَايَعَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَالزَّمْتُ طَاعَتَهُ ، وَلَا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ عَلَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

أَبِي الْعَبَّاسُ رَأْسُ بَنِي قَعْقَرٍ وَأَحْوَالِي لِلْمُلُوكِ بَنُو وَلِيَمَةٍ
هُمْ مَنَعُوا ذِمَّتِي يَوْمَ جَاءَتْ كِتَابُ مُسْرِفٍ وَبَنُو الْكَيْمَةِ

أراد بى التى لا عز فيها خالت دونه أبى ميممة
 مسرف كفاية عن مسلم ، وأم على بن عبد الله بن العباس ذرعة بنت مشرح بن
 معدى كرب بن وليمة بن شريحيل بن معاوية بن كندة .
 قال الحصين بن الحمام :

وَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسْئَةٍ وَلَا مُرْتَقِيٍّ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْطَانٌ^(١)
 تَأَخَّرْتُ أَسْتَبِقَ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَقْدَمَا
 فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ نَذَى كُلُّوْنَا وَلَكِنْ عَلَى أقدامِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا
 فَتَقِ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَعَزُّوْا حَلِينَا ، وَمِنْ كَأَمْوِ الْأَعْيِ وَأَغْلَمَا
 أَبَى لَابِنِ سُلَى أَنَّهُ غَيْرُ حَالٍ مُلَاقِي النَّاسِ أَيْ مَرْفِي تَيْمَنَا
 ابن سلى بنى غسه ، وسلى أمة
 وقال الطرماس بن حكيم :

وَمَا مِيتَ دَارٌ وَلَا مَرَّ أَهْلُهَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَا وَالْقَابِلِ^(٢)
 وقال آخر :

وإن التى حدثها فى أوفنا وأعتلنا من الإباء كغاهيا
 وقال آخر :

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ بِوَسْئِ وَنَفْسِ وَالْمَوَادِثُ تَقَعَلُ^(٣)
 فَمَا لَيْتَ مِنَّا قَنَاءَ صَلِيَّةٍ وَلَا ذَقْنَا لَتَى لَيْسَ مَجْمَلُ
 وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نَفُوسًا كَرِيمَةً تَحْمِلُ مَالًا بِعِطَافِ فَحِيلُ

(١) التفضيلات ٦٨ ، ٦٩

(٢) ديوانه ١٥٩

(٣) لإبراهيم بن كفيف التيهانى ، ديوان الخامسة ١ - ٢٥٤ - يشرح التبريزى .

وقال آخر :

إذا جانب أعيانك فاعيد لجانب
فإنك لاقى في البلاد موتاً^(١)

وقال أبو النخاش :

إذا للرم لم يترح سواما ولم يرح
سواماً ولم تغط على أغربة^(٢)
فلذوت خير لفتى من قوميه
عديماً ومن مولى تدب عاربة^(٣)
ولم أر مثل المم ضاجة الفتى
ولا كسواد الليل أخفق طالبة^(٤)
فيس مديماً أو مت كرمياً فإنى
أرى الموت لا ينجو من الموت هاربة^(٥)

• • •

وقد يحمي ن حرثة بن الزبير على عبد الملك ، فحس بوما على باب ينداد إذنه ،
فجرى ذكر عبد الله بن الزبير ، فقال من حاجب عبد الملك ، فطم يحي وجهه حتى أدنى
أنفه ، فدخل على عبد الملك ودمه يجرى من أنفه ، فقال : من ضربك ؟ قال : يحي
ابن حرثة ، قال : أدخله - وكان عبد الملك متكئاً فجلس - فلما دخل قال : ما حقت
على ما صنعت بحاجي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن عمي عبد الله كان أحسن جواراً لملكك
ملك لنا ، والله إن كان ليومي أهل ناحيته ألا يسيرها فذعاً^(١) ، ولا يذكروكم عندها
إلا بخير ؟ وإن كان ليقول لها : من سب أمك فقد سب أهله ، فأما والله للملحول ،
تفرقت العرب بين عمي وخالي ، فكنت كما قال الأول :

يداه أصابت هذو حنت هذو فلم تجد الأخرى عليها مقدما
فرجع عبد الملك إلى مكتبته ، ولم يزل يعرف منه الزيادة في إكرام يحيي بعدها .

(١) الجار بن طلب الطائي ، ديوان الحماسة ١ : ٢٩٣ - بصرح التبريزي .

(٢) ديوان الحماسة ١ : ٣٠٢ - بصرح التبريزي .

(٣) الفذع : النخش .

وَأَمَّ بِحِي هَذِهِ ابْنَةُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ تَحْتَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ .
وَقَالَ صَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَرِثِيِّ أَمِيرُ خُرَاسَانَ :

فَلَسْتُ لِعَامِرٍ إِنْ لَمْ تَرَوْنِي أَمَامَ الْخَيْلِ أَطْمَنُ بِالْعَوَالِ (١)
وَأَصْرِبُ هَامَةً الْجَنَارِ مِنْهُمْ بِمَنْحِي الْمَرْبِ حُودِثَ بِالْعَقَالِ (٢)
فَمَا أَنَا فِي الْحُرُوبِ بِمُسْتَكْبِرٍ وَلَا أَحْشَى مَصَاوِلَ الرِّجَالِ
أَبَى لِي وَآلِهِي مِنْ كُلِّ ذِمٍّ وَخَالِي حِينَ يُذَكِّرُ خَيْرُ خَالٍ

قال عبد الله بن الزبير لما خطب حين أُنَاه نبي مُصَنَّب : أما بعد ؛ فإِنَّهُ أَنَا مَنْ
الْمَرَاتِي خَيْرٌ أَفْرَحْنَا وَأَحْزَنَّا ؛ أَنَا مَا حَمِلْتُ قَتْلَ الْمَصَبِ ؛ فَمَا الَّذِي أَحْزَنَنَا فُلُوحَةً بِمِدِّهَا
الْحَيِّمُ عِنْدَ عِرَاقِ حَمِيهِ ؛ ثُمَّ يَرْهَوِي بِدِدْهَا ذُو الْقَبْ إِلَى حَسَنِ الصَّبْرِ وَكَرَمِ الْمَزَاءِ .
وَأَمَّا الَّذِي أَفْرَحْنَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي شَهَادَةٍ ، وَكَانَ لَنَا وَلَهُ خَيْرَةٌ ؛ إِيَّاَنَا وَاللَّهِ مَا مَيِّتَ
حَبِيبًا (٣) كَمَا مَيِّتَ آلُ أَبِي الْعَاصِ ؛ مَا مَيِّتَ إِلَّا قَتْلًا قَتَصًا (٤) بِالرَّمَاخِ ، وَمَيِّتَ تَحْتَ
ظِلَالِ السِّيفِ ؛ فَإِنَّ يَهْلِكَ الْمَصَبُ ؛ فَإِنَّ فِي آلِ الزَّبِيرِ تَلَفًا .
وخطب مرة أخرى فذكره فقال : لَوِدِدْتُ وَاللَّهِ أَنْ الْأَرْضَ قَاءَتْ نِيَّ عِنْدَهُ حِينَ لَفَظَ
غَضَبَهُ وَقَفَى تَحِيَّةً .

شعر :

خُذِيهِ قَبْرِيهِ ضَبَاعَ وَأَنْشِرِي بِأَحْمَرٍ أَرَى لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ

(١) العوال : جمع عالة ؛ وهي أهل الدابة .

(٢) عرب السيف : حقه ؛ ويقال : حدث السيف ؛ إذا حلاه ؛ وسقال السيف : جلأؤه .

(٣) الميخ : أن يأكل الميت لحم المرحوم مرمعه سماً وربما قتل ذلك ؛ وقول الشاعر (٤٨ : ٣) .
بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : « يرمي بين صبورين لكثرة أسلحتهم وإسرافهم في ملأ الدنيا ، وأنهم
يموتون بالثغمة » وقول ج : « جنحاً » .

(٤) القمص : اللوث السريع ؛ ويقال : مات قمصاً ؛ أي أمايته سرعة أوروبية فات مكانه .

وقال الشذائخ بن يعمر الكتاني :

قَاتِلُوا الْقَوْمَ يَا خِرَازِجَ وَلَا يَدْخُلُكُمْ مِنْ خَائِمٍ فَتَلَّ^(١)
الْقَوْمَ أَمْثَالَكُمْ لَهُمْ شَعْرٌ فِي الرَّأْسِ لَا يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا
وقال يحيى بن منصور الحنفي :

وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَتَحْنًا لِحَالِقِنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ^(٢)
فَأَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمٍ كَرِيهِةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضِيَا الْجُنُودَ عَلَى وَثَرٍ

قيل لرجل شهد يوم العُتف مع عمر بن سعد : ومحك ! أَقَاتَمَ ذَرِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْعَالُ : فَصَحَّشَتِ بِالْجُنْدَلِ ! إِيَّاكَ لَوْ شِهِدْتَ مَا شَهِدْنَا لَقَعَلْتَ مَا ضَلَّنا ، ثَارَتْ عَلَيْنَا حِسَابُهُ ، أَيَدِيهَا فِي مِقَابِضِ سِيُوفِهَا كَالْأَسُودِ لِلضَّارِيَةِ تَحْمَلُ الْفَرَسَانِ بِيَمِينِهَا وَشِمَالِهَا ، وَتُلْقِي أَنْفُسَهَا عَلَى الْمَوْتِ ؛ لَا تَقْبَلُ الْأَمَانَ ، وَلَا تَرْغَبُ فِي الْمَالِ ، وَلَا يَحْمِلُ حَاتِلَ بَيْنِهَا وَبَيْنَ الْوُرُودِ عَلَى حِيَاضِ النِّبْيَةِ ، أَوْ الْاِسْتِغْلَاءِ عَلَى الْمَلِكِ ؛ فَلَوْ كَفَفْنَا عَنْهَا رَوْبِدَا لَأَتَتْ عَلَى نَفُوسِ الْعَسْكَرِ بِمَذَافِيرِهَا ؛ فَاكُنَا قَاعِلَيْنِ لَا أُمَّ لَكَ !



السَّخَاءُ مِنْ بَابِ الشَّجَاعَةِ ، وَالشَّجَاعَةُ مِنْ بَابِ السَّخَاءِ ؛ لِأَنَّ الشَّجَاعَةَ إِفْشَاقَ الْعَمْرِ وَبِذَلِكَ فَكَانَتْ سَخَاءً ، وَالسَّخَاءُ إِقْدَامٌ عَلَى إِنْتِلَافِ مَا هُوَ عَدِيلٌ لِلْهَيْجَةِ ؛ فَكَانَ شَجَاعَةً .

أبو تمام في تفضيل الشجاعة على السخاء :

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ إِيْمَا حَقَاتِهِمْ مَالٌ وَقَوْمٍ يُنْفِقُونَ نَفْسًا^(٣)



(١) ديوان الحماسة لأبي تمام ١ : ١٨٩ - بصرح التبريزي ، والفعل : الحس والصف .

(٢) ديوان الحماسة - بصرح التبريزي ١ : ٣١٠

(٣) ديوانه ٢ : ٢٦٧

قيل لشيخنا أبي عبد الله البصري رحمه الله تعالى : أتجد في الخصوص ما يدل على
تفضيل على عليه السلام ؛ بمعنى كثرة الثواب لا بمعنى كثرة مناقبه ؛ فإن ذلك أمر مفروغ
منه ؛ فذكر حديث الطائر للشوى^(١) ؛ وأن المحبة من الله تعالى إرادة الثواب . فقيل له :
قد سبقك الشيخ أبو علي رحمه الله تعالى إلى هذا ؛ فهل تجد غير ذلك ؟ قال : نعم قول الله
تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَعًا كَمَا تُحِبُّ الْبَنَاتُ مَرْمُوسًا ﴾ ،
فإذا كان أصل المحبة لمن ثبت كثرة البهائم المرموس ، فكل من زاد ثباته ؛ زادت
المحبة له ؛ ومعلوم أن علياً عليه السلام ما قر في زحف قط ، وفر غير في غير موطن .

• • •

وقال أبو تمام :

السيفُ أصدقُ أباه من الكتابِ / كى حده الحلة بين الجلدِ والقصير^(٢)
يضى المصانع لاسود الصفائف في / متونهم جلاء الشك والريب^(٣)
والعلم في شهب الأرماع لامة / بين العجسين لافي السبي الشهب^(٤)

وقال أبو الطيب التتبي :

حق رجعت وأقلامى قوائلى : الجد السيف ليس الجد للقم^(٥)

(١) يعبر إلى ما رواه الترمذى في باب الثواب (١٣ : ١٢٠) ، بسنده من أس بن مالك ، ولفظه :
« كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال : اللهم انى بأحب خلقك إليك ؟ يأكل من هذا الطير .
جاء على فأكل منه . وانظر الجزء الأول من هذا الكتاب من ٧ »

(٢) ديوانه ١ : ٤٥ ؛ من نصيصة مدح بها للنصم بالله ؛ ويدكر دج حمورية ، وكان الحصون قد
حكوا أن للنصم لا يفتح حمورية ؛ وراسته الروم بأعج في كتبنا أنه لا يفتح ، مدبنتا إلا وقت إدراك البين
والغيب ؛ وبيننا وبين ذلك الوقت شعور يملك من انقام فيها الثلج والبرد ، فأبى أن ينصرف وأكب
عليها فتصعب ، فأبطل ما لاوا .

(٣) الصفائح : جمع صفيحة ؛ وهي المدينة العريضة ؛ ويقال للسيف الرئيس كلفته .

(٤) يرد على التجسين ما حكوا به ؛ لأن الطير كان قبل حكم . وبني بضمب الأرماع أستتها ، وبني
بالسعة الصهب الطوائف التي أرضها زحل وأدتها للسر .

(٥) ديوانه ٤ : ١٥٩

اَسْكُتْ بِنَأْأَيْدٍ بَدَلَ السِّكِّابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَشْيَافِ كَالْخُلْدِ
اَسْتَعْفَى وَدَوَّى مَا أَثَرْتُ بِهِ فَإِنْ عَفَلْتُ فِدَائِي قِلَّةُ الْقَهْمِ
مَنْ اِقْتَضَى بِسُوءِ الْهَدْيِ حَاجَتَهُ أَجَابَ كُلَّ سَوَالٍ مِنْ «هَلِي» بِكَلِمَةٍ

• • •

قال عطف بن محمد الألوخي :

أَمَكَا بَدَ الرُّفَرَاتِ مَوْصِدَةً تَقْدَرُ حُوفَ الْقَنْطَرِ بِالشَّلَلِ
مَرَفٌ هُوَ مَكَّ تَقْدَرُ بِهَمَّامَةٍ فَالشُّكْرُ بِمُقْبُ نَشْوَةِ الشَّلَلِ
وَلَقِيلَةُ لِلْهَلَالِ مَفْرَحَةٌ تُنْسِي الْحَوَامِلَ أَشْهُوَ الْحَبَلِ
يَرَفُ فِي الْبِلَادِ نَحْوُهَا بَلْجَاءً فَهَذَرُ لَيْسَ يُصَابُ فِي الْوَشَلِ^(١)
وَاجْتَمَلَ لَصُورَتِكَ الْعُطَا سَكَنًا وَالِدُورُ أَكْوَارًا عَلَى الْإِبِلِ
وَالْعَيْشُ وَالْوَطَنُ لِلْمَهْدِ فِي غَرَمِ الْحَمَامِ وَغَارِبِ الْجَلِ
وَاشْدُدْ عَلَيْكَ وَخُذْ إِلَيْكَ وَدْعَ حَسَةَ الْحَمُولِ وَفَرَّةَ الْكَلِ
وَازِمِ الْعُدَاةَ بِكُلِّ صَانَةٍ مَا تَرْمِي مَوْقُومًا عَلَى تَعَلِ^(٢)
لَا تَحْسَبِ التَّكْبَاتِ مَنَصَّةً قَدْ يُسْتَعَاذُ السِّيفُ بِالْعَلِ

• • •

وقال عروة بن الورد :

لَمَّا أَهْلُ صَمْلُوكَا إِذَا جَنَ لِهَلِهِ مُصَافِي لِلشَّاشِ آفَاقًا كُلَّ نَجْوَرِ^(٣)

(١) الوشل : لواء الليل .

(٢) تعل : أبو حمى من طلي : اشتهروا بالرى .

(٣) ديوانه ٩٣ (من دواوين الشعراء الجدة) . الصمْلُوكَا : القنبر ، واللصاق : من اللصاقة : وهي

الاختيار واللامعة . والشَّاش : العلم المتكبر مضطرب ، والمجرى : موضع نهر الإبل .

بِئْسَ الْغَنَىٰ مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ لِيْلَةٍ
يَقَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِيًا
يُحِبُّ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ
وَلَكِنْ ضَلُّوكَا صَفِيحَةً وَجْهٍ
مُطْلًا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ يَرْجُرُونَهُ
وَإِنْ قَامُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَىٰ لِلْيَتَامَىٰ يَنْقَبَا

أَصْلَبَ قِرَافًا مِنْ صَدِيقٍ مَيْسَرٍ^(١)
يَحْتِ الْخَصَا مِنْ جَلْبِهِ لِلتَّمَقُّرِ^(٢)
وَيُؤَسِّي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ لِلحَصَرِ^(٣)
كَصَوِّهِ شَيْهَابِ الْقَارِي لِلتَّقْوَرِ^(٤)
يَسَاحَتُهُمْ رَحَىٰ لِلنَّجَحِ الشَّهَرِ^(٥)
تَشْرُفُ أَهْلُ الْعَائِبِ لِلتَّنَظَرِ^(٦)
حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَمِرُّ يَوْمًا فَأَجْدَرُ

• • •

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِمَوْلَى سَوْدَةَ أَدْعِي لَهَا
وَسَيَانِ حَنْدِي أَنْ أَسُوتَ وَأَنْ أَرَى
وَلَنْ يَجِدَ النَّاسُ الصَّدِيقَ وَلَا الْعَدَا
وَإِنْ نَحَارِي بَيْنَ غَمٍّ مُخَالِفٍ
وَلَسْتُ سَهَابٍ لَنْ لَا يَهَابِي
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْبِبْكَ إِلَّا نَكْرَهَا

فَإِنْ لَوَاتِ الْأُمُورَ مَوَالِيَا^(١)
كَهَمَّزِ رَجَالٍ يُوطُونُ الْحَازِيَا
أَدْعِي إِذَا عَدَا أَدْعِي وَاهِيَا
نَحَارَ لثَامِ طَائِفِي مِنْ وَرَائِيَا^(٢)
وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا
عِرَاضَ الْمَلُوكِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بَاقِيَا^(٣)

• • •

- (١) اليسر : الذي قد تبيح إليه مكثر خبره ! يقول : من سمعت ذلك الصلوك أنه إذا أصاب القري في كل ليلة من صديق غي ! عند ذلك لنفسه غي وخيرا .
- (٢) بحث الخفا : يركه ، واللأس : الذي يأتي عبه الصاح وهو ناعس ملو له وانحطاط عنه .
- (٣) الصير الطليح : القبيح ! وكذلك الحصر .
- (٤) أطل على أعدائه : أودى عليهم . والبيع والبيع : الرغد : قدام لا أنباء لها ، ولذا يكثر بها القدام فهي مجال أبدا ، وترحر حالا بعد حال ، منه الصلوك به (من شرح التبريزي) .
- (٥) المديوان : « فإن يمدوا يأمنون اقترابه » .
- (٦) لفرقة المديعي ، ديوان الخاسر بصرح التبريزي ٣٨٩ : ١ ، مع اختلاف في الرواية وموتيب الأبيات
- (٧) التجار : الأصل .
- (٨) الملوك : الخافه التي نراهم وقدما ونطعم حتى يأمن بها ، فإن أراد ارتضاع الذين منها ضربه وطرده .

سَهار بن تَوْسَعَة في يزيد بن الهَلَب :

وَمَا كُنَّا نُوَكِّلُ مِنْ أَمِيرٍ كَا كُنَّا نُوَكِّلُ مِنْ يَزِيدٍ
فَأَخْطَا غُلًّا فِيهِ وَقَدْ بَا رَهْدَنَا فِي مَعَاذَةِ الرَّهِيدِ
إِذَا لَمْ يَبْعَلْنَا نَصْفًا أَمِيرٍ مَشِينَا نَحْوَهُ مَشَى الْأُسُودِ

• • •

كان هُذَيْبَةُ الْبَشْكْرِي - وهو ابن عم شوذب الخارجي - الْبَشْكْرِي - شجاعا مقداما، وكان ابن عمه يَسْطَامُ اللَّقَبُ شوذباً الخارج في خلافة عمر بن عبد العزيز يزيد بن عبد الملك، فأرسل إليه يزيد بن عبد الملك جيشاً كثيفاً غاربه، فانكشفت الخوارج، وثبت هُذَيْبَةُ وأبى التَّوَارِ، فتنازل حتى قُتِلَ، فقال أَبُو بَكْرٍ بن خَوْلٍ يرثيه :

فَيَا هُذَيْبَ لِلْهَيْجَا وَيَا هُذَيْبَ لِلْعُدَى وَيَا هُذَيْبَ لِلْخَصْمِ الْإِلَهِي يُجَارِبُهُ (١)
وَيَا هُذَيْبَ كَمْ مِنْ مَلَحَمٍ قَدْ أَجْنَتْهُ وَقَدْ أَسْلَمَتْهُ الْإِرْمَاجُ كَنَائِبُهُ (٢)
تَرَوُّدَتْ مِنْ دُنْيَاكَ دِرْعًا وَمِعْرَا وَهَضَبًا حُسَامًا لَمْ تَحْمِكْ مَضَارِبُهُ (٣)
وَأَجْرَدَ تَحْبُوكَ السَّرَافُ كَنَائِبُهُ إِذَا انْقَضَى وَالِي الرِّيشِ حُجْنُ تَحَالِبِهِ (٤)

• • •

كانت وصايا إبراهيم الإمام وكتبه تَرَدُّ إلى أبي مسلم بخراسان : لئن استطعت ألا تَدْعَ بخرسان أحداً يَكَلِّمُ بالعربية إلا وقتلته قاتل، وأيتما غلام بلغ خمسة أشهر تسميه

(١) الآيات مع ذكر الخبر مفصلاً في تاريخ الصبى ١٣٧٦ - ١٣٧٨ (طبع أوروبا).

(٢) للغم : الذي أسر وشر به أعداؤه . ووج : د ملجم . تصحيف .

(٣) الطبرى : د نزود . . . لم تحه .

(٤) أجرد : من وصف القرس ، والجردة قصر شعر الخلد به ، وهو من الأوصاف الموصوفة - السراة : الطير ، وعجوبك السراة ، أى شديد الخلق - حجن عدله ، يريد مقرأ ، والمجن . الامواج .

فانقلبه ! وعليك بمضّر ! فإنهم المدوّ القريب الدار ، فأبذ خضراءهم^(١) ، ولا تدع على الأرض منهم دياراً .

• • •

قال المتنبي :

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ اللَّهُمَّ^(٢)

وله :

وَمَنْ حَرَفَ الْأَهَامَ مَغْرِيقٍ رِهَا وَيَالْقَامِي رَدَى وَمَعَهُ غَيْرُ رَاجِمٍ^(٣)
فَلَيْسَ يَسْرُخُومَ إِذَا حَافِرُوا بِهِ وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بَأْسُهُم

وقال المتنبي أيضاً :

رَدَى حَيَاضَ الرَّدَى بِأَنْفُسِ الطَّيْرِ حَيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِشَاءِ وَالنَّعَمِ^(٤)
إِنْ لَمْ أَدْرِكْ عَلَى الْأَرْضِ نَاحَ سَائِنَةٍ فَلَا دُعَيْتُ ابْنَ أُمِّ التَّجْدِ وَالسَّكْرَمِ

• • •

ومن أمة الصم قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان وما وراء النهر ! لم يصنع أحدٌ صبيحة في فتح بلاد الترك ، وكان^(٥) الوليد بن عبد الملك أراد أن يزع أخاه سليمان بن عبد الملك من العهد بعده ، ويعمله في ابنه عبد العزيز بن الوليد ، فأجابه إلى ذلك قتيبة بن مسلم وجماعة من الأمراء ، فلما مات الوليد قبل إتمام ذلك ، وقام سليمان بالأمر بعده . وكان

(١) في الأساس : أباد الله خضراءهم ، أي شجرتهم لو نزعوا منها

(٢) ديوانه ٤ : ١٢٥

(٣) ديوانه ٤ : ١١٢

(٤) ديوانه ٤ : ٤٣

(٥) الطبري (حوادث سنة ٩١) .

قتيبة أشد الناس في أمر سليمان وحبيبه عن العهد - علم أنه سيمزله عن خراسان ويوليها يزيد بن المهلب ، فودع كان بينه وبين سليمان ، فكتب قتيبة إليه كتابا يهينه بالغلافة ، ويدكر بلاءه وطاعته لعبد الملك ولوليد بعده ، وأنه على مثل ذلك إن لم يمزله عن خراسان ، وكتب إليه كتابا آخر يذكره فيه بتوحيه وآثاره ، ونكايته في الترك ، وعظم قدره عند ملوكهم ، وهيبة المعمر والعرب له وعظم حبيته فيهم ، ويزم آل المهلب ، ويخلف له بالله : لأن استعمل يزيد بن المهلب على خراسان ليضلغته ، وليلائها عليه خيلا ورجلا ، وكتب كتابا ثالثا فيه خلع سليمان ، وبث بالكتب الثلاثة مع رجل من قومه من باهلة يثق به ، وقال له : ادفع الكتاب الأول إليه ، فإن كان يزيد بن المهلب حاضرا عنده ، فقرأ الكتاب ثم دفعه إلى يزيد فادفع إليه هذا الثاني ، فإن قرأه وألقاه إليه أيضا فادفع إليه الثالث ؛ وإن قرأ الكتاب الأول ولم يدفعه إلى يزيد ؛ فاحتبس الكتابين الآخرين معك .

فقدّم الرسول على سليمان ، ودخل عليه وعنده يزيد بن المهلب ، فدفع إليه الكتاب الأول ، فقرأ وألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الكتاب الثاني ، فقرأه وألقاه إلى يزيد أيضا ، فدفع إليه الكتاب الثالث ، فقرأه وتغير لونه وطواه ، وأمسك بيده ، وأمر بإزالة الرسول وإكرامه ، ثم أحضره ليلا ، ودفع إليه جائزته ، وأعطاه عهد قتيبة على خراسان ، وكان ذلك مكيدة من سليمان يسكنه ليظنن ثم يمزله ، وبث مع رسوله رسولا ، فلما كان بمحلمان بلسه خلع قتيبة سليمان بن عبد الملك ، فرجع رسول سليمان إليه ، فلما اختلفت العرب على قتيبة حين أبدى صفحته لسليمان ، وحلج ربة الطماعة ، بايعوا وكيع بن أبي سود التميمي على إمارة خراسان ، وكانت أمراء القبائل قد تنكرت قتيبة لإذلاله بإيام ، واستهافتهم واحتطالته عليهم ، وكرهوا إمارته ، فكانت بيعة وكيع في أول الأمر

سرّاً ، ثم ظهر قتيبة امرؤه ، فأرسل إليه بدعوه ، فوجده قد طلاً رجله بمغرة^(١) وعلق في عنقه خَرَزاً ، وعنده رجلان يرتقيان رجله ، فقال الرسول : قد ترى ما ير جلى أفرجع وأخبر قتيبة ، فأعاده إليه ، فقال : قل له ليأتيني محمولا ، قال : لا أستطيع . فقال قتيبة لصاحب شرطته : انطلق إلى وكيع فأتني به ؛ فإني أبيع فاضرب عنقه ، وأتني برأسه ، ووجهه معه خيلا . فقال وكيع لصاحب الشرطة : البتّ قليلا تلحق الكتائب ، وقام فلبس سلاحه ، ونادى في الناس فأتوه ، فخرج خلفاه رجل ، فقال : بمن أنت ؟ فقال : من بني أسد ، فقال : ما اسمك ؟ فقال خير غام ، فقال : ابن من ؟ قال : ابن ليث ، فحينئذ به وأعطاه رايته ، وأتاه الناس أرسالا من كل وجه ، فقدم بهم ، وهو يقول :

فَرَمَ إِذَا مُجَلَّ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَافُ لَهَا وَالْخَزِيمَ^(٢)

واجتمع إلى قتيبة أهله وقبائمه ، وأكثم العرب السنهم له وقلوبهم عليه . فأمر قتيبة رجلا فنادى : أين بنو عامر ؟ وقد كان قتيبة جفّام في أيام سلطانه . فقال له بجفر^(٣) ابن حزم الكلابي : نادهم حيث وضعهم ، فقال قتيبة : أشدكم فقه والرحم . ودال لأن باهلة وطامراً من قيس عيلان . فقال بجفر : أت قطعتمها ، قال : فلكم المتني ، فقال بجفر : لا أقالنا الله إذا ، فقال قتيبة :

يَا مَسْ صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَلَمٍ إِذْ لَمْ أَجِدْ لِقُصُولِ الْعِيْشِ أَفْرَامًا

ثم دعا^(٤) بيرذون له مَذْرَبَ^(٥) ليركبه ، فجعل يمنة الركوب حتى أحميا . فلما رأى ذلك

(١) المغرة : عيب آخر .

(٢) البيت في اللسان ١٥ : ٢١ ، من غير نسبة . الترم : السيد . والفراسيف : أطراف أصابع الصدر التي تدور على البطن . والخزيم : موضع الحرام من الصدر والمظهر كله .

(٣) في الطبري : ع حصي .

(٤) في الطبري : ع ودعا سائمة ، وكانت أمه بنت بها إليه : فاعتم بها ، وكان يتم بها في السائمة ، ودعا بيرذون

(٥) للمرب : اللؤب القى ألف الركوب ومود المني .

عاد إلى سريرته فجلس ، وقال : دعوه ؛ فإن هذا أمرٌ يُراد . وجاء حيان النبطي - وهو يومئذ أمير اللواتي ، وعدتهم سبعة آلاف ، وكان واجدا على قتيبة - فقال له عبد الله بن مسلم أخو قتيبة : احمل يا حيان ، فقال : لم يأن بعد ، فقال له : ناولني قوسك ، فقال حيان : ليس هذا بيوم قوس . ثم قال حيان لآبته : إذ رأيتني قد حوت قلتسوتي ، ومضيت نحو عسكر وكيع فيل بن مملك من العجم إلى ، فما حوت حيان قلتسوته ومضى نحو عسكر وكيع ، مالت اللواتي معه بأشرها ، فبعث قتيبة أخاه صالح بن مسلم إلى الناس ، فرماه رجل من بني حنظلة فأصاب رأسه ، فحُمِل إلى قتيبة ورأسه مائل ، فوضعه على مصلاه ، وجلس عند رأسه ساعة ، وتهايج الناس ، وأقبل عبد الرحمن بن مسلم أخو قتيبة نحوهم ، فرماه الموغا وأهل السوق فقتلوه ، وأشير على قتيبة بالانصراف ، فقال : الموت أهون من الفرار . وأحرق وكيع موضعا كانت فيه إبل قتيبةم دوابه ، وزحفَ بمن معه حتى دماسته ، فقاتل دونه رجل من أهله قتالا شديدا ، فقال له قتيبة : اصح بنفسك ، فإن مثلك يُضنّ به عن القتل ، قال : بشما جزيتك به أيها الأمير إذا ، وقد أطمعتني الجردق ، وألبستني الثمرق^(١) . وتقدّم الناس حتى بلّغوا فسقاط قتيبة ، فأشار عليه نُصحاؤه بالحرب ، فقال : إننا لست لمسلم بن عمرو ثم خرج إليهم بسيفه يقاتلهم ، فجرح جراحات كثيرة ، حتى ارتث^(٢) وسقط ، فأكبوا عليه ، فاحتروا رأسه ، وقُتِل معه من أخوته عبد الرحمن ، وعبد الله وصالح ، والحسين ، وعبد الكريم ، ومسلم ؛ وقُتِل معه جماعة من أهله وعدة من قتل معه من أهله وإخوته أحد عشر رجلا . وصعد وكيع بن أبي سود التبر وأشد :

• مَن يَنكِ التَّيْرَ يَنكِ نَيْبًا •^(٣)

(١) المرقق : الرعب ، مغرب طريقته : « كرده » . والمرقق : الليزة .

(٢) ارتث ، مالباء للجهول : حمل من المركة جرحا وبه رمق .

(٣) مثل : « لا خضر بن شبل الخنمي » في خبر ذكره صاحب مجمع الأمثال ٢ : ٣٠٠

إِنْ قَتَبَ أَرَادَ قَتَلَ ، وَأَنَا قَتَلُ الْأَعْرَانَ ، ثُمَّ أُنْشَدَ :

قَدْ جَرَّبُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي مِنْ غُلُوتَيْنِ وَمِنْ أَلْيَتَيْنِ
حَتَّى إِذَا شَبْتُ وَشَبَّيُونِي خَلُّوا عِصَانِي ثُمَّ سَيَّيُونِي^(١)
حَذَارٍ مِنِّي وَتَنَكَّبُونِي فَإِنِّي رَامِرٌ لِمَنْ يَرْمِينِي

ثُمَّ قَالَ : أَنَا أَبُو مَطْرَفٍ ، يَكْررها مرارا ، ثُمَّ قَالَ :

أَنَا ابْنُ خَنْدِفٍ تَنْبِئَنِي قِبَالَهَا الصَّالِحَاتِ وَعَنِّي قَيْسُ عَيْلَانَا

ثُمَّ أَخَذَ بِلَحْيَتِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي لَأَقْتَنُ ثُمَّ لَأَقْتُلَنَّ وَلَأُصْلِحَنَّ ثُمَّ لَأُصْلِحَنَّ ؛ إِنْ مَرَّ زُبَانُكُمْ^(٢)
هَذَا ابْنُ الزَّانِيَةِ ، فَدَاغِلِي أَسْمَارَكُمْ ؛ وَاللَّهِ لَنْ لَمْ يَصِيرَ الْقَفِيرُ^(٣) بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ لَأُصْلِحَتَهُ ،
صَلُّوا عَلَى نَبِيِّكُمْ .

ثُمَّ نَزَلَ وَطَلَبَ رَأْسَ قَتَبَةَ وَهَاتَمَةَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الْأَرْدَ أَخَذَتْهُ ؛ فُجِرَ شَهْرًا^(٤) ،
وَقَالَ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَوْتِيَ بِالرَّأْسِ ، أَوْ يَذْهَبَ رَأْسِي مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ
الْحَصَيْنُ بْنُ النَّذَرِ : يَا أَبَا مَطْرَفٍ فَإِنَّكَ تَوَثَّى بِهِ . ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْأَرْدَ ، فَأَخَذَ الرَّأْسَ وَأَتَاهُ
بِهِ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَدَخِلَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ دُمُوسُ إِخْوَتِهِ وَأَهْلُهُ ، وَهَنَعَهُ الْهَذِيلُ
ابْنُ زُفَرٍ بْنِ الْحَارِثِ الْكَلَابِيِّ ، فَقَالَ : بِأَسَاؤِكَ هَذَا يَا هَذِيلُ ؟ قَالَ : لَوْ سَأَلْتَنِي لَسَاءَ نَاسًا كَثِيرًا .
فَقَالَ سُلَيْمَانُ : مَا أُرِدْتُ هَذَا كُلَّهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ سُلَيْمَانُ ذَلِكَ لِلْهَذِيلِ ، لِأَنَّ قَيْسَ عَيْلَانَ يَجْمَعُ
رِجَالًا وَبَهَائِمًا ، قَالُوا : مَا وَلَّى شُرَاسَانَ أَحَدٌ كَقَتَبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ ؛ وَلَوْ كَانَتْ بَاهِلَةٌ فِي الْهَدَاةِ
وَالضَّمَّةِ وَالْقَوْمِ إِلَى أَقْصَى غَايَةٍ ، لَكَانَ لَهَا بِقَتَبَةَ لَقَفْخَرٌ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ .

(١) أَسْلَفَ فِي الْهَابَةِ ، بِخَالٍ : سَبَبُ الْهَابَةِ ، إِذَا تَرَكَهَا يَنْحَبِ حَيْثُ شَاءَتْ ، وَفِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ :

حَتَّى إِذَا شَبْتُ وَشَبَّيُونِي خَلُّوا عِصَانِي وَتَنَكَّبُونِي

وَانْظُرْ أَمَالَ النَّجَّارِ ١ : ٢٨٦

(٢) لِلرُّزْيَةِ : رِيسَةُ الْفَرَسِ ، وَهُوَ صَدْرُهَا .

(٣) الطَّبَرِيُّ : « وَاللَّهِ لَيَصِيرَنَّ الْقَفِيرُ فِي السُّوقِ مَعًا بِأَرْبَعَةِ » .

(٤) أَيُّ مَعْرِفَةِ أَسْبَلِهِ .

قال رؤساء خراسان من العجم لما قُتِل قتيبة : يا مشرّ العرب ، قتلتم قتيبة ، والله لو كان معنا ثم مات لجلعناه في تابوت ، فكنا نستفتح به إذا غزونا .

وقال الأصمعي^(١) : يا مشرّ العرب ، قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلب ، لقد جثم شيئا إذا قيل له : أيهما كان أعظم عندكم وأهيب ؟ قال : لو كان قتيبة بأقصى حُبْرَةٍ^(٢) في المغرب ، مكثلا بالحديد والقيود ، ويزيد معنا في بلدنا وإلي علينا ، لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم .

وقال عبد الرحمن بن جحانة الباهلي^(٣) برئ قتيبة :

كَأَنَّ أبا حَفْصٍ قُتِيْبَةُ لَمْ يَسِرْ بِحَيْشٍ إِلَى حَيْشٍ وَلَمْ يَنْزِلْ مِنْهَا
وَلَمْ يَحْمِقِ الرِّايَاتُ وَالْجَيْشُ حَوْلَهُ صُغُوفًا وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ عُنْكَرًا
دَعَتْهُ النِّسَاءُ فَاسْتَجَابَ لِرَأْيِ رَاحٍ إِلَى الْبَلَدِ عَقًّا مُطَهَّرًا
فَمَا رُزِيَ الْإِسْلَامُ بِقَدَرٍ عَمِيدٍ بِنَظَرٍ إِلَى حَفْصٍ ، فَبَكَيْهِ عَهِدًا
عَنْهُ : أُمٌّ وَلَهُ .

وفي الحديث الصحيح : « إن من خير الناس رجلاً ممسكاً بينان فرسه في سبيل الله ، كلما سمع هَيْعَةً^(٤) طار إليها » .

كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد : واعلم أن عليك حيواناً من الله ترعاه وتكرهه ، فإذا لقيت العدو ؛ فاحرص على الموت تَوْهَتْ لك الحياة ، ولا تغفل الشهداء من دعايتهم ؛ فإن دم الشهيد يكون له نوراً يوم القيامة .

(١) الأصمعي في العجم : كالأخير في العرب .

(٢) الحُبْرَة : الناحية .

(٣) الهَيْعَة : الصوت أو الصباح .

عر : لا تزالون أحماء ما زعم وتزوم ؛ يريد : ما زعمتم في^(١) القلوس ، وتزوم على التحليل .

بعض الخواارج :

وَمَنْ يَحْتَسِرْ أَظْفَارَ النَّسَالِ فِرَاعًا كَيْسَنَا لَهْنُ السَّابِنَاتِ مِنَ الصَّغِيرِ
وَلَنْ كَرِيهَ لَلْوُتِ عَذْبُ مَذَاهُ إِذَا مَامَزَجْنَاهُ بِطُيُوبٍ مِنَ الدُّكْرِ

حضر منصور بن عمار في قصصه على النزو والجهاد ، فطرحته في المجلس مرة فيها شيء ، ففتحت فإذا فيها صغيرتا امرأة ، وقد كتبت : رأيتك يا بن عمار محض على الجهاد ، ووالله إني لا أميك لنفسي مالا ، ولا أميك سوى صغيرتي هاتين ، وقد ألقينهما إليك ، فخاله إلا جلستهما قيد فرس غازي في سبيل الله فقل الله أن يرسمي بذلك .
فارتج المجلس بالهكاء والصحيح .



لبعض شعراء المعجم :

وَأَسْوَأَنَا لِأَمْرِي شَبِيبَتُهُ فِي حُنُفَوَانُو وَمَاوُهُ خَضِيلُ أ
رَاضٍ بِزُرِّ الْمَاشِ مُضْطَمَدٍ عَلَى تَرَاتِيِ الْآبَادِ يَسْكَلُ
لَا حَقَقَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ رَجُلٍ وَلَا رَعَاهُ مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ
كَلَّا وَرَبِّي حَتَّى تَكُونَ قَتَى قَدْ نَهَكْتُهُ الْأَسْفَلُ وَالرُّحْلُ
مُسْتَمِرًّا يَطْلُبُ الرِّيَاسَةَ أَوْ يُضْرَبُ بَوْمًا يَهْنِكُهُ لِلْثُلُ
حَتَّى مَتَى تَتَّبِعُ الرُّجَالَ وَلَا تُتَّبِعُ بَوْمًا ، لَا مَلِكُ الْهَبْلِ أ



(١) يقال : نزع في القلوس زرعاً ، إذا جذب الرور بالسهم .

عبد الله بن ثعلبة الأزدي :

قَلْبِي مَحْرُوتٌ لِأَشْفِيَتِ النَّفْسُ مِنْ تِلْكَ لِلْسَّامِ
وَلَأَعْلَيْنَ الْبَطْنِ أَنْ الزَّادَ لَيْسَ بِمُسْتَطَاعِ
أَمَّا النَّهَارُ فَهَذَا أَرَى قَوْمِي بِمَرْقَبَةٍ يَفْجَأُ^(١)
فِي قُرَّةِ هَلْكَ وَشَوْ كَثِيرٍ مِثْلَ أَنْيَابِ الْأَفْجَأِ^(٢)
تَرِدُ السَّاعَ مَعِي فَحَسْبِي السَّبَّاحُ مِنَ السَّبَّاحِ

• • •

بحير الجراد أبو حنبل حارثة بن مرز الطائي ، أجاز حراداً نزل به ومنع من صيده ،
حتى طار من أرضه ، فسقى بحير الجراد .
وقال هلال بن معاوية الطائي :

وَبِالْجَاهِلِينَ لَسْنَا مَقِيلٌ صَدَدْنَا إِلَى يَوْمِ الصَّمَادِ
مَلَكْنَاهُ فِي أُولَيَاتِ الزَّمَا نِ مِنْ قَبْلِ نُوحٍ وَمِنْ قَبْلِ هَادِ
وَمَعَا بَنُ مَرْ أَبُو حَنْبَلٍ أَجَارَ مِنَ النَّاسِ رَجُلَ الْجَرَادِ
وَزَيْدٌ لَنَا وَلِنَا حَامٍ ضِيَائِ الْوَرَى فِي السَّنَنِ الشَّدَادِ

• • •

وقال يحيى بن منصور الحنفي :

وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا التَّشِيرَةُ كُلُّهَا أَعْنَا فَعَا لَنَا السُّيُوفُ عَلَى الدَّخْرِ^(١)
فَمَا أَسْلَفْنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهِهْ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُعُونَ عَلَى وَفْرِ

(١) البقاع : النيل .

(٢) ما يصوب الإنسان من البرد .

(٣) ديوان الحماسة ٣٢٦ - مخرج للرؤوف .

وقال آخر :

أريق لأرحام أراها قربة
لحار بن كعب لا لجرهم ورأسه^(١)
وإنا نرى أقداساً في نالهم
وأقداساً يوم الوعى وإيادها
وآتينا بين القهى والحواجب
إذا ما أبينا لا ندر لماسب



حاصرت الترك مدينة برذعة من أعمال أذربيجان في أيام هشام بن عبد الملك حصاراً شديداً ، واستضعفتها وكادت تملكها ، وتوجه إليها لما وثقها سعيد الحرثي من قبل هشام بن عبد الملك في جيوش كثيفة ، وعلم الترك بقربه منهم نفقوا ، وأرسل سعيد واحداً من أصحابه إلى أهل برذعة يسراً يرفقهم وصوله ، ويأمرهم بالصبر خوفاً ألا يدرهم ، فسار الرجل ، ولحقه قوم من الترك ، فأخذوه وسألوه عن حاله ، فكنسهم فعدبوه ، فأخبرهم وصدقهم فقالوا : إن قمنا ما بأمرك به أطلقناك ، وإلا قتلناك ، فقال : ما تريدون ؟ قالوا : أنت عارف بأصحابك ببرذعة وهم يرفقوك ، فإذا وصلت تحت السور فنادهم : إني لیس حثني مدد ، ولا من يكشف ما بكم ، وإنا بئس جاسوساً . فأجابهم إلى ذلك ، فلما صار تحت سورها ، وقف حيث يسمع أهلها كلامه ، وقال لهم : أنصرفوني ؟ قالوا : نعم ، أنت فلان ابن فلان ، قال : فإني سيد الحرثي قد وصل إلى مكان كذا في مائة ألف سيف ! وهو يأمركم بالصبر وحفظ البلد ، وهو مصيحكم أو ممسيكم ، فرفع أهل برذعة أصواتهم بالتكبير ، وقتلت الترك ذلك الرجل ، ورحلوا عنها ووصل سعيد فوجد أبوابها مفتوحة وأهلها سالمين .

وقال الراجز :

مَنْ كَانَ يَتَوَى أَهْلَهُ فَلَا رَجْعَ قَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعُ

(١) ديوان الخاسه ١ : ٢٢٨ يصرح للرزوى ، ونسبها إلى بشر بن عيسى .

أشرف معاوية يوما فرأى عسكر على عليه السلام يصفين فهاه ، فقال : مَنْ طلب
عقلها خاطر بمغليته .

وقال الكلعي :

إذا المرء لم يمش المكاراة أو شكت رجال الماويى بالقي أن تقطعا^(١)

• • •

ومن شعر الحماسة :

أقول لها وقد طارت شماعا من الأبطال ونمك لا ثراي^(٢)
فلنك تو سألت بهاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاي
صبرا في مجال الموت صبرا فما تهل الخلود عشتطاع
ولا توب البقاء ينوس من فيطوي عن أخى الخنع اليراع^(٣)
سبل الموت غاية كل حميد خداصير لأهل الأرض داعر
ومن لا يمتبط ينام ويهزم وتلته النون إلى اقطاع
وما للمرء خير في حياته إذا ماقد من سقط الناع

ومنه أيضا :

وفي الشر نجاه حين لا ينحك إحسان

ومنه أيضا :

ولم تدر إن جضنا عن اللوت جيزة كرم العمر باقى والسدى متطاول^(٤)

(١) التضييات ٣٢

(٢) لفرى بن النجاد : ديوان الحماسة - بصرح الحميرى ١ : ٩٦

(٣) أخو الخنع : القليل واليراع : الرجل الجبان ؟ كأنه لا قلب له ؛ محذوها بالصفة الموصلة .

(٤) قصيد الزماني ، ديوان الحماسة - بصرح الحميرى ١ : ٢٦

(٥) لجسر بن عتبة الحارثي ، ديوان الحماسة - بصرح الحميرى ١ : ٤٨ . جضنا : حملنا وانحرنا .

ومنه أيضا :

وَلَا يَكْشِفُ الْمَاءُ إِلَّا ابْنَ حُرْمَةٍ بَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُودُهَا^(١)

ومنه أيضا :

فَلَا تَحْسَبِ أَنِّي تَحَنَّنْتُ بَعْدَ كُرْ إِشِيءْ وَلَا أَتَى مِنَ اللَّوْتِ أَفْرَقُ^(٢)
وَلَا أَنَّ نَفْسِي يَزِدُّهَا وَعِيدُكُمْ^(٣) وَلَا أَتَى بِالْمَشَى فِي الْقَيْدِ أُخْرَقُ

ومنه أيضا :

سَأَغِيلُ عَلَى الْمَارِّ بِالسِّيفِ جَالِبًا عَلَى قِضَاءِ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا^(٤)
وَأَذْهَلُ مِنْ دَارِي وَأَجْمَلُ هَذَمًا لِمَرِيصٍ مِنْ بَاقِي اللَّذَمَةِ حَاجِبًا
وَيَصْنُرُونِي عَيْنِي تَلَادِي إِذَا انْتَمَتُ بِمَعْنَى يَادِرَاكَ الَّذِي كَسَتْ طَالِبًا
فَلَنْ تَهْدُمُوا بِالْفَدْرِ دَارِي فَلَيْسَ أَنْزَلْتُ كَرِيمٍ لَا يَسْأَلُ الْمَوَاقِبَ
أَخِي عَزَمَاتٍ لَا يَطِيعُ عَلَى الَّذِي يَوْمُ ٢٠ مِنْ مُنْطَلِعِ الْأَمْرِ حَاتِبًا
إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَةً وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْمَوَاقِبِ جَانِبًا
فَيَا لِرِزَالِهِمْ رَشَحُوا بِي مُقَدَّمًا إِلَى اللَّوْتِ حَوْضًا إِلَى السَّهَابِ
إِذَا هُمْ لَمْ تَزِدْ عَزِيمَةً هَهُ وَلَمْ يَأْتِ مَا بَانِي مِنَ الْأَمْرِ هَاتِبًا
وَلَمْ يَسْتَشِيرْ فِي أَمْرِهِ عَيْزٌ غِيهَ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَانَمُ السِّيفِ صَاحِبًا

ومنه أيضا :

هُمَا خُطْعَا إِنَّمَا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَادٌ، وَالْقَتْلُ بِالْحَرْ أَجْدَرُ^(٥)

(١) لجر بن عتبة أيضا ، ديوان الحماة - بشرح التبريزي ١ : ٥٠ .

(٢) له أيضا ، ديوان الحماة - بشرح التبريزي ١ : ٥٤ . (٣) ول الصريح : وروي «وعيدكم»

(٤) لسعد بن ناهب ، ديوان الحماة - بشرح التبريزي ١ : ٧٠ .

(٥) لأبطل شرا ، ديوان الحماة - بشرح التبريزي ١ : ٧٨ .

ومنه أيضا :

وإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ مُبَةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَائِرٌ وَسَوَّلٌ^(١)
يَقْصُرُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا وَتُسْكِرُهُ آجَالُهُمْ فَطَوَّلُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَّى أَفْهَ وَلَا طُلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَهِيلُ
نَسِيلٌ عَلَى حَدِّ الثُّبَاءِ قُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الشُّيُوفِ نَسِيلُ

ومنه أيضا :

لَا يَزِ كُنْزًا حُدَّ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُنْصَوِّمًا لِحِلَامِ^(٢)
فَلَقَدْ أَرَانِي لِرُمَاحٍ دَرِيْشَةً مِنْ عَنْ يَمْنَى ثَارَةً وَأَسَامِي
حَتَّى خَضِبْتُ بِمَا يَحْدُرُ مِنْ دَمِي أَكْثَفَ سَرَجِي أَوْ مِثَالِ لِحَامِي
نَمِ انْصَرَفَتْ وَقَدْ أَصْبَتْ وَلَمْ أَصِبْ جَدَّعَ الْبَصِيرَةَ قَارِحَ الْإِقْدَامِ

ومنه أيضا :

وَأَنِّي لَدِمْتُ الْحَرْبَ الصُّرُوسَ مَوْكَلَةً بِإِقْدَامِ خَسِي لَا أَرِيدُ بَقَاءَهَا^(٣)
مَتَى بَاتَ هَذَا لِلْوَيْ لَا تُنْفَخَ حَاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَصَبْتُ قَضَاءَهَا

• • •

كتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن محمد إلى أبي مسلم كُتَابًا ، يُحِيلُ عَلَى بَجَلٍ لِيُظْلَمَ وَكَثْرَتِهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الطُّوْلِ إِلَى هَذِهِ النَّيَاةِ ، وَقَدْ يُحِيلُ عَلَى جُلِّ تَعْلِيَا لِأَمْرِهِ ، وَقَالَ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ : 'إِنْ قَرَأَ خَالِيَا نَحِيبٌ'^(١) قَلْبِهِ ، وَإِنْ قَرَأَ فِي مَلَأٍ مِنْ

(١) لِسَمُوْدٍ ، دِيْوَانُ الْحَمَاسَةِ - بِفَرَحِ التَّيْمُزِيِّ ١ : ١١١

(٢) لِعَلَّامِي بْنِ الْقَبَاءَةِ ، دِيْوَانُ الْحَمَاسَةِ - بِفَرَحِ التَّيْمُزِيِّ ١ : ١٣٠

(٣) لِنَفْسِي بْنِ الْحَطِيمِ ، دِيْوَانُ الْحَمَاسَةِ - بِفَرَحِ التَّيْمُزِيِّ ١ : ١٨١

(٤) نَحْبُ : جَبِينُ .

أصحابه تطهروهم وخنطهم ، فلما وصل إلى أبي مسلم أحرقه بالنار ولم يقرأه ، وكتب على يماض كان على رأسه وأعاده إلى مروان :

نَحَا السَّيْفُ أَسْطَارَ الْبَلَاغَةِ وَاعْتَصَتْ^(١) لَيْثُ الْفَنَابِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٢)
فَإِنْ تَقَدَّمُوا نُصَيْلُ سَيْوَفًا شَعْبَةً^(٣) يَهْوِي عَلَيْهَا النَّصَبُ مِنْ كُلِّ هَاتِبٍ^(٤)
ويقال : إن أول الكتاب كان : لو أراد الله بالنمطة صلاحا ، لما أبت لها جناحا .
وكتب أبو مسلم إلى نصر بن سيار ، وهو أول كتاب صدر عن أبي مسلم إلى نصر ،
وذلك حين لبس السواد ، وأعلن بدعوة في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة :
أما بعد فإن الله جل ثناؤه ذكر أنوما قال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ
نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا رَادُّهُمْ إِلَّا نُفُورًا
أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْكَرُّ السَّيِّئِ إِلَّا يَأْخُذُهُمْ فَهَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾^(٥)
فلما ورد الكتاب إلى نصر تماظمه أمره ، وكثر له إحدى عينيه ، وقال : إن لهذا
الكتاب لأخوات ، وكتب إلى مروان يستصرخه ، وإلى يزيد بن هيرة يستجده ،
فقدما عنه حتى أفضى ذلك إلى خروج الأمر عن بني عبد شمس .

• • •

الرضى الموسوى رحمه الله تعالى :

سَأَمِغِي قَلْبِي لَا عَيْبَ فِيهَا وَإِنْ لَمْ أُسْتَفِدْ إِلَّا عِلَاءُ^(١)

(١) اعتصت : صدت .

(٢) شعبة : سقوة .

(٣) سورة طهر ١٢ ، ١٣ .

(٤) ديوانه لرحمة ٧٥ - ٧٦ .

وَأُطْلِبُ غَايَةً لِأَنْ طَوَّحْتُ بِـ
نَمَائِي مِنْ أَهْلِ الْعَصِمِ آيَةٍ^(١)
وَمِنَّا كُلُّ أَعْلَبٍ مُسْتَعْتَبٍ
إِذَا مَا ضَمَّ نَمْرُ صَفَحَتَيْهِ
وَنَابِي أَنْ يُنَالِ التَّغْفِ مِنَّا
وَأَنْ نَعْلَى مَقْلَعَنَا السَّوَاءَ
وَلَوْ كَانَ الْعِدَاءُ يَسُوعُ فَيَسَا
لَمَّا نُنْمَا الْوَرَى إِلَّا الْعَدَاءُ
وَلَهُ :

سَيُطِيطُكَ الْهَيْدُ مَا نَعَى وَيُطِيطُكَ التَّغْفُ . انشاه^(٢)
وَمَا يَنْحَى مِنَ الْفَرَاتِ إِلَّا طِمَاسٌ أَوْ خِرَابٌ أَوْ رِمَاءُ



ومن أهل الإباء الذين كرهوا الدنيا واختاروا عليها الدنيا ، عبدُ الله بن الزبير ،
تفرق عنه - لما حاربه الحجاج بنكته - وحصر على الحرم - فامته أصحابه ، فخرج كثير منهم إلى
الحجاج في الأمان ؛ حتى حمزة وخبيب ابناه ، فدخل عبد الله على أمه أسماء بنت أبي بكر
الصديق ، وكانت قد كُفَّتْ بصرها ، وهي مجرزة كبيرة ، فقال لها : خذاني الناس حق
ولدي وأهل ، ولم يبق مني إلا من ليس عندهم من الدُّفْعِ أَكْثَرُ من ساعة ، والقوم يُسْطَوْنَ
من الدنيا ما سألتُ ، فما رأيك ؟ فقالت : أنت يا بني أهلك بنفسك ، إن كنت تعلم أنك
على حق وإليه تدعو فامض به ، فقد قيل أَكْثَرُ أَصْحَابِكَ ، فلا تمسك من رقبته
يتلاعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فليس العبد أنت ! أهلكك

(١) الهديان : د عام .

(٢) الأعاب : الشجاع ، وأصله في الأسد .

(٣) المصحات : جاسا المص ، ونمرها - جعلها يشبهان صفحة النمر .

(٤) ديوانه لوجه ١٧٦

نفسك ، وأهلك من قُتل معك ، وإن كنت قاتلتَ حل الحق ، فما وهن أصحابك إلا ضعفت ، فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل الدين . وكم خلوك في الدنيا ! القتل أحسن .

فدنا عبد الله منها فقتل رأسها ، وقال : هذا والله رأيي ، والله ما ركنتُ إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضبُ لله تعالى عز وجل أن تُستعمل حماره ، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك ، فقد زِدْتَنِي بصيرة ، فانظري بألماء ، إلى مقتول بومي هذا ، فلا يشتدَّ جزعُك ، وسئلي لأمر الله ، فإن ابتك لم يمتدَّ إتيان منكرك ، ولا علاجُ فاحشة ، ولم يجر في حكم الله ، ولم يظلم مسلماً ولا معاهداً ، ولا يلفظ ظلم من عامل من عُثَالِ فريضته به بل أنكرته ، ولم يكن شيء عندي آخر من رضا الله . اللهم إني لأقول هذا تزكيةً لنفسي ، أنت أعلم بي ؛ ولكنني أقوله تزيئةً لأمي لتسلو عني . قالت : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي إليك حسناً إن تقدمتني ؛ فأخرج لأظنرك إلى ماذا يصير أمرك ! فقال : جَزَاءُ اللَّهِ نَحِيرَ الْيَأْسِي ، أَفَلَا تَدْعِي الدَّعَاءَ لِي حياً وميتاً . قالت : لا أدعُه أبداً ، فمن قُتل على باطلٍ قد قُتلت على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النعيب في الظلماء ، وذلك الصوم في هواجر مكة والديعة ، وبره بأبيه وي ؛ اللهم إني قد أسدتُ لأمرك ، ورضيت بما قضيت فيه ، فأثبني عليه ثواب الصابرين .

وقد روي في قصة عبد الله مع أمه أسما رواية أخرى ، أنه لما دخل عليها وعليه الذرع واليقطر - وهي حياء لا تبصر - وقف فلم ، ثم دنا فتناول يدها فقبَّلها ، قالت : هذا وداع فلا تبعد ، فقال : نعم ، إنما جئتُ مودعاً ، إني لأرى هذا اليوم آخر أيامي من الدنيا ، وأعلى يأتي أي إذا قُتلتُ فإنا أيا لم لا يضر في ما صنع لي ، فقالت : صدقت يا بني ! أقم حل بصيرتك ، ولا تمسكن ابن أبي عقيل منك ، ادن مني لأودعك ، فدنا منها فقبَّله

وعاقته ، فوجدت مسّ الذرع ، فقالت : ما هذا صنع من يريد ما تريد . فقال : إنما لبسته لأشدّ منك ، قالت : إنه لا يشدّ مني ، ثم انصرف عنها ، وهو يقول :

إني إذا أعرفُ بومي أصبرُ بذّ بعضهم يعرف ثم يتكرّرُ

وأقام أهل الشام على كل باب من أبواب الحرم^(١) رجالاً وقائداً ، فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب السكبة ، ولأهل دمشق باب بنى شيبه ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بجمع ، ولأهل قنشرين باب بنى ستم . وخرج ابن الزبير فمرة يحمل هاهنا ومرة يحمل هاهنا ، وكأنه أحد لا يقدم عليه الرجال ، وأرسلت إليه زوجته : أخرج فأقاتل ملك ؟ فقال : لا ، وأنشد :

كُتِبَ القتل والقتال عليّا وعلم للخصمات جرّ الذبول^(٢)

فما كان الليل ، قام يعلّي إلى قريب السحر ثم ألقى محبياً بمحافل سيفه ، ثم قام فتوصلاً وصل ، وفراً (نَ وَالْقَمَرِ وَمَا يَطْرُونَ) ، ثم قال بمداقضاء صلاته : مَنْ كَانَ مَعِيَ سائلاً فإني في الزميل الأول ، ثم أشد :

وَلَسْتُ بمبتاع الحياة بسنة ولا مرتقى من خشية الموت سُلماً^(٣)

ثم حلّ حتى ملع المحبون ، فرمى بأخرة ، فأصابت وجهه قدسي ، فلما وجد سفونة الدم يسيل على وجهه ، أشد :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَغْصَابِ نَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَفْدَانِنَا تَقَطَّرَ الدَّمَا^(٤)

ثم حلّ على أهل الشام فناصر فيهم ، واعتزروه بأسانيفهم حتى سقط ، وجاء الحجاج

(١) كذا في ج ، وهو المصواب ، وفي ب : « مكة »

(٢) ينسب إلى عمر بن أبي ربيعة ، ملحق ديوانه ٢٩٨ .

(٣) لصاحب بن الجهم الرزي ، من مفضلاته ٦٤ - ٦٩ .

فوقف عليه وهو ميت ، ومعه طارق بن عمرو ، فقال : ما ولدت النساء أذكرك من هذا !
وبعث برأسه إلى المدينة ، فمُصَّب بها ، ثم حل إلى عبد الملك .

• • •

أبو الطيب اللنبي :

أطاعنُ خَيْلاً مِنْ قَوَارِيسِهَا الدُّهُرُ وحيداً وما قولي كَذَا وَمِى الصَّوِّرِ (١)
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي وَمَا ثَبَّتَتْ إِلَّا وَفِي غُصْبِهَا أَمْرُ
تَرَسْتُ بِالْأَفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا تقول : أَمَاتَ اللُّوتُ أُمَ دُعِرَ الدُّهُرُ ؟
وَأَقْدَمْتُ إِنْ دَامَ الْأَيُّ كَأَنِّي لِي يَوْمِي مُهَيِّجٌ أَوْ كَانَ لِي مِنْدَحاً وَتَرُ (٢)
ذَرْتُ النَّفْسَ تَأْخُذُ حَطْلَهَا قَبْلَ يَمِينِهَا فَفَقَرْتُ جَارَانَ دَارِهَا الْعَمْرُ !
وَلَا تَحْبِنُ لِلْجَدِّ زَقّاً وَرَقَبَةً (٣) فَالْخَدُّ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْيَكْرُ (٤)
وَتَقْرِبُ هَامَاتِ اللُّوكِ وَأَنْ تَرَى لَكَ الْهَيَوَاتُ السُّودُ وَالْمَسْكِرُ لِلْجَرُ (٥)
وَتَرَكْتُكَ فِي الدُّنْيَا دَوْباً كَأَنَّمَا تَدَاوَلَ تَمَسَّحُ الْمَرْءُ أَمْسَلُهُ الْعَشْرُ

• • •

وقال ابن حيوس :

وَلَسْتُ كَمَنْ أَخْفَى حَتَّى زَمَانَهُ فظنُّ عَلَى أَخْدَانِهِ يَحْقُ (٦)
تَلَدُّهُ الشُّكْوَى وَإِنْ لَمْ يُفِدْ بِهَا صلاحاً كما يُلْدَتْ بِأَلْكَ أَجْرَبُ
وَلَسْتُ كَمَنْ أَحْبَبَ دِمَارِي بِمَرْمَةِ تَلُوبُ مَنْابِ السَّيْفِ وَالْمَيْفِ حَقَقَ (٧)

(١) ديوانه ١ : ١٤٨ .

(٢) في ديوانه : « إلهام الآتي » ، والآتي : السيل الذي لا يردده شيء .

(٣) القية : اللنية . والرق : طرف الخمر . والفتكة : الكر : التي لم يسبق إلى مثلها .

(٤) الهَيَوَاتُ : جمع هَيوة : وهي العبرة الطيبة . والمهر : الجيش العظيم .

(٥) ديوانه ١ : ٣٠ .

(٦) اللغزب : السيف الصالح .

وليس التقي من لم نسم جسمه القلبي ويُنظم فيه من قنا انقطأ أكتب^(١)
وله أيضا :

أخفق للترف الجموح إلى الغدس^(٢) وفاز الخاطر^(٣) للقدام^(٤)
وإذا ما الشيوف لم تشهد الحر ب^(٥) فيان صارم^(٦) وكمأم^(٧)

• • •

ومن تقتل مذاهب الأسلاف في إياه الضيم وكرامية القتل ، واختار القتل على ذلك
وأن يموت كريما ؛ أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ،
أمه أم ولد ، وكان السبب في خروجه وخلمه طاعة بني مروان ، أنه كان يخاف من عبد الله بن
حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في صدقات علي عليه السلام ، هذا
بخاف من بني حسين ، وهذا من بني حسن ؛ فتتزوج يوما عند خالد بن عبد الملك بن
الحارث بن الحكم أمير المدينة ، فأغبط كل واحد منهما لصاحبه ، فسر خالد بن عبد الملك
بذلك ، وأحبه سيابهما ، وقال لهما حين سكتا : أغدوا علي ، فليست باین عبد الملك إن
لم أقبل بينكما فدا ، فباتت المدينة تنزل كالبرحل ، فن قائل يقول : قال زيد كذا ،
وقائل يقول : قال عبد الله كذا ، فلما كان المد جلس خالد في المسجد ، وجمع الناس ؛ فن
بين شامت ، ومموم ، ودعا بهما وهو يحب أن يشاعرا ، فذهب عبد الله يتكلم ، فقال زيد :
لا تجعل لأحمد ، أحتق زيد ما يملك إن حاصمك إلى خالد أبدا ، ثم أقبل على خالد ،
فقال له : أجمت ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر
ولا عمر ، فقال خالد : أما لهذا السفية أحد يكلمه !

فحكمت رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم ، قال : يابن أبي تراب ، ويابن

(١) القديان : و نسم جسمه .

(٢) ديوانه ٢ : ٦٦ .

حسين السفيه ! أما ترى عليك لوالٍ حقاً ولا طاعة ! فقال زيد : اسكت أيها التعطاني ، فإننا لانجيب مثلك ، فقال الأنصاري : ولم ترغب عني ! فوالله إني نفي منك ، وأني خير من أيك ، وأني خير من أمك ! فضاحك زيد ، وقال : يا مشرق ريش ! هذا الدين قد ذهب ، أفذهبت الأحساب ! فكلّم عبدالله بن واقد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فقال : كذبت أيها التعطاني ، والله لهو خير منك ضساً وأباؤاً ومحبداً ، وتناول بكلام كثير ، وأخذ كفاً من الحما ، فضرب به الأرض ، وقال : إنه والله مائلاً على هذا من صبر ، وقام .

فقام زيد أيضاً ، وشخص من فوره إلى هشام بن عبدالله ، فجعل هشام لا يأذنه وزيد يرفع إليه القصص ، وكأرفع إليه قصة كتب هشام في أسفيلها : ارجع إلى أرضك ، فيقول زيد : والله لا أرجع إلى ابن الحارث أبداً . ثم أذن له بعد حبسٍ طويل وهشام في عليه ، فرق زيد إليها ، وقد أمر هشام خادماً له أن يتبعه حيث لا يراه زيد ، وبسمع ما يقول . فصعد زيد . وكان بادناً . فوقف في بعض الدرجة ، فسمعه الخادم ، وهو يقول : ما أحب الحياة إلا من ذل ! فأخبر الخادم هشاماً بذلك ، فلما قدم زيد بين يدي هشام وحده حلف له على شيء ، فقال هشام : لا أصدقك ، فقال زيد : إن الله لا يرفع أحداً عن أن يرضى بالله ، ولم يضع أحداً عن أن يرضى بذلك منه . قال له هشام : إنه يلقي أنك تذكر الخلافة وتعتاها ، ولست هناك ! لأتاك ابن أمة ، فقال زيد : إن لك جواباً ، قال : تكلم ، قال : إنه ليس أحد أوثق بالله ، ولا أرفع درجة عنده من نبي ابته ! وهو إسماعيل بن إبراهيم ، وهو بن أمة ، قد اختاره الله لنبوته ، وأخرج منه خير البشر ، فقال هشام : فما يصنع أخوك البقرة ! فنضب زيد ، حتى كاد يخرج من إهابه ، ثم قال : ساء رسول الله صلى الله عليه وآله البقر وتسميه أنت البقرة ! لشد ما اختلفنا ! لتخالفتني في الآخرة ، كما خالفتني في الدنيا ، فيرد الجنة ، وترد النار .

فقال هشام : خذُوا بيد هذا الأحق المائق ، فخرجوه ، فأخذ الملمان بيده فأقاموه ، فقال هشام : ارجلوا هذا الخائن الأهوج إلى عامله ، فقال زيد : والله لئن حملتني إليه لأجتمع أما وأنت حمين ، ولعمري أن الأجل يد . فأخرج زيد وأشخص إلى المدينة ، ومعه نفر يسير ، حتى طردوه عن حدود الشام ، فلما فارقوه عدل إلى العراق ، ودخل الكوفة ، وباع نفسه ، فأعطاه البيعة أكثر أهلها ، والعامر عليها وعلى العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي ، فكان بينهما من الحرب ما هو مذكور في كتب التواريخ . وخذل أهل الكوفة زيدا ، وتختلف معه ثمن ناسه فر يسير ، وأبلى بنفسه بلاه حسناً وجهاداً عظيماً ، حتى أتاه سهم غرب^(١) ، فأصاب حاسر صدره اليسرى ، فثبت في دماغه فحين نزع منه مات عليه السلام .



حنف محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام زيداً لما خرج ، وحذره القتل ، وقال له : إن أهل للعراق خذلوا أباك علياً وحسنا وحينما عليهم السلام ؛ وإنك مقتول ، وإنهم خاذلوك ، فلم يئن ذلك حرمة وتمثل .

بَكَرَتْ مَخَوِّفِي الْخُتُوفِ كَأَنِّي أَصْبَعْتُ عَنْ غَرَضِ الْخُتُوفِ بِمَجْزِلٍ^(٢)
فَأَجَبْتُهَا إِنَّ لِلنِّيَّةِ مَمَلً لَابُدُّ أَنْ أَتَّقِي بِذَلِكَ السَّهْلِ
إِنْ لِلنِّيَّةِ لَوْ تَمَثَّلَ مُنَلَّتْ يَنْبِي ، إِذَا زَلُّوا بِصَبْقِ النَّزْلِ^(٣)
فَأَتَّقِ سَيِّئَكَ لَا أَبَاكَ وَاعْلَمِي أَيْ أَمْرُو سَامُوتِ إِنَّ لَمْ أَقْتُلِ^(٤)



(١) سهم غربه ، على الإضافة : لا يدري راسه .

(٢) لفتحة ، ديوانه ٤٢ ، (من مجموعة المقدمات)

(٣) في الديوان : « ضحك الأول » .

(٤) اتقى حياتك : الرمية .

السلوى البصرى صاحب الزيج يقول :

وَإِذَا تَنَازَعْنِي أَقُولُ لَهَا قَرِي
مَا قَدْ قَضَى سَيِّكُونُ فَاصْطَبِرِي ٤
مَوْتُ لِّلْوَكِّ عَلَى صُودِ الذَّبَرِ
وَلَكِ الْأَمَانُ مِنَ الَّذِي لَمْ يُقَدَّرِ

وقال أيضا :

إِنِّي وَقَوْمِي فِي أَنْصَابِ قَوَائِمِهِمْ
مَاهَلِكِ السِّيفُ يَتَابِنُ عَاشِرَتِهِ
كَسَجْدِ الْكَلِيفِ فِي مُجْبُوحةِ الْخَلِيفِ
إِلَّا وَعَرْمَتُهُ أَمْعَى مِنَ السَّيْفِ

بعض الطالبين :

وَإِنَّا لَتُصْنَعُ أَسِيْلَانَا
مَتَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَلْكَفِ
إِذَا مَا التُّنُجَيْنِ رَيَّوْمَ سَفُوكِ
لَوْ أَخْصَادُهُنَّ رَمُوسَ لِّلْوَكِّ

بعض الخوارج يصف أصحابه :

وَهُمُ الْأَسْوَدُ لَدَى التَّرِينِ بَسَاقَةٌ
يَحْمُونَ قَدْ كَسَرُوا الْجُمُوعَ إِلَى الدَّمَاءِ
فَكُلَّمَا أَمْدَاوَهُمْ أَحْبَابُهُمْ
يَرُدُّونَ حَوَامَتِ الْجَاهِ وَإِنَّمَا
تَأْكُلُ حَيْدَ قَوَائِمِهِمْ لَصِيَارُ
وَقَدْ مَضَوْا وَأَنَا الْحَيْبُ إِلَيْهِمْ
وَهُمْ لَدَى أَحَبَّةِ الْأَبْرَارِ
قَدَّرَ بِخُلُقِي وَتَمْنِيهِمْ بِهِ
وَمِنْ الْخُشُوعِ كَمَا تَهَمُّ أَحْبَارُ
مُنْتَسِمِينَ وَفِيهِمْ اسْتِبْشَارُ
فَرَحًا إِذَا خَطَرَ الْفَتَا انْطِلَارُ

وفي الحديث للرفوح « خُلُقَانِ يَجْتَمِعَانِ اللَّهُ : الشُّجَاعَةُ وَالسَّخَاءُ » .

• • •

كان يشر بن الشعر من قدماء شيوخنا رحمه الله تعالى يقول بتفضيل علي عليه السلام

ويقول : كان أشجعهم وأسخام ، ومنه سرى القول بالفضيل إلى أصحابنا البنداديين قاطبة ، وفي كثير من البصريين .

دخل النضر بن راشد المبدئ على امرأته في حرب الترك بخراسان في ولاية الجعيد ابن عبد الرحمن للرعي في خلافة هشام بن عبد الملك ، والناس يفتنون ، فقال لها : كيف تكونين إذا أتيت في في ليلة قتيلاً مضرباً بالدماء ؟ فتفت جيئها ، ودمت بالويل ، فقال : حسبك لو أهرقت كل كل أنى لمصبتها شوقاً إلى الجنة . ثم خرج فقاتل حتى قُتل ، وحمل إلى امرأته في ليل ودمه يقطر من حلاله .

• • •

قال أبو الطيب النضري :

إِذَا غَامَرْتُ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ الْجُجُومِ^(١)
ظلمُ اللوتِ في أمرٍ حَسِيرٍ كظلمِ اللوتِ في أمرٍ قَطِيرٍ
بَرَى الْجَبَاءُ أَنَّ الْجُبْنَ سَرَّامٌ وَنَفَى خَسْرَةَ الطُّغْيَانِ الْقَتِيرِ
وَكَلَّ شَعَامَةً فِي الرَّدَى نَذِيرٍ وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ

وقال :

إِذَا لَمْ تَحِدْ مَا يَسْتَرْ الْقُمْرَ قَاعِدًا فَنَمْ وَأَطْلِسِ النَّمَى الَّذِي يَنْتَرِ الْقُمْرُ^(٢)

وقال :

أَمُّ شَيْءٍ وَاللَّيَالَى كَأَنَّهَا تُطَارِدُنِي مِنْ كَوْنِهِ وَأَطْلَرُهُ^(٣)
وَحِيدًا مِنَ الْخِلَآنِ فِي كُلِّ لَدُنَةٍ إِذَا عَطُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ السَّاعِدُ

• • •

(١) ديوانه ٤ : ١١٩

(٢) ديوانه ٢ : ١١٤

(٣) ديوانه ١ : ٢٧٠

قيل لأبي مسلم في أيام صباه : نراك تنظر إلى السماء كثيراً كأنك تسترق السمع ،
أو تنتظر نزول الوحي أقال : لا ، ولكن لي همة عالية ، وغنى تتطلع إلى معالي الأمور ،
مع عيش كعيش المصعج والرعا ، وحال متناهية في الاتضاع . قيل : فما الذي يشغلك ،
ويُروى غُنتك ؟ قال : للثك ، قيل : فأطلب الثك ، قال : إن للثك لا يطلب هكذا .
قيل : فما تصنع وأنت تذوب حمراً^(١) ، وتموت كذا أقال : سأجعل بعض عقل جهلاء
وأطلب به مالا يطلب إلا بالجهل ، وأحرص بالباقي مالا يحرص إلا بالعقل ، فأعيش بين
تدبير ضيئين ، فإن الغول أحمر النديم ، والشجرة أخت الكون .

• • •

قال ابن خيوس :

أموالهم بالذكري كالأحياء ولحيهم فصل على الأحياء^(٢)
نزلوا على حكم الروم وامتطوا بالأي ظهروا الميزة القمصاء
والعز لا يبقى لنهر مود أن يكشف السماء بالأماء
لا تحسب القراء ضراء إذا أفضت بصاحبها إلى السراء

وقال :

ومى الراسة لا نبوح بسرها إلا لأزواج لا يباح ذماره^(٣)
يمشى حياء قذبه ونسائه وتندود عنه بيمه ويساره
لا المذل ناهيه ، ولا الحرم الذي أمر النفوس يشحها أماره
فليعلم الساعي ليبلغ ذا لدى أن الطريق سكتيرة أخطاره

• • •

(١) يقال حمر عليه حمراً وحسرة ، أى تلهف .

(٢) ديوانه ١ : ١٢١ - ٢٩٩

(٣) ديوانه ١ : ١٢١ - ٢٩٩

كان ثابت قُتْنَةُ في حبل عبد الله بن سَهْمٍ و فجع شكك من بلاد التُّرك في أيام هشام بن عبد الملك ، فاشتدَّت شوكة التُّرك ، وانحار كثير من المسلمين واستؤسروهم خَلَقَ ، فقال ثابت : والله لا ينظرُ إلى بنو أُمَيَّةَ غداً مشدوداً في الحديد ، أطلبُ الفداء ؛ اللهم إني كنتُ صيف ابن سَهْمٍ البارحة ، فاحماني ضيفك اللينة ، ثم حمل وحمل معه جماعة ، فكسرتهم التُّرك ، فرجع أصحابه وثبت هو ، فرمى برذوته فشب ، وضربه فأقدم ، فصرع ثابث وارثتُ ، فقال : اللهم إنك استعصت دعوتي وأما الآن ضيفك ، فأجمل فرمى الجنة ؛ فزل تركي فأجهر عليه .

• • •

قال يزيد بن المهلب لابنه خالد ، وقد أمره على جيش في حرب جرجان : يا بني ، إن غلبت على الحياة فلا تُفكِّنْ على الموت ، وإياك أن أراك غداً حدى مهروما ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الخبير في السيف ، والخير مع السيف ، والخير بالسيف » ، كما يقال : المية ولا الهية ، والثار ولا العار ، والسيف ولا الخيف . قال سيف بن ذي يزن لأنوشيروان حين أعاده يوهز الدبلى ومن معه : أيها الملك ، أين تقع ثلاثة آلاف من خمسين ألفاً ؟ فقال : يا أعرابي ، كثير الحطَب يكفيه قليل النار .

• • •

لما حبس مروان بن محمد إبراهيم الإمام خرج أبو العباس السفاح ، وأخوه أبو جعفر ، وعبد الوهاب ومحمد ابنا إبراهيم الإمام ، وعيسى وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد أبناء علي بن عبد الله بن العباس ، وعيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس ، ومحيي بن جعفر بن تمام بن العباس ، من الحميمة من أرض السَّراة ، يطلبون الكوفة ، وقد كان داود بن علي بن عبد الله بن العباس وأنه موسى بن داود بالمرقاء ، فخرجوا يطلبون الشام ، فتلقاهما أبو العباس وأهل بيته بدومة الجندل ، فسأله داود عن

خروجهم ، فأخبروه أنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ، ويدعوا إلى البيعة
لأبي المباس . فقال : يا أبا المباس ، يظهر أورك الآن بالكوفة ، ومروان بن محمد
شيخ بنى أمية بمران مطيل على العراق في جيوش أهل الشام والجزيرة ، وزيد بن عمرو
ابن هيرة شيخ العرب بالعراق في فرسان العرب . فقال : يا عمر من أحب الحياة ذل ،
ثم تمثل بقول الأعشى :

فما مينة إن ميتها غيرة حاجزٍ ببار إذا ما غالت النفس غولها^(١)
فقال داود لابنه موسى : صدق ابن عمك ، ارجع بنا معه ، فلما أن نهك
أو نغوت كراما .

وكان عيسى بن موسى يقول بعد ذلك إذا ذكر خروجهم من الحامية يريدون
الكوفة : إن ثلاثة عشر رجلا خرجوا من كرام وأهليهم يطلبون ما طلبنا لطلبنا^(٢)
مهمهم ، كبيرة نفوسهم ، شديدة قلوبهم .

• • •

أبو الطيب المتنبي :

وإذا كانت النفوس كباراً تمنيت في مرادها الأجسام^(٣)

وله :

إلى أي حين أنت في زى محرم وحق متى في شفو ولى كرام^(٤)
والأتمت تحت الشوف مكرماً تمت وتقاسى الدل غير مكرم
فتب واثقا بالله وثبة ماجد يرى الموتى في المهباجى النحل في القمر

(١) ديوانه ١٢٥ .

(٢) ديوانه ٣ : ٢٤٥ .

(٣) ديوانه ٤ : ٢٢٢ .

وقال آخر :

إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَجَالُ الرَّجَالِ كَمَا حَدَّثْتُ قَتَلَ وَمَا بِالْقَتْلِ مِنْ عَارٍ
وإن سِلْتُ لَوْ قَتَرْتُ بِسَدِّهِ فَسَى وَكَلَّ نَسَى إِلَى حَسْبٍ وَمِقْدَارٍ

• • •

خطب الحجاج ، فشكا سوء صاعده أهل العراق ، فقام إليه جامع المحاربين ، فقال :
أيها الأمير ، دَعْ ما يَعاذُهم منك إلى ما يقرُّهم إليك ، واتمس العافية ممن دونك تَطْعَمُها
مَنْ فوقك ، فلو أَحْبَبْتُكَ لأطاعوك ؛ إِيَّاهُمْ ما شئتُوك بنسبك ولا لأبوك ، ولكن لإيقاعك
بمَدِّ وعيدِكَ ، ووَعْدِكَ بِمَدِّ وَعْدِكَ .

فقال الحجاج : ما أَرَأَيْتَ أَرَدْتُ بِنِي الْكَيْفَةَ^(١) إلَى طاعني إلا بالسيف ، فقال جامع :
أيها الأمير ، إِنْ السيف إِذَا لَاقِيَ السَّيْفَ ذَهَبَ الْحِيارُ ، فقال الحجاج : الخيلار يومئذٍ ،
فقال : أَجَلْ ، ولكنك لا تدري لمن يَحْمِلُهُ اللهُ ، فقال : يا هَناه ، إِيَّاهُ فَإِنَّكَ مِنْ مُحارِبٍ ،
فقال جامع :

وَلَقَدْ حَرَبَ سَمِينًا فَكُنَّا مُحارِبًا إِذَا مَا أَلْقَا أُمْسَى مِنَ الطَّلَعِ أَحْمَرًا

• • •

ومن الشعر الجليد في تحسين الإيحاء والحيلة والتخريض على النهوض والحرب وطلب
لِللُّكِّ والرياسة ، قصيدة مُحمَّدة البغوي شاعر المصريين في فخر الدين توران شاه بن أيوب ،
التي يترجم فيها بالنهوض إلى البين ، والاحتلاء على مُلْكُها ، وصادفت هذه القصيدة
مَحَلًّا قابلا ، ومَلِكًا توران شاه البين بما هزَّتْ هذه القصيدة من عطفه ، وحركت من
عزمه ، وأولها :

العلم مَذَّكَانَ مُحْتَاجٌ إِلَى التَّمَلُّكِ
 وَغَيْرُ حِيلِكَ إِنْ عَامَرْتَ فِي شَرَفِهِ
 إِنْ الْعَسَالِي عَرُوسٌ غَيْرُ وَاصِلَةٍ
 تَرَى مَسَامِيحَ قَهْرٍ لَدَيْنَ تَدَمُّعِ مَا
 فَإِنْ أَصَبْتُ فِي حِطِّ الْمُسِيْبِ وَإِنْ
 كَمْ تَتَرَكِ الْيَمِينَ فِي الْأَجْفَانِ طَامِنَةً
 وَمَقَلَّةَ الْمَجْدِ عَمَّا لَمْ تَشَاخِصَةً
 فَتَمُكُّ الْمَلِكُ لِلْمَسُورِ سَوَاهَا
 وَاحْلُقْ لِنَفْسِكَ أَمْرًا لَا تَصَافِي بِهِ
 وَأَنْتَ لِلْكَثِيرِينَ إِنْ لَجْتَ نَفْسِيهِمْ
 وَاعْرِضْ وَصَمَّ ضَعْفَالَتِ وَقَدْ تَجَمَّجَتْ
 فَرَبِّ أَمْرِ يَهَابُ النَّاسُ عَابَتُهُ
 فَكَيْفَ إِنْ نَهَضَتْ فَيَا هَمَّتْ بِهِ
 لَا يَهْدُوكَ الْمَجْدَ إِلَّا كَلَّ مَقْتَمُ
 لَا يَنْقُضُ الْأَطْلُوعَ الْأَوَّلَى بِثَانِيَةٍ
 كَأَمَّا السَّيْفُ أَفْنَاءُ قَتْلِهِمْ
 وَلَمْ يَرَاوُوا لِسَانًا وَلَا عَمْرٍ
 فَمَا تَرُومُ سِوَى هَاجِرِ صَوَارِمِهِ
 حَتَّى كَانَ لِسَانُ السَّيْفِ فِي يَدِهِ
 وَشَفْرَةُ السَّيْفِ نَسْتَفْنِي عَنِ الْقَلَمِ^(١)
 عَزَمَ يَفْرُقُ بَيْنَ السَّاقِ وَالْقَدَمِ
 مَا لَمْ تَحْلُقْ رِدَائِيهَا بِنَضْحِ دَمٍ
 أَمْلَأَهُ حَاطَرُ أَكْكَارِي عَلَى قَلْبِي
 أَحْطَاتُ قَصْدَكَ فَاعْذِرْنِي وَلَا تَلُمَّ
 إِلَى الْوَارِدِ فِي الْأَعْيَانِ وَالْقَنَمِ
 فَاتْرَكَ قَمُودَكَ عَنْ إِدْرَاكِهَا وَقَمَّ
 مِنَ الْقُرَاتِ إِلَى مَعْرِ بِلَا سَامٍ
 إِلَى سِوَاكَ ، وَأَوْرِ النَّارَ فِي السَّلَمِ
 لَوْلَا ، فَأَنْتُمْ عَلَى الْعَمِيَانِ بِالْمَصْنَعِ
 فَصِيَّةَ لَعَلَّهَا السَّنُ الْأَمْرِ
 وَالْأَمْرُ أَمُونُ فِيهِ مِنْ يَدِ لَقَمٍ
 أَسْدَنْسِيرَ مِنْ انْقِلَابِي فِي أَجَمٍ
 فِي مَوْجٍ مُلْتَطِمٍ أَوْ فَوْجٍ مُصْطَرِمٍ
 وَلَا يَفْكَرُ فِي الْمَقْبُحِ مِنَ الدَّيَمِ
 فِي فَتْحِ مَكَّةَ حَلَّ الْقَتْلِ فِي الْحَرَمِ
 وَلَا الْخَسِينَ ذِمَامُ الْأَشْهَرِ الْحَرَمِ
 يُصَحِّكُنْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَابِسُ الْبَهْمِ
 يَرُوي الْقُشْرِيَّةَ عَنْ عَادٍ وَعَنْ إِدَمِ .

هذا ابن نومرت قد كانت بدايته فيما يقول الورى لحما على وضمه
وقد ترقى إلى أن صار طائفة من السكواكب بالأفلاك والكظم
وكان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن دهره سيّد الأمم
— كذب ، لم يظهر الدين الحنيف القدّس على الأديان سعى البشر ؛ بل بالتأييد الإلهي ،
والسر الرباني ، صلوات الله وسلامه على القائم به ، وللتعقل له —

والبريدُ بيدٌ وحلا لا يتم بكشفها أنوار ماسترته كشمس الظلم
والنيثُ فهو كما قد قيل أوله قطرٌ ومدد خراب السد بالرم
تتمو قوى الشيء بالتدريج إن رزقت لطفاً ويقوى شرار النار بالصرم
حاسب ضميرك عن رأي أنك وقيل نصيحة وزدت من غير منهم
أقسم ما أنت ممن جُلّهم ما رآك من هم أوزق من نعم
وإنما أنت مرجو لو أحده نفي هذا الدهر تحداً غير مهتم
كأنى باليسال وهي هاتفة قد سمع مع رجال دونهما ونعمي
وبالعلا كلما لاقتك قائمة أهلاً ينشئ آمالي من الرمم

• • •

ومن أباه الضمّ الذين احتاروا القتل على الأمر ، والموت على الدنيا ، مضطرب بن
الزبير ، كان أمير العراقيين من قبل عبد الله بن الربيع ، وكان قد كسر جيوش عبد الملك
مرارا ، وأعياء أمره ؛ فخرج إليه من الشام بنفسه ، فليج في ذلك ، وقيل له : إنك تفرز
بنفسك وخلافك ، فقال : إنه لا يقوم لحرب مضطرب غيري ؛ هذا أمر يحتاج إلى أن يقوم
به شعاع ذو رأي ، ورتما بعثت شعاعا ولا رأي له ، أو ذا رأي ولا شعاعا عنده ،
وأنا بصير بالحرب ، شعاع بالسيف ؛ فلما أجمع على الخروج إلى حرب مضطرب ، جاءته

امراته حاتكة بنت يزيد بن معاوية ، والتمته ، وبكت لفراقه ، وبكى جواربها حولها ، فقال عبد الملك : قاتل الله ابن أوى بجمة^(١) اكأه شاهد هذه الصورة حيث يقول :

إِذَا هُمْ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يَنْزِلْ عَزَمُهُ حَصَانٌ هَذِيهَا ظَلَمٌ دُرٌّ يَزِيهَا
نَهَقَهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ الْفُتَى حَاقَهُ بَكَتْ قَبَسْكَى مِمَّا عَرَاهَا قَطِيعُهَا

فسار عبد الملك حتى إذا كان بمسكن من أرض العراق ، وقد دنأته عسكر مصعب ، تقاعد بمصعب أصحابه وقواده وحذروه ، فقال لابنه عيسى : الحق بمكة فاصح بنفسك ، وأخبر عتق عبد الله بما صنع أهل العراق بي ، ودعى فإني مقتول ، فقال : لا تتحدث نساء قريش أني فررت منك ، ولكن أقاتل دونك حتى تقتل ، فالقرار عار ، ولا عارف القتل ، ثم قاتل دونه حتى قُتل . وخف من يحاسي عن مصعب من أهل العراق ، وأيقن بالقتل ، فأخذ عبد الملك إليه أخاه محمد بن مروان ، فأعطاه الأمان وولاية العراقيين أبدا مادام حيا ، وأتى ألف درهم صقة ، فأبى وقال : إن مثلي لا ينصرف عن هذا المكان إلا غالبا أو مقتولا ، فشد عليه أهل الشام ورموه بالنبل فأحسوه ، وطمعه زائدة ابن قيس بن قدامة السعدي ، ونادى : يا ثارات الحجار افوق إلى الأرض ، فنزل إليه عبد الملك بن زياد بن ظبيان ، فأخز رأسه ، وحمله إلى عبد الملك .

لما نُحِلَّ رأس مصعب إلى عبد الملك بكى وقال : لقد كان أحب الناس إلي وأشد هم مودة لي ، ولكن الملك عقيم .

كتب مصعب إلى سَكينة بنت الحسين عليه السلام ، وكانت زوجته لما شغف إلى حرب عبد الملك وهي بالكوفة بعد ليال من فراقها :

وَكُنْ عَزِيزًا أَنْ أَيْتَ وَيَنْتَدِ حِجَابٌ قَدْ أَصْبَحَتْ مِنِّي عَلَى عَشْرِ

(١) هو كعب بن عبد الرحمن بن أبي جمة .

وَأَبْكَاهَا وَأَفْهَمَ لَهَا أَنَّهَا إِذَا أَرَادَتْ مِثْلَهَا قَصَرَتْ عَلَى شَهْرِ
وَأَنَّكَ لَقَدْ سَمِعْتَ الْيَوْمَ أَنِّي أَخَافُ بِأَنَّا نَتَّقِي آخِرَ الدَّهْرِ
ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا وَأَشْغَصَهَا ، فَشَهِدَتْ مَعَهُ حَرْبَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ قَتْلِهِ ،
وَقَدْ نَزَعَ نِيَابَهُ ثُمَّ كَبَسَ عَلَيْهِ ، وَتَوَشَّعَ بَنُوبٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ مُحْتَضِرٌ سَيْفَهُ ، فَلَمَّتْ أَنَّهُ عَيْرٌ
رَاجِعٌ ، فَصَاحَتْ : وَاحْزَنَاهُ عَلَيْكَ يَا مَعْصِبُ ! فَاتَّفَتَ إِلَيْهَا ، وَقَالَ : إِنَّ كُلَّ هَذَا فِي
قَلْبِكَ أَقَالَتْ : وَمَا أَحَقُّ أَكْثَرَ . قَالَ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ هَذَا لَكَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ ، ثُمَّ
خَرَجَ فَلَمْ يَرْجِعْ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا لِحُجَلَاءِهِ : مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ ؟ قَالُوا : قَطْرِيٌّ ، شَيْبٌ ، فَلَانٌ وَفَلَانٌ ،
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : بَلْ رَجُلٌ جَمَعَ بَيْنَ سُكَيْبَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ وَعَاشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، وَأُمِّةَ الْجَيْدِ
بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ كَرِيزٍ ، وَقُلَاحَةَ ابْنَةِ زَيْدِ بْنِ أَبِيهِ الْكَلْبِيِّ سَيِّدِ الْعَرَبِ ، وَوَلَّى
الْعَرِاقِينَ خَمْسِينَ ، فَأَصَابَ كِدَاوَكِدَا أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، وَأَعْطَى الْأَمَانَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ وَعَلَى
وَلَايَتِهِ وَمَالِهِ فَأَبَى ، وَمَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى اللَّوْتِ حَتَّى قُتِلَ ، ذَلِكَ مَعْصِبُ بْنُ الرَّيْرِ ، لَا مَنْ
قَطَعَ الْجَسُورَ مَرَّةً هَاهُنَا وَمَرَّةً هَاهُنَا !

سُئِلَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو ، أُمِّي ابْنُ الرَّيْرِ أَشْجَعُ ؟ فَقَالَ : كَلَامُهَا جَاءَهُ لِلَّوْتِ ،
وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ .

لَمَّا وَضِعَ رَأْسُ مَعْصِبِ بْنِ يَدَى عَبْدِ الْمَلِكِ أَشَدَّ :

لَقَدْ أُرْدَى الْفُؤَارِسُ يَوْمَ حَسْبِي عُلَمَاءًا غَيْرَ مَنَافِعٍ لِلتَّائِبِ (١)
وَلَا فَرْحَ بَخِيرٍ إِنَّهُ أَنَاهُ وَلَا هَلِيعَ مِنْ التَّخَدُّثَانِ لِأَجِ
وَلَا وَقَافَةً وَانْخِلَ تَرْدِي وَلَا حَالٍ كَأَنْهُوَ الْيَرَّاجِ

(١) مِنْ أَيْبَاتِ نَسَبِهَا ابْنُ الشَّجَرِيِّ فِي أَمَالِهِ ٨٠ لَمْ يَنْفَعِ السُّوَيْ .

كان ابن خليان ، يقول : مَا دَيْمْتُ عَلَى شَيْءٍ يَدْعَى عَلَى الْإِذَا كَوْنًا لَمَّا حَمَلْتُ إِلَى
عَبْدِ الْمَلِكِ رَأْسَ مَصْعَبٍ فَسَجَدَ قَتْلُهُ فِي سَجْدَتِهِ ، فَأَكُونُ قَدْ قُتِلْتُ مِلْكَ الْعَرَبِ
فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .

قَالَ رَجُلٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَافِيَانَ : بِمَاذَا تَحْتَاجُ عَبْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ غَدًا ، وَقَدْ قُتِلَ مَصْعَبًا ؟
قَالَ : إِنْ تَرُكْتُ أَحْتَاجُ كَمْتُ أَحْطَبَ مِنْ مَصْعَعِ بْنِ صَوْحَانَ .

كَانَ مَصْعَبٌ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حَرْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ سَأَلَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَيْفَ
كَانَ قَتْلُهُ ؟ لَجُلٍ عُرْوَةَ ابْنِ الْمَيْمُونَةِ يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ مُتَمَثِّلًا يَقُولُ سُلَيْمَانَ بْنِ قُتَيْبَةَ :
وَإِنَّ الْأَلَى بِالْعُلَى مِنْ آلِ هَاشِمٍ نَاسُوا قَتْلَهُ لِلْكَرَامِ النَّاسِيَا ^(١)
قَالَ عُرْوَةُ : فَكَلِمَتُ أَنْ مَصْعَبًا لَا يَخْرُجُ .

لَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّخَةِ ، وَعَسَكَرَ الْمُجَاجِ إِذَا شَيْبٌ ، قَالَ لَهُ النَّاسُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،
لَوْ نَحْنُ عَنْ هَذِهِ السَّخَةِ ، فَهَلْهَا مَقْلَةُ الرِّيحِ ؟ قَالَ : مَا يَنْبَغُ لِي . وَاللَّهِ - إِلَهِي أَتَنْتَ وَهَلْ
تُرِكَ مَصْعَبٌ لِكَرِيمٍ مَعْرَا لَمْ أَتَدَّ قَوْلَ الْكُنْهَةِ :

إِذَا لَرَّةٌ لَمْ يَنْشَأْ الْكَرْهِيَّةُ أَوْ شَكْتُ سِيَالُ الْهُوَيْنِي بِالْفَقِّ أَنْ تَقْطَعَا ^(٢)

• • •

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ فِي كِتَابِ " الْأَعْيَانِ " ^(٣) : خُطِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي قَتْلِ مَصْعَبٍ
بِرِوَايَةِ هِيَ أَيْمٌ مَّا ذَكَرْنَاهُ نَحْنُ فَيَا تَقْدِمُ ، قَالَ : لَمَّا أَتَى خَيْرٌ لِلْمَصْعَبِ إِلَى مَكَّةَ ، أَضْرَبَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ ذِكْرِهِ أَيْمًا ؛ حَتَّى تَحْدُثَ بِهِ جَمِيعُ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الطَّرِيقِ ، ثُمَّ صَدَّ
النَّبَرُ فَنَاسَ عَلَيْهِ مَلِيًّا لَا يَسْكُمُ ، فَظَنَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ ؛ وَإِنْ السَّكَاةَ عَلَى وَجْهِهِ لِهَادِيَةٍ ؛ وَإِنْ

(١) الْأَعْيَانُ ١٨ : ٣٧

(٢) الْقَتْلِيَّاتُ ٣٢

(٣) الْأَعْيَانُ ١٧ : ١٦٦ (سَاسِي) ، عَيُونُ الْأَحْصَارِ ٢ : ٢٤٠ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الرِّوَايَاتِ .

جيبه ليرشح عرفاً، فقال واحد لآخر: والله لا يتكلم ؟ أترام يهابُ المطلق ؟ فوالله إنه غلطيب .
فأترام يهاب ؟ قال : أراه يريد أن يذكر قتل العصب سيد العرب ، فهو يقطع بذلك .
فابتدأ فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، بك الدنيا والآخرة ، يبرّ مَنْ يشاء ،
ويؤدّل مَنْ يشاء ؛ ألا إنه لا يذلل مَنْ كان الحق معه وإن كان مغرداً ضعيفاً ، ولا يبرّ مَنْ
كان الباطل معه ؛ وإن كان ذا عدد وكثرة . ثم قال : أنا خيرٌ من العراقي ، بلد العدر
والشقاق ، فساونا وسرنا ؛ أنا أن مُصمماً قتل رحمه الله ؛ فأما الذي أحرزنا من ذلك
فأنّ لعراقي الحميم أذعة ولوعة ، يمدّها تحبُّه عند العصبية ، ثم يرعوى ذو الرأي والدين إلى
جميل العسير . وأما الذي سرّنا منه ؛ فأَنْ قتلَه كان له شهادة ؛ وإن الله جاهلٌ لنا وله في
ذلك الغيرة . ألا إنّ أهلَ العراقي باعوا بأقلّ الأثمان وأحسرها ، وأسلموه إسلام التّم
المطمّنة ^(١) قتل ؛ وإن قُتل لقد قُتل أبوه وحمّة ثم أخوه ^(٢) ، وكابوا الحيار الصالحين ؛
وأما والله ما نموت حتّى آتانا ، ما نموت إلا قتلاً قتلاً ، وقصصاً ^(٣) قصصاً ، بين قصص ^(٤)
الرماح ، ونحت ظلال السيوف ؛ لبس كائنات نو مروان ^(٥) ، والله ما قُتل منهم رجل في
جاهلية ولا إسلام ؛ وإنما الدنيا طارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد
ملكه ، فإن تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ القبح الطير ، وإن تدبر عني لا أبكي عليها
بكاء الخريف ^(٦) للّهت . ثم نزل .



- (١) المطمّنة ، من قولهم حطم الحجر بالمطام إذا جبه على أحده ، والمطام : ما وضع على آف البحر ليقاده .
(٢) قتل أبوه عند الله من الرجل يوم الجمل ، قتله عمرو بن جرهمور في صلانه بوادي الساج . وحمّة
عبد الرحمن بن الحوام بن خويلد ، قتل يوم اليموك وأخوه لندر بن الزبح قتل يوم الحرة .
(٣) النفس : اللوث السرج ؛ وخال : مات قصصاً ؛ أي أصاحه سريرة أو رمية فانت في مكانه .
(٤) القصص : القصة بما يكسر ، وجه قصص .
(٥) كئنا في جميع الأصول ، ويرى السيد جاسم أنها « سو أب الناس » .
(٦) الخريف : من قصده من الكبر ، وكمدقه اللّهت .

وقال الطرمّاح بن حكيم ، وكان يرى رأى الحوارج :

وإني كَلْتَلَدُ جَسَادِي قَدَافٌ به وينفسي اليوم إحدى للثانف^(١)
لأ كَسِبَ مَالاً أَوْ أَرَبَ إِلَى غَيٍّ مِنْ إله يكفني عِدَاةً انْطِلَافٍ^(٢)
فِيَارِبَ إِنْ حَاسَتْ وَفَانِي فَلَا تَكُنْ عَلَى شَرَجٍ يُسَلِّي بِخُفْرٍ لِلطَّارِفِ^(٣)
وَلَكِنْ قَبْرِي بَطْنِ نَسْرِ مَقِيلُهُ بِجَوْ السَّمَاءِ فِي نَسْرِ هَوَا كَيْفِ
وَأَمْسِي شَهِيداً ثَاوِيّاً فِي عِصَابَةٍ يُصَايِرُنِي فَيُجِئُ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
فَوَارِسُ أَسْعَاتٍ يُوَلِّفُ بَيْنَهُمْ هُدًى إله نَزَّ الْوَنَ حِنْدٌ لِلوَاقِفِ

قال ابن شبرمة : مررت يوماً في بعض شوارع الكوفة ، فإذا بنسري حوله رجال ،
وعليه مُطَرَفٌ خَزْ أَحْمَرٌ ، فقلت له قِيلَ : الطرمّاح ، فقلت أن الله تعالى لم يستحبه .

• • •

وقال محمد بن هاني :

وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَمِيرٍ فَمَنْ كَانَ أَسَى كَانَ الْمَجْدُ أَجْدَرًا^(١)
وَالْمَلَّةُ الْعِلَاءُ تَرْتَقِي إِلَى الْمُلَا فَمَنْ كَانَ أَغْلَى حِمَّةً كَانَ أَظْهَرًا
وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ أَرَادَ تَقَدُّمًا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ أَرَادَ تَأَخُّرًا

الرضي اللوسوي رحمه الله تعالى :

وَمَنْ أَخَّرَتْهُ نَفْسُهُ مَاتَ حَاجِرًا وَمَنْ قَدَّمَتْهُ نَفْسُهُ مَاتَ سَيِّدًا^(٢)

(١) ديوانه ١٥٥ والأمان ١٢ : ٤٤ ، والشعر والشراء ٥٧٠ والبلد : قبيح السوق ؟ هو من أمام .

(٢) الخلاص : جمع خليفة ؟ وهو السلطان .

(٣) المصريح : الشمس . وللميوان : أما المرض إلى حانت .

(٤) ديوانه ٣٦٢

(٥) ديوانه ١٢٧ (طلبة نخبه الأخبار) .

وله رحمه الله :

مَاتَقَامِي عَلَى الْبَيَّانِ وَعِنْدِي مَقُولٌ حَارِمٌ وَأَنْتَ حَيٌّ^(١)
وَابَا، عُلِقَ لِي عَنْ الْقَيْسِمِ كَمَا زَالِحَ طَائِرٌ وَخَشِيٌّ^(٢)
أَبُو الطَّيِّبِ النَّبَاطِي :

تَقُولِينَ مَاتِي النَّاسَ مِنْكَ عَاشِقٌ جِدِّي مِثْلُ مَنْ أَحْبَبَهُ تَجِدِي مِثْلُ^(٣)
مَحَبٍّ كُنْتُ بِالْبَيْضِ عَنْ مَرْهَعَانِهِ وَالْحَدِيثُ فِي أَجَابِينَ^(٤) عَنْ الصُّقْلِ
وَالشُّرِّ عَنْ سُحْرِ الْقَاعِ عَيْرِ أَسَى حَنَّاها أَجَبَانِي وَأَطْرَافَهَا رُشَلِ
عَدِمْتُ فَرَادًا لَمْ يَبَيْتَ فِيهِ فَعْدَةٌ لَمِيرِ ثَمَالَا الْفَرْ وَالْحَدِيثُ النَّجَلِ
تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْعَالِي رَحِيصَةً وَلَا نَدَى دُونَ الشَّهْدِ مِنْ لَمِيرِ النَّجَلِ
ابن المنيارة : الْقَيْسِمُ الْمَلِيَّةُ ، وَاللَّهْجُ الْأَمِيَّةُ ، تَهْرُكُ الْمَلِيَّةُ ، مِنْكَ أَوْ الْأَمْنِيَّةُ .

أَبُو نَعَام :

مَتَى التَّكَلُّبَاتِ مَنْ بَأْوَى إِذَا مَا تَطَنَّ يَهْ إِلَى خَلْقٍ وَمَسَاجٍ^(١)
بِثَرٍ عَجَاجَةٍ فِي كُلِّ فَعِيٍّ يَسِيمُ هَا عَدِيَّ بْنِ الرَّقَاعِ^(٢)
يَخْمُوضُ مَعَ السَّاعِ الْمَاءَ حَتَّى لَتَعْيِبُهُ السَّاعُ مِنْ السَّاعِ^(٣)

- (١) ديوانه ٥٤٦ (معلقة نضرة الأَخَار) .
(٢) الياس : النساء - والرهفات : السبوف .
(٣) ديوانه ٣٣٦ .
(٤) بقية إلى ما ذكره عدي بن الرقاع في حار وأعلن :

يَنْتَازِعَانِ مِنَ الْمُبَارِ مَلَأَةً فِي الْأَرْضِ مَنْشُوءَاهَا نَسْجَاهَا
تَطْلُو إِذَا قَرَّحَا بِلَاوَا حَزَنَةً وَإِذَا أَصَابَا تَنْهَلَةً تَشْرَاهَا

- (٦) ديوانه الديوان : هـ ابن مع الساع للماء حتى هـ .

قَلْبَ الزَّمَنِ لِي حَاوَلْتُ يَوْمًا بَأْسَ تَنْطَلِعَ غَيْرَ السَّطَاعِ
قَلَمُ تَرْكِبٍ كَنَاجِيَةِ الْمَهَادِي وَلَمْ تُرْ كِبْ هُمُومُكَ كَالْمُتَاعِ

وله أيضا :

إِنْ خَيْرًا مِمَّا رَأَيْتُ مِنَ الصَّفْحِ عَنِ النَّارِثَاتِ وَالْإِنْفَاضِ ^(١)
غُرْبَةً تَفْتَدِي بِرَبِّهِ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ وَالْحَارِثُ بْنُ مُصَاضٍ ^(٢)
غُرْبَةً تَكْتَبِينَ مَا قَتَلَا رَأَى بَأْسًا عَلَيْهِ تَكْتَبُ انْقِضَاضِ
مَنْ أَيْنَ السُّيُوتِ أَصْبَحَ فِي نَوَى مِنْ أَلْبَانِ لَيْسَ بِالْمُصَاضِ ^(٣)
صَلْتَانِ أَعْدَاؤِهِ حَمَتْ حَوَا فِي حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِ مُنْقَاضِ ^(٤)
وَالْفَتْحِ مَنْ تَمَرَّتْهُ الْقِيَالِ وَالْقِيَالِ ، كَالْحَيَّةِ الْمَضِ ^(٥)
كُلُّ يَوْمٍ لَهُ يَصْرِفُ الْقِيَالِ فَتُسَكِّتُ مِثْلُ فَتْسَكَةِ الْبَرَا ^(٦)

وله أيضا :

إِن تَرَيْتَنِي تَرَى حُسَامًا مَكِينًا قَشْرَةً يَمْسُ السُّيُوفُ الْجُدَارِ
ثَانِي الْأَيْلِ ثَالِثُ الْيَدِ وَالْيَدِ رِ مَدِيمِ الشُّجُومِ بَرَبِ الشُّهَادِ
أَخَذَ هَذَا الْإِظْفَ أَبُو عُدَاةِ الْبَحْرَى فَقَالَ :

يَا مَدِيمِي بِالسُّوَاوِيْرِ مِنْ تَحْمَسِ بْنِ عَمْرِو وَتُحْمَرِ بْنِ عَتُودٍ ^(٧)

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٩

(٢) قيس بن زهير البجلي ؟ بعد حربه ذبيان تلقى في اللاداء ولى آخر عمره عليه رجل فأناله من خيره
فما علم أنه قاتل حديفة ورجل أبي مرقدة وأحدث من مصاص المرحمى ، كان رثيبا فكم أليم كان بها
فوليه ، ويقال : إلى حرامه أجتهم بها ؟ وهو الدليل :

كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَمُونِ إِلَى الصَّفَا أَيْسُ وَلَمْ يَسْتَرْ عَمَكَ سَامِرُ

(٣) يقال : أئمن بالموضع إذا أقام به .

(٤) الصلتان : المامى في اسمه .

(٥) إليه المصاص : التي لا تستقر في مكان . تمرته قبائل . أحدث ما عليه من العلم .

(٦) الرامس بن قيس البكائي ، قاتل مروءة الرجل في غير حرب ، فحدثه حرب البجاريين قيس وكانه .

(٧) ديوانه ١ : ٤٠٤ . ولى الديوان : ٤٠٤ ودين من ٤

اطلها ثالثاً سوى فإني رابع الميس واليهى واليدير
لست بها حار الصيف ولا القفا ثل يوماً إن اليقى بالجلود
وإذا استصعبت مقادة أسير سهنته أيدى المهارى القود

وقال الرضى رحمه الله تعالى :

ولم أرَ كالزَّجَاءِ اليَوْمَ شَيْئاً تَدِلُّ لَهُ الْجَسَامُ وَالرَّطَابُ^(١)
وَتَمَسُّ الدُّمُ مَائِثَةٌ وَفَخْرٌ وَتَمَسُّ لِلَّالِ مَلَقَصَةٌ وَعَابُ
تَنَاقِي وَالْمِثْلَانُ إِذَا تَبَتَّ بِي رُبَا أَرْضِي ، وَرَحَى وَالرَّكَابُ
وَقَدْ عَرَفْتُ تَوْفِيلَ الْيَمَالِي كَمَا مَرَّفَتْ تَوْفِيلَ الْيَقَابِ^(٢)
لَا مَنَعَ جَارِيًا وَأَفْهَمَ مِرَا وَمِرَا لِلْوَلَدِ مَا عَزَّ الْجَنَابُ
إِذَا هَوَّلَ دَعَاكَ فَلَا سَهْنَةَ فَلَمْ يَمُنَّ الْفَزِينَ أَبْوَا وَهَابُوا
كَلَيْبٌ عَافَقَتَهُ يَدٌ وَأَوْدَى عُبَيْتٌ يَوْمَ أُنْقَصَتْ دُؤَابُ^(٣)
سَوَاءٌ مَنْ أَقْلُ الثَّرَبِ مَنَا وَمَنْ وَارَى شَمَائِلَهُ الثَّرَابُ
وَلَنْ مُزَايِلَ الْمِيشِ اغْتِيَابًا سَاوِرَ الْفَزِينَ نَقَوْا وَشَاوُوا
وَأَوَّلْنَا الْعَفَا إِذَا طَلَعْنَا إِلَى الدُّنْيَا ، وَآخِرُنَا الدُّهَابُ
إِلَى كَمْ ذَا التَّرْدَدِ فِي الْأَمَانِ وَكَمْ يُلَوِّى بِنَظَرِي السَّرَابُ
وَلَا تَقَعُ يَتَارُ وَلَا قَنَامٌ وَلَا طَعْنُ يَشْبُ وَلَا يَضْرَابُ

(١) ديوانه لوجه ٧٩

(٢) التوقال : الصمود . واليقاب : جمع عقة ؟ ومن الرضى الصب في الحبل ونحوه

(٣) طامته : صرعة ، وكليب هو كليب وائل ، وأراد باليد حساس بن مرة القى لله . وأودى : هلك . وعتبة هو ابن الحارث بن شهاب كان فارس بن نعيم قتله دؤاب من ربيعة الأسدي . وألمص : قتله فلا سرياً

وَلَا خَيْلٌ مُّقَدَّمَةُ النَّوَاسِي يَمْوجُ عَلَى شَكَايِمِهَا الثَّمَابُ
 حَلَبُهَا كُلُّ مُتَهَبِّ الْحَوَائِي يُصِيبُ مِنَ الْمَدْوِ وَلَا يُصَابُ
 سَاخِطُهَا يَحْدُ الثَّيْفَ فَمِلًا إِذَا لَمْ يَنْزِ قَوْلٌ أَوْ خِطَابُ
 وَأَخْذُهَا وَإِنْ رَعِمَتْ أَنْوَفُ مَنَابِلَةٌ وَإِنْ ذَلَّتْ رِقَابُ

قد سلبان بن عبد الملك يَفْرِضُ وَيَفْرِضُ ، فأقبل فتى من بنى عيس وسيم ، فأجبه ، فقال : ما اسمك ؟ قال : سلبان ، قال : ان مَنْ ؟ قال : ابنُ عبد الملك ، فأعرض عنه ، وجعل يَفْرِضُ لمن دونه ، فلم التفتي إليه سكره موافقة اسمه واسم أبيه ، فقال : يا أمير المؤمنين لا علمت اسمك ، ولا شئني اسم يوافق اسمك فأفترض ، فإنما أنا سيفٌ بيدك ، إن ضربت به قطعت ، وإن أمرتني أطعت ، وسهمي كساتك ، اشتد إلى أريدت ، وأخذت حيث وجهت . فقال له سلبان ، وهو يرويه ^(١) ويحبره : ما قولك يا فتى ، لو بقيت هدوا ؟ قال : أقول : حسبى الله ونعم الوكيل . قال سلبان : أ كنت مكتفياً بهذا لو بقيت عدوك دون ضرب شديد ؟ قال الفتى : إنما سألتني يا أمير المؤمنين : ما أنت قاتل فأخبرتك ، ولو سألتني : ما أنت فاعل لأبأئك ؛ إنه لو كان ذلك لضربت بالسيف حتى يهتقف ؛ ولطمنت بالرمح حتى يهتصف ، ولملتُ إن أملت فإنهم يألمون ، ولرجوت من الله ما لا يرجون . فأجيب سلبان به وألحقه في العطاء بالأشراف ، وتمثل :

إِذَا مَا أَتَيْتُ اللَّهَ الْفَتَى ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عَلَى أَهْلِهِ كَدًّا فَضَدَّ كَمَلُ الْفَتَى

السرى تحت قوله : « ثم لم يكن على أهل كلاً » ، يقال فى النثر : « لا تكن كلاً على أهلك قطبك » .

عدي بن زيد :

قَهْلٌ مِنْ خَالِدٍ إِنَّمَا حَكَمْنَا وَهَلْ وَالْمَوْتُ بِالْغَنَاسِ عَارًا^(١)

• • •

الرضى الموسوى رحمه الله تعالى :

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْحَسَامُ فَإِنِّي سَأَكْرِمُ نَفْسِي عَنْ مَقَالِ الْوَاهِمِ^(٢)
وَأَلْبُسُهَا سَحَاءَ تَصَفُّوْ ذُبُولَهَا مِنْ الدَّمِ بَدْءًا عَنْ لِبَاسِ اللَّلاوِمِ
قَبْلَ قَبْلُ مَا اخْتَارَ ابْنُ الْأَشْمِثِ حَيْثُ عَلَى شَرَفٍ عَالٍ رَمِيعِ الدَّعَائِمِ
ظَارَ ذَمِيًّا قَدْ تَقَلَّدَ عَارَهِمْ بِشَرِّ حَاجِجِ يَوْمِ دَمِيرِ الْمَاجِمِ^(٣)
وَجَاءَهُمْ يَمْزِي الْبَرِيدُ بِرَأْسِهِ وَلَمْ يَنْ لِيْضِلَّ بِهِ فِي الْمَزَامِمِ
وَقَدْ حَاسَ مِنْ خَوْفِ الرَّدَى كُلِّ حَيْصَةٍ فَمِ بَدِجٍ وَالْأَفْدَارُ حَرْبَةٌ لَا زِمِ^(٤)
وَهَذَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ مَافَرَتْ بِهِ الْقُلُ أَمْرَاقُ الْجُدُودِ الْأَكَارِمِ^(٥)
فَقَالَ وَقَدْ عَنِ الْفِرَارِ أَوْ الرَّدَى لَهَا لَمْ أَخْزَى ذِكْرَةً فِي الْمَوَاسِمِ
وَمَا عَمَرَاتُ اللَّوْتِ إِلَّا انْتِمَاسَةٌ وَلَا ذِي لَنَا فَاغْيَرُ تَهْوِيهِمْ نَاهِمِ

(١) شعراء الصغرية ١٥٦

(٢) ديوانه لوجه ١١٠

(٣) وقعة دير الجماجم كانت بين الحجاج الثقلى وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، انتهت بمقتل ابن الأشعث سنة ٨٣

(٤) حاس ، أى حاد وذهب ميماء .

(٥) يزيد بن المهلب من أبي صبرة ، من أمراء الدولة الأموية وقوادما ، قتله يزيد بن عبد الملك فى خيبر مشهور سنة ١٠٢

رأى أن هذا السيف أهونُ تحملاً
 وما قلَّ البيضُ للباتيرِ عنقه
 فصاف الله نأبوا امتطى الموت شاعراً
 وقد حلت خوفُ الموانِ عصية
 على حين أعطوه الأمان فساهه
 وفي خذره غمراه من آل طلحة
 تمعَّبُ أباهم الحبيسة وإنها
 فقارَ قهسا والملك لما رآها
 ولما الاحتملوا قرآن من الردي
 وغادرها شمساً إن ذكركم له
 كذلك مبي بعد الفرار أمية
 وسئل لماسل الحسام ابن مسمر
 برؤد ذكرى كل تجدي وعائير
 وهددى الأعداء في المهدي بعين
 وحيدى يوم توغريد ومسلم
 على المزمومة لا ميمنة مستكينة
 وساطير على الجلى خطار ابن حرمه
 من العارِ يَبْقَى وَصْمه في الخطير
 سوى الخوف من تقلدها بالأداهم
 بمارس عز لا يفلح الخطير
 فوادم آباء كرام للقادم
 وخير فاختار الردي غير ناديم
 علاقة قلبه للنديم المخالم^(١)
 لأعذب من طم الخلود لطام
 بجران إذلال النفوس الكرائم
 سده البخاري رمع قيس بن حاتم
 بين العار طاحار رأس خزبان وإيم
 يشفق قوتاه من آل داريم
 فسكر على أحصاب ناب بصارم
 وألجم خوف كل باغ وظالم
 هوى ولم تقطع حدود غامى
 بدا لها لاستغفرا يوم وأهم
 تزيل عن الدنيا بسم الرايم
 وإن زاتم الأمر العظيم فزائم

• • •

(١) هي عائشة بنت طلحة ؓ كانت زوجة لجد ابن عبد الرحمن بن أبي بكر ؓ ولا طمعه تروجهما
 مصعب بن الزبير ؓ قتل عنها ، وأخالة : للصادقة والدة .

ومن أمانة الصَّيِّمِ ومُؤَثَّرِ الموت على الحياة الدَّليَّةِ محمد وإبراهيم ، أنا عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . لما أحاطت عساكر عيسى
ابن موسى بمحمد وهو بالمدينة ، قيل له : انجُ نفسك ، فإنَّ لك خَيْلاً مُضْمَرَةً^(١)
ونجائب ساجدة^(٢) ، فأقعد عليها ، والتحق بمكة أو مدائن . قال : إني إذا لمجداً وخرج
إلى الحرب يباشرها بنفسه ومواليه ، فسا أسمى تلك الثَّيلة وأيقن بالقتل ، أشير عليه
بالاستنار ، فقال : إِنْ يَسْتَرْضِ عيسى أهلَ الكوفة بالسيف ، فيكونَ لهم [يوم] كيوم الحرَّة ،
لا والله لا أحفظُ نفسي هلاك أهل المدينة ، بل أجمل دمي دون دماهم . فبذلَّ له عيسى الأمانَ
على نفسه وأهله وأمواله ، فأبى وهَدَّ^(٣) إلى الناس سيفه ، لا يفارقه أحد إلا قتله ، لا والله
ما يبقي شيئاً ؛ وإنَّ أشبهَ خلق الله به فيما ذكر هو حمزة بن عبد المطلب . ورَمَى بالسَّهام ،
ودمَّته الحيل ، فوقف إلى ناحية جداري ، ومحاماه الناس فوجد الموت ، فتعامل حل سيفه
فكسره ؛ فالزبدية تزعم أنه كان سيفَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله ذا البقار .

وروى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب "مقاتل الطالبين" أن محمداً عليه السلام ،
قال لأخته ذلك اليوم : إني في هذا اليوم على قتل هؤلاء ، فإن زالت الشمس ، وأمطرت
السما فإني مقتول ، وإن زالت الشمس ولم تنظر السماء ، وهبت الريح ، فإني أظفر بالقوم ،
فأججني التناير ، وهبني هذه الكتب - يعني كتب البيعة الواردة عليه من الآفاق - فإن
زالت الشمس ، ومطرت السماء فاطرحني هذه الكتب في التناير ، فإن قدرتم حل بدني

(١) صر الحيل ؛ إذا ربطها وأكثر ماءها وعشها حتى تسمن ؛ ثم قتل ماءها وعشها مرة ؛ ثم ركضها
في اليدان حتى تهزل ؛ ومدة التضميم عند العرب أربعون يوماً .

(٢) الحيل السوابق ؛ الخيلة في الجري .

(٣) يقال نهَّد لعدوه ؛ إذا برأ لقتاله وصعد له .

تغذوه ، وإن لم تقدرُوا على رأسى تغذُوا سائرَ بدنى ، فَأَتُوا بِهِ عَلَّةَ بَنِي بِلَهِ^(١) عَلَى مَقْدَارِ
أَرِيَةِ أَدْرَجَ أَوْخَصَ مِنْهَا ؛ فَاحْفَرُوا لِي حَفِيرَةً ، وَادْهُونِي فِيهَا . فَطَرَّتِ السَّمَاءُ وَقَتْلَ الزَّوَالِ ؛
وَقَتْلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَشْهُورًا أَنَّ آيَةَ قَتْلِ النَّفْسِ الرُّكْبَةِ أَنْ يَسِيلَ دَمُهَا بِالْمَدِينَةِ
حَتَّى يَدْخُلَ بَيْتَ عَاتِكَةِ ، فَكَانُوا بِمَعْبُودٍ كَيْفَ يَسِيلُ الدَّمُ حَتَّى يَدْخُلَ ذَلِكَ الْبَيْتَ ؛
فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَسَالَ الدَّمُ بِالطَّرْحِ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ عَاتِكَةِ ، وَأَخَذَ جَسَدَهُ
لِحَفِيرَةٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي حَدَّثَهُ لَمْ ، فَوَقَفُوا عَلَى صَخْرَةٍ فَأَخْرَجُوا هَاءَ ، فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ :
« هَذَا قَبْرُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ » ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ أُخْتُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
رَحِمَ اللَّهُ أَخِي ، كَانَ أَعْلَمَ حَيْثُ أَوْصَى أَنْ يَدْفَنَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ^(٢) .

• • •

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ ، قَالَ : قَدِمَ عَلَى النَّصْرَةِ قَادِمٌ ، فَقَالَ : حَرَّبَ مُحَمَّدًا قَالَ لَهُ : كَذَبْتَ !
إِنَّمَا أَهْلُ الْبَيْتِ لَا شَرَّ .

• • •

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ عَنْ الْمُفَصَّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الضَّحَّى ، قَالَ^(٣) :
كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ مَتَوَارِبًا عَسَدِيَّ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَدَتْ أَحْرُجُ وَأَتْرَكَهُ ،
فَقَالَ لِي : إِذَا خَرَجْتَ خَافَ صَدْرِي ، فَأَخْرَجَ إِلَى شَيْئَانِ مِنْ كِتَابِكَ أُنْفِرُ بِهِ ؛ فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ
كِتَابًا مِنَ الشَّعْرِ ، فَاخْتَارَ مِنْهَا الْقَصَائِدَ السَّبْعِينَ الَّتِي صَدَّرْتُ بِهَا كِتَابَ " الْفَضَائِلِ " ،
ثُمَّ أَتَمَّتْ عَلَيْهَا بَاقِيَ الْكِتَابِ .

فَلَمَّا خَرَجَ خَرَجَتْ مَعَهُ ؛ فَلَمَّا صَارَ بِالْمَدِينَةِ ، مَرَّ بِدَسَايَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَقَفَ عَلَيْهِمْ
وَأَتَمَّهُمْ وَاسْتَسْقَى مَاءً ، فَأَتَى بِهِ فَشَرِبَ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ صَبِيَانَهُمْ فَضَمَّهُمْ إِلَيْهِ ،

(١) مقال الطالبيين : ٢٠٠ بن تبيه .

(٢) مقال الطالبيين : ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٣) ورد الخبر مختصراً في مقال الطالبيين : ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

وقال: هؤلاء والله منا ونحن معهم؛ ولما ودعنا؛ ولكن آباءهم أنزواهم أمرنا عواينزوا
حقوقنا؛ وسفكوا دماءنا، ثم تمثل:

مَهْلًا بَنَى عَمْنَا ظِلَامَتَنَا إِنَّ بِسَاوَرَةٍ مِنَ الْقَمَرِ^(١)
لِئَلَّكُمْ تَحْمِلُ السُّيُوفَ وَلَا نُفَمِّرُ أَحْسَابَنَا مِنَ الرِّقَى
إِنِّي لَأُنَبِّئُ إِذَا أَصَبْتُ إِلَى عَيْرِ عَرَبٍ وَمَشْرِىَ صُدُقِ
بِئْسَ سِبَاطٍ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ تُكَلِّعُ يَوْمَ الْهِجَاكِ بِالْمَقَرِ

فقلت له: ما أجود هذه الأبيات وأحلىها؛ فليكن هي؟ فقال: هذه يقولها خيرار
ابن الخطاب الفهرى يومَ حَبْرَ اغتدق على رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وتمثل بها على
ابن أبي طالب يومَ صَدَيْنَ، والحسين يومَ الطَّفِّ، وزيد بن علي يومَ السَّبْتَةِ، ويحيى بن زيد
يومَ الْجُوزْجَانِ؛ فخطبتُ له من عَمَلِهِ بِأَهْلَاتٍ لَمْ يَشْكُكْ سِوَا أَحَدٍ إِلَّا قُتِلَ. ثم سرنا
إلى بَاخْرَى، فلما قرب منها أتاه مني أخيه محمد، فغديرَ لونه وجَرَّضَ يرقه، ثم أجش
بأكميا، وقال: اللهم إن كنت تعلم أن محمدًا خرج يطلب عَرَضَاتِكَ، ويؤثر أن تكون
كلتك العليا، وأمرُك المتبع للطاع؛ فأفقر له وأرحه، وأرض عنه، وأجسل ما قلته إليه
من الآخرة خير مما قلته عنه من الدنيا؛ ثم انصرف بأكميا ثم تمثل:

أَبَا لُئَالِ لَا خَيْرَ الْقَوَارِسِ مَنْ يُفْجَعُ مَمْلُوكٌ فِي الدَّيَاقِدِ فُجِعًا^(٢)
اللَّهُ بِسَلْمٍ أَيْ لَوْ خَشِيتُهُمْ أَوْ أَنَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَمْ فَرَحَا
لَمْ يَقْتُلْكَ وَلَمْ أُسَلِّمْ أَخِي لَهُمْ حَقِّي نَمِيشَ حَمِيمًا، أَوْ مَوْتَ مِمَّا

قال المفضل: فجعلت أعزَّيه وأعانبه على ما ظهر من جرَّعه، قال: إني والله في هذا،

كما قال دُرَيْدُ بْنُ الْعِصَّةِ:

(١) من أبيات في حسانة ابن الجعفي ١٦، والآخر ١٢. ١٨ (سأسي)، مع اختلاف ترتيب الأبيات
ومعددها وروايتها.

(٢) الأبيات لرأس بن خنوم يرثى حبيبته، الأغانى ٢١: ١٧٧.

يقول: ألا تبكي أحاك وقد أرى مكان البسكا، لكن بنيت على الصبر^(١)
 لقتل عبد الله والذلي الذي على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر
 وعبد بنو ثعلبة جعل الطير حوله وجان مصاباً جثو قبر على قبر
 فأنا تريسا لا تزال صمونا لدى والتر يسي بها آخر الدهر
 فأنا للحم السيف غير مكبرة ونلجمه طورا، وليس بذي نكر
 يفكر عليها والترين فيشتق بنا إن أحيينا أو نُسبر على وتر
 بذاك قسنا الدهر شطرين يسا فسا ينتمى إلا ونحن على شطر

قال للفصل: ثم ظهرت لنا جبهوش أبي جعفر مثل الجراد، فمثل إبراهيم عليه السلام قوله:

إن يقتلوني لا نصيب^(٢) (رامحهم) نأري وبسى القوم سعيًا جاهدًا
 نبئت أن بني جسيمة أجمت أمرًا تدبره لتقتل خالدًا
 أرى الطريق وإن رصدت بصفه وأمازل البطل الكمي الحاردا
 قلت له: من يقول هذا الشعر يا ابن رسول الله؟ قال: بقوله خالد بن جعفر
 ابن كلاب يوم شب^(٣) جبلة؟ وهذا اليوم الذي لقيت فيه قيس نهما. قال: وأقابت عساكر
 أبي جعفر، فطمن رجلا وطعته آخر، قلت له: أنبأني القتال بنفسك! وإنما العسكر
 منوط بك؟ قال: إلهك يا أخا بني ضبة، فإني لسكا قال عوف القوافي:
 ألت ساد وإلأها أحاديث نسر وأحلامها
 محببة من بني مالك تطاول في الجدر أغلامها

(١) ديوان الحلاصة - يشرح الشمرى ٢ : ٣٠٩ مع اختلاف الرواية وعدد الأبيات .
 (٢) لأمرو حلفائهم من عيس، على نعيم وحلفائهم من ديان وأسد وغيرهما. الأمان ١٠ : ٣٣ (سامي).
 (٣)

وإن لنا أصل جُرثومة تَرُدُّ الحوادثُ إياها
 ترد الكتيبة منقولة بها أفسها وبها ذامها
 والتعنّت الحرب واشتدّت ، فقال : يا مفضل ، احكى بشيء ؛ فذكرت أياها الموفى
 القوافي لما كان ذكره هو من شعره ، فأشدته :

ألا أيها الناهي فزلة تمدّا أجذت لير ، إغماأت ظالم
 أبى كل حرّ أن يبيت بوتره وتمنع منه النوم إدا أت مائم
 أقول لفتيان كرام تَرَدُّ حوا على الحرّ في أفواههم الشكائم
 قفوا وقعة من يحى لا يخرز بعدها ومن يخرم لا تنبئه اللوام
 وهل أنت إن باعدت ضحكهم نسلم فيما بعد ذلك سالم

قال : أعدّ ، وتبينت من وجهه أنه يستغل ، فسببت وقت : أو غير ذلك ؟ قال :
 لا ، بل أعد الأبيات ، فأعدتها ، تصطبى في ركائبه فطعمها ، وحل ضاب عى ؛ وأناه سهم
 عائر فنته ؛ وكان آخر عهدي به عليه السلام .

قلت : في هذا الخبر ما يحتاج إلى تفسير ؛ أما قوله ^(١) :

• إن بنا سورة من الملقى •

فالملقى : الضحّر وضيق الصدر والحدة ، يقال : احذّ فلان فتشّب في جدته وفلق .
 والسورة : الثوب ، يقال : إن لمضيه لسورة ، وإنه لسوار ، أى وثاق معربد . وسورة
 الشراب : وثوبه في الرأس ؛ وكذلك سورة السم ، وسورة السلطان : سطوته واعتدائه .
 وأما قوله : « لئلك نعمل السيوف » فمعناه أن غيركم ليس بكفء لنا لنعمل له
 السيوف وإنما نعملها لكم ، لأنكم أكماؤنا ، فمن نحاربكم على الملك والرواية ؛ وإن
 كانت أحسابنا واحدة ، وهى شريفة لا مغمز فيها .

والرفق ، بفتح الراء : الضعف ؛ ومنه قول الشاعر :

• لم تلق في عظمها وهناً ولا رفقاً •

وقوله :

• تُكحل يوم المياح بالملق •

فالملق الدم ؛ يريد أن ميونهم حُر لشدة العيظ والمض ؛ فكانها كحلت بالدم .

وقوله : « لكن بنيت على الصبر » ، أي خلقت وبنيت بنية تقتضي الصبر . والشرف لأهل : العالي ، ومنه أبو بكر بن كلاب من قبيلة هيلان ، ثم أحد بني عامر بن صعصعة . وأما قوله ^(١) :

• إن يقتلوني لا تُصَبِّ أرماعهم •

فمعناه أنهم إن قتلوني ثم حاولوا أن يصيبوا رجلاً آخر مثل يصلح أن يكون لي نظيراً ؛ وأن يحمل دمه براء لحي ، وسَمُوا في ذلك ستماً جاحداً ، فإنهم لم يحدوا ولم يقدروا عليه . وقوله : « أرمى الطريق ... » البيت ، يقول : أسلك الطريق الضيق ، ولو جعل قَلَى فيه الرصد لقتل .

والطارد : للفرد في شجاعته ؛ القى لا مثل هـ .

• • •

[غلبة معاوية على الماء بصفين ثم غلبة على عليه بمد ذلك]

فأما حديث الماء وغلب أصحاب معاوية على شريعة الفترات بصفين ، فمنه ذكره من كتاب " صفين " لنصر بن مزاحم .

قال نصر : كان ^(٢) أبو الأحور السهمي على مقدمة معاوية ، وكان قد نأوش مقدمة

على عليه السلام وعابها الأشتر النخعي مناشئة ليست بالعظيمة؛ وقد ذكرنا ذلك فيما سبق من هذا الكتاب، وانصرف أبو الأحرور عن الحرب راجعاً، فسبق إلى لاء فطلب عليه في الموضع المعروف بقناصرين^(١) إلى جانب صقين، وساق الأشتر يتيحه، فوجده غالباً على لاء؛ وكان في أربعة آلاف من مستبصري^(٢) أهل العراق، فمضوا أبا الأحور وأزالوه عن لاء، فأقبل معاوية في جميع التتليق بقضه وقضيضه، فذراهم الأشتر انحاز إلى على عليه السلام، وظل معاوية وأهل الشام على لاء، وحالوا بين أهل العراق وبينه؛ وأقبل على عليه السلام في جموعه، فطلب موضعاً لمسكره، وأمر الناس أن يضموا أعتالمهم؛ ثم أكثر من مائة ألف فارس، فلما تزلوا تسرع فوارس من فوارس على عليه السلام على حيولهم إلى جهة معاوية يتطاعسون ويرمون بالسهم، ومعاوية تذلّم بيزل، فتناوشهم أهل الشام القتال، فاقتلوا حرباً.

قال نصر: لحدثني عمر بن سعد عن سعد بن طارق، عن الأصمعي مائة: فكتب معاوية إلى على عليه السلام: عافانا الله وإياك.

ما أحسن العدل والإصاف من عمل وأفصح الطيش ثم النفس في الرجل وكتب بعده:

أزبط حمارك لا تنزع سوبقه إذا يرد وقيد السير مكروب^(٣)
ليست ترى السيد زبداً في فوسهم كما يراه بـو كوز ومرهوب
إن تسألوا الحق فسطر الحق سائله والذرع تحقبة والتيف مقروب
أو تأملون فلاناً تمشّر أنف لا تطم الضيم إن التسم مشروب^(٤)

(١) قناصرين: موضع بالشام. (القاموس).

(٢) صقين: مستبصري أهل العراق.

(٣) الأبيات لسدائقة بن عبد القبي؛ ومحل للضربات ٣٨٢؛ مع اختلاف في الرواية.

(٤) للضربات: لا تطم الضيم.

فأمر على عليه السلام أن يوزع^(١) الناس عن القتال ، حتى أخذ أهل الشام مصافهم
ثم قال : أيها الناس ، إن هذا موقف^(٢) ، من نطف^(٣) فيه نطف يوم القيامة ، ومن فلتج
فيه فلتج يوم القيامة ، ثم قال لما رأى نزول معاوية نصفين :

أقد أنا كما شراً من نايه^(٤) بهبط الناس على اعترايه^(٥)

• فليأيتنا الدهر بما أئى به •

قال نصر : وكتب على عليه السلام إلى معاوية جواب كتابه ، أما بعد :

فإن للفرس حراماً شراً إن علينا فائداً عشرين^(٦)

بأنصيف من أحقر أو ثمننا على نواحيها ميزاناً زعفراناً

• إذا وبين ساعة نمت^(٧) •

وكتب بعده .

ألم تر قومي إن دعاهم^(٨) أحرم أجابوا ، وإن ينصب على القوم يعضبوا

هم يحفظوا عبي كما كفت حافظاً لقومي أخرى مثلها إن يعيبوا

بنو الحرب لم تعد لهم أمهاتهم وآبؤهم آباء صديق فاجبوا

قال : قد تراجع الناس كل من القريظين إلى معسكرهم ، وذهب شباب من الناس

إلى أن يستقوا منهم أهل الشام .

• • •

قلت : في هذه الألفاظ ما ينبغي أن يشرح

(١) يوزع الناس : يكتفون . وي صنف : « ورزوا عن القتال حتى تأخذ أهل الصلص مصافهم » .

(٢) طلف : أتهم بريئة .

(٣) بهبط الناس : يهزم .

(٤) الاعترايه : الشديد .

(٥) الدهر : تمر ووب .

قوله : « فاقْتُلُوا هَوَيْيَا » ، بفتح الهاء ، أى قطعة من الزمان ، وذهب هَوَيْي من الليل ، أى غريق منه .

والنَفْس : كثرة الكلام والدعاوى ، وأصله من غش الصوف .
والسَّوِيَّة : كساء محشو بنُمام ومحوه ، كالبرذعة . وكَرَبَ القَيْدَ ، إذا ضيقه على القيد ، وقَيْدَ مكروب ، أى ضيق ؛ يقول : لا تنزع بردة حارك عنه وأربطه وقيدَه ، وإلا أعيد إليك وقيدَه ضيق . وهذا مثل ضربه لعلّ عليه السلام ، يأمره فيه بأن يردّ جيشه عن التسرع والمججلة في الحرب .

وزيد للذكور في الشعر ، هو زيد بن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد ابن كعب بن محالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ؛ وهم للمروءة يزيد الحليل ، وكان فارسهم . وبنو السَّيِّد من ضبة أيضا ؛ وهم بنو السَّيِّد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد ابن طابخة . . . إلى آخر النسب ، وهو السَّيِّد بنو عَمَّ زيد الفوارس ؛ لأنه من بني ذهل ابن مالك ، وهؤلاء بنو السَّيِّد بن مالك ، ويسمى حداوة النسب ؛ يقول : إن بنى السَّيِّد لا يروّن زيدا في نفوسهم كما تراه أهل الأذُنُون منه نسبًا ، وهم بنو كوز وبنو مرهوب ؛ فأما بنو كوز فإنهم بنو كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك ، وأما بنو مرهوب ، فإنهم بنو مرهوب بن صبيد بن هاجر بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك ؛ يقول : نحن لا نعظم زيدا ولا نعتد فيه من الفضيلة ما يستعده أهل وبنو عمه الأذُنُون ؛ والنلل لعلّ عليه السلام ؛ أى نحن لا نرى في عليّ ما يراه أهل العراق من تعظيمه وتبجيله .
وقوله :

• وَالذُّرُوعُ مُحَقَّبةٌ وَالسَّيِّدُ مَقْرُوبٌ •

أى والدرع بجالها في حجابها ، وهو ما يشدّ به في خلافتها ، والسيف بجاله أى في قرابه ،

وهو جَفَنهُ ؛ يقال : حَقَبْتُ الدرعَ وقربت السيف ؛ كلاهما ثلاثيان ، يقول : إن سألتهم الحق أعطينا كونه من غير حاجة إلى الحرب ؛ بل نجيبكم إليه والدروع بحالها لم تلبس ، والسيوف في أجناسها لم تشهر .

وأما إثبات النون في « تأخون » فإن الأصوب حذفها لمطف الكلمة على المجزوم قبلها ؛ ولكنه استأنف ولم يمطف ، كما قال : أو كنتم تأخون ؛ يقول : وإن أنعم وأيتهم إلا الحرب ؛ فإنما أنف مثلكم أيضا ، لا نطم الضيم ولا نقبله . ثم قال : إن السم مشروب ؛ أي أن السم قد شربه ولا نشرب الصيم ؛ أي نختر الموت على الصيم والله . ويروي :

وإن أنعم فإنما مشرأفٌ لا نطم الصيم إن الصيم مرهوب

والشر لبيد الله بن عتبة الضبي في من بنى السبيل ، ومن جلته :

وقد أروح أمان الحى بصدنى صافى الأديم كبيت اللون مَسْجُوبٌ^(١)

مُحْتَبٌ منل شاة الرّبل مُحَقَّرٌ بالقُصْرَيْنِ قلى أولاه مَسْجُوبٌ^(٢)

يَبْدُ ملجئة هادٍ له تَلَسُّعٌ كاه من جنوح العين مَشْدُوبٌ

فذلك دُخْرِي إذا ما خيلهم رَكِبَتْ إلى اللُتُوبِ أو مَقْشَاءِ سُرْحُوبٌ^(٣)

فأما قوله عليه السلام : « هذا موقفٌ من نطفٍ فيه نطفٌ يوم القيامة » ، أي من تطلع

(١) من هذه القطة أبيات ، فيها أبو عبيدة في كتاب الجبل إلى يزيد بن عمرو الحنظلي .

(٢) المخب من الخيل ؛ اللطف النظام ، وهو مدح في الجبل . والرّبل : نبت . ويحترق : يجتمع في مديده . والقصرين : صفتان يلبس اللؤلؤين . وقوله : « قلى أولاده مَسْجُوب » ، يقول : يجرى على جريه الأول لا يحول عنه ؛ كنا فسرر صاحب القبان (٧ : ٣٠٣) .

(٣) لفاء من الجبل ؛ الواسعة الأركان . والسرحوب : اسويجة على وجه الأرض ؛ ورواية البيت في كتاب الخيل .

فذلك عندى إذا ما خيلهم رَكِبَتْ إلى اللُتُوبِ أو مَقْشَاءِ سُرْحُوبٌ

فيه بيب من فرار أو نكول عن المدوّ . يقال : نَطَفَ فلان بالكسر ؛ إذا تدلس بيب . ونَطَفَ أيضا إذا صد ؛ يقول : مَنْ فُتِدَتْ حاله اليوم في هذا الجهاد فُتِدَتْ حاله خدا عند الله .

قوله : « مَنْ قَلَجَ فيه » بفتح اللام ، أى مَنْ ظَهَرَ وفاز ، وكذلك يكون خدا عند الله ، يقال ؛ قَلَجَ زيدٌ على خصمه ، بالفتح ، يَنْلُجُ ، بضم اللام ؛ أى ظَهَرَ حُجَّتَهُ عليه ، وفي المثل : مَنْ يَأْتِ الْحَكَمَ وَحْدَهُ بَخْلُجٍ .

قوله : « يَهْطُ الناس » ؛ أى يَهْجُرهم ويخطبهم ، وأصله الأخذ بنير تقدير . وقوله : « على اعتزاه » أى على بعده من الإمارة والولاية على الناس . والعُرَامُ ، بالضم : الشراصة والمَوَجَّ . والمنزَر : الشذبه القوي .

وأحمر : ظلم الناس حتى ألجأهم إلى أن دخلوا حجرهم أو بيوتهم . وتَنَمَّرَ ، أى تنكر حتى صار كالنمر ؛ يقول : هذا القائد الشذبه القوي ينصف مَنْ يظلم الناس وينسكّر لهم ، أى ينصف منه ، فحذف حرف الجر كقوله : (وَاسْتَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ) ، أى من قومه . والمِرْجَجْ ، بكسر الهمزة : السريع النفوذ ، وأصله الرمح القصير ، كالمرزاق .

ودجل زجير ، أى مانع حوزته ، والهم زائدة . ومن رواها « زَغَرَا » بالفتح ، عَنَى به للارتفاع العالي الشأن ، وجعل الهم زائدة أيضا ، من زَحَرَ الوادى ، أى علا وارتفع . وَغَشَمَرَ السيل : أقبل ، والعشيرة : إناث الأمر بنير تثبيت ، يقول : إذا أَبْطَأَنَّ سَاقَهُنَّ سَوَقًا عَنِيًّا .

والأبيات البائية لريمة بن مقروم الطائي .



قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ، عن يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن

الأحر ، قال : لما ^(١) قدمنا على معاوية وأهل الشام بصيْفين ، وجدناهم قد نَزَلُوا منزِلًا اختاروه مستويًا بساطًا واسعًا ، وأخذوا الشَّريفة فهي في أيديهم ؛ وقد صفت عليها أبو الأحرور الخليل والرجلة ، وقدم الرامية ومعهم أصحاب الرماح والدرق ، وعلى رؤوسهم البيض ، وقد أجمعوا أن يمتنعوا للماء ، ففرغنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرناه بذلك ، فدعا صَمْعَةَ بْنَ ضُوحَانَ قَال : أنت معاوية وقل له : إنا سِرْنَا إليك مسيرَنَا هذا وأنا سِرُّةُ قتالك ^(٢) قبل الإغذار إليكم ، وإنك قد مت خيلك ، فقاتلنا قبل أن نقاتلك ، وبدأنا بالحرب ؛ ونحن نرى رأيتا الكفَّ حتى ندعوك وندعج عليك ؛ وهذه أخرى قد فعلتموها ، قد حُتِّمَ بين الناس وبين الماء ؛ نَحَلَّ بينهم وبينه حتى ننظر فيها بيننا وبينكم ؛ وفيما قدمنا له وقدم له ؛ وإن كان أحبَّ إليك ، أن ندع ماجئنا له ، وندع الناس يقتتلون حتى يكونَ الغالب هو الشارب ، فقتلنا .

فلما مضى صمعة برسالة إلى معاوية ، قال معاوية لأصحابه : ما رَوْن ؟ فقال الوليد ابن عتبة : امنعهم الماء كما صنعوه ابن عفان ، حَصَرُوهُ أربعين يوما بمنعونه بَرْدَ الماء ولين الطعام ، اتحلهم عطشًا ، قتلهم الله !

وقال عمرو بن العاص : خَلَّ بين القوم وبين الماء ؛ فإنهم ان يمشوا وأنت رَيَّان ، ولكن أمير الماء فانظر فيما بينك وبينهم .
فأعاد الوليد مقالته .

وقال عبد الله بن سعيد بن أبي سرح - وكان أخا عثمان من الرضاة - : امنعهم الماء إلى الليل ؛ فإنهم إن لم يمشوا عليه رجسوا ، وكان رجوعهم هزيمتهم ، امنعهم الماء ، امنعهم

(١) كتاب سبلو للفرى ١٢٩ ، ١٨٠ .

(٢) صغين : : وأنا أكره قتالك .

الله يوم القيامة فقال مصصة بن صوحان : إنما يمنه الله يوم القيامة الفجرة السكرة ، شرية انكسر ؛ ضربك وضرب^(١) هذا الفاسق - بسى الوليد بن عتبة .

فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهذونه ، فقال معاوية : كففوا عن الرجل ؛ فإنما هو رسول . قال عبد الله بن عوف بن أحمر : إن مصصة لنا رجع إلينا حدثنا بما قال معاوية ، وما كان منه ومارده عليه ؛ قلنا : وما الذي رده عليك معاوية ؟ قال : لما أردت الانصراف من عنده ، قلت : ما ترد علي ؟ قال : سيأتيكم رأيي ، قال : فوالله ما راينا إلا نسيبة الرجال والعصفوف والغيل ؛ فأرسل إلى أبي الأور : امنهم الماء ؛ فازدقنا والله إليهم ، فارتعنا واطمأنا بالرماح ، واضطربنا بالسيف ، فطال ذلك يننا وبينهم حتى صار الماء في أيدينا ؛ قلنا : لا والله لا سقيهم . فأرسل إلينا علي عليه السلام أن حنوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا إلى معسكركم ، وخلوا بينهم وبين الماء ، فبين الله قد نصركم عليهم عظمتهم وسيمهم .



وروى نصر بن محمد بن عبد الله ، قال : قام^(٢) ذلك اليوم رجل من أهل الشام من السكون ، يعرف بالشليل^(٣) من عمر إلى معاوية ، قال :

استمع اليوم ما يقول الشليل
استمع الماء من صاحب علي
واقفل القوم مثل ما قتل الشم
بخمدي فاقصص أمر جيل^(٤)
إننا والذي نأق له البؤ
ن هدايا كأنهن القيول^(٥)
[لو علي وصحبه وردوا لنا
لما ذقموه حتى تقولوا]^(٦)

(١) ضربك ، أي منك .

(٢) صفين ١٨٩ (٣) صعب : « الشليل » .

(٤) صفين : « ظا والقصص أمر جيل » .

(٥) صفين : « هدايا لنعرا تأجيل » .

(٦) مكمل من صفين .

قَدْ رَضِينَا بِأَمْرِكُمْ وَعَلَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ الرِّضَا جِلَادٌ ثَقِيلٌ

فَاتَمَّعَ الْقَوْمَ مَاءَكُمْ، لَيْسَ يَقْضَى بِهِ بَقَاءٌ وَإِنْ يَكُنْ قَلِيلٌ

فَقَالَ معاوية: أَمَا أَنْتَ فَخَيْرِي مَا تَقُولُ - وَهُوَ الرَّأْيُ - وَلَكِنْ عَمْرَأُ لَا يَدْرِي. فَقَالَ

عَمْرُو: خَلُّ يَنْفَعُ بَيْنَ لَدَاءٍ! فَإِنْ عَلِمَا لَمْ يَكُنْ لِيْضًا وَأَنْتَ رَبَّانٍ، وَفِي يَدِهِ أَعْنَةُ الْخَلِيلِ،

وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْفِرَاتِ حَتَّى يَشْرَبَ أَوْ يَمُوتَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الشَّجَاعَ لِلطَّرْقِ [وَمَعَ أَهْلِ

الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ] (١)، وَقَدْ سَمِعْتُهُ أَنَا مَرَارًا وَهُوَ يَقُولُ: لَوْ اسْتَكْنْتُ مِنْ أَرَبَيْنِ

رَجُلًا (٢) يَبْنِي فِي الْأَثَرِ الْأَوَّلِ (٣)!



وَرَوَى نَصْرٌ، قَالَ: (٤) لَمَّا غَلَبَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى الْفِرَاتِ، فَرَحُوا بِالْمَلِكَةِ، وَقَالَ

معاوية: يَا أَهْلَ الشَّامِ! هَذَا وَاللَّهِ أَوَّلُ الظُّفْرِ، لَا سَقَاتَى اللَّهِ وَلَا أَبَا سَفْيَانَ إِنْ شَرِبُوا مِنْهُ

أَبَدًا حَتَّى يُقْتَلُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَيْهِ؛ وَتَبَاثُرَ أَهْلُ الشَّامِ، فَنَظَّمُوا إِلَى معاوية رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ

الشَّامِ حَمْدَانِي، نَائِلِيكَ بِقَاتِهِ وَيَكْثُرُ الْعِبَادَةُ، جَرَفَ بِمَعْرِي بْنِ أَفْهَلٍ، وَكَانَ صَدِيقَ الْعَمْرُو

ابْنِ الْعَاصِ وَأَخَاهُ، فَقَالَ: يَا معاوية، سَبَّحَانَ اللَّهِ! الْأَنْسَبَةُ تَمُّ الْقَوْمَ إِلَى الْعِرَاقِ فَتَلْبِثُ قَوْمٌ

عَلَيْهِ، تَحْمِلُونَهُمْ الْمَاءَ! أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ سَبَقُوكُمْ إِلَيْهِ لَسَبَقُوكُمْ مِنْهُ. أَلَيْسَ أَكْثَرُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَ الْقَوْمِ

أَنْ تَحْمِلَهُمُ الْفِرَاتُ فَيَنْزِلُوا عَلَى فُرْصَةٍ أُخْرَى وَيَحْزُوكُمْ بِمَا صَنَعْتُمْ! أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ فِيهِمْ

الْعَبْدَ وَالْأُمَةَ وَالْأَجِيرَ وَالضَّعِيفَ، وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ. هَذَا وَاللَّهِ أَوَّلُ الْجُورِ! قَدْ شَجِمْتَ

الْجَبَانَ، وَتَصَرَّيْتَ لِلرَّتَابِ، وَتَحَلَّيْتَ مِنْ لَا يَرِيدُ قَدْرَكَ عَلَى كَيْفَتَيْكَ. فَأَغْلَظَ لَهُ معاوية،

وَقَالَ لِعَمْرُو: أَكْفَيْتَنِي صَدِيقَكَ. فَأَنَاهُ عَمْرُو فَأَغْلَظَ لَهُ، فَقَالَ الْحَمْدَانِي فِي ذَلِكَ شِعْرًا:

لِعَمْرُو أَبِي معاويةَ بْنِ حَرْبٍ وَتَحْسِرُوهُ مَا لَدَاهُمَا دَوَاهُ

(١) تسككة من صعب.

(٢-٣) في صعب: «فذكر أمراً؟ يعني لو أن مني أرحب رجلاً يوم فتنش البيت - يعني بيت طلحة»

(٣) صعب ١٨٢.

سوى طعن بمارءى النفل فيه وضرب حين تختلط الدماء
ولست بتابع دين ابن هند طوال الدهر ما أرتسى حرا
لقد ذهب العتاب فلا عتاب وقد ذهب الولاء فلا ولاء
وقول في حوادث كل خطب^(١) : على عمرو وصاحبه الفناء
ألا لله درك لابن هند لقد برح الخفساء فلا خفاء^(٢)
أنعمون القرات على رجال وفي أيديهم الأسل^(٣) الظماء
وفي الأغصان أشياف حداد كأن القوم عودهم نساء
أترجو أن يحاوركم على بلا ماء وللأحزاب ماء
دعاه دموع فأنجاب قوم كجرب الإبل خالطها المناء
قال : ثم سار المحدث في سواد الليل حتى لحق بعمى عليه السلام .



قال : ^(٤) ومكث أصحاب على عليه السلام في غير ماء وانغم على عليه السلام بما فيه
أهل العراق :

قال نصر : وحدثننا محمد بن عبد الله ، عن الجرجاني ، قال : لما انغم على بما فيه أهل
العراق من العطش ، خرج ليل ليل رايت مذحج ، فإذا رجل ينشد شعرا :
أيمتها القوم ماء القرات وفيها الرماح وفيها الخجف^(٥)
وفيها الشواذب مثل الوشيج وفيها السيوف وفيها الرخف^(٥)

(١) صقن : كل أمر .

(٢) برح المعاء بكسر الراء وفتحها ، أي طهر ما كان حائبا .

(٣) صقن ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٤) الخجف : جمع خيفة ؛ وهي الترس من جلود الإبل يطرق بعضها في بعض .

(٥) الشواذب : القليل الضامرة ؛ والوشيج : شجر الرماح ؛ ويريد به ما الرماح ؛ ههنا
الليل في ضمها ، والرخف : المدحرج الراسية .

وَنَهَىٰ عَلَىٰ لَهُ سَوْرَةٌ إِذَا خَوْفُهُ الرَّدَىٰ لَمْ يَخَفْ
وَعَنْ الْقَيْنِ غَدَاةَ الزَّيْرِ وَطَائِعَةَ خُضَا غِمَارَ الْغُلْفِ^(١)
فَمَا بَالُنَا أَسْرَ أَسَدَ الْعَرِينِ وَمَا بَالُنَا الْيَوْمَ شَاءَ النَّجَفِ^(٢)
فَمَا لِمِرَاقِي وَمَا لِحِجَارِ سِوَى الشَّامِ خُصَمَ فَصَكُوا الْهَدَفِ^(٣)
وَتَوَرَّوْا عَلَيْهِمْ كَبْزَلِ الْجَلِ دَوَيْنَ الدَّيْلِ وَفَوْقَ الْقَطَفِ^(٤)
فَلَمَّا تَفَوَّزُوا بِمَاءِ الْفَرَاتِ وَمِنَّا وَمِنْهُمْ عَلَيْهِ جَيْفُ
وَلَمَّا تَمَوَّنَا عَلَى طَائِعَةِ نُحْلِ الْجَنَابِ وَتَحْبُو الشَّرَفِ
وَالَا فَأَنْتُمْ حَيْدُ الْقَصَا وَعَبْدُ الْقَصَا مُسْتَذَلُّ تَلَفِ^(٥)

قال : غررك ذلك علياً عليه السلام ، ثم مضى إلى رايات كندة ، فإذا إنسانٌ مُنشد

إلى جانب منزل الأشعث ، وهو يقول :

لَيْنَ لَمْ يَحْلِ الْأَشْعَثُ الْيَوْمَ كَرْبَةً مِنْ الْوَيْ فِيهَا لِنْفُوسٍ نَعَتْ^(٦)
فَنَشْرَبُ مِنْ مَاءِ الْفَرَاتِ بِسَيْفِهِ قَهْبَةً أَنَا قُلْتُ ذَلِكَ فَمَوَّنُوا^(٧)
فَلَمَّا نَأْتِ لَمْ يَجْمَعْ لَدُنَا الْيَوْمَ أَمْرًا وَتَنْفُزُ الْيَوْمَ فِيهَا حَلِيكَ لِلذَّلَّةِ^(٨)

(١) يشبه إلى وفاة الحبل ، والشار : جمع غرة ، وهي الشدة .

(٢) العرين : مأوى الأسد ، والغداة : جمع شدة ، والنحف : الخلب البعيد حتى ينسى الضرع ، وعلال : ائحطت انتم ؛ إذا استخرجت أقصى ما في الضرع من لبن ، والبيت من شواهد الكالية ؛ أي أن عاصد العرين ، و « شاء الحب » : حال ؛ إما على تقدير مثل ؛ ولما على تقدير ما يوصف . وانظر خزانة الأدب للبندقي ١ : ٢٨٠ ، وللسودي ٢ : ٣٨٥ .

(٣) صكوا : أسروا ، ول صنفين : « سوى اليوم يوم » .

(٤) القليل والقطف : ضربان من السم . والزال : البعير القوي انشغل ناله بفعله في التاسة ، وحب بزل . ول صنفين : « قدبروا إليهم » .

(٥) حيد النساء : أي أدلاء . والتلف : التلب .

(٦) في للسودي ٢ : ٣٨٥ : قلت .

(٧) صنفين وللسودي : « كانوا فموتوا » .

(٨) صنفين : « وتلقى التي فيها عليك التلفت » .

فَمَنْ ذَا الَّذِي تُنْفِي الْخَنَازِيرَ بِأَمْرِهِ سِوَاكَ؟ وَمَنْ هَذَا إِلَيْهِ التَّلَفُّتُ
وَهَلْ مِنْ بَقَاءِ بَسَدِ يَوْمٍ وَكَيْلٍ نَطْلُ خُفُونًا وَالْعَدُوُّ يُصَوِّتُ^(١)
هَلُّوْا إِلَى مَاءِ الْفُرَاتِ وَدُونَهُ مُدَوِّرُ الْعَوَالِ وَالصَّغِيحُ لِلشَّتِّ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ مِنْ عَصَبَةِ يَمِينَةٍ وَكَتْ أَمْرِي مِنْ سِنْخِيهِ حِينَ يَنْبُتُ^(٢)
قال : فلما سمع الأشعث قولَ الرجل ، قام فأتى عليا عليه السلام ، فقال :
وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْمَنَّا الْقَوْمَ مَاءَ الْفُرَاتِ ، وَأَنْتَ فِينَا ، وَالسَّيْفُ فِي أَيْدِينَا أَخْلُ هَذَا
وَمَنْ الْقَوْمَ ، فَوَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى رِدِّهِ أَوْ نَمُوتَ ؛ وَثَمَرُ الْأَشْثَرِ فَلَيْمَلُ بِخَيْلِهِ ، وَيَقِفَ حَيْثُ
تَأْمُرُهُ . فقال علي عليه السلام : ذَلِكَ إِلَيْكُمْ .

فَرَمَعَ الْأَشْثَرُ فَنَادَى فِي النَّاسِ : مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْمَاءَ أَوْ اللَّوْثَ فَيُعَادِهِ مَوْضِعَ كَذَا؟
فَأَتَى مَعْصَرٌ . فَأَنَاءَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ كَيْدَتِهِمْ أَهْلَاءَ قَحْطَانٍ ، وَأَضَى سِيوفَهُمْ عَلَى مَوَاقِعِهِمْ ،
فَشَدَّ عَلَيْهِ سِلَاحَهُ^(٣) وَنَهَضَ بِهِمْ ؛ حَتَّى كَادَ يَخَالِطُ أَهْلَ الشَّامِ ، وَجَمَلُ يُنَاقِ رَحْمَهُ ،
وَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : يَا أَبِي وَأُمِّي أَنْتُمْ أَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِمْ قَابَ رُمْحِي^(٤) هَذَا ؛ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَابَّةً ؛
حَتَّى خَالَطَ الْقَوْمَ ، وَحَسَرَ عَنْ رَأْسِهِ ، وَنَادَى : أَمَا الْأَشْثَرُ بْنُ قَيْسٍ أَخْلَوْا عَنِ الْمَاءِ .
فَنَادَى أَبُو الْأَعْمُورِ : أَمَا [وَاللَّهِ] ^(٥) حَتَّى لَا نَأْخُذَ وَإِلَّا كَمِ السَّيْفِ . فقال الأشعث :

(١) صبح : « عطاشا والعدو يصوت » .

(٢) السح : الأصل ، ول صبح : « من صبه » .

(٣) صبح : وشده عليه سلاحه ، وهو يقول :

مِمَّادُنَا الْيَوْمَ بِيَأْضُ الْعُصْبِ هَلْ يَصْلُحُ الرَّادُّ بِغَيْرِ مَلْعٍ
لَا ، وَلَا أَمْرٌ بِغَيْرِ نَصَحٍ دَبُّوا إِلَى الْقَوْمِ بَطْمَنٍ تَصْعِ
مِثْلَ الْعَزَالِ بَطْمَانِ نَفْعٍ لَا صُلْحَ لِقَوْمٍ ، وَأَيْنَ صُلْحِهِ
• حَسْبِي مِنَ الْإِنْعَامِ قَابُ رُمْحٍ •

(٤) قَاب رُمح : قدر رمح .

(٥) من صبح .

قد والله أظنّها دَنَتْ مِنّا ومنكم . وكان الأشر قد نالَ بِخَيْلِهِ حيث أمره عليّ ، فبعث إليه الأشعث : أَتَيْتُكَ خَلِيلٌ ؛ فَاقْصِمْهَا حَتَّى وَضَعْتَ سِنًا بِكُفَّهَا فِي الْقُرَات ، وَأَخَذْتَ أَهْلَ الشَّامِ السُّيُوفَ ، فَوَلُّوا مَدَجْرِينَ .

• • •

قال نصر : ^(١) وحدثنا عمرو بن شعير ، عن جابر ، عن أبي جعفر وزيد بن الحسن ، قال : فنادى الأشعث عمرو بن العاص ، قال : ويحك يا ابن العاص ! خَلَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ ، فَوَاللَّهِ لَنْ لَمْ تَقْعَلْ لِنَأْخُذْكَ وَإِيَّاكُمْ السُّيُوفَ ؛ فَقَالَ عَمْرُو : وَاللَّهِ لَا أَعْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَأْخُذَنَا السُّيُوفَ وَإِيَّاكُمْ ، فَيَعْلَمَ رَبُّنَا : أَيُّنَا أَصْبَرُ الْيَوْمَ . فَتَرَجَّلَ الْأَشْعَثُ وَالْأَشْرُ ، وَذَوُّوا الْبَصَائِرَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَتَرَجَّلَ مَعَهُمَا اثْنَا عَشَرَ أَتَيْنَا ، فَعَدُّوا عَلَى عَمْرُو وَأَبِي الْأَحْوَرِ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَرَادُوا مِنَ الْمَاءِ حَتَّى غَسَتْ خَيْلُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سِنًا بِكُفَّهَا فِي الْمَاءِ .

قال نصر : فروى حماد بن عمار عن عليّ عليه السلام قال ذلك اليوم : هذا يوم نصرت فيه بالحيلة ^(٢) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمرو بن شعير ، عن جابر ، قال : سمعت تميمًا التاجي يقول : سمعت الأشعث يقول : حسال عمرو بن العاص بيننا وبين القُرَات ، قُتِلَتْ لَهُ ؛ وَيَحْكُ بِأَمْرِهِ ؛ أَمَا وَاللَّهِ إِنِ كُنْتُ لَأُظَنُّ لَكَ رَأْبًا ؛ فِإِذَا أَنْتَ لَأَخْلُ لَكَ . أَتُرَانَا نَخْلُكَ وَلِلَّهِ تَرَبَّيْتُ بِذَلِكَ ^(٣) ؛ أَمَا عَلِمْتَ أَنَا مَعْرُوبٌ أُنْكَفْتُكَ أَمْلُكَ وَهَيْلَتِكَ ؛ الْقَدْرُ مَتَّ أَمْرًا حَقْلِيًا . فَقَالَ لِي عَمْرُو : أَمَا وَاللَّهِ لَتَمْلِكَنَّ لِيَوْمَ أَنَا سَتْنِي بِالْمَدَدِ ، وَتُحْكِمُ الْمَقْدَ ، وَتَلْقَاكُمْ

(٢) ص ١٨٧

(٤) ص ١٨٧ : « يدك ولك »

(١) ص ١٨٧

(٣) ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

بصبر وجِدَّة . فنادى به الأشتر : يا ابنَ العاص ! أما والله لقد نزلنا هذه القرُضة ، وإننا ليريد القتال على البصائر والدين ، وما نقتلنا سائر اليوم إلا حمية .

ثم كبر الأشتر وكبرنا معه وحملنا ، فما ثار النُّبار حتى انهزم أهل الشام .
قالوا : فلَقِيَ عمرو بن العاص بعد انقضاء صَفَيْنَ الأشعث ، فقال له : يا أخا كِنْدَةَ ، أما والله لقد أبصرت صواب قولك يومَ لُلاء ، ولكن كنت مفهوراً على ذلك الرأي ، فكايرتك بالهذد والوعيد ، والحرب خُدْعَةٌ .

قال نصر : ولقد كان من رأى عمرو التَّخْلِيَةَ بين أهل العراق والماء . ورجع معاوية بأخْرة إلى قوله بعد اختلاط القوم في الحرب ؛ فمن عُمرًا - فيا رويًا - أرسل إلى معاوية : أنْ خَلْ بين القوم وبين الماء ، أرى القوم يموتون عطشاً وهم ينظرون إلى الماء ! فأرسل معاوية إلى يزيد بن أسد القسري : أنْ خَلْ بين القوم وبين الماء يا أبا عبد الله ، فقال يزيد - وكان شديدَ العناية - : كَلَّا والله لنقتلهم عطشاً كما قتلوا أمير المؤمنين .

• • •

قال : فحدثنا عمرو بن شمر ، عن جابر ، قال : خطب على عليه السلام يومَ لُلاء فقال : « أما بعد ؛ فإنَّ القوم قد بدَّوكم بالعظم ، وفانحوكم بالبنى ، واستقبلوكم بالمدوات ، وقد استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء ، فانفروا على مذلة وتأخير مهلة » ،
الفصل إلى آخره .

قال نصر : وكان ^(١) قد بلغ أهلَ الشام أن عيًّا عليه السلام جعل للناس إن فتح الشام أن يَقسِمَ بينهم الثبر والذهب - وما الأحرار - وأن يعطى كلَّ منهم خمسمائة كما أعطاهم بالبصرة ، فنادى ذلك اليوم منادى أهل الشام : يا أهل العراق ؛ لماذا نزلتم بمَجَاج

من الأرض نحن أزدُ شُئوة لا أزدُ عمان ، يا أهل العراق :
لا تخس إلا جندل الآخرين^(١) واخسُ قد تجشمك الأمرين^(٢)

• • •

قال نصر : حدثني عمرو بن شمر ، عن إسماعيل السدي ، عن بكر بن تفلج ، قال :
حدثني^(٣) من سمع الأشعث يوم الفرات - وقد كان له غناء عظيم من أهل العراق ، وقتل
رجالاً من أهل الشام بيده ، وهو يقول : والله إن كنتُ لَكَارِها قتل أهل الصلاة ،
ولكن مني من هو أقدمُ مني في الإسلام ، وأعلم بالكتاب والسنة ، فهو الذي
يُسَخِّي بنفسه .

• • •

(١) لاخس ، أراد لا حسانة والمحمل . الحسارة والآخرين : جمع حرة ، وهي المجارة السوداء .
(٢) الأمرين : العصر والأمس الطيم ، وفي القبان (ص ٢٩٧) بعد شرح كلمة « الآخرين » :
أنشد تفلج لزيد بن عاصبة النخعي ، وكان زيد المذكور لا عظم اللاه يصفين قد اتهم ولحق بالكوفة ،
وكان على رضى الله عنه قد أعطى أصحابه يوم الحول حسنة من بيت مال البصرة ، فلما قدم زيد
على أهل مكة له ابنة : أين عسى لثامه ؟ فقال :

إني أبكُ فربَّ يوم صيفين لما رأي عكاً والأشعريين
وقيس حيلان الموازيتين وابن نعيم في سراء الكنديين
وذا الكلاع سيد البانين وحاباً يستن في الطلائين
قال لنفس السوء : هل تفرين؟ لاخس إلا جندل الآخرين
والخس قد جشمك الأمرين تجزأ إلى الكوفة من قسرين

ويروي : « قد تجشمك » ، و « قد يجشمك » . وقال ابن سيده : « لاخس » ماوردي حديث
صيفين أن سلوبة زاد أصحابه يوم صيفين حسنة ، فلما انقلبوا بعد ذلك قال أصحاب على رضى الله عنه :

• لاخس إلا جندل الآخرين •

أرادوا : لا حسنة .

(٣) صيفين ١٩١ - ١٩٢

قال نصر: وحمل^(١) علبان بن مخرمة النخعي على أهل الشام، وهو يقول:
 حَلَّ لَكَ يَا عَلْبَانُ مِنْ بَقَاءِ فِي سَاكِنِي الْأَرْضِ بِشَيْرِ مَاءِ
 لَا وَاللَّهِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ فَاضْرِبْ وَجْوهَ الثُّدْرِ الْأَعْدَاءِ
 بِالسَّيْفِ عِنْدَ حَسِّ الْحِجَابِ^(٢) حَتَّى يَجِئُوكَ إِلَى السَّوَاءِ
 قال: فَضَرَبَهُمُ اللَّهُ حَتَّى خَلَّوْا لَهُ الْمَاءَ.

• • •

قال نصر: ودعا^(٣) الأشتر بالهارث بن همام النخعي، ثم الصهباني، فأعطاه لواءه،
 وقال له: يا هارث، لولا أني أعلم أنك تصير مدد للوث لأخذت لوائك منك، ولم أحبك
 بكرامتي، فقال: والله يا مالك لأسرتك أو لأموثي، فاني عنى. ثم تقدم باللقواء
 ولربحز، فقال:

يَا أَخَا الْغُرَبَاءِ يَا خَيْرَ النَّخَعِ وَصَاحِبَ النَّصْرِ إِذَا عَمَّ الْقَرْعُ
 وَكَاشَفَ الْمُطْبِ إِذَا الْأَمْرُ وَقَعَ مَا أَفْتَى فِي الْحَرْبِ الْقَوَانِ بِالْجَدْعِ^(٤)
 قَدْ جَزَعَ الْقَوْمُ وَعَمُوا بِالْجَزَعِ وَجُرُّوا إِلَى الْبِطِّ وَعَصُوا بِالْجُرْعِ
 إِنْ تَسْقَا لِمَاءَ فَلَيْسَ بِالْبِدْعِ أَرْنَعُشَ الْيَوْمَ فَنَجِدُ مُقْتَلَعِ
 • مَا شِئْتَ خَذْ مِنْهَا وَمَا شِئْتَ عَدَّ •

فقال الأشتر: اذْنُ مَنِيَّ بِهَارِثٍ؛ فَدَنَا مِنْهُ قَبْلَ رَأْسِهِ، فَقَالَ: لَا يَنْبَغُ رَأْسُهُ الْيَوْمَ
 إِلَّا خَيْرٌ؛ ثُمَّ صَاحَ الْأَشْترُ فِي أَصْحَابِهِ: فَدَنَسْكُمْ نَفْسِي أَشَدَّ وَأَشَدَّ الْمَرْجِ الرَّابِضِ الْفَرَجِ،
 فَإِذَا نَالَتْكُمْ الرِّمَاحُ فَاقْتُلُوا فِيهَا، فَإِذَا عَضَتْكُمْ السِّبُوفُ فَلْيَعَضَّ الرَّجُلُ عَلَى نَوَاجِذِهِ،
 فَإِنَّهُ أَشَدُّ لَشُونٍ^(٥) الرَّأْسِ؛ ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا الْقَوْمَ سَهَامِيكُمْ.

(١) ص ١٩٢.

(٢) المجلس: الفتاة في القتال، وفي صغي: حس الرعاء.

(٣) ص ١٩٣، وللجوسي ٢: ٣٨٦.

(٤) الحرب النوان: التي قوتل فيها مرة بعد مرة؛ كأنهم حلوا الأول بكرا. والجذع: الصنم السن.

(٥) الشئون هنا: جمع شأن؛ وهو موصل قبائل الرأس.

قال : وكان الأشتر يومئذ على فرس له مخذوف^(١) آدم ، كأنه حلق الغراب ، وقتل
بيده من أهل الشام من فرسانهم وصناديدهم سبعة : صالح بن فيروز العنكي ، ومالك بن آدم
السفاني ، ورباح بن عتيك النساني ، والأجلح بن منصور الكندي . وكان فارس
أهل الشام - وإبراهيم بن وضاح الجعفي ، وزامل بن حيد المزني ، وعمد
ابن روضة الجعفي .

قال نصر : فأول قتيل قتله الأشتر بيده ذلك اليوم صالح بن فيروز ، ارتجز على الأشتر
وقال له :

يا صاحب الطرف الحصان الأدهم أقدم إذا شئت علينا أقدم

أنا ابن ذى القرن وذى التكرم سيدك كل كل حكي فاعلم

قال : وكان صالح مشهوراً بالشدة والبأس ، فارتجز عليه الأشتر ، فقال له :

أنا ابن خير مديح مركب وخيرها نفاً وأما وأبا

آليت لأرجح حتى أضرباً بسيفي للصنول ضرباً منجها

ثم شدت عليه فقتله ، فخرج إليه مالك بن آدم السفاني - وهو من مشهورهم أيضاً ،
فقتل على الأشتر بالرمح ، فلما رآه^(٢) اتى الأشتر على فرسه ومار السنان^(٣) فأخطأه ،
ثم استوى على فرسه ، وشدت على الشامي فقتله طعنًا بالرمح ، ثم قتل بيده رباح بن
عقيل^(٤) وإبراهيم بن وضاح ، ثم برز إليه زامل بن عقيل حوكان فارساً فطعن الأشتر في
موضع الجوشن^(٥) فصرعه عن فرسه ، ولم يصب مقتلاً ، وشدت عليه الأشتر بالسيف واجلاً
فكشفت قوائمه فرسه ، وارتجز عليه فقال :

(١) المخذوف : للطنوخ القاب .

(٢) رآه : فحبه .

(٣) مار السنان : اضطربه .

(٤) سفين : رباح بن عتيك .

(٥) الجوشن : الصدر .

لَا يَذُّ مِنْ هَلِيٍّ أَوْ مِنْ قَتْلِكَ ۖ قَتَلْتُ مِنْكُمْ أَرْبَعًا مِنْ قَهْلِكَ^(١)
• كُلُّهُمْ كَانُوا حِدَةً يَشْكَا •

ثم ضربه بالسيف وما راجلان قتله ، ثم خرج إليه محمد بن روضة ، فقال ، وهو يضرب في أهل العراق ضرباً منكراً :

يَا سَأَى كَيْيَ السُّكُوفَةِ بِالْأَهْلِ الْعَنَى ۖ يَابَاطِلُ عُثْمَانَ ذَلِكَ لِلْوَائِمِنِ
أَوْرَثَ قَلْبِي قَتْلَهُ طُؤْلَ الْحَزَنِ ۖ أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرَى أَمَا حَسَنًا
فَشَدَّ عَلَيْهِ الْأَشْتَرُ قَتْلَهُ ، وقال :

لَا يَجِدُ اللَّهُ سِوَى عُمَانَ ۖ وَأَنْزَلَ اللَّهُ بِسُكْمٍ هَوَانًا
• وَلَا يُسَلِّ هَنْكُمُ الْأَخْرَافَا^(٢) •

ثم برز إليه الأجلح بن منصور الكندي ، وكان من شجعان العرب وفرسانها - وهو على فرس له اسمه لاحق ، فلما استقبله الأشتر ، كره لقاءه واستعيا أن يرجع عنه ، ففصارها بسيفيهما ، فسبقه الأشتر بالضربة قتله ، فقالت أخته نزيهة :

أَلَا فَا بَيْكِي أَخَا قَتْلِهِ ۖ قَتَلَ وَاللَّهِ أَبِي كَيْبَا
قَتَلَ الْمَاجِدَ الْقَتْعَا ۖ م لَا يَنْتَلِ لَهُ فَيْبَا^(٣)
أَنَا الْيَوْمَ مَقْتَلُهُ ۖ قَدْ جُرْتُ نَوَاصِيهَا
كَرِيمٌ مَا جِدُّ الْجِدَّةِ ۖ نَ يَشِي مِنْ أَمَانِيهَا
شَفَانَا اللَّهُ مِنْ أَهْلِهَا ۖ مَرَاتِي قَدْ أَبْدُونَا
أَمَا يَخْشُونَ رَبَّهُمْ ۖ وَلَمْ يَرْعُوا لَهُ دِينَا

(١) صهيبي : « قتل عمة »

(٢) بنية الرجز كالصبي :

محالفٌ قَدْ خَالَفَ الرَّمَحَانَا ۖ لَصَرْتُمُوهُ عَابِدًا شَيْطَانَا

(٣) القمام : السيد الكبير الطاء .

قال : وبلغ شعرها عليه السلام ، فقال : أما إنهن ليس بملكن مارأيتن من الجزع ، أما إنهن قد أضروا بنسائهم ، فذكرهن أياي حزانى ^(١) بانسات . قاتل الله معاوية ! اللهم تحله آتائهم وأوزارها وأغلاها مع أقداله ! اللهم لا تمف عنه !



قال نصر : وحدثنا ^(٢) عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن الحارث بن آدم ، وعن مصصة ، قال : أقبل الأشر يوم لاء ، فصر بيسفه جمهور أهل الشام حتى كشفهم عن اللاء ، وهو يقول :

لَا تَذْكُرُوا مَا قَدْ مَضَى وَفَاتَا وَافَقَ رَبِّي الْيَامِثِ الْأُمُوتَا
مِنْ بَدَدٍ مَا صَارُوا كَذًا رُفَاتَا لَا وَرِدَنَ سَقِيَّ الْقُرَاتَا

• شَفَّ السَّوَامِي لَمْ يَقَالَ مَا نَا •

قال : وكان لواء الأشعث بن قيس مع معاوية بن الحارث ، فقال له الأشعث : هأناوك ! ليست للفتح خير من كندة ، وقدم لواءك فإن الخط لمن سبق . فقدم لواء الأشعث ، وحملت الرجال بعضها على بعض ، وحل في ذلك اليوم أبو الأعور السلي ؛ وحمل الأشر عليه ، فلم ينتصف أحدهما من صاحبه ، وحمل شرحبيل بن السمط على الأشعث ، فكانا ؛ كذلك ، وحل حوشب ذو ظالم على لأشعث أيضا ، واعصلا ولم ينل أحدهما من صاحبه أمرا ، فزالوا كذلك حتى اكشف أهل الشام عن اللاء ، وذلك أهل المراق للسرعة .



قال نصر : وحدثنا محمد بن عبد الله ، عن الجرجاني ، قال : قال ^(٣) عمرو بن العاص لمعاوية لما ملك أهل المراق لاء : ما طنك يا معاوية باقوم إن متعوك اليوم الماء كما منعهم

(١) صغي : « خرايا » .

(٢) صغي : ٢٠٦ .

(٣) صغي : « سدى مراتا » .

(٤) صغي : ٢٠٨ .

أمس ! أترك تضارهم عليه كما ضاربوك عليه ! ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة . فقال معاوية : دع عنك ماضى ، فما ظنك بعل ؟ قال : ظنى أنه لا يستعمل منك ما استعملت منه ، وأن الذى جاء له غير الماء . قال : فقال له معاوية قولاً أغضبه ، فقال عمرو :

أمرتُك أمراً فَخَفَّفْتَهُ وخافنى ابن أبى سَرْحَةٍ^(١)
وأغضتْنى الرأى إغماضةً ولم تَرَقِ الحرب كالفَصْحَةِ
فكيفَ رأيتَ كِباشَ العِراقِ ألم يَطْلُحُوا جَمْعاً نَطْلَحُهُ !
فإن يَطْلُحُونَا غداً مثلاً نَكُنْ كَازِيرِى أَوْ مَطْلَحُهُ
أُظِنَ لَهَا اليَوْمَ ما بَدَّهَا ومِمَّ مَادَ ما بَدَّنا صَبْحَهُ
وإن أَحْرَوْهَا لِيَا نَدَّهَا فَقَدْ قَدَّمُوا الحَبْطَ والنَّدَّ
وقد شرب القومُ ماءَ العِراقِ وَقَدَدْتُكَ^(٢) الأَشْرَ القَصْحَةَ

قال نصر : فقال أصحاب على عليه السلام : امنهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك . فقال : لا ، حلوا بينهم وبينه ، لا أفضل ما فعله الجاهلون ، ستمرض عليهم كتاب الله ، ويدعوم إلى الهدى ، فإن أجابوا ؛ وإلا فنى حد السيف ما ينقى إن شاء الله .

قال : فوالله ما أمسى الناس حتى رأوا سقاهم وسقاة أهل الشام وروايهم وروايا أهل الشام يزدحمون على الماء ، ما يؤذى إنسان إنساناً .

(١) يريد ما بنى أبى سرحة هبة الله بن سعد بن أبى سرح .

(٥٢) (*)

ومن خطبة له عليه السلام ، وقد تقدم مختارها برواية ، ونذكر ما لم يذكره هنا برواية أخرى ، لتغاير الروايتين :

الأصل :

أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ نَافَاً قَدْ تَصَرَّعَتْ وَأَذْنَتْ بِالنِّصَاءِ ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَأَذِيرَتْ حَدَّاءَ ، قَبِيَّ تَحْفِيزُ بِالْقَهَاءِ سُكَانَهَا ، وَتَحْدُوهُ بِالنُّوْتِ جِوَارَهَا ، وَقَدْ أَتَرَفَ فِيهَا مَا كَانَ سُكُورًا ، وَكَدَّرَ مِنْهَا مَا كَانَ حَتَمًا ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَّةٌ كَسَمَّةِ الْإِدْكَاوَةِ ، أَوْ جِرْعَةٌ (١) كَجِرْعَةِ اللَّفْقَةِ ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدِيقَانِ لَمْ يَنْقَعَا .

فَارْتَمَوْا مِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَدْيِهِ أَلَا لَلْفُؤُورِ عَلَى أَهْلِهَا أَرْوَالٌ ، وَلَا يَنْفِلُ بَيْنَكُمْ فِيهَا أَلَا تَلُّ ، وَلَا يَطْلُوْنَ عَلَيْكُمْ فِيهَا (٢) أَلَا مَدُّ فَوَاقِدُ لَوْ حَنَلْتُمْ حَنِينَ الرُّوْلِ لِجِبَالِ ، وَدَحْوَتُمْ يَهْدِيلَ أَلْهَامِ ، وَجَارْتُمْ جُورَ الْمُتَقَبِّلِ الرَّهْبَانِ ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ؛ الْعِيسَى الْقُرْبَى إِلَيْهِ فِي الزَّرْفِ دَرَجَةُ هَذِهِ ، أَوْ ضَرَانِ سَيْفَةٍ أَحْصَاهَا كُتُبُهُ ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَبِيلًا فِيهَا أَرْجُو كُتُبَكُمْ مِنْ نَوَائِيهِ ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ حِقَائِيهِ .

وَاللَّهُ قَوْلُ أُنْمَاتٍ قُلُوبُكُمْ أُنْمِيَانَا ، وَسَاتَتْ عُيُونُكُمْ - مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ - ثُمَّ عَمَزْتُمْ فِي اللَّهِ نِيَانَا - مَا اللَّهُ نِيَابًا قِيَّةً - مَا جَزَتْ أَعْيَالُكُمْ - وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جَهْدِكُمْ - أَنْتُمْ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ ، وَهَذِهِ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ .

(١) انظر المحطة رقم ٢٨ الجزء الثاني ص ٩١

(٢) مخطوطة النج : « وجردة » .

(٣) كلمة « فيها » ساقطة في مخطوطة النج .

البُزْج

نصرت: انقطعت وفيت. وأذنت باعضا: أعلت بذلك، أذنت بكذا، أى أعلته. وتفتكر معروفا: جُهل منها ما كان معروفا.

والخذاء: السريعة للذهاب، ورجم خذاء: مقطوعة غير موصولة. ومن رواه «جذاء» بالجيم، أراد مقطوعة الذر والخيبر.

وتحفز بالقناء سكانها: تجعلهم وتسوقهم. وأمر الشيء: صار مورا. وكفد الماء، بكسر الدال، ويموز كدور نضما. وللصدر من الأول كدرا، ومن الثانى كدورة.

والسلة، بفتح اليم: البقية من الماء تبقى في الإماء. وللقلة، بفتح اليم وتسكين القاف: حصاة القسم التي تاق في الماء، ليعرف قدر ما يبقى.

كل واحد منهم؛ وذلك عند قلة الماء في القاوز، قال: قَذَفُوا سَيْدَهُمْ فِي بُورَةٍ قَذَلَتِ الْقَفْلَةَ وَسَطًا لِلْمَرْكَةِ^(١)

والتمترز: تمصص الشراب قليلا قليلا والصدبان: المطشان.

ولم ينقع: لم يرو؛ وهذا يمكن أن يكون لازما، ويمكن أن يكون معديا، تقول: نقع الرجل بالماء، أى روى وشفى غليله، ينقع. ونقع الماء الصدى ينقع، أى سكنه.

فأزمعوا الرحيل، أى ازمعوا عليه، يقال: أزمعت الأمر، ولا يجوز أزمعت على الأمر؛ وأجازه الفراء.

قوله: «للقدور على أهلها الزوال»، أى للكتوب، قال: وأعلم بأن ذا الجلال قد قدر في المصنف الأولى الذي كان سيطر

(١) اللسان ١٤ : ١٥٠ ، ونسبه إلى يزيد بن طلبة الخنسي .

أى كتب. والوثة العجال : الشوق الزالمة الفارقة أولادها ، الواحدة مجبول ، والوثة :
ذهاب العقل وفقد التمييز .

وهذيل الحمام : صوت نوحه . والجوزار : صوت مرتفع . وللتبتل : للنقطع عن الدنيا .
واعاث القلب ، أى ذاب .

وقوله : « ولو لم تبقوا شيئاً من جهنم » اعتراض فى الكلام .
وأسمه ، منصوب لأنه مفعول « جرت » .



وفى هذا الكلام تلويح وإشارة إلى مذهب البمداديين من أصحابنا فى أن الثواب على
فعل الطاعة غير واجب ؛ لأنه شكر النعمة ، فلا يقتضى وجوب ثواب آخر ؛ وهو قوله عليه
السلام : « لو اعاثت قلوبكم اعماثاً لله » ، إلى آخر الفصل .

وأصحابنا البصريون لا يذهبون إلى ذلك ، بل يقولون : إن الثواب واجب على الحكيم
سبحانه ، لأنه قد كلفنا ما يشق علينا ، وتكليف المشاق كإلزام للشاق ، فكما اقتضت
الآلام والمشاق النازلة بنا من جهته سبحانه أحوالاً مستحقة عليه تعالى عن إنزالها بنا ، كذلك
تقتضى التكليفات الشاقة ثواباً مستحقاً عليه تعالى عن إلزامها بنا ، قالوا : فأما ما سلف
من نعمة علينا فهو تفضل منه تعالى ، ولا يجوز فى الحكيم أن يتفضل الحكيم على غيره بأمر
من الأمور ، ثم يلزمه أفضالاً شاقة ويحملها يزاء ذلك التفضل ؛ إلا إذا كان فى تلك الأمور
منافع عائدة على ذلك الحكيم ، فكان ما سلف من للنافع جارياً مجرى الأجرة ؛ كمن يدفع
درهماً إلى إنسان ليخيط له ثوباً والبارئ تعالى منزّه عن النافع ؛ ونعمه علينا منزّه أن يجرى
مجرى الأجرة على تكليفنا الشاق .

وأيضاً فقد يساوى اثنان من الناس فى النعم للتم بها عليهما ، ويختلفان فى التكليف ،

فلو كان التكليف لأجل ما مضى من النعم لوجب أن يقدر بحسبها . فإن قيل : فملى ماذا يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وفيه إشارة إلى مذهب البعديين ؟
 قيل : إنه عليه السلام لم يصرح بمذهب البعديين ؛ ولكنه قال : لو عبدتموه بأقصى ما ينهى الجهد إليه ما وفقتم شكر أعميه ؛ وهذا حق لا غير مختلف فيه ، لأن نعم الباري تعالى لا تقوم العباد بشكرها ، وإن بالموافاة عادته والخصوع له والإحلام في طاعته ؛ ولا يقتضى صدق هذه القضية وصحتها صحة مذهب البعديين في أن الثواب على الله تعالى غير واجب ؛ لأن التكليف إنما كان باعتبار أنه شكر للعمة السالفة .



[ما قيل من الأشعار في ذم الدنيا]

فأما ما قاله الناس في ذم الدنيا وعروورها وحوادثها وخطوبها ونسكرها لأهلها ،
 والشكوى منها ، والتمسب لها والوعظ بها ، وتصريحها ونقائها ، فكثير ؛ من ذلك قول بعضهم :
 هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطني وفكي^(١)
 فلا يدرى كم حسن ابتساي فتولي مضحك والهمل منك
 وقال آخر :

تبع عن الدنيا ولا تطلبتها ولا تحطبن فتاة من ثنايح
 فليس يفي مرحوها بمخوفها ، وتسكروها إنما تأملت راجع
 لقد قال فيها القائلون ما كثروا وعندي لها وصف لمترك صالح
 سلاف ، قصارها ذماف ، ومركب شهي إذا استلذته فهو جامع
 وشخص جميل يعجب الناس حسنه ولكن له أفعال سوء فبائع

وقال أبو العلي :

أَبَدًا نَسْتَقْدُ مَا هَبُّ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بَعْلًا^(١)
وَفِي مَشْوَقَةٍ عَلَى النَّذْرِ لَا تَحْفَظُ هَذَا وَلَا تَهْمُ وَصَلًا
كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَيْنًا وَبِكَ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُغْلَى
شَبِّمُ الْعَانِيَاتِ فِيهَا وَلَا أَذَى رَى لَهَا أَنْتَ اسْمَهَا النَّاسُ أَمْ لَا !
وقال آخر :

إِنَّمَا الدُّنْيَا عَوَارِيٍّ وَالْمَوَارِيُّ مُتَزَدَّةٌ^(٢)
شَدَّةٌ بَعْدَ رَخَاءٍ وَرَخَاءٌ بَعْدَ شَدَّةٍ

وقال محمد بن هاني المروزي :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا ظَالِمِينَ قَسُودُوعٍ^(٣) وَتَأْوِي قَرْمِجَ الْجَفْنِ يَبْكِي لِزَاحِلِ
فَا الدَّمْرَ إِلَّا كَالزَّمَانِ الَّذِي تَقْصُو وَلَا نَحْنُ إِلَّا كَالْقُرُونِ الْأَوَّلِ
نُسَاقُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ دَائِمٍ وَنَبْكِي مِنَ الدُّنْيَا حُلَّ خَيْرِ طَائِلِ
فَا طَاجِلٌ تَرْجُوهُ إِلَّا كَأَجَلٍ وَلَا آجِلٌ تُخْشَاهُ إِلَّا كَمَا جَلِ

وقال ابن المقفر المغربي :

دُنْيَاكَ دَلَرُ غُرُورٍ وَنَمْسَةٌ مُتَمَارَةٌ
وَدَلَرُ كُلِّ وَشْرَبٍ وَمَكْتَسَبٍ وَنَحَارَةٍ
وَرَأْسُ مَالِكٍ قَسٌّ نَغْفٌ عَلَيْهَا أَنْطَارَةٌ

(١) ديوانه ٣ : ١٣١

(٢) عاضدات الأديب ٢ : ١٢٦ من غير نسبة .

(٣) ديوانه ٥٨٧ (طبعة للمغرب)

وَلَا تَيْبَسْ بِأَكْلِ طَبِيبٍ عَرَفَ وَشَارَهُ
فَإِنْ مَلَكَ سِلْبًا نَافِلًا بَشَرَاهُ

• • •

وقال أبو المثنى :

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْبِرُّ وَالْكَرَمُ^(١) وَحُبُّكَ لِدُنْيَا هُوَ الْفَقْرُ وَالْمَدَمُ^(٢)
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقْوَى غَضَاةٌ إِذَا صَاحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ^(٣)
وقال أيضا :

تَمَلَّقْتُ بِأَمَلٍ طَوِيلٍ أَيْ آمَلِ
وَأَقْبَنْتُ عَلَى أَهْلِيَا مَلْعَا أَيْ إِمْلِ
أَلَا هَذَا تَجَمُّزٌ^(١) فِرَاقِ الْأَهْلِ وَاللَّالِ
فَلَا بَدْءَ مِنَ التَّوَلَّى قَلْبٍ حَالٍ مِنَ الْحَالِ

وقال أيضا :

سَكَنُ يَبْقَى لَهُ سَكَنُ مَا يَهْذَأُ يُوْزِنُ الزَّمَنُ^(١)
نَحْنُ فِي دَارٍ يُخْبِرُنَا يَسْلَاهَا نَاطِقٌ لَيْنُ
دَارُ سُوْدٍ لَمْ يَدِمَ فَرَحٌ لَا مَرِيَّ فِيهَا وَلَا حَزَنُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَغْنَا كُنَّا بِالْمَوْتِ مُرْتَهَنُ
كُلَّ غُصْرٍ مِنْدَ مَوْتِهَا حَظُّهَا مِنْ مَالِهَا الْكَفَنُ
إِنْ مَالَ لِلرَّءِ لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا ذِكْرُهُ الْحَسَنُ

(١) ديوانه ٢١٣

(٢) ديوانه ٢١٣

(٣) ديوانه ٢٥٢

وقال أيضاً :

أَلَا إِنَّا كُلُّ بَائِدٍ وَهِيَ بَنَى آدَمَ خَالِدًا (١)
وَيَذُومُهُمْ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ وَكُلٌّ إِلَىٰ رَبِّهِ عَائِدٌ
فَواعصياً كيف ينصي إلا هَـ أَمْ كَيْفَ يَحْكُمُهُ الْجَائِدُ
وفي كل شيء له آيةٌ تَذُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ الْوَاحِدُ

وقال الرضي اللؤسوي :

يَأْمَنُ الْأَيَّامَ بِأَرْزِ صَرْفَهَا وَانْهَمَ بِأَنَّ الطَّالِبِينَ حِثٌّ (٢)
خُذْ مِنْ قَرَائِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَلَمَّا فَرَّكَ أَوْلَاكَ الْأَيَّامُ وَالْوَرَاثُ
لَمْ يَفُضْ حَقُّ السَّالِكِ إِلَّا مَشَرُّ نَظَرُوا إِلَيْهَا مَنَ يَمِيتُ فِيهِ فَسَانُوا
تَحْتُو عَلَىٰ حَيْبِ الْغَنَىٰ يَدُ الْغَنَىٰ وَالْفَقْرُ عَنْ حَيْبِ الْفَقْرِ يَحَاتُ
لِلْأَرْزِ مَالُ التَّرَةِ مَا بَلَّغَتْ بِهِ الشُّهُورُ أَوْ دَفِئَتْ بِهِ الْأَحْدَاثُ
مَا كَانَ مِنْهُ فَاضِلًا عَنْ قُوَّتِهِ قَلِيلٌ بَأَنَّهُ مِيسِرَاتُ
مَالٍ إِلَىٰ الدُّنْيَا الدُّنْيَا حَاجَةٌ فَلْيَجْنِ سَاحِرَ كَيْدِهَا التَّفَلُّتُ
طَلَّقَهَا أَلْفًا لِأَحْسَمِ ذَايَا وَطَلَّاقٍ مِنْ حَزَمِ الطَّلَاقِ ثَلَاثُ
وَبَنَاتُهَا مَرْهُومَةٌ وَمِيزَانُهَا مَكْدُونَةٌ ، وَحَالُهَا أَنْكَاسُ
أَمَ لِلصَّابِ لِأَزَالِ تَرَوْعَا مِنْهَا ذُكُورُ سَوَادِثِ وَإِنَّا
إِنِّي لَا أُحِبُّ لِقْدِينَ تَسْكُوْا بِحَاظِرِ الدُّنْيَا هَـ وَهَنْ رِثَاثُ
كَزُوا السُّكُورُ وَأَعْلَوْا شُجُورَهُمْ فَالْأَرْضُ تُشْبِعُ وَالْبَطُونُ غَيْرَاتُ
أَنْزَامُهُمْ لَمْ يَدْفَعُوا أَنْ الْفَقْرُ أَرْزَاؤُنَا ، وَدِيَارُنَا الْأَجْدَاثُ

(١) ديوانه ١٩

(٢) ديوانه لوحه ١٣٣ ، وفيه : يَأْمَنُ الْأَيَّامَ هـ

وقال آخر :

هضم الدنيا إذا صرقت وجهها لم تنفع الحبل
وإذا ما أقبلت لعم بصرته كيف يفعل
وإذا ما أذبرت لذكي غاب عنه السهل والجبل
فهي كالدولاب دائرة ترتقي طورا وتسفل
في زمان صارت ثمة استأ واستذاب الحبل
فالدنيا في نامة والنوامي خضع ذلك
فاصبري يا نفس واحتيلي إن نسي الحر تحملي

وقال أبو الطيب :

نمى للشرقية والموالي
وترتبط السوابق مفرجات
ومن لم يشق الدنيا قديما
نصيبك في حياتك من حبيب
رماي الدهر بالأرزاء حتى
فصرت إذا أصابني سهام
وكان قسا أباي بالزبا
يدفن بفضا بفضا ومني
ولم حين مقبل النواحي
وتفعلنا السنون بلا فقال
وما ينحني من خيب الأباي
ولكن لا سبيل إلى الوصال
نصيبك في ملكك من خيال
فأردى في غشا من نبال
تكررت النصال على النصال
لأن ما أنقمت بأن أباي
أواخرنا على هام الأوالي
كحبل في الجنادل والمالي

(١) ديوانه ٣ : ٨ ، للشرقية : السيوف ، والموالي : أرماع .
(٢) الفرقت من الحبل : الكرام التي تربط لكراسها على أمعابها .

وَمَنْ كَانَ لَا بُنْيَ بْنَ غُلْبٍ وَالْكَانَ يُفَكِّرُ فِي الْهَوَالِ

•••

وقال أبو العافية في أرجوزته المشهورة في ذم الدنيا وفيها أنواع مختلفة من الحكمة :

مَا زِلْتِ الدُّنْيَا لَنَا دَنَرٌ أَدَى مَرْجُوعَةُ الصُّغُرِ بِالْوَانِ الْقَدَى ^(١)
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ يَهَا أَرْوَاجُ إِذَا رَسَّاجٌ ، وَلَهَا رَحَّاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْمَغْنَى وَلَيْسَ تَحْضُ يَحْبُثُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَاتُ غَيْرُ وَشَرُّ وَهْمَا ضِدَانُ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا يَنْهَمَا بَيْنَ بَسَدٍ جِدَا
 إِنَّكَ لَوْ تَنْتَشِقُ الشَّعْبَا وَجَدْتَهُ أَتَنَ شَيْءَ رِيحَا
 حَسْبُكَ يَمَّا تَبْتَضُّ الْقَوْتُ كَمَا أَكْثَرَ الْقَوْتُ لِمَنْ يَمُوتُ
 الْفَقْرُ فَيَا جَاوَزَ السَّكَا مِنْ أَتَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
 مِنَ الْقَادِرِ قَلْبِي أَوْ قَدَّرَ لَنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُهَا أَخْطَا الْقَدَّرَ
 لِكُلِّ مَا يُوْذَى وَإِنْ قُلْ أَلَمْ مَا طَوَّلَ الْكَيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَهْمُ
 مَا انْتَفَعَ الرَّءُ بِمَيْلُو خَفِي وَخَيْرُ دُخْرِ الرَّءِ حُسْنُ فَيْلُو
 إِنَّ الْفَسَادَ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ وَرَبِّ جِدَةٍ جَزَاءُ لُزْجِ
 مَنْ جَمَلَ النَّصَامَ هَيْئًا فَكَا مَهْلِكُ الشَّرِّ كِبَا هِيَا كَا
 إِنَّ الشَّهَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجُدَّةُ مَفْسَدَةُ الرَّءِ أَى مَفْسَدَةُ
 يُنْبِئُكَ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ قَدْ يُورِثُ الرَّأْيَ الْأَصْلَ شَكُّهُ
 مَا عَيْشُ مَنْ آتَى بَهَا نَفْسَ عَيْشًا نَاهَا نَفْسُهُ ^(٢)

(١) ديوانه ٣٤٦ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٢) الديوان : « بَلَاوُهُ » ، « شَاوُهُ » .

بَارُبِّ مَنْ أَسْخَطَا بِجَهْدِهِ
مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيبُ
لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرٌ وَجَوْهَرُ
وَكُلِّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ
مَنْ لَمْ يَلْتَمِضْ وَكُلٌّ مُتَمَزِّجٌ
صَبِيحٌ وَاسْتَرْفَعُ السُّكُوتُ
إِذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَضْمَعَ

وَقَالَ أَيْضًا :

كُلٌّ عَلَى الدُّنْيَا لَهُ حِرْمٌ
وَكَانَ مَنْ وَلَوْهُ فِي جَدَثٍ
يَهْوَى مِنَ الدُّنْيَا زِلَافَهَا
يَلِدُ النَّيَّةَ فِي تَلَافُفِهَا
وَالْحَادِثَاتُ تَلَايَا قَرَمٌ^(١)
لَمْ يَبْقُ مِنْهَا لَنَاظِرٌ شَخْصٌ
وَزِلَافَةُ الدُّنْيَا هِيَ النِّقْمُ
مَنْ دُخِرَ كُلُّ نَيْيَةٍ قَضَمٌ

وَقَالَ أَيْضًا :

أَبْلَغَ الدَّخْرِ فِي مَوَاطِنِهِ بَلْ
أَيُّ عَيْشٍ يَكُونُ أَطْيَبَ مِنْ عَيْشِ
لِصَبْتِي الْأَيَّامُ أَفْطَى وَمَالِي
صَاحِبُ الْبَيْتِ لَيْسَ بِسَلَمٍ يَنْتَهَى
زُبَّةٌ ذِي نَمَةِ تَمْرُضُ مِنْهَا
حَائِلٌ يَنْتَهَى وَيَبْدُ لِلْسَاغِ

• • •

وقال ابن المنز:

حَفَدًا رُبِّي وَذَمًّا لِلزَّمَانِ فَمَا أَهْلٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَسْرُوفِي
كَفَتْ يَدِي أَمَلِي مِنْ كُلِّ مُعْطَلٍ وَأُغْلِقْتُ بِأَبْهَا مِنْ دُونِ حَاجَاتِي
وله أيضا:

الَسْتُ تَرَى إِصْحَاحَ مَا أَحْبَبَ الدَّهْرُ فَذَمًّا لَهُ، لَكِنْ لِفَخَاتِي الشُّكْرُ
لَقَدْ حَبَّبَ لِلوْتِ الْبَقَاءَ الَّذِي أَرَى مِمَّا حَبَّذَا مِنِّي لَيْسَ سَكَنَ الْقُبْرُ
وَسُبْحَانَ ربي رَاضِيًا بِقَضَائِهِ وَكَانَ اتِّقَانِي الشَّرَّ يُنْزِي بِي الشَّرَّ
وله :

قُلْ لِيَدِيكَ : فَمَا تَمَكَّنْتَ مِنِّي نَافِلِي مَا أَرَدْتَ أَنْ عَمَلِي
وَإِخْرَاقِي كَيْفَ شِئْتَ حَرَقَ جَهْلِي إِنْ عِنْدِي لَكَ إِصْطِبَارٌ لَيْبِي

وقال أبو العلام المرمي :

وَالدَّهْرُ إِزَامٌ وَهَضْبٌ وَتَهْ رِيْقٌ وَجَمْعٌ وَهَكَزٌ وَلَهْلٌ^(١)
لَوْ قَالَ لِي صَاحِبُهُ تَمَّ مَا جَزَتْ عَنْ نَاجِيَةٍ أَوْ بَدَلٌ

وقال آخر :

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ لَا بُدَّ أَنْ يُدِيرَ أَوْ يُقِيلَا

وقال أبو الطيب :

عَالِي وَلِلدُّنْيَا طَلَابِي نَجْمُهَا وَمَسْعَايَ مِثْلُهَا فِي شِدْقِي الْأَرَامِي^(٢)

(١) سقط الزيم ١٦٦ .

(٢) ديوانه ١١١ : ١١١١ . الأراحم : المليات .

وقال آخر :

لَمَسْرُوكَ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ هَا اسْطَعْتِ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَمَزُودٌ

وقال آخر :

لَمَسْرُوكَ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رِزْقُهُ مَالٍ ، أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ

الوزير للهلي :

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ فَهَذَا النَّبَشُ مَا لَا خَبْرَ فِيهِ^(١)
أَلَا رَجِمَ لِلْهَيْمِ نَفْسَ حُرٍّ نَصَدَقَ بِالْمَاتِ عَلَى أَخِيهِ

وله :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَخَذَ أَتَاكَ مِنَ الرَّمَنِ يَهْرَبُنِي مِثْلَ تَرَى الْقِدَحَ بِالسَّمَنِ
لَمْ يَبْقَ بِالْبِشْرِ إِلَّا مِرَارَتُهُ إِذَا تَذَكَّرْتَهُ ، وَالْخَلْقُ مِنْهُ فِي
لَا تَحْسَبَنَّ بِمَا سَرَّكَ صُعْبَتَهَا إِلَّا مَفَانِجَ أَسْوَاسٍ مِنَ الْخَزَنِ

صبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أَلَا أَيُّهَا الذُّهْرُ الَّذِي قَدْ مَلَكْتُهُ سَأَلْتُكَ إِلَّا مَا سَلَّتْ حَيَاتِي
فَقَدْ وَجَلَّالَ اللَّهُ حَبَبَتْ جَاهِدًا إِلَيَّ - قُلْ كَرِهَ اللَّاتِ - تَمَانِي

وله :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الذُّهْرَ يَهْدِمُ مَا بَقِيَ وَتَسْلُبُ مَا أَعْطَى وَيَغِيدُ مَا أَسْدَى
فَمَنْ سَرَّهُ أَلَّا يَمْرَى مَا يَسُوهُ فَلَا يَتَخَذُ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ قُدَا
البعثري :

كَأَنَّ الْإِلَهِي أَغْرَبَتْ حَادِثَاتُهَا بِحَسْبِ الَّذِي نَأْتِي ، وَبِغَضِّ الَّذِي يَهْوَى^(٢)

(١) ابن طلكان ١١٧ : ١

(٢) ديوانه ١٠ : ١١

وَمَنْ حَرَفَ الْأَبَامَ لَمْ يَرَّ خَفَفَهَا سِيبًا وَلَمْ يَدُدْ مُضَرَّتَهَا بَلْوَى
أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيَّ:

مَا أَثْقَلَ الدَّهْرَ عَلَى مَنْ رَكِبَهُ
حَدَّثَنِي عَنْهُ لِيَأْنُ التَّجَرُّبَةِ
لَا تَشْكُرُ الدَّهْرَ غَيْرَ سَبَبَةٍ
فَإِنَّهُ لَمْ يَهْمُكَ بِشَيْءٍ هَالِكَةٍ
وَأَمَّا أَطْلَا فِيكَ مَذْهَبَةٍ
كَاسْتَبَلَّ قَدْ بَنَى مَكَامًا أُخْرَبَةٍ
وَالسُّمُّ يَنْتَشِي بِهِنَّ مِنْ سَبَبَةٍ

وقال آخر:

بَنَى الْفَقْرُ فِي صَلَاحِ الْعَيْشِ مُجْتَهِدًا وَالدَّهْرُ مَا عَاشَ فِي إِفْسَادِهِ سَامِي
آخر:

بَرَّ الْفَقْرُ مَرُّ الْهَالِكِ سَلِيَّةً وَهَنْ يَدٍ عَمَّا قَلِيلٍ حَوَائِرُ
آخر:

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ كَلَّا كَلَّةً أَمَانَحَ بَأَخْرَبِنَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفْبِقُوا سَمِعْنِي الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

آخر:

قُلْ لِمَنْ أَنْكَرَ حَالًا مُنْكَرَةً وَرَأَى مِنْ دَهْرِهِ مَا حَبَّرَهُ
لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ مَا أَنْكَرْتَهُ كُلُّ مَنْ عَاشَ رَأَى مَا لَمْ يَرَهُ

ابن الرومي:

سَكَنَ الْأَمَانُ وَتَحْتَ سَكَنَتِهِ دَفَعُ مِنْ الْخُرُكَاتِ وَالْبَطَلِ

كَأَلْفُؤُونٍ تَرَءُ مُنْطَلِعًا بِالْأَرْضِ نَمَّ يَنْوُرُ فَيْشِشِ
أبو الطيب :

إِنَّا لَنِي زَمَنٍ تَرَكُ الْقِيَحِ بِرٍ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانُ وَلَا جَمَلٍ^(١)
ذِكْرُ الْفَقْرِ خُرُءُ الثَّانِي وَحَاحَتُهُ مَافَاتُهُ، وَقُضُولُ الْبَيْشِ أَشْمَالُ
وقال آخر :

جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْنَا فِي نَصْرِهِ وَإِي حُرٍّ عَلَيَّ الدَّهْرُ لَمْ يَجْرِ
عِنْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَا لَانَ أَيْسَرَهُ بُنْفَى عَلَى الْفَلَكَ الدَّوَارِ لَمْ يَدْرِ
آخر :

هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَافِزُهُ فِيهَا مَحْدَثُ كُتُبٍ وَابْنُ مَسْمُودٍ
إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ تَقْبَلْ لَهُ خَيْرٌ لَمْ يَهْلِكْ سَمْتُ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِمَوْلُودٍ
آخر :

بَارِزَانَا الْبَسَ الْأَخْصَارَ ذُلًا وَمَهَانَةً
لَسْتُ عِنْدِي بِزَمَانٍ إِنَّمَا أَنْتَ زَمَانَةٌ
أَجُنُوتٌ مَا رَأَى مِنْكَ يَبْدُو أَمْ جَهَانَةٌ !

الرضى للوسوى :

تَأْبَى الْيَالِ أَنْ تُدْعَى بُوْسًا تَطْلُقُ أَوْ نَيْبًا^(٢)
وَالسَّرَّاءُ بِالْإِقْبَالِ يَبْ نَغْ وَأَوْحَا خَطَرًا جَبِيًّا
فَإِذَا أَهْضَى إِبْهَالَهُ رَجَعَ الشَّعْبُ لَهُ خَصِيًّا

(١) ديوانه ٣ : ٢٨٧

(٢) ديوانه لوعة ٩٤

وَهُوَ الزَّمَانُ إِذَا نَبَا سَبَّ الَّذِي أُعْطِيَ قَدِيمَا
كَارِئٍ تَرْجِعُ عَاصِمَا مِنْ بَعْدِ مَا بَدَأَتْ نَسِيمَا

أبو عبيان الخليلي :

أَلَيْتُ مِنْ حَدِيثَاتِ الدَّهْرِ أَكْثَرَهَا فَمَا أَعَادَى عَلَى أَحَدَانِهَا الصَّغِيرَ
تَزِيدُنِي قِسْوَةَ الْأَيَّامِ طَلِبَهَا كَأَنِّي أَلَيْتُكَ بَيْنَ النَّهْرِ وَالْحَجَرِ

السري الرفاء :

تَمَسَّكَذَا هَذَا الدَّهْرُ فَبَا يَرُومُهُ عَلَى أَنَّهُ فَبَا مُحَاذِرُهُ نَذْبُ^(١)
فَسِيرُ الَّذِي تَرْجُوهُ سِيرٌ مَقِيدُ وَسِيرُ الَّذِي تَخْشَى غَوَائِلُهُ وَنَذْبُ

ابن الرومي :

أَلَا إِنَّ فِي الدُّنْيَا عَجَائِبَ جَمَّةً وَأَعْجَبُهَا أَلَا يَشَيْتَ وَلَيْسِدُهَا
إِذَا ذَلَّ فِي الدُّنْيَا الْأَمِيرُ مَا إِذْ تَهَبَا حِرًّا وَسَلْدَ مَسُودُهَا
هُنَاكَ فَلَا جَادَتْ سِلَاحَ بِصُورِهَا لَا أَمْرَتْهُ أَرْضٌ وَلَا اخْصَرَتْ عُودُهَا
أَرَى النَّاسَ يُخْشَوْنَ يَوْمَ غَيْرِ أَمْرِهِمْ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يُقْلَبْ عَلَيْهِمْ صَعِيدُهَا
وَمَا انْطَلَفَتْ أَنْ يُبْلَى أَسَافِلُ بَلَدِهِ أَعْلَاهَا ؛ بَلْ أَنْ يَسُودَ قَبِيدُهَا

السري الرفاء :

لَنَا مِنَ الدَّهْرِ خَصْمٌ لَا يُطَالِيهِ فَمَا عَلَى الدَّهْرِ لَوْ كَفَّتْ نَوَائِبُهُ^(٢)
يَوْمَ تَدُّ عَنْهُ جَرِيمًا مِنْ يُسَالِيهِ فَكَيْفَ يَنْتَلِمُ مِنْهُ مَنْ مَحَارِبُهُ
وَلَوْ أَمِنْتُ الَّذِي تَجْنِي أَرَاهُمُ عَلَى هَلَنْ الَّذِي تَجْنِي عَقَارِبُهُ

(١) ديوانه ٣٦

(٢) ديوانه ٥٤ ، وفيه : « خَصْمٌ لَا يُطَالِيهِ » .

أبو فراس بن حمدان :

تَصَقَّعَتْ أَحْوَالَ الزَّمَانِ وَلَمْ يَسْكُنْ إِلَى حَيْرٍ شَاكٍ لِلزَّمَانِ وَوُجُودِ^(١)
أَكَلَ خَلِيلٌ هَكَذَا غَيْرُ مَنْصِفٍ وَكُلُّ زَمَانٍ بِالْكَرَامِ بِجَيْلٍ !
ابن الرومي :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَرْفَعُ كُلَّ وَغْدٍ وَبُحْفِصُ كُلِّ ذِي شَيْمٍ شَرِيفٍ
كَمَثَلِ الْبَحْرِ يَمُرُّ فِيهِ حَيٌّ وَلَا يَنْفُكُ نَظْمُو فِيهِ حَيْفٍ
أَوْ الْمِيزَانِ بِحْفِصُ كُلِّ وَافٍ وَبِزَيْفٍ كُلِّ ذِي زَيْفٍ خَفِيفٍ
ابن نباتة :

وَاصْطَرَّ عَيْبٌ فِي رَمَائِكَ أَنَّهُ بِهِ الْعِلْمُ جَهْلٌ، وَالْعَفَافُ فُسُوقُ
وَكَيْفَ يَسَّرَ الْحَرْفُ فِيهِ بِمَطْلَبٍ وَمَا فِيهِ شَيْءٌ بِالرُّسُودِ حَقِيقُ !

• • •

أبو المتاهية :

لِتَجْذِبْنِي بِدُنْيَا مُقَوِّمَتِهَا إِلَى السَّالِمِ، وَإِنْ نَازَعَتْهُ رَسَمِي^(٢)
فَلِهْ دُنْيَا أَنَا فِي دَائِبَتِهَا قَدْ أَرْتَمَوُا فِي غِيَاظِ الْغَىِّ وَالْفِتَنِ
كَسَائِمَاتٍ رَوَّاجٍ تَبْنِي سَمَتَا وَحَقَّقَهَا لَوْ دَرَّتْ فِي ذَلِكَ السَّمَنِ
وله أيضا :

أُنْشَاكَ نَحْيَاكَ الْمَتَا فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا التَّيْمَانَا^(٣)

(١) ديوانه ٣١٥ (نشرة سائر الدعان) .

(٢) ديوانه ٣٨٨

(٣) ديوانه ٥٣

وقال يزيد بن مفرغ الجبزي :

لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَتِي الصَّبْرِ ح مُبِرّاً وَلَا دُعَيْتُ يَزِيداً ^(١)
يَوْمَ أَعْطَى مِنَ التَّمَنِّيَةِ صَبّاً وَلِلدَّاءِ يَرُصِدُنِي أَنْ أُجِيداً ^(٢)
وقال آخر :

لَا تَحْسِبْنِي يَا أُمَا مة عاجزاً دنيّاً نِيَابَةً
إِنِّي إِذَا خَفْتُ الْهَوَا نَ مُتَمِّعٌ دُلِّلُ رِكَابَةً ^(٣)

مثله قول عنترة :

دُلِّلُ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَابِي لِي وَأَخْفِزُهُ بِرَأْيِ مُبَرِّمٍ ^(٤)

وقال آخر :

أَحْتَمَةَ اللَّوْثِ دَرَّ دَمٌ سَلَمٌ أَصْلَحَ الْقَوْمَ غَوْقَ مَا سَالُوا
إِنَّا لَنَمُرُّ الْإِلَهَ تَابِي الْقَدَى عَا لَوَا وَلَكَا تَقَعَفُ الْأَسْلُ
قَهْلُ صَبّاً وَنَحْنُ نَقَرُهُ مَا دَلَمَ مِقَا يَطْمُرُهَا رَجُلُ

وقال آخر :

وَدَبَ يَوْمَ حَبِطَتِ النَّفْسُ مُكْرَهَةً فِيهِ لَا كَيْتَ أَعْدَاءِ أَحَاشِيهَا
أَبَى وَأَهْ مِنْ أَشْيَاءِ أَخَذَهَا رَثَ الْقَوَى ، وَضَعِفُ الْقَوْمِ يُطْلِمُهَا
مثله للشدّاذع :

أَبَيْنَا فَلَا نَطْلِي مَلِيكاً غُلَامَةً لَا سُوْقَةَ إِلَّا الْوَشِيحَ لِلْقَوْمِ ^(٥)

(١) السَّوَام : الإبل الزاهية .

(٢) يَرُصِدُنِي : يرادفني .

(٣) الشَّجَاع : الشجاع .

(٤) من اللقطة ٢٠٠ - يصرح التبريزي . دل : مع دلولة ؛ وهو من الإبل وغيرها صد الصب ؛ وللتتابع : الشجاع ؛ مثل القبع ؛ تكن له لا يخلده فهو يشبهه . وأخفزه : أدهسه . وللمر : الحكم .
(٥) من الجو شيع الرمح .

تَرَوُّمُ اُنْقَلَبَ فِي دَارِ النَّفَاقِ وَكَمْ قَدَرًا قَبْلَكَ مَا تَرَوُّمُ ا
لْأَمْرِ مَا تَعَرَّضْتَ لِلْأَمَالِ وَأَمْرٍ مَا تَقَلَّبْتَ النُّجُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَزَمْ هَتَكَ لِلنَّاسِ تَلْبَسُ لَيْسِيَّةٌ مَا تَوْمُ
إِلَى دَبَانٍ يَوْمَ الدِّينِ تَسْفِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْمَعُ اُنْقَلُومُ

• • •

حسبنا الله وحده ، وصلواته على خيرته من خلقه سيدنا محمد وآله الطاهرين .

• • •



تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية

فهرس الخطب

منحة

- ١١٩ - ٤٤ - من كلامه عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية
- ١٥٦ - ٤٥ - من خطبة له في الزهد وتعظيم الله وتصغير أمر الدنيا
- ١٦٥ - ٤٦ - من كلامه عند عزمه على السير إلى الشام
- ١٩٧ - ٤٧ - من كلامه في ذكر الكوفة
- ٢٠٢ - ٤٨ - من خطبة له عند السير إلى الشام أيضا
- ٢١٦ - ٤٩ - من خطبة له في تمجيد الله سبحانه وتحميده
- ٢٤٠ - ٥٠ - من خطبة له يصف فيها وقوع القنن
- ٢٤٤ - ٥١ - من كلام له لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات بصفين
- ٢٣٢ - ٥٢ - من خطبة له في وصف الدنيا

فهرس الموضوعات

صفحة	
١١ - ٤	بقية رد المرتضى على ما أورده القاضى عبد الجبار من الدفاع عن عثمان
٦٩ - ١١	ذكر الطاعن الذى طعن بها على عثمان والرد عليها
٧٣ - ٧٠	بيعة جرير بن عبدالله البجلي لعل
٧٤ - ٧٣	بيعة الأشعث لعل
٩١ - ٧٤	دعوة على معاوية إلى البيعة والطاعة ورد معاوية عليه
١١٥ - ٩١	أخبار متفرقة
١١٧ - ١١٥	مفارقة جرير بن عبدالله البجلي لمعاوية
١١٨ ، ١١٧	نسب جرير وبعض أخباره
١٢٢ - ١٢٠	نسب بنى ناجية
١٢٦ - ١٢٢	نسب على بن الجهم وطائفة من أخباره وشيوخه
١٢٧	نسب مصقلة بن هيرة
١٢٧	خير بنى ناجية مع على
١٥١ - ١٢٨	قصة الخزيم بن راشد الناجي وخروجه على على
١٥٤ ، ١٥٣	فصل بلاغى فى الموازنة والسجع
١٦٤ - ١٥٤	نبد من كلام الحكماء فى مدح القناعة وذم الطمع
١٦٩ - ١٦٦	أدعية على عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية
١٧١ - ١٦٩	كلام لعل حين نزل كربلاء
١٨٦ - ١٧١	كلامه لأصحابه وكتبه إلى عماله
١٩٠ - ١٨٨	كتاب محمد بن أبى بكر إلى معاوية وجوابه عليه
١٩٩ ، ١٩٨	فصل فى ذكر فضل الكوفة

سجدة

- ٢٠٢ أخبار علي في جيشه وهو في طريقه إلى صفين
- ٢١٧ فصول في العلم الإلهي
- ٢٢١ - ٢١٨ الفصل الأول في الكلام على كونه تعالى عالماً بالأمور الخفية
- ٢٢٢ ، ٢٢١ الفصل الثاني في تفسير قوله عليه السلام : « ودلت عليها أعلام الظهور »
- ٢٢٣ ، ٢٢٢ الفصل الثالث في أن هويته تعالى غير هوية البشر
- ٢٢٣ - ٢٢٢ الفصل الرابع في تنق التشبيه عنه تعالى
- ٢٣٨ ، ٢٣٩ الفصل الخامس في بيان أن الجاحد مكابر بلسانه ومثبت له بقلبه
- ٢٤٩ - ٢٤٥ الأسماء الواردة في الإباء والأنف من أحوال الضيم
- ٣١٧ - ٢٤٩ أباء الضيم وأخبارهم
- ٣٣١ - ٣١٢ غلبة معاوية على لواء بصفتين ثم غلبة علي عليه بعد ذلك
- ٣٤٩ - ٣٢٥ ما قيل من الأسماء في ذم الدنيا

